الدكتور كمال السامرائي

مختصر تاريخ الطب العربي

دار النضال
للطباعة والنشر والتوزيع

الدكتور كمال السامرائي
كلية الطب ـ بغداد ـ

- ماجستير في الجراحة النسيوية: 1943.
- استاذ الأمراض النسائية بجامعة بغداد: 1952.
- عضو في الكلية الملكية البريطانية: 1964.
- زميل من الكلية الملكية للجراحة النسائية: 1965.
- وسام المؤرخ (اتحاد المؤرخين العرب): 1984.
- جائزة اتحاد مجالس البحث العلمي: 1985.
- جائزة معهد التقدم العلمي في الكويت: 1987.
- جائزة اتحاد الأطباء العرب: 1986.
- جائزة الجامعة الأوروبية العربية: 1988.
- وسام الاستقلال من الدرجة الثالثة. (المملكة الأردنية) 1950.

المؤلفات:

1 ـ الأمراض النسيوية في التاريخ القديم وأخبارها. من الحديث 1982.
2 ـ مختصر تاريخ الطب العربي
الجزء الأول ـ 1984. الجزء الثاني ـ 1985.
3 ـ النافع عن كيفية تعليم صناعة الطب. تحقيق /1984/.
4 ـ خلق الإنسان لسعيد به هبة الله. تحقيق /1989/.
5 ـ السموم ووقع مضارها لجابر بن حيان. /تحقيق/.

القسم الثامن

الطب في مصر الاسلامية

311 - 923 هـ / 750 - 1517 م

نبذة تاريخية.

الطب والأطباء في مصر الاسلامية

- عمار بن علي الموصلي
- احمد بن محمد البلدي
- ابن سعيد التميمي
- ابن الهيثم
- ابن رضوان المصري
- ابن العين زربي
- ابن جميع المصري
- اسرة بني فانة
- رشيد الدين ابو خليفة
- موسى بن ميمون
- ابن البيطار
- ابن النفيس

- البيمارستانات في مصر الاسلامية

نبذة تأريخية

آلت مصر إلى العباسيين بعد سقوط الدولة الأموية . وفي حكم الخليفة المعتز بالله (251 ـ 255 هـ / 866 ـ 869 م) كان أحمد بن طولون والياً على مصر . وكان هذا ذكياً ونشطاً وطموحاً ، فأعلن استقلاله عن خلافة بغداد ، وضم إلى ولايته سوريا ، وجعل مركز حكمه في القطائع ، وهي أحد محلات الفسطاط عاصمة مصر يومذاك ، وبنى فيها جامع الطولونيين القائم إلى هذا اليوم . إلا أن هذه الدولة لم تدم أكثر من ثلاثة وثلاثين سنة ، إذ اضطربت أحوالها وتضعفت قوتها ، فاسترجع العباسيون مصر في أيام خليفتهم المكتفي (289 ـ 295 هـ / 902 ـ 908 م) ونصب الخليفة الراضي (322 ـ 329 هـ / 934 ـ 940 م) محمد بن طغج والياً عليها ولقبه بالأخشيد . وابن طغج فارسي الأصل من أمراء فرغانة ، فطمع بالاستيلاء على مصروأعلن استقلاله عن الخلافة العباسية . واسترجع سوريا كما ضم إلى مصر مكة والمدينة فلما استولى الوزير الأخشيدي كافور على قيادة الحكم في البلاد كان قد تردت أحوالها وضعف دفاعها . فتقدمت قوات جوهر الصقلي وزير المعز الفاطمي في تونس ، واستولى على مصر سنة 358 هـ / 969 م وأسس مدينة القاهرة لتكون عاصمة الفاطميين في هذا القطر . فلما بعدت هذه الحكومة عن أطراف مملكتها في المغرب والبحر الأبيض ، استعاد النورمان جزيرتي صقلية ومالطة ، ثم دخلوا المهدية والقيروان . ولم تطلع سنة 543 هـ / 1148 م إلا

وفقد الفاطميون كل ممتلكاتهم بشمال أفريقيا إلا مصر . فاحتفظوا بمركزهم الدولي ، وخصومتهم للخلافة العباسية . وركزوا على تحسين الأحوال الداخلية في مصر ، وفي سوريا التابعة لهما . ونشر العلم فيها بأوسع نطاقه .

وقد حاول الفاطميون تعميم المذهب الاسماعيلي في مصر خاصة ، وأسسوا فيها لهذه الغاية دار الحكمة ، إلا أنهم لم ينجحوا في ذلك كل النجاح . وبقي أهل السنة يحتفظون ببعض مظاهر القوة والتميز . وربما لهذا السبب أحاط الفاطميون أهل الذمة من غير المسلمين برعايتهم وإشراكهم في الحكم . واستعان الخليفة المعز لدين الله بكثير من الأطباء اليهود . كما عين الخليفة الخامس العزيز بالله بن المعز (ت 386 هـ / 996 م) يعقوب بن كِلّس ، وهو بغدادي يهودي ، وزيراً له . كذلك انتعشت أحوال النصارى في عهده بحماية زوجته النصرانية الأصل . ولما شذ الذميون في أداء واجباتهم الحكومية ، استاء الخليفة منهم وجردهم من سلطاتهم التنفيذية . واتبع الحاكم بأمر الله (ت 368 ـ 411 هـ / 996 ـ 1021 م) في بادىء حكمه سياسة الشدة ضد الذميين ، وتطرف في أفكاره وادعى أخيراً بالألوهية ، وأطلق أخيراً الحرية لليهود والنصارى . إلا أن هؤلاء لم يستعيدوا كامل مركزهم الاجتماعي إلا في زمن ابنه الخليفة الظاهر (411 ـ 427 هـ / 1021 ـ 1036 م) . وفي حكم المستنصر بن الظاهر (ت 487 هـ / 1094 م) عادوا يتبؤن المناصب العالية القريبة من شخص ومركز الخليفة . وهكذا كان قد هيأ عدم الاستقرار في تصرفات الخلفاء عاملاً لإضعاف دولة الفاطميين ، وتحريض أمير دمشق نور الدين محمود زنكي ليتحرش بشؤون مصر الداخلية ، ثم دخلتها جيوشه بقيادة أسد الدين بن شيركوه وابن أخيه صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب . وانتهى الحال باستيلائها على مصر ، وإبعاد خليفتها العاضد (ت 567 هـ / 1171 م) عن سلطانه على البلاد ، وخلفه على حكمها القائد صلاح الدين . ولما توفي نور الدين زنكي سنة 569 هـ / 1174 م أعلن صلاح الدين استقلال مصر عن الإمارة الزنكية في دمشق . وبعد سنة واحدة احتل صلاح الدين دمشق ثم حلب ثم الموصل في سنة 581 هـ / 1185 م ، وقضى على قوات

الصليبيين في القدس في موقعة حطين سنة 583 هـ / 1187 م .

كان صلاح الدين وخلفاؤه الأيوبيون يميلون إلى نشر العلم ، ويعضدون العلماء والأطباء والمنجمين ، من المسلمين وغير المسلمين . واهتموا بإنشاء العمائر الفخمة ، وبيوت العبادة والبيمارستانات وما تحتاجه الرعية من وسائل الإجتماع والرفاهية . وقد حاول الأيوبيون كذلك رد الناس إلى مذاهب أهل السنة ، وقد نجحوا بذلك إلى حد كبير .

توفي صلاح الدين الأيوبي سنة 589 هـ / 1193 م ، فحكم من بعده ابنه الأفضل دولة دمشق ، والعزيز دولة القاهرة ، والظاهر دولة حلب . وكان آخر ملوكهم في مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب ، الذي حكمت زوجته شجرة الدر بعد وفاته إلا أنها تركت أمور الدولة لوزيرها المملوكي التركي عز الدين أيبك الذي ما لبث حتى أبعد سيدته عن الحكم وأخذ مكانها ملكاً على البلاد . وبذلك انتهى حكم الأيوبيين على مصر ليبدأ حكم المماليك الأتراك الذين امتد سلطانهم إلى حلب ودمشق . وانتقمت شجرة الدر من أيبك ، ودبرت اغتياله في سنة 655 هـ / 1257 م . أما هي فقد جاء دور وفاتها قتيلة من قبل خدمها وجواريها ، بنفس السنة المذكورة .

وكانت دولة المماليك التي دام حكمها مائتان وخمسة وسبعون عاماً ، على درجة عالية من الهيبة والقوة وحسن الإدارة . فقد حاربت الصليبيين بتفوق ، وصدت قوات المغول في سوريا ، كما نجحت في إدارة شؤون البلاد الداخلية . وأسست المدارس والبيمارستانات ، وساعدت على نشر العلوم والفنون . وعضدت العلماء ، واحتضنت من يفد إلى بلادها من الأطباء وأصحاب الحرف .

وتسلسل على حكم مصر السلاطين المماليك حتى سنة 793 هـ / 1390 م ، ثم المماليك الشراكسة حتى اقتحم بلادهم السلطان سليم العثماني سنة 890 هـ / 1484 م . وتاريخ مصر في أيام هذا الحاكم قريب من هذا العصر ومعروف ، وهو خارج عن دائرة هذا الكتاب .

المصادر

ستانلي بول ـ سيرة القاهرة . ترجمة حسن إبراهيم وجماعته .
الزبيدي ـ ترويح القلوب في ذكر بني أيوب . تحقيق المنجد .
جمال الدين سرور ـ الدولة الفاطمية في مصر .
أحمد سليمان ـ تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة .

الطب والأطباء في مصر

كانت الإسكندرية أبرز حواضر مصر عندما فتحها المسلمون في سنة 22 هـ / 642 م . ومدرستها هي التي خلدت اسم المدينة في تاريخ الحضارة الإنسانية . وقد ذكرنا فيما تقدم أن الطب فيها أخذ بالإنحدار بعد عصر جالينوس الذي انتهى في القرن الثالث الميلادي . وازداد انحدارها بعد ظهور الخلافات المذهبية في كنه النصرانية بمنتصف القرن الخامس ، ورغم تأسيس المدرسة الطبية في الإسكندرية من قبل الحكماء الإسكندرانيين قبل منتصف القرن السادس ، فإنها كانت في العهود البيزنطية الأخيرة تعيش على رصيدها التأريخي الذي زهت به في أيام هيروفلس وايراستراتوس وجالينوس . ولم تكن بأي حال في المستوى الذي كانت عليه أيام هؤلاء العلماء حين دخلها العرب . كما لم يعرف عهدئذ من أطباء الإسكندرية ومصر عموماً إلا عدد قليل كان منهم عبد الملك بن أبجر الكناني الذي استدعاه الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ليعمل في أنطاكيا . وطبيب آخر عجوز هو بليطيان[1] الذي نحسب من اسمه أنه رومي الأصل ، وكان بمرتبة كهنوتية بين ملته النصارى ، فعينه الخليفة المنصور سنة 140 هـ / 758 م بطريقاً على الإسكندرية[2] . واستقدمه هارون الرشيد (ت 193 هـ / 809 م) إلى بغداد ليعالج محظيته المصرية ، فداواها بليطيان بالأغذية التي توافق مسقط رأسها ومحل نشأتها مصر حتى شفت .

---

(1) ابن أبي أصيبعة ـ العيون ، ت نزار رضا . ص 540 .

(2) المصدر السابق والصفحة .

وكانت وفاة بليطيان بالإسكندرية سنة 186 هـ / 802 م[3] .

وإذا قد ورد ذكر بيمارستان بزقاق القناديل بـالفسطاط في أيـام الأمويـين (ابن دقهان ـ الانتصار 99/4) فلا بد أن كان في ذلك البيمارستان من يعـرف ممارسة الطب وعلومه . وربما محا النسيان بفعل الزمان اسمـه من الأذهان لقلة تجـربته بهـذه الصنعة . وقصـة البيـمارستـان المـذكـور بـأي حـال غـير مـوثقـة (القلقشندي 337/3) .

ولما انفصلت مصر عن الخلافـة العباسيـة سنة 254 هـ / 868 م صـار حكامها الطولونيون والأخشيديون ، والفاطميون ، والأيوبيون ، والملوك المماليك ينافسون حكام بغداد على المركـز العلمي في الأقطار الإسـلامية ، ويستـدعون خيار الأطباء من أطراف الدنيا ويغرونهم بالمال والمناصب ليمارسوا صناعتهم في مصر . وربمـا كان إبـراهيم بن عيسى[4] أول من وصل إلى مصر (254 هـ / 868 م) من العقول التي هاجرت إليها ، فصار الطبيب الخاص لحاكم البـلاد ابن طولون الذي سبق واطلع حينها صاحب ابن ماسويه في بغداد على ما كان يجري في عاصمة العباسيين من فعاليات فكرية في التأليف والترجمة . فأراد أن يعمل في دولته ما كان يعمله العباسيون في العلم ومع العلماء في بغداد ، ونجح في ذلك بقدر محدود .

وفي حكم الفاطميين انتعشت أحوال الذميين وتوسعت أبعـاد حريتهم . ورغم أن الحاكم بأمر الله (386 ـ 411 م / 996 ـ 1021 م) كان في كثير من أيامه متعصباً للإسلام ، وقاسياً في الحد على المخطئين بحقه ، إلا أنه كان بنفس الوقت حريصاً على تحسين أحوال البلد الإجتماعية والصحية . فقرب إليه

---

(3) المصدر السابق والصفحة .

(4) إبـراهيم بن عيسى ـ من تلاميـذ يوحنـا بن ماسـويه في بغـداد ، وكان يـومئذ من رفـاق أحمد بن طولون ، وصحبه إلى مصر حين ولي ابن طولون عليها . اشتهر طبيباً ناجحاً بالقـسـطاط ، وتوفي بها في نحو سنة 260 هـ / 873 م .

العلماء والمنجمين والأطباء من كل الفئات والأديان والنحل ، فكان منهم الطبيب النصراني أبو الفتح منصور بن سهلان بن مقشر ، واسحق ابن ابراهيم بن نسطاس ، وأبو بشر طبيب العظيمية وغيرهم . وكان أيضاً ، مع ترفعه على الناس جميعاً يزور أطباءه في بيوتهم حين يعيقهم المرض عن حضور مجالسه ، ويطلق لأعقابهم المال الوفير . فدخل القاهرة وراء هذه المغريات عدد كبير من العلماء ، كما دخلها قسم آخر هرباً من المغول المتوجهين إلى المشرق الإسلامي . وكان من تلك الفئات الكحال عمار بن علي الموصلي المتوفى سنة 331 هـ / 943 م . ومحمد بن سعيد التميمي المقدسي المتوفى بعد سنة 370 هـ / 980 م . ووصل القاهرة من البصرة الحسن بن الهيثم المتوفى سنة 431 هـ / 1039 م ، ومن بغداد المختار بن بطلان المتوفى سنة 455 هـ / 1063 م ، ومن عين زربى عدنان بن منصور العين زربى المتوفى سنة 548 هـ / 1135 م . ووصلها من الأندلس في عهد الأيوبيين موسى بن ميمون القرطبي المتوفى سنة 601 هـ / 1204 م . وابن البيطار سنة (ت 646 هـ / 1249 م) ، ومن دمشق ابن أبي أصيبعة المتوفى سنة 696 هـ / 1249 م . كما دخل مصر في أيام المماليك ابن النفيس (ت 687 هـ / 1288 م) .

وفيما كان الطب في بغداد وأقطار الخلافة العباسية بعد القرن الثاني عشر يدب فيه الخمول والتردي ، كانت لا تزال في مصر حركة نشطة في الأفكار الطبية يديرها أكابر العلماء بهذه الصنعة ، ويدعمها حكام البلاد بكل وسائل التعضيد .

ومما يلفت النظر أن أكثر أطباء مصر آنذاك كانوا من النصارى ، وبعضهم كانوا من اليهود . وربما كان سبب ذلك ، الحماية الوفيرة التي كان يتمتع بها الذميون من اليهود والنصارى من حكام البلاد كما أسلفنا ، وخصوصاً في عهد الأيوبيين . والأقليات من المواطنين دائماً ، لا يفوتها اغتنام الفرص[5] . وقد

---

(5) ينسب مايرهوف نشاط الأطباء والنصارى في مصر بتلك المدة من الزمن إلى توقف الأفكار الطبية =

قيل أن موسى بن ميمون اليهودي كان قد أسلم في قرطبة[6] فلما وصل مصر ، ونال حماية صلاح الدين الأيوبي فيها ، ارتد إلى اليهودية . فإن صح هذا الخبر فالأرجح أن ابن ميمون لم يسلم حقيقة بل تقية لينجو من الحكام الموحدين الذين كانوا شديدي التعصب للشريعة الإسلامية ضد الفكر الفلسفي المتحرر ، ففضل ابن ميمون أن يقيم بمصر بسبب تلك الضائقة العقائدية ، وانتقل إليها حيث تتوفر له الحرية في الكلام بأفكاره ومعتقداته . على أن اليهود عامة ، وحتى الأطباء منهم ، لم ينجوا من احتقار الناس لهم ، فكان يصيبهم الإعتداء من العامة بالرغم من حماية الدولة لهم . روي أن الطبيب اليهودي الموفق بن شوعة[7] ، قد قذفه السابلة بحجر بينما كان ممتطياً دابته في الطريق ففقئت عينه[8] ، وأن الطبيب الجراح اليهودي الذي عالج الخليفة الحاكم بأمر الله وأبرأه ، حصل على رضى الخليفة وصار طبيبه الخاص . إلا أن الحاكم مع ذلك لم يكتم مقته لذميته فسمّاه (الحقير النافع)[9] . ومن يومها اشتهر هذا الطبيب بهذا اللقب حتى لم يعرف له بعد ذلك اسم آخر .

وكان لكثير من الأطباء الذميين في مصر بتلك الحقب أسماء لا تشير إلى دياناتهم . ولو لم يذكر المؤرخون أن الطبيب أبا المعالي تمام بن هبة الله بن تمام[10] ، والطبيب شمس الرئاسة أبا العشائر هبة الله بن حسن بن جُميع[11] ،

= عند المسلمين الذين واجهت بحوثهم العلمية معارضات شديدة من رجال الدين . وهذا التعليل مردود لأن العصبية الإسلامية كانت أشد في كل زمن سبق الحكم الأيوبي ، فكيف إذن لمعت الأفكار في تلك الإزمان السابقة ؟

(6) القفطي ـ تاريخ الحكماء ص 318 .

(7) الموفق بن شوعة ـ من أعيان يهود القاهرة في أيام الأيوبيين . مارس الطب والجراحة والكحالة . وكان كثير المجون ، ويلعب بالقيتارة . خدم الملك الناصر (الأيوبي) وتوفي في سنة 579 هـ / 1183 م .

(8) ابن أبي أصيبعة ، ص 581 .

(9) القفطي ص 178 .

(10) اقرأ عن أبي المعالي بن تمام في الصفحة (628) من هذا الكتاب .

(11) اقرأ عن ابن جميع في الصفحة (؟) .

وأبـا البيان سـديد الـدين داود بن أبي البيان بن أبي الفـرج[12] . لو لم يـذكـر المؤرخون أن هؤلاء كانوا من ملة اليهود ، لما عرفنا ذلك . فقد اعتاد الكثير من النصارى والصابئة واليهود في أوائـل العصور الإسـلامية أن يستعملوا الأسـماء الإسلامية ، وربما كثر استعـمال هذه الأسـماء بعد هجـوم المغول الـوثنيين عـلى المسلمين ، وما فعلوه بهم من الأذى والإعتداء على الأرواح والـدين . ويحتمل أن الذميين ومنهم اليهود قد التجأوا إلى استعمال الأسماء الإسلامية ليتحاموا بها من سخط المسلمين المتحسسين بألم لما عمله المغول الوثنيون بهم . وربما كانت الحرب التي قامت بين الصليبيين والمسلمين في الديار الشامية سبباً آخـر لتملق الـذميين للمصريـين الذين كـانوا طـرفاً في تلك الحـرب ، فاستعملوا الأسـماء الإسلامية بكثرة في تلك الحقبة ، تقية وحماية .

وقد ساهم بعض أطباء مصر في اكتشاف حقائق طبية كانت مجهولـة إلى ذلـك التاريـخ . نـذكـر من هؤلاء العلماء ابن النفيس الـذي اكتشف الـدورة الدموية الصغرى ، وعبد اللطيف البغدادي الذي دون ملاحظاته القيمة على ما كتبه جالينوس عن العظام البشرية . وابن البيطار العقاقيري العـربي الأشهر ، وابن الهيثم المعـروف باكتشـافاتـه بعلم الهندسـة والبصريات ، والكحـال ابن الـزبير[13] ، والكحـال بن القضاعي[14] ، والكحـال عمار بن عـلي المـوصـلي المشهورين بأعمالهم بهذا الإختصاص .

وكـان الطب في مصر بصـورة عامـة من الصنائـع الرائجـة ، ومصـدراً

---

(12) اقرأ عن سديد داود بن أبي البيان في الصفحة (620) .

(13) الكحال ابن الزبير ـ هو نفيس الدين أبو القاسم بن صدقة بن الكولمي . من أب أصله هنـدي ؟ وأم عربية . تتلمذ على الشيخ السديد وعلى المـوفق ابن شوعـة . واشتهر بصنـاعة الكحـل ، وصار رئيساً لأطباء العين بمصر في عهد الملك الكامـل الأيوبي . كمـا اشتغل بـالقضاء ولقب لهـذا بالقـاضي . له أولاد عملوا مثـل أبيهم بطب العيـون . توفي بـالقـاهـرة في حـوالي سنـة 636 هـ / 1238 م .

(14) ابن القضاعي ويلقب بالموفق أبي البركات . تميز بالطب الجراحي والكحالـة ، وخدم الملك صلاح الدين بهما وتوفي بالقاهرة سنة 598 هـ / 1201 م .

للكسب الوفير ، ويـوصل ممـارسيه بـأقصر وقت وطريق إلى مجـالس الخلفاء . فكانت وظائف الأطباء في الدولة الفاطمية من الوظائف المرموقة (وكانت ألقاب أربـاب الصناعـات الرئيسـة كريـاسة الـطب ، من الدرجـة الأولى التي بأمـرة المجلس . فكان هذا الرئيس هو الذي يحكم على طائفة الأطباء ، ويأذن لهم في التطبيب ، ونحو ذلك . وحكم رئيس الكحالين في الكلام على طائفة الكحالة كحكم رئيس الأطباء على هذه الطائفة . ورئيس الجراحيـة له حكم الـرئيسين المتقدمين)[15] .

ومن الوظائف الصنائعية الكبـيرة في مصر ، وظيفة (الـطبيب الخاص) وهو لقب يطلق عـلى طبيب قصر الخليفة ، ومكـانه عـلى دكة بقـاعة الـذهب بالقصر . ومن دونه ثلاثة أطباء ، أو أربعة ، يتناوبون على فحص المرضى من حـاشية القصر ، ويكتبـون لهم وصفات ليـأخذوا أدويتهـا من خزانـة الشراب (الصيدلية) . وتبقى هذه الوصفات عادة عند من يستحضر الدواء[16] . وربما كانوا يفعلون ذلك لأغراض أمنية .

وكانت مستشفيات مصر من أرقى مستشفيات الإسلام ، لسعتها وانتظام العمل بها ، وشموليتها لمعالجة أنواع الأمراض . وكان لها وقفيات ضخمة من الخلفاء والأمراء وأصحاب المروآت لتتوفر لهـا ما تحتـاجه من رواتب العـاملين فيها ، وتكاليف الأعاشة والأدوية وما إلى ذلك .

لقد كان الطب في مصر ومضة باهرة من ومضات المدنية الإسلامية التي قدمت أضخم عطاء لفائدة الإنسان . إلا أن تلك الومضة كانت مـع الآسف صحوة سبقت خمود الحياة الفكريـة في العالم الإسـلامي ، ودخولهـا إلى المرحلة المظلمة التي طالت حتى ظهور النهضة الحديثة في هذا القرن .

---

(15) أحمد عيسى ـ البيمارستانات في الإسلام ص 24 .

(16) المصدر السـابق صفحة 25 .



خريطة ديار الشام والجزيرة

عمار بن علي الموصلي[1]

هو أبو القاسم عمار بن علي . ولد بالموصل وإليها ينسب ، وتعلم الكحالة في هذه المدينة . وأكثر من التجوال فيها بين الحواضر ، فدخل خراسان ، وديار بكر ، وجنوب العراق إلى الكوفة . كما دخل سوريا وفلسطين ، ومكة والمدينة . ومارس تداوي أمراض العين وعملياتها في تلك الأقطار . وأخيراً دخل مصر في زمن الحاكم بأمر الله الفاطمي (386 ـ 411 هـ / 996 ـ 1020 م) . ولما اشتهرت طبابته بالنجاح ألحقه الخليفة بحاشيته وصار أحد أطبائه والمقربين إليه . فألف له كتاب المنتخب في علم العين في حوالي سنة 401 هـ / 1010 م وضمنه واحداً وعشرين فصلاً ، في تشريح العين وفسلجتها . وذكر من أمراضها واحداً وخمسين صنفاً ، مع وصف علامات كل منها ، وتداويها بالطرق الطبية والجراحية . وفي الكتاب كثير من

---

(1) اقرأ عن عمار بن لمي الموصلي في العيون لابن أبي أصيبعة ص 549 ، وتراث الإسلام لمايرهوف ص 476 ـ 501 ، والعشر مقالات في العين لمايرهوف ص 11 والطب العربي لأمين خير الله ص 180 ـ 181 .

Sezgin, 3/329 - 333

Ullmann, Mediz. Islam, P. 209 - 210,

Leclerc, Medicine Arabic 1/533 - 538

Brockelmann, S. 1: 425, Meyerhof - The Cataract Operation of Amar Ibn Ali Al Mousili (The Preface)

وفي آخر هذه الرسالة (ص 57) كتب مايرهوف بيبلوغرافيا واسعة عن الموصلي باللغة الألمانية .

الأفكار الأصيلة التي لم يذكرها قبله الكحالون العرب ، وتفصيلات دقيقة في وصف علامات وأعراض وأمراض العين وتداويها لم يسبقه إليها اليونانيون . ولهذا يعتبر كتاب المنتخب هذا أكثر الكتب العربية أصالة في هذا الإختصاص . والمرجع الرئيس للكحال السوري صلاح الدين بن يوسف في كتابه نور العيون ، والكحال الأندلسي محمد بن أسلم الغافقي في كتابه المرشد لطب العين . وهذان الكتابان أشهر الكتب التي ظهرت بعد كتاب المنتخب لعمار بن علي . أما الكتاب الذي يصلح للمقارنة بكتاب المنتخب لابن عمار فهو (تذكرة الكحالين) لعلي بن عيسى البغدادي المعاصر لعمار بن علي . وهذا الكتاب أوسع من كتاب المنتخب إلا أنه أقل أصالة وتضمناً للتجربة الشخصية ، ووصف الحالات المرضيّة .

وصنف عمار بن علي في كتاب المنتخب أنواع مرض الكاتاراكت (الساد) ، وعلل الإصابة به إلى الإفراط بأكل السمك ، والسكن في الأماكن الرطبة كسواحل البحار والمناطق الحارة . وحذر من معالجتها بعملية القدح قبل نضج المرض . وشخص النضج حين يفقد المريض القدرة على تمييز الألوان[2] . وفي الكتاب وصف دقيق لتقنية عملية القدح للكاتاراكت ، واستعمال المقداح الصمد بالسحب ، والمقداح المجوف بالمص[2] ويعزى اختراع المقداح المجوف إلى ابن عمار ، على أن الطبيب اليوناني انطليوس (القرن الثاني الميلادي) قد مارس استعمال هذا النوع من المقداح[3]، إلا أن المقداح الذي استعمله كان معمولاً من الزجاج ، بينما كان مقداح الموصلي معمولاً من المعدن الذي لا يحمل خطورة الكسر أثناء العملية . كما أن الموصلي مارس استعمال مقداحه بكثرة وتفنّن . وسجل عملياته وما حدث أثناءها من الإختلاطات والغرائب كما يفعل الممارس الحاذق المتتبع في الطب السريري .

ويذكر أن الموصلي قد عمل في البيمارستانات وفي تعليم صناعة

---

(2) Meyerhof, The Cataract. Op. P. 21.

(3) المصدر السابق ص 37 .

الكحل[4] . وكان يستصحب تلاميذه معه حين يعود مرضاه في منازلهم وحين يذهب ليجري العمليات على عيونهم . والعمل بالبيمارستانات والتدريس يوسع للطبيب التجربة والشهرة . وقد تفرغ ابن العمار إلى صناعة الكحالة وحدها دون فنون الطب الأخرى . وكان كتابه الوحيد (المنتخب) في هذا الإختصاص أيضاً . وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية من قبل داود هيرمانوس وبقي من مقررات التدريس في كليات الطب بأوروبا حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر . ومخطوطة الكتاب بالأصل العربي بمكتبة الأسكوريال والرباط ولينغراد . وترجم الكتاب حديثاً إلى الألمانية عن نسخة عربية وأخرى عبرية كل من Mit-woch و Hirschberg مشتركين .

---

(4) المصدر السابق والصفحة .

أحمد بن محمد البلدي[1]

هـو أبو العبـاس أحمد بن محمـد بن يحيى البلدي[2] . تعلم ممارسـة الـطب في الموصل على أحمد بن أبي الأشعث ، ولازمه سنتين . وكان من أجل تلاميذه . ولما قويت ممارسته في الصنعـة سافـر بحدود سنـة 353 هـ / 964 م إلى مصر الفاطمية واتصل بيعقوب بن يوسف بن كلّس[3] وزير العـزيز الفـاطمي المتوفى سنة 386 هـ / 996 م ونال منه الإكرام والتقدير ، وبقي بخـدمته حتى آخـر عمره . ولا يعرف تاريخ وفاته إلا أنه كان حياً سنة 368 هـ / 978 م وإذ أن أستاذه أحمد بن أبي الأشعث قد توفي في حـوالي سنة 360 هـ / 970 م فـأكثر الإحتمال أن البلدي قد تـوفي قبل أن يـطعن في الشيخوخـة . ولا يعرف لابن البلدي إلا كتاب واحد باسم تدبير الحبالي والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم ، وقـد رفعه إلى الـوزير بن كلس ومخطوطته في مكتبة كلية الطب الملكية بلندن ، ومكتبة خـدابخش ، ودار الكتب المصرية ،

---

(1) اقرأ عن أحمد بن محمد البلدي في العيون لابن أبي أصيبعة ص 232 ـ 233 . الرواية العربيـة لأعمال روفس الأفسي ترجمـة رضوان السيـد (الندوة) العـالمية الأولى لتـاريخ العلوم ، حلب 1976 . معجم المؤلفين لرضا كحالة 6/86 ـ 87 .

(2) البلدي ـ نسبة إلى بلد (بلط) وهي البلدة القريبة من الموصل بالعـراق . وكان الأتـراك يسمون بقاياها أسكي موصل ، أي الموصل القديمة .

(3) أبـو الفرج يعقـوب بن كلس ـ أصله من يهود بغـداد وأسلم فيها، ثم انتقـل إلى دمشق ومنها إلى القاهرة واستقر بها في خدمة الأخشيديين ثم العزيز بالله الفاطمي ووزر له . توفي بالقـاهرة سنـة 381 هـ / 991 م . وتكتب كلس بكسر الكاف وتشديد اللام المفتوحة .

وغوته ، وكلكتا ، والجمعية الآسيوية في البنغال . ويحتمل أن يكـون لأحمد بن محمد البلدي كتاب في الجدري وآخر في الحميقاء ، فقد وردت اشارة في المقالة الثالثة من كتابه تدبير الحبالى والأطفال إلى عزمه عـلى تأليف كتـاب في معالجـة هذين المرضين .

ومحتوى كتاب تدبير الحبالى والأطفال يناظر من وجوه كثيرة كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين لعريب بن سعيد القرطبي المتـوفى حوالي سنة 360 هـ / 970 م ، إلا أنه أوسع منه مادة ، وأكثر شمولاً للأمراض التي تصيب الحـامـل ، والـطفـل . وفي الكتـاب أيضـاً شـروح مستفيضـة لخلق الجنين ، وعلامات الحبل ، والولادة المسبقة في الشهر السابع الـذي يكون الوليد فيها قادراً على العيش . وفي الشهر الثامن التي يكون الوليد فيها غيـر قادر على العيش فيهلك . وتعليل هذا الزعم . وفيه أيضاً معلومات واسعة عن رعاية الحامل والطفل وطرق علاج أمراضه ، وطريقة تغزيته ، وأسلوب تربيته وما إلى ذلك مما له علاقة بصحة الطفل وأمراضه . وقد حقق الكتاب ونشره الدكتور محمود الحاج قاسم محمد في بغداد سنة 1980 م .

ابن سعيد التميمي[1]

وهو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن سعيد التميمي . ولد بالقدس ونشأ فيها . وكان جده سعيد طبيباً ، وربما أدركه حفيده محمد ودرس عليه هذه الصنعة . أما الشيخ الذي تخرج عليه فهو راهب اسمه انبازخريا بن ثوابة . وكان هذا ملماً بعلل الأمراض وأعراضها بما في ذلك أمراض الأخلاط غير الطبيعية وتداويها . وله في ذلك ابتكار في علاج الرجفان الذي تعمله المرة السوداء المحرقة .

طوّف ابن سعيد التميمي في ديار الشام ، واستزاد في الطب والأدوية من الأطباء الذين التقى بهم . ثم أقام في الرملة[2] بخدمة أميرها عبدالله بن طغج الأخشيدي 323 ـ 325 هـ / 934 ـ 942 م . ولما انتقل الحكم في مصر إلى الفاطميين ، اتصل بالوزير يعقوب بن كلس وانضم بوساطته إلى حاشية الخليفة المعز ، وجالس العلماء والأطباء الذين يفدون إلى بلاطه ، وأظهر لهم مقدرته في مزاولة الطب .

---

(1) اقرأ عن أبي سعيد التميمي في تاريخ الحكماء للقفطي ص 105 ـ 106 ، والوافي للصفدي 2/81 ـ 82 ، والعيون لابن أبي أصيبعة ص 547 ـ 548 ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 8/263 ـ 264 ، وهدية العارفين للبغدادي ص 49 . و Leclerc 1/388 - 391, 459 - 552 .
Brockelmann, ii, 286, Sezfin. 3/318.

(2) الرملة ـ مدينة قديمة بفلسطين . سكنها كل من النبي داود والملك سليمان ، واللد قريبة منها . مصرها الوليد بن عبد الملك وبنى فيها دار الصياغين ومسجداً . أهملها العباسيون . واحتلها الصليبيون واستردها منهم صلاح الدين الأيوبي .

اشتهر ابن سعيد التميمي بمعرفته في الأدوية المفردة ، وطرق تركيبها ، واستطباباتها في المعالجات . وهو الذي طور الترياق الفاروق وزاد على مركباته عناصر جديدة من صنعه . كما صنع ترياق مخلص النفوس لدفع السموم الحيوانية القاتلة . توفي ابن سعيد التميمي بالقاهرة بعد سنة 370 هـ / 980 م ، ومؤلفاته في الطب :

(1) **حبيب العروس وريحان النفوس** (مجلس شوراى) .

(2) **كتاب مختصر في الترياق** .

(3) **كتاب مادة البقاء باصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء** ـ ذكر فيه ترياق مخلص النفوس ضد لسع الأفاعي والعقارب والعناكب وذوات الأربع والأربعين رجلاً . ألف هذا الكتاب بمصر ورفعه إلى الوزير ابن كلس .

(4) **رسالة إلى ابنه علي بن محمد في صنعة الترياق الفاروق** ، والتنبيه إلى ما يخلط فيه من الأدوية ، ونعت شجيراته الصحيحة ، وأوقات جمعها ، وكيفية عجنها ، وبيان منافعه ، وما حصل من تجربته فيه .

(5) **كتاب في الترياق** ـ وهو مختصر الكتاب الذي مر ذكره برقم (1) .

(6) **المرشد إلى جوهر الأغذية** ،وقوى المفردات في الأدوية ـ مخطوطته بمكتبة باريس ، وقد أخذ عنه ابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الأطعمة والأدوية .

ابن الهيثم[1]

هو أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم[2] . ولد ونشأ بالبصرة ، ودرس فيها الرياضيات والهندسة ، وبحث في علومها ونبغ فيها بابتكاراته العلمية القيمة . كما درس الطب أيضاً ، ولا يعرف أحد من شيوخه في هذا الإختصاص .

كان ابن الهيثم مستقيماً في أعماله ، وافر الزهد ، فوكلت إليه مناصب إدارية رفيعة في دولة الخليفة الطائع العباسي (363 ـ 381 هـ / 974 ـ 991 م) إلا أنه فضل الإنقطاع إلى العلم ، فتحايل على اعتزال وظيفته الحكومية . وقيل أنه استطاع أن يفعل ذلك بتظاهره بالجنون[3] . وربما بدأ ابن الهيثم بوضع قسم من مؤلفاته في هذه الفترة من حياته .

---

(1) اقرأ عن ابن الهيثم في مختصر الدول لابن العبري ص 165 ـ 168 ، وتاريخ الحكماء لابن القفطي ص 165 ـ 168 ، والعيون لابن أبي أصيبعة ص 550 ـ 560 ، حكماء الإسلام للبيهقي ص 85 ـ 88 ، وكشف الظنون لحاجي خليفة ص 1389 ، وهدية العارفين للبغدادي 2/66 ـ 67 ، وتاريخ فلاسفة الإسلام للطفي جمعة ص 267 ـ 274 . وتاريخ الفلسفة في الإسلام ص 189 ـ 195 ، وعقود الجوهر لجميل العظم ص 154 ـ 161 ، والخالدون العرب لطوقان ص 117 ـ 126 . ودائرة المعارف الإسلامية 1/298 ـ 299 ، والاعلام للزركلي 6/314 ، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 9/225 ـ 226 - Brockelmann, G - L. 469 - 470 .

(2) يسميه ابن أبي أصيبعة أبا علي محمد بن الحسن بن الهيثم (العيون ص 550) ويسميه القفطي الحسن بن الحسن بن الهيثم (تاريخ الحكماء ص 165) .

(3) ابن أبي أصيبعة ص 551 .

ووصل إلى سمع الحاكم بأمر الله الفاطمي (368 ـ 411 هـ / 996 ـ 1021 م) أن ابن الهيثم قال : (لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملاً يصلح به النفع في كل حالة من حالاته ، من زيادة ونقص) . فاستدعاه إلى مصر ليعمل له ما ادعى به . وخف للقائه وبالغ في إكرامه . إلا أن ابن الهيثم لم يستطع أن يعمل في النيل شيئاً مما قاله . فغضب الخليفة عليه ، وفرض الإقامة عليه في بيته . وخشى ابن الهيثم من الحاكم لما عرف عن قسوته وفتكه بمن يخطأ معه أو يغالطه ، فتظاهر بالجنون كما فعل في البصرة ، ليبقى على حياته ولو عاش حبيساً[4] . ثم أفرج عنه أثر وفاة الخليفة الحاكم بأمر من الخليفة الجديد الظاهر (411 ـ 427 هـ / 1021 ـ 1036 م) فعاد ابن الهيثم إلى تمام طبيعته وعقله ، وصار يتكسب عيشه من استنساخ كتاب اقليدس والمجسطي في حجرة أقام بها قريبة من الجامع الأزهر[5] . وبقي فيها حتى آخر عمره . ولا بد أنه أكمل وضع كتبه في هذه المرحلة من حياته . وتوفي في القاهرة بحدود سنة 430 هـ / 1038 م .

كان ابن الهيثم عالماً بالهندسة والطبيعيات والفيزياء والفلك أكثر مما كان طبيباً . وكانت معلوماته في الطب نظرية عن طريق قراءة الكتب واستنساخها والتعليق عليها . أما في العلوم الطبيعية الأخرى فقد وصل مرتبة عالية فيها ، ولقبه المؤلفون المعاصرون ببطليموس الثاني ، وقال سارتون أنه أعظم علماء الطبيعة في القرون الوسطى ، ومن علماء البصريات القلائل في العالم كله[6] . وشهادة سارتون لها وزن خاص باعتباره هو نفسه عالم في الطبيعيات وباحث في تاريخها . وقال الدوميلي[7] : إن أعمال ابن الهيثم كانت باعثاً للبحوث التي قام

---

(4) القفطي ص 167 ، ويروي البيهقي (حكماء الإسلام ص 86) أن الحاكم حين اطلع على رأي ابن الهيثم فيما يعمله بمياه النيل قال له : أخطأت فإن مؤنة هذه العملية أكثر من منافع الزرع بواسطتها ، فخاف أبو علي على نفسه من غضب الحاكم وهرب حين جن الليل إلى الشام فإضافة أحد أمرائها واهتم بأمره ومعاشه .

(5) ابن أبي أصيبعة ص 550 .

(6) سارتون ـ مقدمة تاريخ العلم 1/698 .

(7) الدوميلي ـ العلم عند العرب ص 206 ـ 210 .

بها كل من روجر بيكون Roger Bacon[8] وغيره من علماء الفيزياء .

إن علم البصريات والعدسات من علوم الفيزياء ذات العلاقة الوثيقة بالطب ، وخصوصاً بطب العيون . فدرس ابن الهيثم طبقات العين ليستعين بها على معرفة عمل العين في الأبصار ، كما درس الضوء والعدسات ليعرف طريقة اصلاح الرؤيا إذا فسدت في العين . وهو يعتبر أول من أجاد في رسم أقسام العين وتخطيط طبقاتها بدقة علمية .

قال ابن الهيثم أن الرؤيا تحصل من الصورة الضوئية المنبعثة من المرئيات ، لا أن الضوء يخرج من العين ليلامس المرئيات ويبصرها كما كان شائعاً قبل ابن الهيثم . كذلك كان ابن الهيثم أول من اكتشف أن صورة الجسم المرئي تقع متماثلة على طبقتي الشبكية في العينين ، وأن الصورة التي تقع على الشبكية بهذا الشكل تتكون بنفس الطريقة التي تتكون بها صورة جسم تمر أشعته الضوئية (الصورية) من ثقب في حيز مظلم لتقع على سطح يقابل الثقب الذي دخل منه النور ، وهكذا السطح هو بمثابة الشبكية ، إلا أن هذه شديدة الإحساس بالضوء فتنقله إلى المخ لتتكون فيه صورة الجسم المرئي[9] .

وابن الهيثم غزير الإنتاج في تأليف الكتب ، وله في العلوم الرياضية وحدها خمسة وعشرون كتاباً ، وفي العلوم الطبيعية والإلهية أربعة وعشرون كتاباً . هذا بالإضافة إلى عشرات من المقالات والتعليقات في علوم الحساب والفلك وغيرها . أما مؤلفاته في الطب فقليلة جداً ، أهمها ثلاث هي[10] :

(1) كتاب المناظر ـ وهو أشهر ما كتبه المؤلف في البصريّات . أدخل فيه شرحاً

---

(8) روجر بيكون ـ أعظم علماء التجربة في القرن الثالث عشر الميلادي ، انكليزي الأصل ، عاش ما بين سنة 1214 و1294 م ، واشتهر بأعماله في الفيزياء ، والحساب ، وعلم النجوم والكيمياء ، وينسب إليه كثير من نظريات الأبصار والعدسات والعوينات ، وتطوير عمل البارود ، وقبة الغوص في المياه ، وآلات الحركة . وله نظريات في علاقة الطب بالنجوم .

(9) الدوميلي ـ تأريخ العلم عند العرب ص 198 .

(10) قائمة مؤلفات ابن الهيثم في العيون ص 554 ـ 560 ، والقفطي ص 167 ـ 168 .

لوصول صورة المرئيات إلى العين وحصول الرؤية ، وظاهرة الإنكسار في الأضواء الجوية ، ومحاولة لتفسير الرؤية المزدوجة بالنظر . وقد شرح كمال الدين أبو الحسن الفارسي المتوفى سنة 721 هـ / 1320 م[11] (وهو عالم بالبصريات أيضاً) كتاب المناظر وأضاف إليه دراسات مبتكرة من أعماله الخاصة تتعلق بالإنعكاس والإنكسار الضوئي ، والقوس قزح . وقد حقق هذا الكتاب وراجعه على الترجمة اللاتينية عبد الحميد صبرة ونشر في الكويت سنة 1983 .

(2) كتاب تقويم الصناعة الطبية ـ ويضم ما اطلع عليه المؤلف من جوامع جالينوس .

(3) مقالة في شرح قانون ابن سينا على طريق التعليق .

(4) قومي الأدوية المفردة .

---

(11) دائرة المعارف الإسلامية 1/299 .

ابن رضوان المصري[1]

هـو أبو الحسن عـلي بن رضوان بن عـلي بن جعفر . ولـد بمحلة الجيـزة بالقاهرة ، في بيت فقير الحـال يشتغل فيـه الأب رضوان بن عـلي بصنع الخبـز وبيعه ، وقد توفي وهو بعمر الواحد والثلاثين[2] . وربما كـان ابنه عـلي يومئـذ بعمـر الـرابعـة عشر . وفي هـذا الـوقت بـدأ الابن يميـل إلى دراسـة التنجيم والطب . وهي العلوم التطبيقية الرائجة والرابحة يومئذ في مصر . وعانى كثيراً بسبب فقره ، في سبيل العيش ومواصلة الدراسة معاً . وسـاعده الحظ فضمـه أحد معارفه إلى حانوت له يمارس فيه التنجيم والطب[3] ، فحسنت حاله شيئاً ما ، وصار يمارس ما يتعلمه يوماً بيوم إلى أن أتقن الصناعتين .

---

(1) اقـرأ عن ابن رضوان في النجـوم الزاهـرة لابن تغري بـردى 5/69 . والعيون لابن أبي أصيبعـة ص 561 ـ 577 ، وتـأريـخ الحكمـاء للقفـطي ص 443 ـ 444 ، سيـر النبـلاء للذهبـي 11/170 ـ 172 ، ومختصـر الـدول لابن العبـري ص 331 ـ 334 وشـذرات الـذهب لابن العمـاد 3/291 ، وكشف الـظنـون لحـاجي خليفـة 1596 ، وإيضـاح المكنـون للبغـدادي 1/474 ، وعقود الجوهر لجميل العـظم 161 ـ 166 ، وهديـة العارفين للبغـدادي 1/690 ، وآداب اللغـة لزيـدان 3/105 . والاعلام للزركلي 5/100 وفيـه يـذكـران وفـاتـه كـانت سنـة 453 هـ / 1061 م . ومعجم المؤلفين لكحـالـة 7/94 . وفهـرست الخـديـويـة 16/15 . والقاموس الاسلامي لعطية الله 2/542 .

(2) Shacht and Meyerhof P. 50

Brockelmann, 1/484, 647 (492), Des Slane Catalogue De Manuseripts Arab. P. 531 - 532.

(3) المصدر السابق .

وفي سيرة ابن رضوان التي كتبها بنفسه مدلولات تربوية وأخلاقية وعلمية غاية في الفائدة ، نقتطف منها ما له علاقة بالطب والأطباء . قال :

(كانت دلالات النجوم في مولدي تدل على أن صناعتي الطب . وكان العيش عندي في الفضيلة ألذ من كل عيش ، فلما بلغت السنة السادسة أسلمت نفسي في التعليم ، ولما بلغت العاشرة انتقلت إلى المدينة العظمى وأجهدت نفسي في التعليم . ولما أقمت أربع عشرة سنة أخذت في تعلم الطب والفلسفة . ولم يكن لي مال أنفق منه ، فلذلك عرض لي في التعلم صعوبة ومشقة ، فكنت مرة أتكسب بصناعة القضايا بالنجوم ، ومرة بصناعة الطب ، ومرة بالتعليم ، ولم أزل كذلك وأنا في غاية الإجتهاد في التعليم إلى السنة الثانية والثلاثين فإني اشتهرت فيها بالطب ، وكفاني ما كنت أكسبه بالطب . بل كان يفضل عني إلى وقتي هذا . وهو آخر السنة التاسعة والخمسين)[4] . ثم يقول ابن رضوان في تنظيم أعماله اليومية .

(وكنت منذ السنة الثانية والثلاثين إلى يومي هذا أعمل تذكرة لي ، وأغيرها في كل يوم في صناعتي بمقدار ما يغني ، ومن الرياضة التي تحفظ صحة البدن ، وأغتذي بعد الإستراحة من الرياضة غذاء أقصد به حفظ الصحة . وأجعل ثيابي مزينة بشعار الأخيار والنظافة وطيب الرائحة)[5] .

(وأجتهد في حال تصرفي في التواضع والمداراة وغياث الملهوف ، وكشف كربة المكروب ، وإسعاف المحتاج ، وأجعل قصدي من كل ذلك الإلتذاذ بالأفعال الجميلة . وألزم الصمت ، وكف اللسان عن معايب الناس . وأجتهد أن لا أتكلم إلا بما ينبغي ، وأتوقى الإيمان ومثالب الآراء ، فاحذر العجب وحب الغلبة ، وأطرح الهم والاغتمام . وإن دهمني أمر فادح أسلمت فيه إلى الله تعالى ، وقابلته بما يوجبه التعقل من غير جبن ولا تهور . وأتفقد في وقت خلوتي

---

(4) ابن أبي أصيبعة ص 561 .

(5) المصدر السابق ص 561 .

ما سلف في يومي من أفعالي وإنفعالاتي ، فما كان خيراً أو جميلًا أو نافعاً سررت به ، وما كان شراً أو قبيحاً أو ضاراً اغتممت به ، ووافقت نفسي بأن لا أعود إلى مثله . .)[6] .

وحين اشتهر ابن رضوان حكيماًوطبيباً، وثبت صدقه ونجاحه في الصنعة ألحقه الخليفة الحاكم بأمر الله[7] (386 ـ 411 هـ / 996 ـ 1021 م) بحاشيته ، وعينه طبيباً خاصاً به ، ورئيساً لأطباء مصر[8] .

وكان ابن رضوان متديناً يخاف الله ، ويحب عمل الخير ، ونفع الناس . ونزيهاً في مزاولة الصنعة ، وصادقاً مع المرضى . ويرى في سلوك الطبيب الممارس أن يكون كما قال أبقراط على خصائل سبع[9] :

(1) أن يكوت تام الخلق ، صحيح الأعضاء ، حسن الذكاء ، جيد الرؤية ، عاقلًا ، ذكوراً خير الطبع .

(2) أن يكون حسن الملبس ، طيب الرائحة ، نظيف البدن والثوب .

(3) أن يكون كتوماً لأسرار المرضى لا يبوح بشيء من أمراضهم .

(4) أن تكون رغبته في إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة ، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء .

(5) أن يكون حريصاً على التعليم والمبالغة في منافع الناس .

(6) أن يكون سليم القلب ، عفيف النظر ، صادق اللهجة ، لا يخطر بباله شيء من أمور النساء والأموال التي شاهدها في منازل الاعلام ، فضلًا عن

---

(6) المصدر السابق ص 562 .

(7) نستنتج من تواريخ سيرة ابن رضوان وعمره ، أنه على الأرجح عاش في أيام الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (427 ـ 487 هـ / 1036 ـ 1094 م) لا الخليفة الحاكم بأمر الله كما يذكر ابن أبي أصيبعة بتكرار .

(8) ابن أبي أصيبعة ص 563 .

(9) المصدر السابق ص 565 .

أن يتعرض إلى شيء منها .

(7) أن يكـون مأمـوناً ثقـة على الأرواح والأموال ، لا يصف دواء قتـالاً ولا يعلّمه ، ولا دواء يسقط الأجنة ، يعالج عـدوه بنية صـادقة كمـا يعالـج حبيبه .

ونلاحظ أن هذه الخصال السبع التي يفترضها ابن رضـوان في سلوك الطبيب الممارس هي الجزء المهم من قسم أبقراط ، وأنهـا ترد بتكـرار في أمهات كتب الطب العربي . كما نلاحظ أن كثيراً من المؤلفين العرب يكتبونها بشيء من التصرف غير المخل بالمضمون ، ويحيطونها بهالة من التقديس ، مما يدل على إيمانهم العميق بإنسانية الصنعة ، واحترامهم لمركزهـا الرفيـع بين الصنايع ، وجزيل نفعها للبشر .

ولم يعرف لابن رضوان شيخ تعلم عليه الطب ، وهو يفاخر بكونه تعلم هذه الصنعة بنفسه ، وعلى الكتب وحدها . ويدعي أن ذلك أفضل وأسـرع لتعلمهـا من الإستماع إلى أفـواه المعلمين الذين ـ كمـا يقول ـ كثيـراً مـا لا يحسنون التعليم (شاخت ومايرهوف ص 19) وقد ضمن ابن رضـوان آراءه في تعليـم هذه الصناعة بكتاب سماه (النافع في كيفية تعلم صناعة الـطب) وقال أن المعلم يجب أن يفسر ويعلق على ما يقرأه في الكتاب أمام تلاميذه . وكـان يعير هـذه الطريقـة في التعليم اهتمامـاً كبيـراً ويعتبـرهـا الأسـاس في التعليم ، وبدونها لا يتم فهم الموضوع . وأشار في كتابـه المذكـور إلى أنه شاهد شيخاً لا يشرح ما يقرأه على تـلاميذه ، وهـذا ما دعـاه أن ينبذ فكـرة الإلتحاق بحلقات الشيـوخ الذين لا يحسنـون تعليم المادة العلميـة ، ففضل قراءتها على الكتب . وفي مكان آخر من نفس الكتاب قال أنه لم يكن يملك الأجر الذي يطلبه المعلم فاضطر إلى تعلم الطب على الكتب .

كما انتقد ابن رضوان دراسة الطب على تفاسير الكتب ومختصراتها ، واعتبر ذلك سبباً في تردّي الصناعة في أيامه (مخطوطة كتاب النافع المقالـة الأولى) بينما نرى له ستة تفاسير على مؤلفات جالينوس .

وبالرغم من أن ابن رضوان يفضّل قراءة الكتب على سماع الدروس من المعلمين ، فإنه لم يكن مكثراً من اقتناء الكتب ، والإحتفاظ بها ، وقد يبيعها بعد أن ينتهي من قراءتها[10] . أما الكتب الأثيرة عنده فهي كتب جالينوس في الدرجة الأولى ، ثم كتب أبقراط وديوسقريدس وروفس واورباسيوس وبولص الأجيني وكتاب الحاوي للرازي وقانون ابن سينا . وكان يكنّ لهؤلاء احتراماً خاصاً ، ويهتم بمؤلفاتهم بالقراءة والشرح والتعليق . أما غير هؤلاء من زملائه في الصنعة كحنين بن اسحاق ، وابن العباس المجوسي ، وأبي الفرج بن الطيب ، فكان ينقدهم ويعيب كتبهم ويسفه آراءهم بخشونة . بل ونقد أبا بكر الرازي على كونه (كما قال) تقليدي لا يعي بما يأخذه عن الأطباء القدماء[11] . وفي هذا الحكم على الرازي تجنٍ لا مسموغ له ، كما نقد رأيه في العلوم الإلّهية وقدسية الأولياء والرسل . والموقف العدائي بين ابن رضوان وابن بطلان البغدادي مشهور وأخباره كثيرة . والكثير منها في تقديرنا غير موضوعي ، وبعضها غير علمي . ولولا النزعة الفلسفية في شخصيهما لاعتبر في مناظراتهما كثير من السخف . وعلى أي حال ففي قراءة الرسائل الخمس التي نشرها مايرهوف وشاخت كثير من المتعة ، وبعض الفائدة .

أما ابن رضوان كطبيب ممارس فكان يعمل بالأسلوب التقليدي المألوف يومذاك ، فيسأل المريض عن شكواه ، وينظر إلى سحنته ، ويلاحظ طريقة نطقه ، ومشيته مقبلاً ومدبراً ، وإلى استقامة قامته . ثم يتلمس بشرته ليقدر ليونتها وجفافها . ويجس نبضه عن حالة قلبه . ويفحص قوته بالمسك والسحب وحمل الثقل . ثم يفحص بطنه وهو مستلقي على ظهره مبسوط اليدين ، ورجليه مبسوطتين جنباً إلى جنب ، ليكشف عن وجود أورام فيها .

---

(10) ابن أبي أصيبعة ص 562 .

(11) الكتاب النافع لابن رضوان ، المقالة الثانية / الباب الثالث ص 143 تحقيق الدكتور كمال السامرائي ـ منشورات مركز إحياء التراث العلمي العربي ، بغداد 1987 .

وأخيراً يفحص بوله ليتبين حال كبده وطبيعة أخلاطه[12] . وكـان من مبادىء الممارسة التي عمل بها ابن رضوان ، أن البدن السليم من العيوب هو البدن الصحيح الذي يفعل كل واحد من أعضائـه ، أن يكون يفعـل فعله الخاص على ما ينبغي ، وأن معرفة المرض وعلاجه يعتمـد على معرفـة خلطه ، ثم على معرفة العضو المعتل . وهذا هو نفسـه تعريف المـرض عند الـرازي ، وقاعدته في تشخيصه للأمراض[13] .

ومـع أن ابن رضوان كتب كثيـراً في الطب كمـا سنرى ، فـإنـه بنفس الوقت كان من المنجمين المشهورين بمصر يومذاك ، حين كـان شعب هذا القطر في تلك الحقبة يؤمن أشـد الإيمان بفعـل أحكام النجـوم في اكتشاف الطوالع . فكانت هذه المهنة إذ ذاك من المهن الكثيرة الرواج . وكانت فعلاً مصـدر معاش ابن رضـوان في أول نشأتـه ، ومع كـل ذلـك فلم يضع ابن رضوان كتاباً واحداً ذا قيمة في التنجيم بينما كانت له مؤلفات بالعشرات في العلوم الطبية .

تزوج ابن رضوان بعمر الثلاثين وصار له ولد وابنتان ، لم يعش أحـد منهم بعد عمر الصبي . وقد ورد في ترجمته الذاتية أنه كان بلغمي المزاج ، ويشكو من عدم إرتياح من مفاصله . كما قيل أنه كان يهوى اقتناء الجواري وكان عنده منهن الكثيرات ، أغلبهن عذارى[14] ، ولـم يكن يعاقر الخمرة . كما يروى أنه أصيب في أواخر عمره بما يشبه المس في عقله أثر السرقة التي مني بها من قبل صبية يتيمة كان قد رباها وتبناها ، فنهبت من بيتـه ما يملك من النقد ، وما خف حمله وغلا ثمنه[15] ، واختفت .

توفي ابن رضوان في القاهرة في سنة 460 هـ / 1067 م أو بعدها .

---

(12) ابن أبي أصيبعة ص 565 .

(13) المصدر المتقدم .

(14) Schacht and Meyerhof P. 28 Schcht and Meyerhof, P. 25.

(15) ابن أبي أصيبعة ص 563 . Schacht and Meyerhof, p. 5.

وكان عمره بحدود الستين ، ومن تلاميذه المشهورين المبشرين فاتـك . وله من المؤلفات في الطب ما يربو على السبعين كتاب ، هي :

(1) شرح كتاب الفرق لجالينوس - أتمه سنة 432 هـ أي في صدر نشاطه الفكري .

(2) شرح كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس (الأسكوريال) وقد نشر بالعبرية واللاتينية .

(3) شرح كتاب النبض الصغير لجالينوس - الموجود منه طبعة عبرية .

(4) شرح كتاب جالينوس إلى أغلوقن في التأتّي لشفاء الأمراض .

(5) شرح كتاب الاسطقسات لجالينوس .

(6) شرحة كتاب المزاج لجالينوس .

(7) كتاب الأصول في الطب - أربع مقالات .

(8) رسالة في علاج الجذام .

(9) كتاب تتبع مسائل حنين - مقالتان .

(10) جواب عن حالة علة الفالج في الشق الأيسر .

(11) مقارنة في أن جالينوس لم يخلط في أقاويله في اللبن على ما ظنه قوم .

(12) كفاية الطبيب فيما صح له من تجاريب - ومخطوطته الفريدة في مكتبة غوته . ويحتوي الكتاب على معلومات مبسطة عن الأخلاط ، والفحص على النبض والبول . ونعتبر الكتاب منحولاً على ابن رضوان .

(13) مقالة في الشعير وما يعمل منه - الفها لأبي زكريا يهوذا بن سعادة الطبيب (غوته . المتحف العراقي) .

(14) جوابه لمسائل في لبن الأتن .

(15) تعاليق طبية في صيدلية الطب .

(16) مقالة في مذهب أبقراط في تعليم الطب .

(17) كتاب في أفضل أحوال عبدالله بن الطيب .

(18) انتزاعات شروح جالينوس لكتب أبقراط .

(19) تفسير ناموس الطب لأبقراط .

(20) تفسير وصية أبقراط المعروفة بترتيب الطب .

(21) كتاب في الأدوية المسهلة .

(22) كتاب في عمل الأشربة والمعاجين .

(23) تعليق من كتاب ابن التميمي في الأغذية والأدوية .

(24) تعليق في كتاب فوسيدنونيوس في أشربة لذيذة للإصحاء .

(25) فوائد علقها من كتاب فيلغوريوس في الأشربة النافعة اللذيذة في أوقات الأمراض .

(26) مقالة في الباه .

(27) مقالة في أن كل واحد من الأعضاء يغتذى من الخلط المشاكل له (شهيد علي) .

(28) مقالة في الطريق إلى إحصاء عدد الحميات .

(29) فصل من كلامه في القوى الطبيعية (مكتبة المتحف العراقي) وقد نشرها الدكتور عادل البكري في مجلة المورد العراقية م 9 ، ع 3 س 1980 ، ص 159 ـ 166 .

(30) جواب مسائل في النبض .

(31) رسالة في أجوبة مسائل سأل عنها الشيخ أبو الطيب أزهر بن النعمان في الأورام .

(32) رسالة في علاج صبي أصابه المرض المسمى بداء الفيل وداء الأسد .

(33) فوائد علقها من كتاب حيلة البرء لجالينوس .

(35) فوائد علقها من كتاب الأدوية المفردة لجالينوس .

(36) فوائد علقها من كتاب الفصد لجالينوس .

(37) فوائد علقها من كتاب قاطاجينوس لجالينوس .

(38) فوائد علقها من كتاب الميامر لجالينوس .

(39) فوائد علقها في الأخلاط من كتب عدة لأبقراط وجالينوس .

(40) كتاب في حل شكوك الرازي على جالينوس ـ سبع مقالات .

(41) مقالة في حفظ الصحة .

(42) مقالة في أدوار الحميات .

(43) مقالة في التنفس الشديد .

(44) مقالة في نقض مقالة ابن بطلان في الفرخ والفروج (دار الكتب المصرية) .

(45) مقالة فيما أورده ابن بطلان في التحبيرات .

(46) مقالة في أن ما جهله ابن بطلان يقين يقين وحكمة ما عمله غلط وسفسطة .

(47) مقالة في أن ابن بطلان لا يعلم كلام نفسه فضلاً عن كلام غيره .

(48) رسالة إلى أطباء مصر والقاهرة في خبر ابن بطلان .

(49) إخراجه لحواشي كامل الصناعة الطبية .

(50) رسالة في أزمنة الأمراض .

(51) مقالة في أسباب مدد حميات الأخلاط وقراءتها .

(52) مقالة في الأورام .

(53) كتاب في الأدوية المفردة على حروف المعجم .

(54) مقالة في شرف الطب (حكيم أوغلو، مصورة في جامعة الدول العربية) .

(55) مقالة في الحر .

(56) مقالة في التنبيه على حيل من ينتحل صناعة القضايا بالنجوم وتشرف أهلها .

(57) كتاب فيما ينبغي أن يكون في حانوت الطبيب ـ أربع مقالات .

(58) مقالة في هواء مصر .

(59) مقالة في التنبيه على ما في كلام ابن بطلان من الهذيان .

(60) رسالة في دفع مضار الحلوى للمحرور .

(61) كناش .

(62) مقالة في سيرته .

(63) الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب ـ لهذا الكتاب مخطوطتان إحداهما بدار الكتب المصرية ، والثانية بمكتبة جستر بيتي . وكلا المخطوطتين ينقصهما القسم الأكبر من المقالة الأولى ، وهي الأهم والتي تضم دوافع وضع الكتاب ، وطرق تعليم الصنعة ، ومدتها ، وأجورها وما إلى ذلك . أما المقالة الثانية فتضم نقد ابن رضوان لكل من حنين بن اسحاق وأبي بكر الرازي ، ولأهمية الكتاب الذي يعتبر المصدر الوحيد عن تعليم الطب بمصر في أيام المؤلف ، لذلك سنستعرض باختصار ما توصلنا إلى معرفته من المخطوطتين المذكورتين .

يحاول ابن رضوان في المقالة الأولى من الكتاب أن يثبت أن تعلم الطب على الكتب أفضل من تعلمه على المعلمين . وينقل عن جالينوس أن أولى مدارس الطب كانت في الجزر الثلاث : رودس وقنيدس وقوص ، وأن الطب فيها كان مقصوراً على بعض الأسر التي تنقله إلى أبنائها وليس إلى غيرهم من الناس . وينصح ابن رضوان أن يعتمد القراء على كتب جالينوس لأنها تفضل كتب أبقراط . ثم ينتقل في حديثه إلى أن الطب قد أصبح في زمانه صناعة كاسدة وسماها مهنة الفقراء ! .

وفي الباب الثالث من الكتاب ينصح بدراسة صنوف الأدوية ليلم المتعلم بأصول المعالجة الناجحة . ويقول في الباب الرابع أن أبقراط لا ينصح

---

(16) Ibid, P. 25.

المتعلمين بقراءة كتبه ! أما هو أي ابن رضوان فيمشي على طريقة جالينوس وينصح بقراءة كتب أبقراط بالتسلسل الآتي : كتاب الجنين ، طبيعة الإنسان ، المياه والهواء والبلدان ، الفصول ، الإنذارات ، أوجاع النساء ، الأوبئة ، وأخيراً الأمراض الحادّة وكتاب الغذاء وكتاب حانوت الطبيب .

وفي الباب الخامس يمتدح ابن رضوان طريقة تعليم جالينوس (وهو لا يذكر عن هذه الطريقة شيئاً) وينتقده بنفس الوقت لأنه يعتمد على كتاب ديوسقريدس في الأدوية المفردة التي ينقصها ستون عقاراً معروفاً في مصر ولأنه لا يطور الأدوية المركبة بما يلائم الأجواء المصرية ، فيستعمل نفس الأدوية التي كان يستعملها في ديار روما ، ويقول أيضاً أن جالينوس في كتبه العديدة لم يتكلم ، وهو الذي مارس الطب في مصر ، عن مرض القطرب وهو صنف من الماليخوليا ، وأم الصبيان وهو مرض الإختلاج عند الأطفال ، وكلا المرضين من الأمراض الشائعة في الإسكندرية ومصر . كما يشير ابن رضوان إلى كتاب جالينوس في (محنة أفضل الأطباء) ، ويأخذ عنه في الصفات الواجب توفرها في التلميذ الذي يرغب في دراسة الطب ، وعلامات كفاءة الممارسة في هذه الصنعة[17] .

(64) في دفع مضار الأبدان بأرض مصر - بخمسة عشر فصلاً تبحث في صفة أرض مصر ، واختلاف هوائها وما يتولد فيها من أمراض ، والأسباب الستة المحيطة بالصحة والمرض بأرض مصر ، ونقض آراء ابن الجزار بهذا الموضوع ، وفي أسباب الوباء وكيفية حفظ الصحة منه ، وما يجب أن يفعله الطبيب في ذلك . كما فيه فصل فيما يصلح رداءة الماء والغذاء بأرض مصر ، وما يدفع الأمراض الوافدة إليها ، والأدوية المركبة التي

---

(17) Ibid ومخطوطة كتاب النافع (جستر بيتي) .

تفيد في ذلك . وقد نوقشت مواضيع الكتاب في المؤتمر السنوي الثالث للجمعية السورية لتأريخ العلوم ونشرت مجلتها بعدد خصص لذلك المؤتمر . ونسخة أخرى في دار الكتب بالقاهرة ، ومن مخطوطاته واحدة في خزانة الأب انستاس الكرملي .

(65) كفاية الطبيب فيما صح له من تجاريب (منسوب إليه) .

(66) مقالة في الناجالينوس لم يغلط في أقاويله في اللبن .

ابن العين زربي[1]

هـو أبو نصر عـدنـان بن نصر بن منصـور . أصله من عـين زربى[2] ، ويعـرف بالنسبـة إليها . تعلم فن التنجيم في بغـداد ومارسـه فيها ، ثم تعلم الـطب وهاجـر بعد ذلـك إلى القاهـرة ، ونال من خليفتهـا الفاطمي الـرعايـة والإكرام لبراعته في المعالجـات الطبيـة . وصار لـه مجلس يعلم فيه الصنعـة ، ودرس عليـه الشيخ السـديد شرف الـدين عبدالله[3] المتـوفى سنـة 592 هـ /

---

(1) اقرأ عن ابن العين زربي في العيون لابن أبي أصيبعة ص 570 ـ 571 . وكشف الظنون لحاجي خليفـة ص 1377 . وهـدية العـارفين للبغـدادي 1/662 ومعجم المؤلفين لـرضـا كحـالـة 273/6 . الندوة العالمية الأولى لتأريخ العلوم عند العرب . جامعة حلب ص 641 ـ 672 سنة 1977 . Brockelmann, GII. P. 487 بحـاشية الخليفـة الحاكم بـأمر الله الفـاطمي (386 ـ 413 هـ / 996 ـ 1021 م) ونال منه الـرضى والإكرام ثم خـدم بعده ، الخليفـة الظاهـر ثم المستنصـر وبقى في خدمـة الفـاطميين حتى آخـر خلفـائهم العـاضـد لـدين الله المتـوفي سنـة 567 هـ ـ 1171 م . ولمـا استـولى الأيـوبيـون على الحكم في مصـر التحق الشيـخ السـديـد بالسلطان الأيوبي صلاح الدين وصارت له مرتبة دانية منه ، وقلده الملك رئـاسة الأطبـاء بالـديار المصرية . وتوفي الشيخ السيد سنة 592 هـ ـ 1195 م . من تـلاميذه الكحـال نفيس الدين بن الزبير المتوفي سنة 636 هـ ـ 1238 م . (ابن أبي أصيبعة ص 572 ـ 576) .

(2) عين زربي ـ مدينة في جنوب وسط آسيا الصغرى بنواحي المصيصة . خربها الروم ، فأخذها سيف الدولة الحمداني وأعاد عمارتها ثم استولى عليها الروم مرة ثانية .

(3) الشيخ السديد ـ هو القاضي أبو منصور عبد الله بن الشيخ السديـد أبي الحسن علي ، ولقبه شرف الدين . وعرف باسم الشيخ السديد وهو لقب أبيه . تعلم الطب على أبيـه وعلى ابن العين زربي ، والتحق بتوصية من أبيه 1195 م وبلمظفر بن المعرف[4] ، وابن جميع اليهودي المتوفي سنة 594 هـ / 1198 م .

1195 م وبلمظفر بن المعرف[4] ، وابن جميع اليهودي المتوفى سنة 594 هـ / 1198 م .

توفي ابن العين زربى في القاهرة سنة 548 هـ / 1143 م في أيام الظافر الفاطمي المتوفى سنة 427 هـ / 1036 م وله من المؤلفات في الطب :

(1) كتاب في الطب . وضعه في مصر وأكمله سنة 547 هـ / 1152 م ومخطوطة منه بدار الكتب المصرية ، وجستر بيتي .

(2) شرح كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس .

(3) مجربات في الطب على جهة الكناش ، جمعت ورتبت بعد وفاة المؤلف .

رسالة في تعذر وجود الطبيب الفاضل ونفاق الجاهل .

(5) مقالة في الحصى وعلاجها .

(6) رسالة في مرض الشقيقة (دار الكتب المصرية) .

(4) بلمظفر نصر بن محمود بن المعرف ـ من تلاميذ ابن العين زربي أيام الخلفاء الفاطميين . تولع بصناعة الكيمياء ، والتنجيم والإجتماع برجالها . وارتياد مجالس الأدب والشعر . وقد نسخ كثيراً من الكتب في هذه العلوم . وله من المؤلفات كتاب في علم النجوم وتعاليق في الكيمياء ومختارات في الطب (ابن أبي أصيبعة 571) .

ابن جُميع المصري[1]

اسمه الكامل ، هبة الله بن زيد (زين ؟) بن حسن بن فرايم بن يعقوب بن جُميع الإسرائيلي . ويكنى بأبي العشائر ، ويلقب بشمس الرئاسة . من مشاهير أطباء مصر في أيام الأيوبيين . ولد بفسطاط القاهرة وتعلم الطب على ابن العين زربى المتوفى سنة 548 هـ / 1153 م ، ودخل في حاشية صلاح الدين الأيوبي وصار معتمده وموضع ثقته ، وعمل له الترياق الكبير الفاروقي ، ثم خدم الملك الصالح نجم الدين الأيوبي (637 ـ 647 هـ / 1240 ـ 1249 م) .

ولابن جميع اطلاع واسع في العلوم الطبيعية ، ونظر خاص في تطبيقاتها ، وإعتماد كبير على علومها الأساسية . وكان له دكان بسوق القناديل بالفسطاط يستقبل فيه المرضى ، ومجلس في بيته يعلم فيه الناشئة صناعة الطب . كما كان يهوى الأدب ، ويناقش بفقه اللغة[2] . ويبدو ان ممارسة الطب بمصر قد تدهورت في أيام ابن جميع ، وكثرت أخطاء الأطباء ، فاتصل بالملك صلاح الدين الأيوبي وشرح له الأمر فيما يخص سوءات الممارسين في البلاد ، وأسبابها وطرق إصلاحها . وكان من رأى ابن جميع أن ذلك الحال نتيجة لإهمال دراسة

---

(1) اقرأ عن ابن جميع في الوافي للصفدي 27/113 ـ 114 ، والعيون لابن أبي أصيبعة ص 576 ـ 579 ، وفيه اسم أبيه زين لا زيد ، وإيضاح المكنون للبغدادي 1/563 . وهدية العارفين للبغدادي 2/506 ، والاعلام للزركلي 9/58 وفيه يضبط (جميع) بضم الجيم . ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 13/137 . و

(2) ابن أبي أصيبعة ص 576

موضوع التشريح ، والإعتماد على المختصرات التي وضعت بديلة لكتب أبقراط وجالينوس . واقترح الرجوع إلى أصول تلك المختصرات واعتبارها الكتب المعتمدة في دراسة الطب . كما ارتأى أن لا يكون التعليم نظرياً بل عملياً أيضاً ، ويكون التطبيق فيه على مرضى البيمارستانات ، وأن لا يجاز الطالب بالممارسة إلا بعد نجاحه في امتحان بعلوم المهنة . كما اقترح دوام مراقبة الأطباء بعد التخرج(3) .

ولتأثر ابن جميع بأفكار أبقراط وجالينوس ، غاضه أن يرى من يحوّر في تلك الأفكار ، فهاجم قانون ابن سينا بكتاب سماه التصريح بالمكنون في تنقيح القانون . فلما وصل هذا الكتاب إلى بغداد تحركت إقليمية أحد شعرائها ، فهجى ابن جميع بقسوة وخشونة قائلاً :

وليس (جُميع) اليهودي أباك ولكن أبوك جميع اليهود

توفي ابن جميع في سنة 594 هـ / 1198 م ، ومن تلاميذه الشيخ السديد بن أبي البيان(4) . وله من المؤلفات :

(1) كتاب الأرشاد لمصالح الأنفس والأجساد ـ أربع مقالات .

(2) كتاب التصريح بالمكنون في تنقيح القانون (بودليان ، الظاهرية ، ولي الدين بأستانبول ، مغنيسيا ، أني صوقيا ، حميدية) .

(3) رسالة في طبع الإسكندرية وحال هوائها ومياهها ونحو ذلك من أحوالها وأحوال أهلها (أحمد الثالث) .

---

(3) المقالة الصالحية في إحياء العلوم الطبية . والمنسوخ منها مودع بمكتبة برنستون .

(4) سديد الدين داود بن أبي البيان سليمان بن أبي الفرج ـ تعلم الطب على ابن جميع وأتقن استعمال الأدوية المفردة والمركبة ومعالجة المرضى . واشتغل في البيمارستان الناصري بالقاهرة ، وخدم الملك العادل بكر بن أيوب . من مؤلفاته (1) كتاب الأقرباذين في الأدوية المركبة المستعملة في بيمارستانات العراق والشام ومصر . (2) تعاليق على كتاب العلل والأمراض لجالينوس .

(4) رسالة إلى القاضي أبي القاسم علي بن الحسين فيها يعتمده حين لا يجد طبيباً .

(5) مقالة في الليمون وشرابه ومنافعه (ابن البيطار ـ الجامع 4/118) .

(6) مقالة في الراوند[5] ومنافعه (أحمد الثالث) .

(7) مقالة في الحدبة .

(8) مقالة في علاج القولنج ـ كتبها للملك سيف الدين أبي بكر الأيوبي (ت 615 هـ / 1218 م) وسماها الرسالة السيفية في الأدوية الملوكية نسبة إلى اسم مخدومه .

(9) المقالة الصلاحية في إحياء الصناعة الصلبية (أحمد الثالث) .

(10) مقالة في الدواء (أحمد الثالث) .

(11) مقالة في التدبير حيث لا يحضر طبيب (أحمد الثالث) .

(12) مقالة في الهنريا .

---

(5) الراوند عشب عديد الأنواع والمستعمل منه في الطب لا يعلو طويلاً عن الأرض . نقيعه أصفر اللون ويفيد لضعف المعدة ، وورم الطحال والكبد ، وأوجاع المثانة والرحم ، وعرق النسا ، ونفث الدم من الصدر والإسهال وأوجاع المثانة والرحم ، وعرق النسا ، ونفث الدم من الصدر والأسيما المزمن . ومرهمه مع العسل مفيد لأوجاع العضلات (ابن البيطار ـ الجامع) .

أسرة بني فانه[1]

أصل أسرة فانه من نصارى القدس . وكان رئيسها أبو سليمان داود بن أبي المنى بن فانه الذي كان يمارس التنجيم والطب في تلك المدينة أثناء حكم الصليبيين فيها (490 ـ 691 هـ / 1096 ـ 1291 م) ثم انتقل إلى القاهرة في أواخر حكم الفاطميين (حوالي سنة 550 هـ / 1155 م) واشتهر فيها في ممارسة الصنعتين ، ودخل في خدمة الخلفاء . ويبدو أن الفاطميين كانوا متساهلين مع الملوك الصليبيين ، إذ زار أحد ملوكهم واسمه ماري ديار مصر[2] ، وعرف أبا سليمان بن فانه وأعجب بشخصيته وفهمه . فطلب منه أن يصحبه إلى القدس ، فأذن الخليفة له ولأولاده الخمسة بالرحيل مع الملك الصليبي[3] . وفي القدس ترهب أبو سليمان وتفرغ للعبادة ورصد النجوم . ولما استولى صلاح الدين الأيوبي على مصر في سنة 564 هـ / 1174 م ، ظهر لابن فانه بينما كان يرصد النجوم ذات يوم ، أن الملك صلاح الدين سيدخل القدس فاتحاً ، فأرسل ابنه أبا الخير إلى مصر ليبشر الملك الأيوبي بهذا الطالع المشرف[4] . فلما تحقق الخبر وانتصر الملك الأيوبي على الصليبيين في ربيع الآخر

---

(1) اقرأ عن أسرة بني فانه في العيون لابن أبي أصيبعة ص 587 ـ 599 . ومعجم المؤلفين ج 161/4 . و

(2) ابن أبي أصيبعة ص 587 .

(3) المصدر السابق والصفحة .

(4) المصدر السابق ص 588 .

من سنة 583 هـ / 1187 م غدا أبو سليمان ابن فانه في نظر صلاح الدين وآله ، يحمل البركة والنفس الطيبة . فأحبوه واحترموه وأكرموه ، وآمنوه بفنه ورفعوا من شأنه ، والتفتوا إلى رعاية أولاده .

توفي أبو سليمان بن فانه بعيد دخول صلاح الدين الأيوبي الأيربي إلى القدس في رجب سنة 583 هـ / 1187 م ، وأعقب خمسة بنين ، أمتهن أربعة منهم صنعة الطب التي تعلموها عن أبيهم . أما خامس أبنائه أبو الخير بن أبي سليمان فانخرط في سلك الجندية لمحاربة الصليبيين . والأطباء الأربعة من أولاد أبي سليمان هم :

(1) **مهذب الدين أبو سعيد** ـ وهو أكبرهم . تعلم الطب على أبيه وعلى غيره من شيوخ الطب ، والتحق بحاشية صلاح الدين حين دخل القدس ، وصحبه إلى مصر وصار من أطبائه المقربين إليه ويتنقل بين دمشق والقاهرة تبعاً لوجود صلاح الدين في المدينتين . ثم استقر بعد وفاة صلاح الدين في سنة 589 هـ / 1193 م في القاهرة بخدمة الملك العادل بن أيوب ، وتوفي بها سنة 613 هـ / 1216 م .

(2) **موفق الدين أبو شاكر بن سليمان بن فانه** ـ قرأ الطب على أخيه مهذب الدين أبي سعيد وخلفه في خدمة الملك العادل الأيوبي . وصار له مركز مرموق في بلاطه . وتوفي بالقاهرة سنة 613 هـ / 1216 م .

(3) **أبو نصر بن أبي سليمان بن فانه** ـ توفي بالكرك ومعلوماتنا عنه قليلة .

(4) **أبو الفضل بن أبي سليمان بن فانه** ـ هو أصغر أخوته الأطباء . خدم الملك المعظم الأيوبي (615 ـ 624 هـ / 1218 ـ 1227 م) في دمشق ثم الملك الكامل الأيوبي في القاهرة (615 ـ 635 هـ / 1218 ـ 1238 م) .

(5) **رشيد الدين أبي حليقة** .

رشيد الدين أبو حليقة[1]

هو أبو الوحش بن أبي الخير بن أبي سليمان بن فانه . وكان أبوه أبا الخير المعروف بالفارس (أخو الأطباء الأربعة أولاد أبي سليمان الذين ذكرناهم) لا يعيش له ولد ، فنذر أن عاش له واحد ليضع في أذنه حليقة (قرطاً) . فجاء له ولد سماه رشيد الدين وألبسه حليقة كما نذر له . وبقيت الحلقة في أذن رشيد الدين مدى حياته(فذ) فكنى بأبي حليقة (تصغير حلقة) واشتهر بها .

تعلم رشيد الدين الطب على عمه مهذب الدين بن أبي سليمان وعلى الدخوار المتوفى سنة 628 هـ / 1230 م وسافر إلى مصر سنة 509 هـ / 1115 م واستقر بها . واتصل بالملك الكامل المتوفى سنة 635 هـ / 1238 م . وخدم بعد ذلك الملك الصالح نجم الدين أيوب المتوفى سنة 647 هـ / 1249 م ، وابنه الملك المعظم المتوفى سنة 648 هـ / 1250 م . وبقي أبو حليقة لحسن تصرفاته ، وعلمه الغزير في الصنعة ، وصحبته المؤنسة ، في خدمة حكام مصر الأيوبيين ثم من بعدهم المماليك حتى عهد الملك بيبرس التركي (658 ـ 676 هـ / 1260 ـ 1277 م) .

توفي رشيد الدين أبو حليقة بدمشق سنة 646 هـ / 1248 م وأعقب ثلاثة بنين هم : مهذب الدين أبو سعيد الذي عمل في خدمة الملك بيبرس التركي وأسلم على يده . وله كتاب في الطب . والابن الثني هو موفق الدين أبو الخير . وكان هذا يتقن طبابة العين وخدم بها الملك نجم الدين أيوب ، ووضع له كتاباً في الكحل . أما الابن الثالث فهو علم الدين أبو نصر وقد اشتغل هذا بصناعة الكحل أيضاً . ولأبي حليقة من المؤلفات :

(1) مقالة في حفظ الصحة .

(2) كتاب المختار في الألف عقار وهو في الأدوية المفردة .

(3) كتاب الأمراض وأسبابها وعلاماتها ومداواتها بالأدوية المفردة والمركبة .

(4) مقالة في ضرورة الموت .

---

(1) اقرأ عن أبي حليقة في ابن أبي أصيبعة ص 590 ـ 598 .

ابن ميمون[1]

هو أبو عمران موسى بن ميمون ، أصله من قرطبة وينسب إليها . وكان أبوه ميمون بن يوسف ذا حسب رفيع ورجل دين ومنطق ، وله مرتبة محترمة بين ملته اليهود[2] ، عاصر الوزير حسداي بن شبروط ، والعالم الطبيب مروان بن جناح وغيرهما ممن عاش في ذلك المحيط العلمي الزاهر في قرطبة . فلما استولى عبد المؤمن الكومي الزناتي[3] أمير الموحدين على قرطبة في سنة 543 هـ / 1148 م ، نزح ابن ميمون مضطراً إلى المرية التي كانت يومئذ قد دخلت في حوزة القشتاليين . وكان في المرية ابن باجة وابن رشد ، فتتلمذ موسى بن ميمون عليهما[4] ، وكان عمره يومئذ اثنتى عشر سنة . وفي ذلك العمر كان قد

---

(1) اقرأ عن ابن ميمون في الوافي للصفدي 26/145 ـ 149 . ومختصر الدول لابن العبري ص 417 ـ 418 . وتاريخ الحكماء للقفطي ص 317 ـ 319 . والعيون لابن أبي أصيبعة ص 582 ـ 583 . وإيضاح المكنون للبغدادي 1/475 ، 2/305 . وهدية العارفين للبغدادي 2/487 . والاعلام للزركلي 8/284 . ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 13/48 . وكتاب (موسى بن ميمون) لولفنستون . والعلم عند العرب لألدوميلي ص 379 ـ 382 ومجلة المجمع العلمي العربي ـ كرد علي 17/265 ـ 267 . والعصبة ـ سان باولو 1/849 ـ 852 . والزركلي 8/284 ، والبغدادي ـ هدية العارفين 2/478 ورضا كحالة 13/46 . و

(2) ولفنسون ص 2 ـ 3 .

(3) عبد المؤمن بن علي بن مخلوف الكومي ـ من قبيلة كومية البربرية . كان أبوه صانع جرار الفخار ، والتحق بابن تومرت مؤسس دولة الموحدين ثم خلفه على الحكم بعد وفاته ، وقاتل المرابطين واستأصلهم ، واستولى على المغرب الأفريقي ثم غرناطة وأشبيلية وقرطبة في سنة 543 هـ / 1148 م وتوفي سنة 558 هـ / 1163 م .

(4) ولفنسون ص 7 .

قرأ القرآن ، وبعضاً من كتب اللغة . ثم توسع في تعلمه فدرس الفقه المالكي وحفظ الكثير من الآيات القرآنية(5) . وقيل أنه تأثر بها وأسلم عليها(6) . كما قيل أنه أسلم مكرها حين آلت المرية إلى الموحدين الذين غالوا بالعصبية الإسلامية ومطاردة الذميين(7) . ثم نزح لهذا السبب إلى فاس ، وكان يومئذ قد بلغ الأربع وعشرين سنة ، ومنها سافر في سنة 1165 م إلى فلسطين التي كانت حينئذ بيد الصليبيين . فلم يمكث بها أكثر من نصف سنة حتى هجرها إلى الفسطاط بمصر ، وذلك في أواخر حكم الفاطميين . واشتغل أولاً بتجارة الجواهر(8) . ثم ما لبث أن أظهر دينه على اليهودية(9) ، وتزوج بيهودية هي أخت كاتب القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي ، ولما دخل صلاح الدين الأيوبي مصر سنة 564 هـ / 1174 م انضم ابن ميمون إلى حاشيته ، ونال منه الحماية والرعاية ، وصار طبيبه وجليسه ، كما صار رئيس الطائفة اليهودية في

---

(5) ابن أبي أصيبعة ص 582 .

(6) المصدر السابق والصفحة .

(7) لقد كان اليهود ، منذ قديم الزمان ، مطاردون من أكثر شعوب العالم ما عدا الشعوب الإسلامية وحكوماتها . فقد تغلغل اليهود بين المسلمين وشاركوهم الأعمال والوظائف ، ودخلوا قصور الخلفاء ، ووزروا لهم . والشواهد على ذلك كثيرة لا تضعف في ثبوتيتها الحوادث الفردية التي ينشرها اليهود أنفسهم . أما شعوب العالم غير الإسلامية فقد نبذت اليهود ورفضت مواطنتهم وطاردتهم ، وعطلت أعمالهم في كثير من الأقطار قبل النصرانية وبعدها . فكانوا موضع احتقار من الأسبان قبل دخول العرب إلى أسبانيا سنة 91 هـ / 710 م ، وطردتهم سالرنو النورماندية بعد أن استنفذت أغراضها منهم . وطردهم الصليبيون من بيت المقدس . ورفضت مدارس أوروبا قبولهم طيلة القرنين العاشر والحادي عشر الميلادي ، ومن استطاع منهم أن يدخل مجتمعات النصارى يوم ذاك فكان بحماية خاصة من أحد الحكام . وأغلقت جامعة مونبليه أبوابها في وجه كل يهودي ، كذلك فعلت فينا في سنة 1267 م ، وبقيت فرنسا تطارد أطباءهم حتى قيام الثورة الفرنسية سنة 1789 م التي منحتهم الأمان والرعاية كمكسب ثوري لصالح الثائرين أكثر مما كان حباً باليهود . فما حدث ليهود الأندلس أبان هجرة ابن ميمون إلى مصر لم يكن موجهاً ضد اليهود ، بل كان ضد الأفكار التي تعارض المبادىء الإسلامية سواء كان المبشرون لتلك الأفكار من اليهود أو من النصارى أو المسلمين .

(8) القفطي ص 218 .

(9) ابن أبي أصيبعة ص 582 .

القاهرة[10] ، وحبرها في الشريعة الموسوية .

وحاول ابن ميمون أن يقرب الأفكار المنطقية من العلوم الدينية ، فنشر بالعبرية كتاباً بذلك سماه (دليل الحائرين) إلا أن هذا الكتاب لم يقنع القراء في مصر فسموه : ضلالة الحائرين .

اشتهر ابن ميمون بالفلسفة أكثر مما عرف بالطب ، وربما كانت أكثر ممارسته بهذه الصنعة تقليدية لا أصالة فيها ، ويعتمد فيها على كتب أبقراط وجالينوس ، فجمع كثيراً من أفكارهما الطبية بكتاب جعل عنوانه :
Moses Aphorisme أي فصول موسى . وهو نفس عنوان كتاب الفصول لأبقراط Aphorisme . كما كان لابن ميمون دعاء جميل العبارة رفيع المعاني ، فيه تمسك بالسلوك المهني ، كما فيه تضرع إلى الله للأخذ بيده في خدمة الصنعة والمرضى . وفي مضمون هذا الدعاء أيضاً كثير مما ورد في قسم أبقراط عن الإخلاص للمهنة والمرضى ، من المناسب ذكره هنا ، قال فيه (**ربي املأ نفسي حباً عميقاً لفن الطب ، ولجميع الناس ، ولا تسمح بأن يلوث التعطش للربح والمجد الباطل فني ، فإن أعداء الحق والظالمين يستطيعون بسهولة أن يقصوني عن إنجاز واجبي الشريف في صنع الخير ، والإصلاح نحو عبادك .**

ربي أسند قلبي ليكون أهلاً لخدمة الفقير والغني على السواء ، وخدمة الصديق والعدو ، والصالح والشرير على السواء .

(ربي دعني أن لا أرى في المريض إلا آلامه وإزعاجه ، ولتبقى نفسي صافية نقية قرب سريره ، وأبعد عني سيء الأفكار وخبيثها عند معالجته لأبذل خالص علمي وفني) .

(ربي هب المرضى الثقة بي وبفني ، واجعلهم يتبعون أوامري ووصاياي ، وأبعد عن سريرهم المشعوذين والدجالين ، وأبعد عنهم أقاربهم الذين يبذلون لهم النصائح السقيمة والخطرة . وإذا رماني الجهلاء بسهام

(10) ولفنسون 19 .

انتقاداتهم الطائشة فاجعل يا ربي تعلقي بفن الطب ترساً يقيني هجماتهم الجارحة لأبقي أميناً على خدمة ومحافظة شرفي وشرف الطب ضدهم) .

(ربي هبني الأناة والصبر ، وطيب النفس ، وسعة الصدر عند سرير المرضى الجهلاء والعنودين ، وامنحني القناعة في كل شيء إلا القناعة في حب الطب وتقدمه . وأبعد عني فكرة التفاخر والتباهي بقدرتي على إنجاز كل شيء ، والنجاح في كل أمر . وهبني القوة والإرادة ، واجعل مني أهلاً لتوسيع معارفي الفنية لا تمكن بها من اكتشاف الأمور الهامة في خدمة فن الطب ، والتي لم أستطع اكتشافها في الماضي ، أو لم تخطر على بالي قبل هذا) .

توفي ابن ميمون بالفسطاط سنة 605 هـ / 1208 م[11]، ثم نقل جثمانه بحسب وصيته ودفن في طبرية بفلسطين[12] . وعقب له ولد واحد هو أبو المنى إبراهيم بن موسى ، وكان طبيباً أيضاً إلا أنه لم يلحق بأبيه علماً وشهرة .

ولابن ميمون عشر مؤلفات كتبها جميعاً بالعربية ، وترجمت بعد ذلك إلى العبرية واللاتينية ، ومن هذه المؤلفات[13] .

(1) كتاب الفصول في الطب - وهو مشهور باسم فصول موسى ، وبالعبرية باسم (برقت موشى) ، وهو الكتاب الذي ذكرناه قبل قليل . ويتضمن حوالي ألف وخمسماية حكمة طبية استمدها المؤلف من كتب أبقراط ، وجالينوس بصورة خاصة . وعلق على اثنين وأربعين منها . وأورد في بعضها مآخذ على ما ذكره جالينوس في النبض . والكتاب بخمسة وعشرين فصلاً تبحث في وظائف أعضاء المخلوقات ، وأسباب الأمراض وعلاماتها ، والحميات والأمراض الباطنية الأخرى . وفيه أيضاً بحث في الأمراض النسائية ، والصحة العامة ، وممارسة الرياضة ، والعلاج بالإستحمام والمسهلات والمقيئات . وقد ترجم الحاخام ناثان هماتي الإيطالي

---

(11) المصدر السابق ص 30 ـ 31 . القفطي ص 318 .

(12) القفطي ص 319 .

(13) ولفنسون ص 142 ـ 160 .

هـذا الكتاب إلى العـبرية سنـة 1279 م وطبع بعـد ذلك عـدة مرات . والمخطوطة العربية في مكتبة لايدن وغوته وبودليانا والأسكوريال .

(2) **كتاب المختصر** ـ وهو اختصـار لكتب جالينـوس في الطب ، شـاركه في إعداده تلميذه يوسف بن عقنين .

(3) **مقالة في الربو** ـ وضعها لأحد نبلاء الإسكندرية الذي كان يشكو من هذا المرض ، فنصحه ابن ميمون بتغيير مكانه والسكنى في القاهرة لأن جـوها أفضل له . وأشار في هذه المقالة إلى الأطباء أن يعنوا بمرض الربو عنايـة خاصة ، وذكر لهم طريقة علاجه . وقد ترجم النص العربي بالعبرية بعد وفاة المؤلف بثلاث سنوات كما ترجم إلى اللاتينية من قبل أزمنجود .

(4) **مقالـة في شرح فصـول أبقراط** ـ وضعـه على شروح وتـرجمات حنـين بن اسحاق . وترجم المقالة صموئيل بن طبون إلى العبرية .

(5) **مقالة في الجماع** ـ وضعها لسلطان حماة الملك المظفر أبي سعيد عمر بن نور الدين (575 ـ 588 هـ / 1179 ـ 1192 م) والمقالة بتسعة فصـول ، بحث فيها حالات المضاجعة ، وما يفيد الباه من الأدوية والأغذية ، وما يضر به ويضعفه . وكان من مصادر المقالة قانون ابن سينا وكتاب التيسير لابن زهر . ترجمت المقالة إلى العبرية بقلم زرحيا .

(6) **مقالة شرح أسماء العقار** ـ يذكر المؤلف في أولها مصـادره عن ابن جلجل الأندلسي وأحمد بن محمد الغافقي ، وأبي المطرف بن وافد اللخمي ، وابن سمجون ، ومروان ابن جناح . وكل هؤلاء من علماء الأدوية في الأندلس بالقرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي . وقد وجدت بأستنبول نسخة من هذه المقـالة بخط ابن البيـطار كبير الحشـائشيين والعقـاقيريـين العرب ، وطبعها ماكس مايرهوف بالقاهرة في سنة 1957 (أيا صوفيـا ، فاتح) .

(7) مقالة في المعين على كثرة الجماع (كوبرمليكي ، مغنيسيا) .

(8) **مقالة في بيان الأعراض** ـ وضعها للسلطان الأفضل الأيوبي أثر مرضه واختلاف الأطباء في مداواته . وقد ترجمت المقالة إلى العبرية واللاتينية .

(9) **كتاب الطب القديم** ـ وجدت هذه المخطوطة في أحد أديرة القبط بمصر . وفيها إضافات يعتقد أنها نحلت على ابن ميمون لا من وضعه .

(10) **مقالة في تدبير الصحة** ـ وتعرف بالمقالة الأفضلية أعدها إلى الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي وهي من أهم أعماله الأصيلة . والمقالة بأربعة فصول : الأول في تدبير الصحة ، والثاني في تدبير المرضى حيث لا يوجد طبيب ، والفصل الثالث في تدبير صحة الملك الأفضل بحسب أعراض مرضه ، وكان يومئذ (قد أصيب بالتخمة ويبس الطبيعة وقبح السيرة بسبب إفراطه في اللهو والشراب) . والفصل الرابع في وصايا للأصحاء والمرضاء على السواء . وفي المقالة أيضاً لمحات في أسباب الأمراض النفسية وأسلوب تداويها . ترجم المقالة موسى بن طبون إلى العبرية في سنة 1244 . كما ترجمت إلى اللاتينية ، ونشرت بنصها العربي وترجمتها اللاتينية في سنة 1924 من قبل المستشرق كرونر اعتماداً على مخطوطة وجدت بمكتبة بودليانا بأكسفورد . وفي دار الكتب المصرية مخطوطة أخرى بالنص العربي .

(11) **مقالة في البواسير** ـ وقد نشرها كرونر بحروف عبرية مع ترجمة ألمانية سنة 1911 ، وفي دار الكتب المصرية مخطوطة منها باسم ـ رسالة في أدوية البواسير .

(12) **كتاب السموم والتحرز من الأدوية القاتلة** ـ ويعرف الكتاب أيضاً بالرسالة الأفضلية لأنه ألفها بناء على طلب من صديقه الوزير القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني .

(13) **دلالة الحائرين**، يعبّر فيه جالينوس مستشهداً بمؤلفات أبي بكر الرازي .

ابن البيطار[1]

هو أبو محمد ضياء الدين عبدالله بن أحمد المالقي المعروف بابن البيطار . ولد في ضواحي مالدقا على الساحل الشرقي من جنوب أسبانيا ، وشغف منذ نشأته الأولى بدراسة الأعشاب والنباتات ، ودرس علومها على الإختصاصيين أمثال أبي العباس أحمد بن الرومية الأشبيلي المتوفى سنة 613 هـ / 1218 م ، وعبدالله صالح الكتامي صيدلاني بلاط الموحدين بفاس ، وأبي الحجاج الأشبيلي . كما قرأ ما كتبه ديوسقريدس ، وروفس ، وبولس ، وجالينوس في الأدوية . وقرأ أيضاً أكثر مؤلفات العرب في موضوع الحشائش والأدوية المستخلصة منها . وكان منها مؤلفات الأندلسيين كالغافقي وابن سمجون ، وأبو الصلت ، والشريف الإدريسي ، وأبي العلاء ابن زهر ، وأبي عبيدالله البكري .

---

(1) اقرأ عن ابن البيطار في سير النبلاء للذهبي 13/285 ، ومرآة الجنان لليافعي 4/115 . والوافي بالوفيات للصفدي 15/20 ـ 21 ، ونفح الطيب للمقري 2/44 ـ 45 . والعيون لابن أبي أصيبعة ص 601 ـ 602 ، والفوات للكتبي 1/204 ، وشذرات الذهب لابن العماد 5/234 ، وحسن المحاضرة للسيوطي 1/313 ، وهدية العارفين للبغدادي 1/461 ، وكشف الظنون لحاجي خليفة ص 51 ، 383 ، 574 ، 1749 ، 1772 ، 1870 ، 1871 ، وإيضاح المكنون للبغدادي 1/109 وآداب اللغة لزيدان 3/341 ، والاعلام للزركلي 4/ ص 192 ، ومعجم المؤلفين لكحالة 6/22 ودائرة المعارف الإسلامية لروسكا في ص 104 ـ 105 ، والخالدون لطوقان ص 189 ـ 194 ، ومجلة معهد المخطوطات لمصطفى الشهابي 3/105 ـ 112 ، والمقتطف 93/337 ـ 339 والقاموس الإسلامي ـ لعطية الله ج 1/ ص 410 ، فوات الوفيات 1/204 .

Des Slane - Catalogue des Mansucripts Arab. P. 531 - 532.

ومن التونسيين ابن الجزار ، واسحاق ابن عمران ، واسحاق بن سليمان الإسرائيلي . ومن مؤلفات علماء المشرق ، أبي حنيفة الدينوري ، ومسيح الدمشقي ، وتياذوق ، وماسرجويه البصري ، وابن ماسويه ، وحنين بن اسحاق ، وحبيش الأعسم ، والرازي ، والمجوسي ، وابن سينا ، وغير هؤلاء . وطاف ابن البيطار في الأندلس ليعاين النباتات في مواضعها، ويدرس صفاتها ويسجل ما ليس له ذكر عنها في الكتب التي قرأها . ثم عبر البحر في العشرين من عمره إلى المغرب[2] ، وتجول في أقطار أفريقيا الشمالية باحثاً عما ينمو على جبالها وفي بطون وديانها من الأشجار والأعشاب والأحجار . وواصل رحلته شرقاً ودخل مصر . وشاع أمره بين علماء هذا البلد ، فألحقه الملك الكامل محمد بن أبي بكر الأيوبي 615 ـ 635 هـ / 1218 ـ 1237 م بركابه ، وأكرمه وعينه رئيس العشابين بديار مصر . وصار مرجع ذوي المهن الطبية في معرفة خصائص الأعشاب وفوائدها في الطب . ثم التحق بعد وفاة الملك الكامل بحاشية ابنه الملك الصالح نجم الدين الأيوبي بدمشق (647 هـ / 1249 م) ولقي منه من التقدير والإكرام ما لقي من أبيه . وتابع دراسة الأعشاب في ديار الشام ، وقيل أنه دخل بلاد الروم[3] ووصل إلى أعماقها ، وربما كان ذلك في آسيا الصغرى بالتحديد .

وفي دمشق التحق به ابن أبي أصيبعة وتعلم عليه تفسير بعض أسماء الأعشاب الواردة في كتاب ديوسقريدس ، وكتب جالينوس ، وأحمد بن خليد الغافقي ، وأفاد منه كثيراً في علم النبات ، وصار من تلاميذه المشهورين . ومن المحتمل أن إبراهيم بن محمد بن السويدي المتوفى سنة 690 هـ / 1291 م قد

---

(2) ابن أبي أصيبعة ص 601 .

Leclerc, 2/225 - 237.1f1

Brockelmann 1]492, Campbell - Arab Medc, 1/101 - 102,

Ullmann - Mediz. Islam. P. 280 - 283.

(3) المصدر السابق وإن تسلسل سفرات ابن البيطار غير واضحة والأرجح أنه تردد عدة مرات بين دمشق والقاهرة ، وأنه دخل بلاد الروم عن طريق سوريا لا عن طريق البحر من قبرص أو إيطاليا .

لحق بابن البيطار وأخذ عنه . أما رشيد الدين الصوري ، كبير عشابي ديار الشام ، فرغم كونه من معاصري ابن البيطار ، وعمل كلاهما في الشام فليس هناك ما يشير إلى أي تواصل كان بين هذين العالمين .

يعد ابن البيطار أعظم علماء النبات والأدوية من العرب قاطبة . وهو من بينهم كديوسقريدس بين العلماء اليونانيين . وكتاباته في هذا الإختصاص أفضل ما كتب بالعربية إلى يوم زمانه . والأصالة التي فيها تكفي أن ترفع علم الأدوية عند العرب إلى المراتب العليا بين العلوم الأخرى في الحضارة الإنسانية .

ولا يبدو واضحاً في آثار ابن البيطار أنه كان يمارس الطب . وقد يحسب ممن مارسوه على قدر ما يشارك العقاقيريون في وصف الأدوية للمرضى الذين يستسهلون أو يسترخصون استشارة الصيادلة على عيادة الأطباء . فقد كان كثير من العقاقيريين يمارسون مداواة المرضى بما في دكاكينهم من العقاقير وهم ليسوا من الأطباء . وكذلك لم يعرف عن ابن البيطار أنه اشتغل بعلوم أخرى غير مفردات الأدوية ، كالحساب والنجوم والفلسفة . وربما كان وصف ابن أبي أصيبعة له بالحكيم الأجل[4] بداية استطراد اعتاد أن ينعت بها العلماء الكبار أمثال صاحب هذه الترجمة . وعلى هذا يعتبر ابن البيطار الذي تفرغ لعلم الأدوية وحدها قد شذ عن المألوف التقليدي الذي اعتاد عليه أكثر العلماء الكبار في الألمام بأكثر صنوف المعرفة .

توفي ابن البيطار بدمشق سنة 646 هـ / 1248 م وله من المؤلفات :

(1) **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية** -وهو أشهر كتبه ، وأجلها شأناً في الطب . فيه وصف لأكثر من ألف وأربعمائة صنف من الأدوية من مصادر معدنية وحجرية ونباتية وحيوانية ، أكثر من ثلاثمائة منها من اكتشافات ابن البيطار ، وليس لذكرها وجود في المؤلفات اليونانية أو الهندية . أما ما سوى ذلك فقد أخذها عن أساتذته ومن الكتب الأخرى العربية التي

---

(4) المصدر السابق .

بحثت بموضوع الحشائش والأدوية . وقد ذكرنا الكثير من تلك الكتب فيما تقدم . ورتب ابن البيطار مفردات الأدوية على تسلسل حروف المعجم ، وذكر أسماءها اللاتينية والبربرية والأسبانية الدارجة ، مع ذكر منافعها وخواصها وقواها العلاجية وأماكن استعمالاتها في الطب (السليمية متحف الأقاف بأستانبول وقره جلجة زاده ، وأحمد الثالث) .

اهتم العقاقيريون العرب بكتاب الجامع لمفردات الأدوية واعتمدوا عليه في البيمارستانات وحوانيت الصيدلة ، وأخذوا عنه في مؤلفاتهم . وكان من هؤلاء يوسف بن إسماعيل الكتبي البغدادي المتوفى بحدود سنة 754 هـ / 1353 م وصاحب كتاب ما لا يسع الطبيب جهله الذي هو في الحقيقة مختصر لكتاب ابن البيطار الذي نتكلم عنه[5] . ومنهم أبو المنى الهاروني اليهودي صاحب كتاب منهاج الدكان . وابن السراج الغرناطي المتوفى سنة 730 هـ / 1329 م[6] . والقاسم بن محمد بن إبراهيم الغساني الأندلسي ـ الفارسي بالمواطنة المتوفى حوالي سنة 995 هـ / 1589 م ، وصاحب كتاب حديقة الأزهار في شرح منية العشب والعقار[7] . وداود الأنطاكي صاحب التذكرة المعروفة باسمه ، المتوفى سنة 1008 هـ / 1599 م . كما أخذ عنه محمد بن موسى الدميري[8] صاحب كتاب حياة الحيوان الكبرى ، المتوفى سنة 808 هـ / 1405 م .

ترجم كتاب جامع المفردات إلى اللاتينية والألمانية والفرنسية وإلى التركية (كشف الظنون ص 1772) ومنه نسخة في مكتبة أوقاف الموصل

---

(5) الدوميلي ـ العلوم عند العرب ص 417 .

(6) المصدر السابق .

(7) المصدر السابق .

(8) الدميري ـ محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري ، ولقبه كمال الدين من أهل دميرة بمصر ، ومنشأة في القاهرة وكانت له حلقة تدريسية في الأزهر . من أشهر كتبه حياة الحيوان الكبرى وهو مطبوع بمجلدين (الفوائد البهية 203 وخطط مبارك 11/ 59 ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده 1/ 186 ومجلة المشرق 10/ 765 والزركلي 7/ 340) .

واختصره صاحب لسان العرب (الخزانة الثيمورية) . ومن مخطوطاته العربية واحدة بمكتبة همبرغ وأكسفورد وغوتة ولايدن والمتحف العراقي وغيرها .

وطبع الكتاب لأول مرة في القاهرة سنة 1291 هـ / 1875 م بأربع مجلدات باسم الجامع لمفردات الأدوية والأغذية .

(2) **كتاب المغنى في الأدوية المفردة** ـ ويعرف هذا الكتاب في الغرب باسم مفردات ابن البيطار . رتبه المؤلف بحسب أعضاء الجسم التي تستطب لها الأدوية المفردة ، وطبع الكتاب باللاتينية سنة 1758 م . ومخطوطته العربية بمكتبة غوتة ، ولا يدين ، واويسالا ، وطوپ كايي .

(3) **شرح أدوية كتاب ديوسقريدس** وعنوانه يفصح عن محتوياته (المقّري 934/1) .

(4) **كتاب الأبانة والأعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام** ـ وهو تعليقات على منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان من الأدوية المفردة والمركبة لابن جزلة البغدادي .

(5) **ميزان الطبيب** .

(6) **الدرة البهية في منافع الأبدان الإنسانية** . وقد حققه محمد عبدالله الغزالي وطبعه بدمشق .

ابن النفيس[1]

هـو أحد مشـاهير الأطبـاء العرب بمصر الإسـلامية في القـرن السـابـع الهجـري / الثالث عشر الميـلادي . ومن الأطباء العـالمين الخـالدي الـذكر في الإكتشافات الطبية . اسمه أبو العـلاء علاء الـدين علي بن أبي الحـزم القرشي المشهور بابن نفيس . ولد بقرية قَرْش (بفتح القاف وسكون الراء) القريبة من دمشق سنـة 607 هـ / 1210 م وإليهـا ينسب . درس الـطب بـدمشق عـلى مهذب الدين عبد الرحيم الدخوار[2] المتوفى سنة 628 هـ / 1230 م ، وعلي

---

(1) اقـرأ عن ابن النفيس في مـرآة الجنـان لليـافعي 207/4 . وتـاريـخ الإسـلام للذهبي (الجـزء الأخير) ص 72 ـ 73 . والبداية والنهايـة لابن كثير 313/13 ، وطبقـات الشـافعيـة للأسنـوي 176/1 . والـوافي بالـوفيات للصفـدية 21/12 ـ 22 . والنجـوم الـزاهـرة لابن تغـري بـردي 377/7 . والشـذرات لابن العماد 401/5 ـ 402 . وحسن المحـاضرة للسيـوطي 313/1 . وكشف الـظنـون لحـاجي خليفـة ص 714 . ومفتـاح السعـادة لـطاش كبـرى زاده 269/1 . والـدارس للنعيمي 131/2 . ومعجم الأطبـاء لأحمـد عيسـى ص 392 ـ 294 . وإيضـاح المكنـون للبغدادي 188/1 . وهـدية العـارفين للبغـدادي 714/1 . والاعـلام للزركلي ج 5 ص 78 . ومعجم المؤلفين لكحـالـة ج 7 ص 58 . واقـرأ أيضـاً كتـاب ابن النفيس لغليـونجي (أعلام العرب 57) . ابن النفيـس وسـرفيتوس وكـولوهيـو مجلد الأندلس . م 42 مـايو 1957 ص 217 ـ 326 ، مسالك الأبصار فضل الله الغمري .

Meyerhof - Isis 1935. No. 65. Vol. 23 P. 100 - 120.

Brockelmann, 1/493, S 1/899 - 901

Leclerc - Hist. Medec. Arabe, P. 207 - 209

Iskandar - A Cataloge of Arabic Manuscripts on Medecine and Science - Wellcome Institute (1967) P. 37 - 55.

(2) غليونجي ـ كتاب ابن النفيس ص 80 .

عمران الإسرائيلي[3] المتوفى سنة 637 هـ / 1239 م . وكانت دمشق يومئذ تحت حكم الأيوبيين المعروفين بإهتمامهم برعاية العلوم وتعضيد العلماء والأطباء ، والترحيب بالوافدين والهاربين من بغداد عندما وصلتهم أخبار المغول المتربصين لغزو المشرق الإسلامي . فاحتاط ابن النفيس لنفسه ونزح إلى القاهرة عاصمة الأيوبيين قبل عشرين سنة[4] من دخول المغول إلى بغداد سنة 656 هـ / 1258 م . وكانت القاهرة يومئذ ما تزال في ذكرى أطبائها الأكابر أمثال ابن رضوان المتوفى سنة 460 هـ / 1067 ، وابن جميع المتوفى سنة 533 هـ / 1138 م وابن الغين زربي المتوفى سنة 548 هـ / 1153 م ، وابن المدور المتوفى سنة 580 هـ / 1184 م وابن الناقد المتوفى سنة 584 هـ / 1188 م وابن القضاعي المتوفى سنة 598 هـ / 1196 م كما كان في القاهرة يومئذ الكحال نفيس الدين بن الزبير ، وابن الخونجي وابن البيطار وفيها أيضاً البيمارستان الصلاحي أو العتيق والبيمارستان المنصوري الذي يفضل عموم البيمارستانات في الأقطار الإسلامية[5] .

دخل ابن النفيس مصر بحدود سنة 633 هـ / 1236 م ، فالتحق بالبيمارستان الصلاحي ، ثم صار رئيساً له ، وعميداً للمدرسة الطبيعة الملحقة به . ثم انتقل إلى بيمارستان قلاوون أثر اكتمال عمارته في سنة 680 هـ / 1281 م ، وزامله بهذه البيمارستان ابن أبي أصيبعة الخزرجي رفيق صفّه في مدرسة الدخوار بدمشق ، وزميله في البيمارستان النوري الكبير فيها .

---

(3) المصدر السابق ص 81 ، وعمران الإسرائيلي من مواليد دمشق سنة 561 هـ / 1165 م وكان أبوه طبيباً ذا شهرة درس الطب على رضى الدين الرحبي . وحظى عند الملوك الأيوبيين ونال منهم الكثير ، وجمع من نفائس الكتب الطبية ما لم يتوفر لأحد غيره ، وكان راتبه من الملك الناصر بن الملك المعظم في الكرك ألفا وخمسمائة درهم ناصرية . كما عمل عمران مع الدخوار . وابن أبي أصيبعة في البيمارستان النوري . (ابن أبي أصيبعة ـ العيون ص 696 ـ 697) .

(4) غليونجي ـ كتاب ابن النفيس ص 78 .

(5) أحمد عيسى بك ـ البيمارستانات في الإسلام ص 83 ـ 171 .

كـان ابن النفيس إلى جـانب تنـطسـه في الـطب ، فيلسـوفـاً ، وعـالمـاً بالتاريخ ، وفقيهاً بالشريعة الإسلامية . ويروى من عرفه في شيخوخته أنه كان طويل القامة ، نحيف العود ، أسيل الخدين ، وقور الشخصية ، جم الأدب ، صريـح الرأي ، كـريم النفس ، نظيف الثـوب واليد ، ومتـديناً عـلى المذهب الشافعي ، ولم يقرب الخمرة في حياته ، وأنه دفعها عن فمه باشمئزاز لما أراد الأطباء أن يسقوه منها وهو يقاسي عذاب المرض ، وقال : لا ألقى الله تعالى وفي جوفي شيء من الخمر[6] .

عاش ابن النفيس كل حياته أعـزباً وفي بحبـوحة من العيش الـرخي في داره الأنيقـة ، الفخمة العـمارة والأثاث . وكـان له مجلس يـتردد إليه العلماء ، وأعيان القاهر ، وطلاب العلم يتقابسون الأدب ، وأمور الشريعة ، والطب . ولما توفي ابن النفيس أوصى بما يملكه من منقول وغير منقول وقفاً على البيمارستان المنصوري[7] الذي خدم فيه ما يقارب الخمسين سنة .

وقد ترجم كثير من المؤرخين حياة ابن النفيس ، غير أن ابن أبي أصيبعة الـذي زامله في دمشق والقاهـرة لم يذكـر في كتابـه طبقات الأطبـاء حتى مجـرد اسمه ، فافترض الكتاب المعاصرون أن مؤلف هذا الكتاب قد أهمـل ذكر ابن النفيس بغضاً له وحسداً لمقامه العالي الذي كان يتمتع به في القاهرة . وقد عثر حديثاً في المكتبة الظاهرية بدمشق على مخطوطة من كتاب عيون الأنباء لابن أبي أصيبعـة غير النسخـة المطبـوعة المـألوفـة لـدينـا ، يقـول فيهـا المؤلف عن ابن النفيس : (أنه كان شجاعاً فاضلاً كالبحر الخضم ، والطود الأشم للعلوم . . . ولو لم يكن له غير شرح غوامض القانون (يقصد قانون ابن سينا في الـطب) لكفي به دليلاً على غزارة فضله . .)[8] ويجب أن نذكر أن هـذه الإشارة قـد وضعت بصيغة الماضي كما هو واضح بينما عاش ابن النفيس ثماني عشرة سنة بعد

(6) أحمد عيسى بك ـ ص 293 .

(7) المصدر السابق والصفحة .

(8) غليونجي ص 73 .

وفاة ابن أبي أصيبعة ، وعلى هذا فقد تكون تلك الإشارة من صنع النسَّاخ أو القراء لا بقلم المؤلف .

كان ابن النفيس علامة في المعرفة الطبية ، يقرأ كثيراً فيها ويكتب كثيراً . ويروى أنه من سرعة عمله في الكتابة يستحضر له عدد من الأقلام المبرية[9] ، حتى لا يتأخر عن تسجيل أفكاره التي تزدحم في رأسه . وكان يميل إلى أفكار أبقراط ويجلها ويعتمدها في علاجاته وتدريساته ومؤلفاته . وكذلك كان مع ابن سينا في كتابه القانون . فقرض كتبهما الطبية بالشرح والتعليق . أما موقفه من جالينوس فرأيه فيه أنه (عي في تفسير آرائه ، ومطول دون إجادة)[10] .

ويفهم من مضمون ما ذكره بعض معاصري ابن النفيس ، أن صاحب هذه الترجمة كان مع غزارة معلوماته في الصنعة ، ووفرة مؤلفاته فيها ، وكثرة بحوثه الأصلية في علومها الأساسيّة ، فإنه لم يكن ممارساً حاذقاً بقدر ما كان عالماً مبتكراً[11] فإن صح ذلك فهو أمر لا غرابة فيه ، إذ أن أكثر الأطباء العلماء لا يجيدون الطب السريري ، ولا يعيرونه إهتماماً بقدر اهتمامهم بأعمال البحث والإستقصاء والتأليف . وربما كان ابن النفيس واحداً من هذه الزمرة العالمة .

عرف ابن النفيس واشتهر بأعماله في موضوع التشريح . ويفهم من كتاباته أنه يدعو إلى التشريح المقارن على الحيوان ، لا التشريح المباشر على جسم الإنسان . على أنه ليس ثمة ما ينفي أنه عمل بتستر في التشريح الأخير . وقد يكون ورعه ورغبته في إرضاء العامة التي تهتف (أن الإنسان بنيان الله لعن من هدمه) جعله يخفي عن الناس التشريح على الجثث البشرية .

يقول ابن النفيس :

(أما تشريح العظام والمفاصل ونحوهما فيسهل في الميت من أي سبب كان موته ، وأسهل ما يكون إذا مضى على موته مدة فني ما عليه من اللحم حتى

---

(9) أحمد عيسى ص 293 .

(10) المصدر السابق ص 294 .

(11) المصدر السابق ص 296 .

بقيت العظام متصلة بالأربطة ظاهرة . فإن هذا لا يفتقر فيه إلى عمل كثير حتى يوقف على هيئة عظامه ومفاصله) . ونفهم من هذه العبارة أن ابن النفيس كان يمارس تشريح الإنسان على إجداث الموتى ، أو على الأقل على عظامه ومفاصله ، وإلا فكيف علم أن أربطة المفاصل لا تفنى إلاّ بعد فناء اللحم ؟ ونقع في حيرة حين نقرأ له : (أما تشريح العروق الصغار التي في الجلد ، وما يقارب منه ، فيعسر في الأحياء لما بيناه ، وكذلك في الموتى الذين ماتوا لمرض ونحوه وخصوصاً ما كان من الأمراض ما يلزمه قلة الدم والرطوبات ، فيخفى تلك العروق ، كما في الإسهال والدق (السل) و (النزف) فهل مارس ابن النفيس التشريح عملياً ، لا بالنظر على الإجداث المسلوخة فقط ؟ وهو الذي قال في فاتحة المقدمة ، أنه لم يمارسه لوازع من الشريعة ورحمة من الأخلاق ؟

ويعتبر اسم ابن النفيس والدورة الدموية الصغرى مرادفين في تاريخ الإكتشافات الطبية . وليس المهم تاريخياً أن نعرف كيف توصل ابن النفيس إلى هذا الإكتشاف العظيم بقدر ما هو مهم أن نعرف أن ابن النفيس كان أول من اكتشف وجود هذه الدورة . أما هارفي الإنكليزي[12] المتوفى سنة 1657 ، والذي قيل عنه وهما أنه كان أول من عرف الدورة الدموية المذكورة ، فإنه أي هارفي ، قد بحث في دورة الدم بعدما يزيد على الثلاثة قرون ونصف من وفاة ابن النفيس . وكان الطبيب الإيطالي الباجو Alpagos الذي عاش قبل ما يزيد على القرن من حياة هارفي قد ترجم في سنة 1547 أقساماً من كتاب ابن النفيس في شرح تشريحو القانون إلى اللغة اللاتينية[13] . والباجو عالم بحاثة أقام في سوريا رهاء ثلاثين سنة ، درس اللغة العربية في المشرق الإسلامي خصيصاً ليعرف قراءة نصوص علومها[14]. فلا بد أن تكون ترجمته لكتاب ابن النفيس

---

(12) هارفي ـ طبيب وفسيولوجي انكليزي مارس مهنته في بلاط الملك شارل الأول ، وبحث في الدورة الدموية بجامعة لندن ونشر عمله بعنوان في التشريح عن نبض القلب وحركة الدم في الحيوان . توفي بعمر يقرب من الثمانين سنة 1657 م .

(13) غليونجي ص 142 ، وكان منها شرح الأدوية المركبة .

(14) المصدر السابق ص 143 .

جيدة وواضحة ، وقيل أن القسم المتعلق بالدورة الدموية في الرئة كان أحد تلك الأقسام المترجمة[15] . إلا أن ترجمة الباجو التي نتكلم عنها قد فقدت . وأن سرفيتوس (ميشيل سرفيت) الذي أعقب الباجو بست سنوات لا أكثر كان قد اطلع على ترجمة الباجو . وسرفيتوس عالم في غير الطب ، أسباني المولد والنشأة والثقافة . درس اللاهوت بسرقسطة ، والتوراة بطولوز بفرنسا ، والتحق بقسم التشريح في جامعة باريس . وهناك وضع كتاباً طبياً أدخل فيه معلومات طبية من مصادر عربية كان منها ما قرأه في ترجمة الباجو لكتاب شرح تشريح القانون . ولتطرف سرفيتوس في العقيدة الدينية طرد من جامعة باريس ، فتشرد بين المدن وانتهى أمره في سنة 1553 بالإعدام حرقاً هو وأكثر كتبه . ومن حسن الحظ أن الكتاب الذي يحتوي على وصف الدورة الدموية في الرئة لم تمسه النار ، فقرأه الناس على أنه من عمل سرفيتوس ، لا منقولاً عن ترجمة الباجو لكتاب ابن النفيس . وبقي الباحثون يعتقدون بتبعية اكتشاف الدورة الدموية في الرئة إلى سرفيتوس حتى سنة 1924 م حين عثر طبيب مصري اسمه محي الدين التطاوي المتوفى سنة 1945 على مخطوطة (شرح تشريح القانون) في برلين وفيها اكتشف الوصف الكامل للدورة الدموية المذكورة . فأثار ذلك اهتمام الباحثين ، فعرفوا حينذاك أن سرفيتوس كان سارقاً لهذه المعلومات من ترجمة الباجو لكتاب ابن النفيس . قال مايرهوف في ذلك[16] : (إن ما أذهلني هو مشابهة ، لا بل مماثلة بعض الجمل الأساسية في كلمات سرفيتوس لأقوال ابن

---

(15) المصدر السابق ص 143 .

(16) كانت أطروحة محي الدين التطاوي لنيل درجة الدكتوراه في جامعة برلين سنة 1920 بعنوان : الدورة تبعاً للقرشي . ولما كان في المصدر الذي أخذ عنه مادة الأطروحة وهو شرح القانون لابن النفيس معلومات غريبة عن الدورة الدموية ، ولكون اللجنة الممتحنة لا تعرف العربية فقد أرسلت الأطروحة إلى ماكس مايرهوف الذي كان يومئذ يسكن القاهرة ، فايد مايرهوف ما كتبه التطاوي في أطروحته ، ونقل تفصيل هذا الحدث إلى المؤرخ سارتون فأثبته هذا في آخر أجزاء كتابه الضخم :
غليونجي ص 70 ـ 71 Introduction to the History of Science

النفيس ، كانت ترجمت ترجمة حرفية[17] أي أن سرفيتوس ، وهو رجل دين متحرر لا طبيب ، قد ذكر الدورة الدموية في الرئة بلغة ابن النفيس الذي عاش قبله بما يزيد على القرن ونصف . ولما اطلع الدوميلي على المتنين قال : (إن لابن النفيس وصف للدوران الصغير تطابق كلماته كلمات سرفيتوس تماماً ، وهكذا فمن الحق الصريح أن يعزى كشف الدوران الرئوي إلى ابن النفيس لا إلى سرفيتوس ، أو هارفي) .

لقد كان ابن النفيس آخر ومضة من سراج العلوم عند العرب ، فلم نعرف بعده من كان مثله أو ما يقاربه علماً وابتكاراً في البحث العلمي . ولسوء الحظ لم يعقبه أحد من العرب من يهوى الكشف عن المعارف الجديدة ليستفيد من المبادرات القيمة التي أرساها ابن النفيس للمعنيين بموضوعي التشريح والفسلجة .

توفي ابن النفيس في القاهرة سنة 687 هـ / 1288 م . ومن تلامذه رشيد الدين بن خليفة ، وابن القف وآخرون نعرفهم بالاسم فقط وهم : شرف الدين بن صغير ، وأبو فرج بن صغير ، وبدر الدين حسن أمين الدولة ، وأبو الكفل ، وابن كوشك الإسكندري .

مؤلفات ابن النفيس[18]:

يظن أن لابن النفيس من المؤلفات أكثر مما وصلنا منها . وقد يكون الذي فقد منها أكبر حجماً فصعب استنساخه كما صعب حمله والإبقاء عليه أما الكتب التي وصلتنا فهي.:

(1) كتاب الشامل في الطب ـ وهو موسوعة وضعها المؤلف على غرار كتاب الحاوي في الطب للرازي ، إلا أنه أكبر حجماً ، فقد ذكر له ثلاثمائة

(17) الشطي ـ الطب العربي ص 174 .

(18) قائمة مؤلفات ابن النفيس في كتاب (ابن النفيس الغليونجي ص 100 ـ 104) .
Ullman - Medz. Islam, P. 173.

سفر ، كان منها ثمانون في البيمارستان المنصوري[19] . إلا أنه لم يصلنا منها إلا بضع وريقات موجودة اليوم في مكتبة بودليانا ، وبعض منه في المتحف العراقي . وقد أخبرني البحاثة ألبير اسكندر أنه بصدد تحقيق ونشر ما وقع عليه من كتاب الشامل (اقرأ بحثه المنشور في الطب الإسلامي / الكويت 1982) .

(2) **كتاب المهذب في الكحل المجري** ـ وفيه بحث في القيح بخزانة العين الأمامية ، وبحث في علاج الرمد ، ومخطوطته في الفاتيكان .

(3) **كتاب المختار من الأغذية** ـ ويتكلم المؤلف فيه عن الغذاء في الأمراض الحادة . ومخطوطته بمكتبة برلين .

(4) **شرح فصول أبقراط** ـ أصل هذا الكتاب لأبقراط الذي كا يعجب به ابن النفيس ، فاعتنى بشرحه . ومخطوطته بمكتبة أيا صوفيا وغوتة ودار الكتب المصرية . وقد طبع الكتاب بطهران سنة 1293 هـ / 1876 م (أيا صوفيا ، كويريللي ، أحمد الثالث ، شهيد علي) .

(5) **شرح تقدمة المعرفة لأبقراط** (أيا صوفيا) .

(6) **تعليق على كتاب الأوبئة لأبقراط** ـ (أيا صوفيا) .

(7) **شرح تشريح جالينوس** ـ ويحتوي على نقد آراء جالينوس في الشريح . ويشك في تبعية هذا الكتاب إلى ابن النفيس (أيا صوفيا) .

(8) **شرح مسائل حنين بن اسحاق** ـ مخطوطته بمكتبة لايدن .

(9) **شرح مفردات القانون** ـ أي قانون ابن سينا ـ (أيا صوفيا) .

(10) **شرح القانون** ـ قيل أنه بعشرين مجلدة ـ قسم منه بمكتبة أكاديمية نيويورك ، ومجلس شوراي ملي ، وويلكم ، والمتحف العراقي .

---

(19) غلونجي ص 100 .

(11) **موجز القانون أو الموجز في الطب كما يسمى أحياناً وهو إختصار لقانون** ابن سينا في الطب ، ما سوى قسم التشريح ووظائف الأعضاء ، مما جعله سهل الحمل والقراءة . فانتشر بين القراء وحل محل القانون لدى طلبة العلم ، وصار موضع تعليق وإهتمام كثير من الأطباء (مكتبة باريس الوطنية) وقد شرح هذا الكتاب أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الحكيم المتوفى سنة 690 هـ / 1291 م أي بعد ثلاث سنوات من وفاة ابن النفيس . واختصره محمد بن محمد الأقسرائي المتوفى سنة 794 هـ / 1398 م بكتابه الذي سماه حل الموجز . وهناك تعليقات أخرى على الكتاب كان آخرها لمحمود الأقساطي المولود سنة 810 هـ / 1407 م .
وقد ترجم كتاب موجز القانون إلى التركية والعبرية والإنكليزية وطبع في كلكتا سنة 1244 هـ / 1828 م ، وطبع على الحجر في طهران ، ثم في لكنو سنة 1906 م .

(12) **تفاسير العلل وأسباب الأمراض .**

(13) **شرح تشريح القانون** ـ لم يكن لهذا الكتاب الصيت الذي يستحقه من لدن الأطباء العرب . ويحتمل أن يكون ذلك بسبب كون الكتاب في موضوع من العلوم الأساسية التي لا يميل الأطباء إلى قراءتها . أو لأن فيه نقداً على جالينوس وابن سينا اللذين كانا إلى ذلك الوقت يتمتعان بالحصانة الأدبية والعلمية ضد ما يشين اسميهما . أما في الوقت الحاضر فيعد الكتاب من أبرز مؤلفات ابن النفيس ، وأفضل كتبه التي وصلتنا .
وتنبعث قيمته من أمور ثلاثة : أولها وصفه لعلمه المبتكر في اكتشاف الدورة الدموية في الرئة . وثانيها اكتشاف أن عضلات القلب تتغذى من الأوعية الدموية المبثوثة في داخلها لا من الدم الموجود في أجوافه . وثالثها معرفتنا من الكتاب بثقة المؤلف العظيمة بنفسه ونقده أعظم طبيبين عرفهما العرب إلى ذلك الوقت ، هما : جالينوس وابن سينا .

يقول ابن النفيس في فاتحة الكتاب :

(إن قصدنا الآن إيراد ما تيسر لنا من المباحث على كلام الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبدالله بن سينا رحمه الله في التشريح في جملة كتاب القانون . . . وقد حدنا عن مباشرة التشريح وازع الشريعة وما في أخلاقنا من الرحمة . فلذلك رأينا أن نعتمد في تعرف صور الأعضاء الباطنة على كلام من تقدمنا من المباشرين لهذا الأمر ، خاصة الفاضل جالينوس . . وأما منافع كل واحد من الأعضاء ، فإنما تعتمد في تعرفها على ما يقتضيه النظر المحقق والبحث المستقيم ولا علينا وافق ذلك رأي من تقدمنا أو خالفه) . وتتضمن مقدمة الكتاب خمسة بحوث في (فن) التشريح نثبتها فيما يلي بتعابير المؤلف :

البحث الأول : في اختلاف الحيوانات في الأعضاء .

البحث الثاني : في فوائد (قواعد) علم التشريح .

البحث الثالث : في إثبات منافع الأعضاء .

البحث الرابع : في المبادىء التي يستخرج بها العلم لمنافع الأعضاء بطريق التشريح .

البحث الخامس : في ماهية التشريح وآلاته .

وسوف نذكر في الفصل المخصص للعلوم الأساسية نصوصاً من المادة العلمية المتعلقة بتشريح القلب وإتصالاته بالأوعية الدموية التي تصله من الرئة لتكمل الصورة العلمية لأعمال هذا الطبيب العظيم .

ولكتاب شرح تشريح القانون مخطوطة في الأسكوريال ، وبرلين ، وأستنابول ، وباريس ، وطهران ، والموصل ، وكاليفورنيا ، ومكتبة ولكم بلندن . وربما كانت أكملها وأفضلها جميعاً هي المخطوطة الأخيرة ، وهي موضوعة ضمن مخطوطة شرح القانون .

(14) **كتاب فاضل بن ناطق أو الرسالة الكاملية في السيرة النبوية** ـ وهي قريبة الشبه من رسالة حي بن يقظان لابن طفيل (اقرأ بحث أبو شادي

الرولي في كتاب الطب الإسلامي / الكـويت 1982) . وقد حققهـا كل من مايرهوف وشاخث ونشراها سنة 1945 وفيهـا يذكـر اسم ابن النفيس ينتج الحاء والزاي .

(15) **بغية الطالبين وحجة المتطببين (ولي الدين يكن) .**

البيمارستانات في مصر الإسلامية[1]

بيمارستانات مصر من المؤسسات الصحية القديمة في الإسلام ، ومن أطولها عمراً . فقد أنشئت في عهود شتى على مدى أكثر من أربعة قرون . ولهذا كانت بفضل التطويرات التي أدخلت عليها مرة بعد أخرى ، بحكم الزمن أو إكتشاف النواقص ، ما يجعلها أحسن هندسة وأكثر تنظيماً من البيمارستانات الأخرى التي عاصرتها أو سبقتها في الأقطار الإسلامية .

(1) بيمارستان المغافر[2]

أسسه الفتح بن خاقان وزير الخليفة المتوكل (247 هـ / 861 م) .

(2) البيمارستان العتيق[3]

ويعرف أيضاً بالبيمارستان الأعلى . أسسه أحمد بن طولون حوالي سنة 259 هـ / 872 م وربما كان أول بيمارستان في مصر ، وموقعه بالفسطاط . وكان ابن طولون يهتم به كثيراً ، وزوده بخزانة شراب (صيدلية) وعيّن له طبيباً مقيماً في أيام الجمع لسد حاجة المصلين إلى الخدمات الطبية في هذا اليوم . وقد اشتغل في هذا البيمارستان عدد من الأطباء منهم : (1) محمد بن عبدون الجيلي العذري (العددي ؟) ـ واصله من الأندلس ، وقدم إلى البصرة

---

(1) أكثر المعلومات عن بيمارستانات مصر أخذت عن أحمد عيسى بك في كتاب تاريخ البيمارستانات في الإسلام ص 67 ـ 177 .

(2) المقريزي ـ الخطط 3/409 .

(3) القلقشندي ـ صبح الأعشى 3/337 . والخطط المقريزية 2/405 .

والفسطاط واشتغل في هذا البيمارستان ، ورجع إلى الأندلس في سنة 360 هـ / 970 م . وكان عالماً بالحساب والهندسة وبارزاً في ممارسة الطب[4] .
(2) سعيد بن نوفيل (توفيل ؟)[5] ـ وكان من أطباء أحمد بن طولون .
(3) شمس الدين محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن المصري المتوفى سنة 722 هـ / 1370 م .

(3) البيمارستان الأسفل

أسسه أمير مصر كافور الأخشيدي في حوالي سنة 346 هـ . ونقل إليه كثيراً من محتويات البيمارستان الأعلى .

(4) بيمارستان القشاشين

لا يعرف من أسس هذا البيمارستان ، وكان مكانه قريباً من الأزهر الشريف[6] .

(5) بيمارستان السقطيين

كان موقعه في سوق السقطيين بالقاهرة . وقد اشتغل فيه أبو الحجاج يوسف الكحال بطب العيون[7] .

(6) البيمارستان الناصري أو الصلاحي

ويسمى أيضاً بيمارستان صلاح الدين . وكان موقعه في قصر الفاطميين الذي بناه الخليفة العزيز بالله في سنة 384 هـ / 994 م[8] ، فاختاره صلاح الدين الأيوبي ليكون بيمارستاناً لخلوها من بيوت النمل . وقد اشتغل في هذا

---

(4) اقرأ عن محمد بن عبدون الجيلي في ابن أبي أصيبعة ص 492 ـ 493 .
(5) اقرأ عن سعيد بن توفيل في العيون لابن أبي أصيبعة ص 541 ـ 542 .
(6) القلقشندي 3/369 .
(7) ابن أبي أصيبعة ص 696 ، أحمد عيسى بك ص 76 .
(8) ابن أبي أصيبعة 672 ـ 675 .

البيمارستان كل من (1) رضي الدين الرحبي[9] وكانت أكثر أعماله في طب العيون . أصله من جزيرة ابن عمر ، ودرس الطب في بغداد ثم انتقل إلى دمشق سنة 555 هـ / 1160 م وهناك اتصل بصلاح الدين . (2) إبراهيم بن موسى بن ميمون القرطبي[10] الذي ولد ونشأ في الفسطاط ، خدم بالطب في حاشية الملك محمد بن أبي بكر الأيوبي ، وزامل ابن أبي أصيبعة في البيمارستان وتوفي في سنة 630 هـ / 1232 م بعمر يقرب من التسعين . (3) أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة[11] ، من تلاميذ رضي الدين الرحبي بدمشق وابن البيطار الحشائشي ، وكان يعمل كحالاً في هذا البيمارستان وتوفي بدمشق سنة 688 هـ / 1269 م بعد السبعين . (4) الشيخ السديد بن أبي البيان[12] ـ وهو داود بن سليمان بن إسرائيل بن أبي الطيب بن إسرائيل . وكان يعمل بالأدوية المفردة والمركبة بهذا البيمارستان . (5) القاضي نفيس الدين بن الزبير الكولي ـ كان يتقن صناعة الكحل والجراحة فولاه الملك الكامل رئاسة الطب في الديار المصرية وأعمال الكحالة في البيمارستان الصلاحي . وتوفي سنة 636 هـ / 1238 م .

(7) بيمارستان الإسكندرية

أنشأه صلاح الدين الأيوبي في الإسكندرية سنة 577 هـ / 1181 م .

(8) البيمارستان المنصوري[13] :

ويسمى أيضاً بيمارستان قلاوون ، أو دار الشفاء ـ أسسه الملك المنصور قلاوون في ما بين القصرين بالقاهرة . وكانت عمارته في الأصل قصراً للأميرة الفاطمية ابنة العزيز بالله نزار ، فانتقلت ملكيته إلى الأيوبيين ثم إلى الملك

---

(9) المصدر السابق ص 583 .
(10) ابن أبي أصيبعة ص 119 .
(11) ابن أبي أصيبعة ص 584 .
(12) أحمد عيسى ص 81 ـ 82 .
(13) اقرأ عن البيمارستان المنصوري في المصدر المتقدم ص 83 ـ 177 .

سيف الـدين قـلاوون . فـطوره إلى بيـمارستـان في حـوالي سنـة 683 هـ / 1284 م . وكان القصر كبيراً وباحته واسعة جداً ، فجعـل فيه أربـع ردهات لمرضى الحميات ، وردهة للرمد ، وردهة للجراحة ، وردهة لحالات الإسهال ، وردهة للأمـراض النسائيـة . ومكان مناسب للمرورين ومثله للمـرورات من النساء . كما زوده بمطبخ واسع ومختبر لـتركيب الأدوية من الأشربـة والمعاجـين والسفوفات وما إلى ذلك . وزوده أيضاً بقاعة ليلقي فيها رئيس الأطباء الدروس في الطب . وعين له إداريون وخدم وفراشون . وبقي العمل في هذا البيمارستان دائباً حتى منتصف القرن الخامس عشر . أما الأطباء الذين عملوا فيه فمنهم : (1) أحمد بن يوسف بن هلال الصفدي ـ كان له ولع بالنباتات الطبية ، وبارعاً في الطب وتوفي سنة 737 هـ / 1326 م . (2) ركن الدين بن القويع ـ أصله من تـونس وتوفي بـالقاهـرة سنـة 738 هـ / 1327 م . (3) ابن الأكفـاني ، محمـد بن إبراهيم بن سـاعـد السنجـاري ـ وهـو من مـواليـد سنجـاربـشمـال العراق . وله معرفة بالأحجار الكريمة والعقـاقير . مـات بالـطاعون بمصر سنـة 749 هـ / 1341 م . وله مؤلفات بالطب . (4) عمـر بن منصور بن عبـدالله البهادري ـ كان يعمل ويدرّس في الطب بالبيمارستان . وتـوفي سنة 824 هـ / 1423 م . (5) تقي الدين الكرماني البغدادي ـ توفي بالطاعون عام 833 هـ / 1432 م وله مصنفات في الطب . (6) محمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن صغـير القاهـري . تـوفي سنـة 839 هـ / 1438 م . (7) عبـد الـوهـاب بن محمـد بن محمـد بن طـريف الشـاوي . عمـل بـالـطب والكحـل وتـوفي سنـة 851 هـ / 1447 م[14] . (8) محمد بن عبد الوهاب بن محمد الصدر بن البهاء السبكي ـ عمل بالطب والكحل وتوفي سنة 866 هـ / 1461 م بعمـر متأخـر بعد أن ضعف بصره . (9) محمد بن محمد بن علي بن عبد الكافي ـ درس الطب على أبيه وعلى العز بن جماعة . وتوفي سنة 891 هـ / 1486 م بعمر يقرب من المـائة . (10) محمـد بن يعقوب الشمس تفهمني القـاهري ـ عمـل في الكحل

---

(14) أحمد عيسى ص 162 .

بالبيمارستان وتوفي سنة 896 هـ / 1490 م . (11) محمد بن محمد ولي الدين - ت 909 هـ / 1494 م . (12) الشيخ محمد شمس الدين القوصوني - خدم السلطان الغوري بالإضافة إلى عمله في البيمارستان وتوفي سنة 917 هـ / 1511 م . (13) علي بن محمد بن محمد بن علي الجراح المتوفي سنة 1011 هـ / 1602 م . (14) شهاب الدين أحمد بن الصايغ - وكان رئيساً للأطباء وشيخهم في البيمارستان توفي سنة 1036 هـ / 1602 م ولم يعقب إلا بنتاً تولت بعده مشيخة الطب . (15) مدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري - أخذ الطب عن الشيخ داود ، وتولى رئاسة الأطباء في مصر وتوفي بعد سنة 1044 هـ / 1634 م . (16) علي بن جبريل - توفي سنة 1172 هـ / 1758 م .

القسم التاسع
الطب والأطباء بديار الشام والجزيرة

نبذة جغرافية وتأريخية . ديار الشام ساحة قتال وتبادل حكام . الطب ونشوء مدارسه بدمشق .

أطباء ديار الشام

- مهذب الدين بن النقاش
- ابن المطران
- رشيد الدين بن خليفة
- أسرة الرحبي
- ابن القف الكركي
- عبد اللطيف البغدادي
- مهذب الدين عبد الرحيم الدخوار
- رشيد الدين بن الصوري
- بنو أبي أصيبعة
- بيمارستانات ديار الشام

الطب والأطباء بديار الشام والجزيرة

نبذة جغرافية وتأريخية

أطلق المؤرخون والجغرافيون العرب إسم الجزيرة على أعالي المنطقة المحصورة بين نهري دجلة والفرات ، وأطلقوا على المنطقة الواقعة بين الفرات الأعلى والبحر الأبيض المتوسط وعلى سوريا ولبنان وفلسطين والأردن إسم ديار الشام .

وتدخل في الجزيرة وديار الشام كثير من المدن والثغور ذات التأريخ الحافل بأحداث الطب العربي ، منها مدينة الرها ودمشق ، وقد مر ذكرها علينا ، ومنها :

(1) القدس ـ أو بيت المقدس ، ويرجع تأريخ تأسيسها إلى القرن الخامس عشر ق. م ، وقد اتخذها الملك داود النبي (1010 ـ 918 ق. م) عاصمة لمملكته ، وأقام ابنه سليمان الملك هيكله فيها . وفي سنة 586 ق. م سقطت بيد البابليين فهدموها وأزالوا بيوت العبادة فيها ، واقتادوا أهلها اليهود أسرى إلى بابل . ثم أعاد اليهود بناءها بعد رجوعهم إليها من بابل في أيام الملك قورش الفارسي . ووقعت القدس بيد الرومان سنة 70 م فهدموا أبنيتها. ثم استرجعت مكانتها في زمن الأمبراطور البيزنطي قسطنطين حين اعتنق النصرانية . وفي سنة 614 م أحرقها الفرس ، وأخيرا افتتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب 17 هـ / 538 م وأولوها إحتراماً خاصاً باعتبارها أولى القبلتين وثاني الحرمين الشريفين ،

بعد مكة المكرمة . ولما استولى السلجوقيون عليها منعوا النصارى الأوروبيين من الحج إليها فثارت عليهم أوروبا النصرانية وأشعلت نار الحروب الصليبية (493 هـ / 1099 م) واستولوا عليها واستعادها صلاح الدين الأيوبي سنة 583 هـ / 1187 م لترجع إلى العرب كما كانت منذ أقدم العصور .

(2) نابلس - من المدن الأثرية بديار الشام . سكنها السامريون اليهود ، ولا يزال قسم منهم يمارسون فيها طقوسهم الدينية الأولى . هدمها الرومان سنة 67 م فأعاد أهلها بنائها بنفس الحجارة . وفتحها العرب في حكم عمر بن الخطاب ومنذ ذلك الوقت صار أكثر سكانها من المسلمين .

(3) حمص - مدينة قديمة شرقي حلب فتحها المسلمون في أيام الخليفة عمر بن الخطاب بقيادة ابن الجراح وابن الوليد . وحضارتهم ولغتهم رومية وبقي بعض أهاليها فيها حتى مطلع الدولة العباسية (الحموي 2/302) .

(4) صور - من أقدم المدن الفينيقية (الألف الثالث ق. م) بنيت على جزيرة في البحر الأبيض المتوسط ملاصقة لساحل لبنان في جنوب بيروت ، وصارت في سنة 2800 ق. م من أكبر مدن العالم يومئذ . حاصرها البابليون والأشوريون ثم الفرس وأخيراً تمكن من سحقها الإسكندر الكبير في حوالي سنة 333 ق. م. وصارت بعد ذلك تحت حكم الرومان (64 ق. م) إلى أن افتتحها العرب في خلافة عمر بن الخطاب سنة 17 هـ / 638 م .

(5) عكا - مدينة قديمة على ساحل بلاد الشام . حكمها اليونانيون ثم الرومان ، وافتتحها العرب سنة 17 هـ / 638 م بقيادة عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان . وسوّرها ابن طولون ، وتناوب على حكمها الصليبيون والمسلمون حتى آلت أخيراً إلى المماليك الأتراك بمصر .

(6) حماة - بلدة قديمة بشمال سوريا . خضعت للإسكندر الكبير سنة 300 ق. م، ثم حكمها الروم ومنهم أخذها العرب بقيادة أبي عبيدة الجراح سنة

18 هـ / 639 م . واستولى عليها الصليبيون واستعادها الأيوبيون . فيها جامع نور الدين زنكي ، وعلى مقربة منها قلعة شيزر موطن أسامة بن منقذ .

(7) انطاكية ـ مدينة على نهر العاصي . أسسها سلوقس الأول اليوناني في سنة 307 ق. م، وبقيت عاصمة السلوقيين حتى الفتح الروماني سنة 20 ق. م. ازدهرت فيها الآداب والفنون اليونانية ، وعرف النصارى باسم المسيحين لأول مرة في هذه المدينة . دمرها الفرس سنة 540 م ، ثم احتلها العرب سنة 15 هـ / 636 م ، ثم الصليبيون سنة 492 هـ / 1098 م ثم أخذها منهم المماليك المصريون ومن يوم ذاك بدأت بالتقهقر عمرانياً وحضارياً .

(8) الكرك ـ مدينة قديمة بالأردن . احتلها الصليبيون سنة 573 هـ / 1177 م واستولى عليها صلاح الدين الأيوبي سنة 584 هـ / 1188 م ثم صارت قاعدة دولة المماليك المصريين في تلك المنطقة .

(9) بعلبك ـ مدينة فينيقية ، واسمها فينيقي ، اشتهرت في العهد السلوقي وسميت يومئذ هليوبولس (مدينة الشمس) ، ثم آلت إلى الرومان (63 ق. م ـ 14 م) وهم الذين شيدوا فيها العمائر والهياكل الرائعة التي لا تزال قائمة . ودخلت في حوزة المسلمين في عهد عمر بن الخطاب سنة 13 هـ / 634 م .

(10) صفد ـ مدينة قديمة شرقي عكا ، استولى عليها الصليبيون واسترجعها منهم صلاح الدين الأيوبي سنة 584 هـ / 1188 م .

(11) حلب ـ من المدن السورية القديمة . يعتقد أن تاريخها يعود إلى إبراهيم الخليل الذي كان (يحلب) فيها غنمه فسميت حلبياً أي لبناً . والمؤكد أنها كانت موجودة في القرن الثالث قبل الميلاد . حكمها سلوقس ثم بطليموس الإسكندراني ، ثم انتقلت ملكيتها إلى الرومان ومن هؤلاء إلى البيزنطيين . وافتتحها العرب في القرن السابع الميلادي ، وحاصرها

الصليبيون سنة 518 هـ / 1124 م واسترجعها صلاح الدين الأيوبي سنة 578 هـ / 1182 م ثم دخلها المغول سنة 659 هـ / 1260 م واسترجعها المسلمون في القرن السادس عشر الميلادي . وفيها مقام إبراهيم الخليل .

(12) الموصل ـ من مدن العراق القديمة . يعود تأريخها إلى العهد الساساني (القرن 3 م) وسميت بالموصل لأنها توصل طريق الجنوب بالشمال والشرق بالغرب في تلك الديار . فيها قبر النبي جرجيس والنبي يونس . وأول جسر نصب فيها كان بأمر الخليفة مروان بن محمد الأموي المتوفى سنة 133 هـ / 750 م . وفيها أيضاً جامع النوري الذي شيده نور الدين زنكي سنة 569 هـ / 1173 م .

(13) الرقة ـ مدينة على أعالي نهر الفرات . بنيت في عهد الإسكندر الكبير (أواخر القرن الرابع ق. م) ثم آلت إلى الرومان وأخذها منهم الملك الفارسي قباذ الأول ، وأقام فيها كسرى أنو شروان قبيلة مضر العربية . ثم استولى عليها عياض بن غنم في خلافة عمر بن الخطاب . ولما آلت إلى العباسيين أعاد المنصور ترميمها وبني إلى جوارها مدينة سماها الرقيقة ، وجعلها هارون الرشيد بعد نكبة سحق عاصمته الصيفية ، وبنى فيها قصر السلام فعرفت بمدينة الرشيد . ودخلها المغول ودمروها في القرن الثالث عشر الميلادي .

(14) عين زربي ـ مدينة في الشمال الشرقي من طرسوس بآسيا الصغرى . كان يسكنها الأرمن . وخربها الروم فعمرها هارون الرشيد ، وازدهرت في أيام سيف الدولة الحمداني المتوفى سنة 357 هـ / 967 م .

(15) حصن كيفا ـ بليدة على شاطيء دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر . ازدهرت في حكم الأرتقيين (495 ـ 629 هـ / 1102 ـ 1260 م) وكان أكثر سكانها من الأرمن .

(16) ميّافارقين ـ أهم وأكبر مدن إقليم ديار بكر . يعود تأريخها إلى الحكم

الساساني على تلك الديار . استولى عليها البيزنطيون ثم العرب بقيادة عياض بن غنم في حكم عمر بن الخطاب . وتكتب ميافارقين بتشديد الياء .

(17) ديار بكر ـ هو الإقليم الذي يضم كلاً من حصن كيفا ، وميافارقين وسعرت وحيني ، وهو اليوم جزء من تركيا .

(18) حيني ـ بليدة في إقليم ديار بكر اشتهرت بصنع الأدوات الحديديه .

(19) حران ـ مر الكلام عنها في ص .

(20) نصيبين ـ مدينة قديمة فيما بين أعالي دجلة والفرات بتركيا اليوم . كانت مهد الحضارة السريانية في القرن الثالث الميلادي حتى سقوطها بأيدي الساسانيين سنة 365 م . وصارت معقلاً للنساطرة في القرن الخامس وحتى منتصف القرن السادس الميلادي . فتحها المسلمون بقيادة عياض بن غنم سنة 17 هـ / 639 م .

* * *

لقد خصصنا هذا الفصل للطب والأطباء في ديار الشام والجزيرة بعد الحكم الأموي (132 هـ / 750 م) وحتى انقراض دولة المماليك المصرية سنة 792 هـ / 1390 م ، وعزلناه عن الطب والأطباء في الأقطار الإسلامية الأخرى لإعتبارات جغرافية وسياسية كان لها تأثير نوعي كبير على الطب في تلك الديار .

تأرجحت تبعية الجزيرة وديار الشام بعد الحكم الأموي بين مختلف الحكام ، من العرب وغير العرب . فحكمها العباسيون ، والطولونيون ، والأخشيديون ، والفاطميون ، والبويهيون ، والسلجوقيون ، كما دخلها المغول . واستولى عليها الصليبيون ما يزيد على القرنين (490 ـ 691 هـ / 1096 ـ 1272 م) ، وكان من الأمور الطبيعية والمتوقعة بعد أن نقل العباسيون قاعدة الخلافة من دمشق إلى بغداد أن يتضاءل شأن دمشق بقدر ما

صارت بغداد تزدهر ويتعاظم شأنها يوماً بعد يوم . ولم يبق في بلاد الشام من الأطباء إلا العاجزون ومن هم من المستويات المهملة ، وبعض الأروام . أما البارزون من الأطباء كأولاد أبي الحكم الدمشقي ، وأطباء خريجي مدرسة جنديسابور ، فنزحوا إلى بغداد العاصمة الجديدة ليخدموا فيها السادة الجدد من الأمراء والخلفاء العباسيين . وليس لدينا معلومات وافية عن الطب والأطباء في ديار الشام فيما بين سقوط الخلافة الأموية (132 هـ / 750 م) وأوائل القرن الرابع الهجري ، وهو التأريخ الذي برقت فيه أول الحركات الطبية في الموصل أثناء حكم الحمدانيين[1] (317 ـ 394 هـ / 929 ـ 1003 م) وقد عرف عن سيف الدولة الحمداني المتوفي سنة 356 هـ / 967 م شَغَفَه بالعلم ورعايته للعلماء والشعراء والأطباء ، حتى لم يكن على مائدته أقل من عشرين طبيباً[2] . وكان من هؤلاء أستاذ الجيل أحمد بن أبي الأشعث ، وجابر ابن منصور السكري وعيسى الرقي وغيرهم كثيرون . وكان الفاطميون في أثناء ذلك يحتلون دمشق وديارها (297 ـ 567 هـ / 970 ـ 1171 م) ويجتذبون علماءها إلى مقر خلافتهم بمصر أكثر مما يشجعونهم على البقاء والعمل في مواطنهم . ثم حكم السلاجقة ديار الشام والجزيرة (479 ـ 639 هـ / 1086 ـ 1241 م) وهم أقوام تركية اشتهرت بحبها لنشر العلم وتعضيد العلماء والإحسان على الفقراء والعطف على المرضاء ، فطردوا الحمدانيين من الموصل وحلب ، والمروانيين[3]

---

(1) الحمدانيون ـ دولة قامت في ظل الخلافة العباسية في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . تنسب إلى حمدان بن حمدون التغلبي الذي بسط نفوذه على الموصل وخرج على الخليفة المعتضد المتوفي سنة 289 هـ / 902 م وانقسمت هذه الدولة بعد وفاة حمدان إلى فرعين حكم أحدهما في الموصل والآخر بحلب . وترأس الفرع الأخير سيف الدولة علي بن أبي الهيجاء الحمداني . وقد عرف هذا الأمير بكرهه للبيزنطيين ، وميله للعلماء والشعراء والأطباء . وعلاقته بأبي الطيب المتنبي مشهورة . وبعد وفاته سنة 381 هـ / 991 م استولى الفاطميون على حلب وبذلك انقرضت الدولة الحمدانية فيها .

(2) ابن أبي أصيبعة ص 610 .

(3) المروانيون ـ أمراء من الأكراد . حكموا ديار بكر فيما بين سنة 380 و489 هـ / 990 ـ 1096 م . ومؤسس هذه الدولة هو أبو عبدالله الحسين بن دوستك الذي قتل في محاولة لضرب =

من ديار بكر ، والفاطميين من دمشق وصاروا سادة البلاد بدلاً عنهم . وكـان كبـير الحكام السلجـوقيـين في بـلاد الشـام نـور الـدين زنكي[4] المتـوفي سنـة 569 هـ / 1174 م وهو مؤسس البيمارستان الكبير النـوري (نسبة إلى إسمـه الأول) بدمشق ، والبيمارستان النوري بحلب ، وبيمارستان الموصل . وقد لعب بيمارستان دمشق المذكور دوراً كبيراً ومهماً في ازدهار الطب بتلك الديار ، وتخرج فيـه العديـد من الأطباء الـذين لمعت أسماؤهم في كثيرمن الأقطار الإسـلامية الشرقية والغربية .

وقد شجع اهتمام نور الدين زنكي بالطب أن يستوطن دمشق كثير ممن له علم في هذه الصناعة ، ومن يريد تعلّمها ، فجاءها من بغـداد إبن النقاش ، ومن مصر أبو زكريا البياسي[5] ، ومن المغـرب أبو الحكم البـاهلي المتـوفي سنة 549 هـ / 1154 م ، ومن الأنـــدلس ابن البـذوخ المتــوفي سنـة 576 هـ / 1180 م والكحال عبد المنعم الجلياني . وازدادت هجرة الأطباء إلى دمشق أثناء حكم الأيـوبيـين (589 ـ 658 هـ / 1193 ـ1206 م) فـانضم إلى ملوكهم

= الحمدانيين في الموصل ، فخلفه ابن أخته الأمير مروان الذي سميت باسمه الدولة المـروانية أو الدوستكية من مشاهير هذه الأسرة نصر الدين أحمد الذي حكم 51 سنة ، وكان في بلاطه عـدد من الأطبـاء منهم ابن دينار وزاهـد العلماء . وانقـرضت الدولـة المروانيـة بقوات البـويهين سنة 489 هـ / 1096 م .

(4) نـور الدين زنكي ـ من مشـاهير قـادة الإسلام وحمـاة أراضيه المقـدسة ومـوقد نـار الحـرب مـع الصليبيين . هـو ابن عماد الـدين زنكي مؤسس الأسـرة الأتـابكيـة التي حكمت ديـار المـوصـل وسوريا الشمالية والجزيرة زهاء القرن . توفي نور الدين زنكي بدمشق سنـة 569 هـ / 1174 م وانقـرضت دولة الـزنكيين بقوات صـلاح الدين الأيـوبي . ومآثـر نـور الـدين من المستشفيـات والجوامع كثيرة في دمشق والموصل وحلب وغير هذه المدن .

(5) أبو زكريا يحيى البياسي ـ أمين الـدين بن إسماعيـل الأندلسي البيـاسي . جاء من المغـرب إلى القاهرة واستوطنها مدة ، ثم اتجه إلى دمشق وقـرأ فيها كتب جـالينوس الستـة عشر على مهـذب الدين بن النقاش . كما درس عليه المـوسيقى ، فاتقن الصنـاعتين . وكان يعـرف النجارة فعـل لأستـاذه آلات هنـدسيـة من الخشب . ثم التحق بخـدمـة صـلاح الـدين الأيـوبي (589 هـ / 1193) خلفاً لابن النقاش . واستقر بدمشق إلى آخر حياته (ابن أبي أصيبعة ص 637) .

عدد كبير من أعاظم الأطباء أمثال شمس الدين الخوئي[6] ، وشمس الدين الخسروشاهي[7] ، والشريف الكحال[8] ، وأبو النجم النصراني وأبو الفرج النصراني ، وشمس الدين اللبودي ، ورضي الدين الرحبي ، وعمران الإسرائيلي[9] ، ويعقوب بن سقلاب ، وزين الدين الحافظي[10] وموفق الدين بن عبد العزيز[11] ، والحشائشي بن البيطار الملقي وغير هؤلاء كثيرون . وكانت تدور إذ ذاك حرب صليبية حول القدس منذ ما يقارب

(6) شمس الدين الخوئي ـ قاضي القضاة أبو العباس أحمد بن الخيل بن سعادة الخويي ، عالم بالحكمة والطب . دخل الشام في أيام الملك العادل الأيوبي (576 ـ 626 هـ / 1180 ـ 1228 م) وحصل منه على مكانة مرموقة . توفي بدمشق سنة 638 هـ / 1229) .

(7) شمس الدين الخسروشاهي ـ أصله من تبريز بأذربيجان . درس على فخر الدين بن خطيب الري . وكان أديباً وطبيباً قديراً . قدم إلى الشام وانضم إلى حاشية الملك صلاح الدين داود الأيوبي ، وأقام عنده في الكرك ثم انتقل إلى دمشق وتوفي بها سنة 652 هـ / 1254 م (ابن أبي أصيبعة ص 646 ـ 646) .

(8) الشريف الكحال ـ برهان الدين أبو الفضل سليمان . أصله من مصر وانتقل إلى الشام . وكان يهوى الأدب نثراً وشعراً . ويجيد صناعة الكحل ، وصار طبيب صلاح الدين الأيوبي بدمشق وفيها توفي في حوالي سنة 590 هـ / 1193 م (ابن أبي أصيبعة ص 660) .

(8) ترجمته في ص

(9) عمران الإسرائيلي ـ هو أوحد الدين بن صدقة ، من تلاميذ رضي الدين الرحبي ، خدم الملك أبا بكر بن أيوب ، وعمل في البيمارستان النوري بدمشق ثم بحمص وفيها توفي سنة 637 هـ / 1229 م (ابن أبي أصيبعة 696 ـ 697) .

(10) زين الدين الحافظي ـ هو الأمير سليمان بن المؤيد علي بن خطيب عقرباء القريبة من دمشق . اشتغل على مهذب الدين بن علي الدخوار . وخدم الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه بن أبي بكر بن أيوب صاحب قلعة جعبر ، وأقام عنده في هذه المدينة ، ثم خدم من بعده الملك الناصر يوسف وصاحبه إلى دمشق ، فلما تقدم التتر إلى دمشق إنحاز إليهم خوفاً من بطشهم ، والتحق بجيوشهم لما انسحبوا من دمشق هرباً من قوات بيبرس ملك مصر (ابن أبي أصيبعة 668 ـ 669) .

(11) موفق الدين بن عبد العزيز بن أبي محمد السلمي ـ عرف لأول مرة فقيهاً في المدرسة الأمينية بدمشق ، ثم درس الطب على الياس بن المطران ومارسه بالبيمارستان الكبير النوري . وكان له مجلس يعلم فيه الصناعة ، كما خدم الملك أبا بكر بن أيوب إلى آخر حياته . وكانت وفاته سنة 604 هـ / 1207 م (ابن أبي أصيبعة 671) .

الأربعين سنة ، فشارك صلاح الدين الأيوبي في محاربة الصليبيين وأبعدهم عن القدس ، وأسس البيمارستان في غزة وحلب . وبقي الأيوبيون يحكمون الشام حتى دخلها المغول سنة 603 هـ / 1206 م إلا أن هؤلاء لم يلبثوا فيها إلا فترة قصيرة إذ طردهم منها مماليك مصر كما طردوا أيضاً الصليبيين إلى غير رجعة .

ويعتبر الطب العربي في ديار الشام والجزيرة ما بين القرن الرابع والسابع الهجري ، من حيث مراحل التطور في مسيرته الطويلة ، قد دخل مرحلة التقاط الأنفاس ، أو قطف ثمار ما عمله الأطباء العباسيون في التجربة الطبية والتأليف بالطب . وتبرز هذه الحقيقة بصفة خاصة بعد سقوط بغداد بيد المغول سنة 656 هـ / 1258 م . وكانت قد نقلت أعمال الأطباء العباسيين إلى مدن الشام تباعاً بعد صدورها . فصار بأيدي الشاميين أكثر مؤلفات حنين والرازي والمجوسي وابن سينا لتكون الكتب المعتمدة التي يقرأها الممارسون وطلبة العلم . وبقوا يرجعون إليها ويستشهدون بمعارفها دون أن يجسروا على تطوير متونها ومضامينها إلا بحدود تغيرات طفيفة شكلية أكثر مما هي موضوعية ، أو بوضع مختصرات لشروحها الطويلة . فظهر كتاب اختصار كتاب المسائل لحنين بقلم رضي الدين الرحبي ، وكتاب اختصار كتاب الحاوي للرازي بقلم مهذب الدين الدخوار . وكتاب اختصار الحاوي لكمال الدين الحمصي . وكتاب حواشي على كتاب القانون لابن سينا من صنع بن التلميذ البغدادي وغير هذه كتب أخرى كثيرة بنفس المستوى .

ودون شك ، كانت كتب بغداد الطبية هي التي أثارت روح البحث والتدارس في صناعة الطب بين أطباء دمشق . فتطورت مجالس البيمارستانات والمجالس الخاصة إلى ما يشبه المعاهد التعليمية ، ونشأت بدمشق مدرسة الرحبي ، ومدرسة ابن النقاش ، ومدرسة الدخوار وغيرها . وساعد على إنجاح تعليم الطب كموضوع تطبيقي في المدارس المذكورة كثرة البيمارستانات في المدن الشامية ، وكان عددها يزيد على العشرين .

لقد كانت ديار الشام والجزيرة ، بموقعها الجغرافي على مدى تأريخها

الطويل ، هدفاً لمن له قوة على الكسب والإعتداء . وتبعاً لذلك كان العلماء والأطباء في الحقبة التي نتكلم عنها ينتقلون فيما بين الحواضر والأقطار متتبعين تنقلات الحكام أو هاربين منهم . كما كانت البلاد محطة للمسافرين فيما بين شرق الأقطار الإسلامية وغربها . وزادت حركات السفر من العراق إلى دمشق حين ذاعت أخبار جيوش جنكيزخان ثم حفيده هولاكو الزاحفة نحو بغداد لتحطيم الخلافة الإسلامية فيها . فهرب كثير من الأطباء الاعلام إلى دمشق . ولما سقطت بغداد (656 هـ / 1258 م) في قبضة هولاكو هرب كثير من علماء وأطباء الشام إلى مصر ليبتعدوا بدورهم عن المغول المتعطشين إلى مزيد من سفك الدماء . وقد خلق عدم استقرار الأطباء في قطر واحد للأسباب التي ذكرناها صعوبة في تثبيت مواطنهم واحتساب أعمالهم في الطب على قطر معين كما افترضنا في تبويب هذا الكتاب . وليس ذلك بمهم طالما يبقى الكلام في إطار الحضارة العربية بتلك الحقبة .

ابن النقاش[1]

أبو الحسن مهذب الدين علي بن[2] عيسى بن هبة الله النقاش. مولده ونشؤوه ببغداد ، وكان أبوه عيسى بن هبة الله بزازا يهوى الأدب وينظم الشعر . فانتقلت هذه الهواية إلى ابنه مهذب الدين ، كما أحب ابنه اللغة الفارسية وتعلم الكلام بها ، ثم التحق بمجلس هبة الله بن صاعد بن التلميذ المتوفي سنة 564 هـ / 1166 م وتعلم الطب عليه ، ومارسه في بغداد ، ثم انتقل إلى دمشق في خدمة أميرها نور الدين زنكي وصار طبيبه وكاتب ديوانه ، كما صار يعمل في البيمارستان الكبير النوري . ثم ارتحل إلى القاهرة وبقي فيها حتى امتلك صلاح الدين الأيوبي دمشق فعاد إلى هذه المدينة والتحق بخدمته ورجع يعمل في البيمارستان النوري ، ويعلّم صناعة الطب فيه . وكان كثير الإحسان ومحباً لعمل الخير ، والتدريس في الطب ، حتى أنه لم يعاشر امرأة ولا أعقب ولداً ، وتوفي بدمشق سنة 574 هـ / 1187 م . من تلاميذه أبو زكريا يحي البياسي[3] ، وموفق الدين بن المطران ، وجمال الدين بن أبي الحوافر .

---

(1) اقرأ عن ابن النقاش ابن أبي أصيبعة ص 635 ـ 637 والاعلام الزركلي 5/134 .

(2) مهذب الدين بن الحاجب ـ طبيب صاحب شهرة بدمشق في القرن السادس الهجري . دمشقي المولد والنشأة . سافر وراء العلم إلى الموصل ، وطوس ، وأربيل ، ثم رجع إلى دمشق ودرس الطب على مهذب الدين بن النقاش ، وخدم بحماة ثم سافر إلى القاهرة بخدمة صلاح الدين الأيوبي ، ومنها عاد إلى حماة بخدمة المنصور الأيوبي (617 هـ / 1220 م) وفيها توفي بالإستسقاء .

(3) أبو زكريا البياسي ـ اقرأ عنه في ص 92 .

ابن المطران[1]

موفق الدين أسعد بن أبي الفتح الياس بن جرجيس المطران . ولد بدمشق ، وتعلم الطب على أبيه وعلى مهذب الدين بن النقاش الذي جاء من بغداد إلى دمشق ليعمل في البيمارستان النوري الكبير . كما درس النحو والأدب وخالط العلماء والشعراء ، وسافر إلى بلاد الروم ليستزيد من علوم النصارى ومذاهبهم ، وكان كريم الخلق لطيف العشرة ، متأنقًا في كلامه وخصوصاً مع السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي كان مخدومه الأول . فلا يفارقه في حله وترحاله وفي حروبه أيضاً . وكانت خيمته في أثناء ذلك حمراء اللون كخيمة صلاح الدين[2] ، تميزاً لها من خيمة الجنود والقواد ، وقد أسلم فزوجه صلاح الدين واحدة من أفضل جواريه اسمها جوزة[3] .

---

(1) اقرأ عن ابن المطران في العيون لابن أبي أصيبعة ص 651 ـ 659 ، ومرآة الزمان 8/411 ، ومعجم الأطباء لأحمد عيسى ص 135 ـ 136 وأعيان الشيعة للعاملي 11/188 ـ 194 ، والكشف لحاجي خليفة 243 ، 1388 ، والمخطوطات العربية لشيخو ص 17 ومعجم المؤلفين لكحالة 2/545 ومجلة المجمع العربي 3/2 ـ 8 ، والاعلام للزركلي 1/293 و
Leclerc, 2/43 - 45
Ullmann - Med. Islam, P. 165 - 166

واقرأ أيضاً المقال الممتع التالي :
Max Meyerhof - Sultan Saladin's Physician on the Transmission of Greek Medecine to the Arabs - Bullet. Hist. Medic, 18/496. P. 169 - 178.

(2) ابن أبي أصيبعة ص 652 .

(3) المصدر السابق ص 653 .

وعرف ابن المطران بولعه بجمع المخطوطات فصار عنده منها ما يريد على العشرة آلاف كتاب[4] . وكان يكثر من القراءة فيها ، واستنساخ النادر منها ، ويعمل معه ثلاثة نساخ يساعدونه على النقل والكتابة[5] .

توفي ابن المطران بدمشق سنة 587 هـ / 1191 م وله في الطب[6] :

(1) **بستان الأطباء وروضة الألباء** - توفي المؤلف قبل أن يتم كتابة الجزء الثاني منه .

(2) **المقالة الناصرية في حفظ الأمور الصحية** - رفعها إلى الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي .

(3) **المقالة النجمية في التدابير الصحية** - رفعها للملك نجم الدين أبي صلاح الدين الأيوبي .

(4) **كتاب على مذهب دعوة الأطباء لابن بطلان** .

(5) **كتاب الأدوية المفردة** - لم يتمه المؤلف .

(6) **كتاب آداب طب الملوك** .

---

(4) المصدر السابق ص 655 .

(5) المصدر السابق .

(6) قائمة كتب ابن المطران في العيون ص 658 .

أسرة الرحبي

1 ـ رضي الدين الرحبي[1]

هو أبو الحجاج يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي . من أكابر الأطباء ومشاهيرهم بدمشق فيما بين القرن السادس والسابع الهجري . كان عظيم الخلق كثير المرؤة وحلو المجالسة وغزير العلم . ولد بالرحبة[2] حيث كان أبوه يعمل بطب العيون ، فتعلم عليه مبادىء هذه الصنعة ثم سافر إلى مصر ، واتصل بابن جميع المصري هناك ، وأفاد من علمه . ثم رجع إلى دمشق سنة 555 هـ / 1160 م وكان يحكمها يومئذ نور الدين زنكي ، واتخذ له فيها دكاناً يمارس فيه الطب وينسخ الكتب ، وتهيأت له الفرصة فاتصل بصلاح الدين الأيوبي ، والتحق بحاشيته ، كما عمل في البيمارستان النوري الكبير . وبقي فيه إلى أن توفي سنة 631 هـ / 1233 م وهو بعمر المائة سنة تقريباً . من تلاميذه عمران الإسرائيلي ، وابن أبي أصيبعة . وله من المؤلفات الطبية كتابان :

(1) تهذيب شرح ابن الطيب لكتاب الفصول لأبقراط .

(2) اختصار كتاب المسائل لحنين بن اسحاق العبادي (لم يكمله) .

(3) مقالة في الإستفراغ .

---

(1) اقرأ عن رضي الدين الرحبي في العيون لابن أبي أصيبعة ص 672 ـ 675 ، النعيمي ـ الدارس 228/2 ، 730 .

(2) الرحبة ـ مدينة في سوريا ـ تعرف أيضاً بالميادين ، تقع على الفرات أسفل دير الزور . حكمها بنو حمدان ، وبنو بويه ، وبنو عقيل ثم الفاطميون ومن بعدهم الأيوبيون وأخيراً مماليك مصر .

(4) مختصر الحاوي للرازي .

2 ـ شرف الدين الرحبي[3]

هو ابن رضي الدين يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي . ولد ونشأ بدمشق ، ودرس الطب على أبيه ، ومشى على طريقته في الممارسة . كما درس على عبد اللطيف البغدادي (629 هـ / 1231 م) ، واتقن الأدب العربي ونظم الشعر . وكان كريم الخلق مترفعاً عن السيئات والطمع في جمع المال ، والتذلل للأمراء . وكانت وفاته سنة 667 هـ / 1269 م وله كتابان في الطب :

(1) كتاب خلق الإنسان وهيئة أعضائه ومنافعها .

(2) حواشي على كتاب القانون لابن سينا .

(3) حواشي على شرح ابن أبي صادق النيسابوري لكتاب مسائل حنين .

3 ـ جمال الدين الرحبي[4]

هو عثمان بن رضي الدين يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي . ولد ونشأ بدمشق ، وتعلم على أبيه الصنعة ومارسها في البيمارستان النوري الكبير ، وهرب إلى مصر بعد أن دخل المغول إلى دمشق سنة 696 هـ / 1296 م .

---

(3) اقرأ عن شرف الدين الرحبي في العيون ص 675 ـ 677 ، والصفدي ـ الوافي 12/31 ، وجاحي خليفة ص 723 وهدية العارفين للبغدادي 1/711 وإيضاح المكنون للبغدادي 1/439 .

(4) اقرأ عن جمال الدين الرحبي في العيون ص 682 .

عبد اللطيف البغدادي[1]

هو موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد ، المعروف بابن اللباد (وفي مخطوطة واحدة ، ابن اللبّان وقد يكون تصحيفاً) . من مشاهير مفكري الإسلام ، وموسوعي كبير في العلوم العقائدية والطبيعية ، وثائر في آرائه وعلى حياته وباتصالاته مع الناس . أصل أسرته من الموصل ، وولد ونشأ في بغداد في بيت علم ودين . وكان أبوه وعمه من علماء الأدب والفقه والمنطق ، فدرس عليهما هذه العلوم كما درس الطب على أمين الدولة ابن التلميذ البغدادي[2] المتوفى سنة 560 هـ / 1164 م . وحين بلغ العشرين من

---

(1) اقرأ عن عبد اللطيف البغدادي - في فوات الوفيات للكتبي 2/7 والشذرات لابن العماد 132/5 ، وسير النبلاء للذهبي 13/199 - 200 وطبقات الشافعية للأسنوي 2/47 ، 1/48 ، وطبقات الشافعية للسبكي 932/5 وأنباء الرواة للقفطي 2/193 - 196 والعيون لابن أبي أصيبعة 683 - 696 ومرآة الجنان لليافعي 4/68 وحسن المحاضرة للسيوطي 1/312 ، وعقود الجوهر لجميل العظم ص 142 - 148 ، والتعريف بالمؤرخين للعزاوي ص 15 - 23 ، وكنوز الأجداد لكردعلي 325 - 331 ، وهدية العارفين للبغدادي 1/614 - 616 ، والاعلام للزركلي 183/4 ، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 16/5 ، وموفق الدين البغدادي في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده 1963 ص 17 (ب) ص 33 - 45 ، والمعجم الفلسفي ليوسف كرم وصحبه ص 122 ، وتاريخ الطب عند العرب - المجلة المصرية لتاريخ العلوم عدد 3 - ص 5 ، وأيام صلاح الدين لعبد العزيز سيد الأهل ، الكتاب العاشر ص 130 ومعجم المطبوعات لأليان سركيس ص 1292 . اقرأ أيضاً (كتاب عبد اللطيف البغدادي) لبول غليونجي وسعيد عبده / في سلسلة التراث العربي - الكويت 1972) و
Brockelmann, I/880 - 881, Leclerc, 2/182 - 187.

(2) ابن أبي أصيبعة ص 685 .

عمره كانت الدنيا تغلي بالأحداث وتضطرب بالتغيرات الدولية . فقد انكمش سلطان الفاطميين عن البلاد ، ولم يبق لهم إلا مركز الخلافة في مصر . وسيطر السلاجقة على ديار سوريا ، وصاروا يسيّرون الخليفة العباسي كما يشتهون ، ويعاملون حجاج بيت المقدس الأوروبيين بقسوة ، فأثاروا عليهم ملوك أوروبا ليعلنوا حرباً صليبية لإمتلاك الديار المقدسة ، واحتلوا موانيء سوريا ودخلوا بيت المقدس . كما توفي سنة 570 هـ / 1174 م نور الدين زنكي ، البطل الند للقوات الصليبية . ومن بين هذه الأحداث برز على ساحة الحرب الصليبية صلاح الدين الأيوبي ، فدخل القدس بعد موقعة حطين سنة 584 هـ / 1187 م ، وأصبحت سوريا وفلسطين وشمال العراق ومصر تحت حكم هذا القائد المقدام .

أراد عبد اللطيف البغدادي في هذه الأثناء ، وهو المغامر المحب للتنقل والإستكشاف ، أن يطوف في البلاد ، فهجر بغداد إلى الموصل وهو بعمر الثامنة والعشرين ، وبعد سنة واحدة ترك الموصل متوجهاً إلى دمشق ، ثم دخل عكا ، وكانت يومئذ تحت حكم صلاح الدين الأيوبي ، إلا أنه لم يلبث فيها طويلاً حتى شد رحاله إلى مصر حيث صارت له فيها علاقات فكرية مع علماء تلك البلاد وخصوصاً مع موسى بن ميمون القرطبي وابن سناء الملك[3] . ثم سافر إلى القدس ومنها توجه إلى دمشق . ثم رجع إلى مصر وعاد مرة أخرى إلى القدس ومن هذه المدينة سافر إلى حلب وفي سنة 625 هـ / 1227 م دخل بلاد الروم . وأراد أن يقابل الخليفة المستنصر بالله فتوجه إلى بغداد ودخلها بعد غيبة عنها دامت ما يزيد على الاثنين وأربعين سنة ، وتوفي فيها سنة 629 هـ / 1231 م .

لا يعرف على وجه اليقين سبب عدم استقرار عبد اللطيف البغدادي في

---

(3) ابن سناء الملك ـ أبو القاسم القاضي السعيد هبة بن جعفر بن المعتمد سناء الملك . أديب وشاعر مصري . عاصر القاضي الفاضل ، وله ديوان لموشحات سماه دار الطراز ودواوين أخرى ومختصر لكتاب الحيوان سماه روح الحيوان . توفي بالقاهرة سنة 608 هـ / 1212 م .

البلدان التي دخلها . وكونه كان عالماً متبصراً ، وموسوعي المعلومات فقد صار له مريدون كثيرون في كل مكان حلّ فيه ، وهذا ينفي احتمال فشله في معاشرة الناس أو عدم توفير مستلزمات معاشة ليكون بسبب ذلك دائم الترحال وراء المكان الذي يجد فيه راحته . والإحتمال الكبير أن حياته غير المستقرة في موطن واحد كانت بسبب الأحداث السياسية والعسكرية التي كانت تدور في البلاد . وقد استفاد عبد اللطيف البغدادي من هذه التنقلات ، وهو القوي الملاحظة الحسابي التفكير ، فتعرف على أنواع الخلق من الناس واختبر طبائعهم ، وتولدت فيه حب المحاججة والنقد ، والتعالي أيضاً ، فلم يخلص من لسانه حتى شيخ الأطباء ابن سينا[4] ، وربما لهذا السبب نقده ابن القفطي بخشونة ، ووصف كتبه بأنها غاية في البرودة والركاكة[5] ، وقال عنه أيضاً : أنه اجتمع به ورآه (كالأعمى الذي يتحسس ويدعي حدة البصر)[6] ، ونقول أن الحكم المذكور يستحث الرد ، قال ابن العماد الأصبهاني : (أن البغدادي أحد الأذكياء البارعين في الفقه والأدب والطب وعلم الأوائل ، وأن القفطي يبخس حقه)[7] .

وبالإختصار كان البغدادي من أبرز علماء القرنين السادس والسابع الهجريين ، وأنه كان ثائراً على النمطيات السائدة في ذلك الزمان . وأكثر مؤلفاته ذات مادة دسمة ، وعباراتها رصينة وسليمة اللغة ، وتخلو من التزويق الذي كان آنذاك ميداناً للمفاخرة في الكتابة . وصراحته في كتاباته فيها أحد وجوه ثورته على الجمود في الأعراف والتقاليد . كما هي أيضاً قد دفعت بعض الكتاب إلى قدحه والقسوة عليه . على أنه لا ريب كانت في حكمه نبرة التفاخر بالمعرفة والأخذ بموقف العارف الفذ بحقائق الأمور ، وهذا ما يكرهه العلماء .

---

(4) ابن أبي أصيبعة ص 685 .
(5) غليونجي وعبده ـ كتاب عبد اللطيف البغدادي ص 6 .
(6) المصدر السابق .
(7) ابن العما ـ شذرات الذهب 5/12 .

وكـان عبد اللطيف البغـدادي كثير العمـل في نهاره وليله ، فيقرأ كثيـراً ويدرس كثيراً ، ويتعبد إلى الله كثيراً ، وهو على عكس ابن رضـوان لا يوصي بالإعتماد على الكتب في التعليم بقدر ما يوصي بالإلتحاق بصفوف المعلمين ذوي التجربة . قال ناصحاً : (أوصيك أن لا تـأخذ العلوم من الكتب وإن وثقت من نفسك بقوة الفهم . وعليك بالأستاذ في كل علم تطلب اكتسابه ولو كـان الأستـاذ ناقصـاً فخذ عنـه ما عنـده حتى تجد أكمـل منه . وعليـك بتعـظيمـه وتوجيهه ، وإن قدرت أن تفيده من دنياك فافعل وإلا فبلسانك وثنائك . وإذا قرأت كتاباً فأحرص على أن تستظهره وتملك معناه ، وتـوهـم أن الكتاب قـد عدم وأنك مستغن عنه . .)[8] .

وفي هذه النصيحة إرشادات خلقية كان الأطباء العرب عموماً يهتمون بها أي إهتمام ، وخصوصاً في إحترام الأساتذة وتقديم العون لهم والثنـاء عليهم ، والبغدادي على أي حال تحكمه إسلاميته وتربيته الدينية إذ قـال : (ينبغي أن تحاسب نفسك في كل ليلة إذا أويت إلى منامك . وتنظر ما اكتسبت في يومك من حسنة فتشكر الله عليها . وما اكتسبت من سيئـة فتستغفر الله منهـا وتقلع عنها ، وترتب في نفسك ما تعمله في غدك من الحسنات وتسأل الله الإعانة على ذلك)[9] .

كما ينصح عبد اللطيف البغدادي بقراءة كتب التاريخ ويقول :

(ينبغي لـلإنسان أن يقـرأ التواريـخ ، وأن يـطلع عـلى السـير وتجـارب الأمم ، فيصير بذلك كأنه في عمره القصير قد أدرك الأمم الخالية ، وعاصرهـم وعاشرهم وعرف خيرهم وشرهم)[10] .

وله أيضاً حكم تستحق التسجيل منها[10] :

* من لم يعرق (بفتح الراء) جبينه على أبواب العلماء لم يعرف الفضيلة .

---

(8) غليونجي وعبده 60 .

(9) المصدر السابق .

(10) المصدر السابق .

* من لم يحتمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم .

* إياك والضحك مع كلامك وتبثير الكلام . واجعل كلامك كله جداً .

* تجنب الوقيعة في الناس وكثرة الغضب .

مؤلفات عبد اللطيف البغدادي[11]

عبد اللطيف البغدادي موسوعي المعارف . اشتغل في اللغة والفقه والطب وفي العلوم الحياتية ، والحساب ، والمعادن ، والسحر ، والتاريخ ، والمنطق ، وألف فيها جميعاً ، وكانت له من الكتب ما يزيد على المائة وسبعين كتاباً . أما كتبه في العلوم الطبية فهي :

(1) اختصار منافع الأعضاء لجالينوس .

(2) اختصار كتاب الحميات لإسحاق الإسرائيلي .

(3) اختصار كتاب المنى لجالينوس .

(4) كتاب النخبة وهو خلاصة الأمراض الحادة .

(5) كتاب آلات التنفس لجالينوس .

(6) اختصار كتاب الحيوان للجاحظ .

(7) مقالة في قسمة الحميات وما يتقوّم كل واحد منها وكيفية تولّدها .

(8) اختصار كتاب البول لإسحاق الإسرائيلي .

(9) كـ . الكفاية في التشريح .

(10) كتاب الإفادة والإعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر .

(11) اختصار كتاب النبض لإسحاق الإسرائيلي .

(12) كـ . في المزاج .

---

(11) قائمة مؤلفات البغدادي في ابن أبي أصيبعة 693 ـ 696 .

(13) مقالة في الماء .

(14) ك. مختصر في الحميات .

(15) مقالة في العطش .

(16) ك. في الأدوية المفردة .

(17) مقالة موجزة في النفس .

(18) اختصار الأدوية المفردة لابن سمجون .

(19) مقالة في حقيقة الدواء والغذاء .

(20) اختصار الأدوية المفردة لابن وافد .

(21) مقالة في البادي بصناعة الطب .

(22) مقالة في البول ، وقيل أنها لإسحاق بن سليمان الإسرائيلي .

(23) مقالة في شفاء الضد بالضد .

(24) مقالة في الشراب والكروم .

(25) مقالة في الراوند .

(26) مقالة في الحنطة .

(27) كتاب الرد على ابن الخطيب في شرحه بعض كليات القانون لابن سينا .

(28) كتاب تعقيب حواشي ابن جميع على القانون .

(29) مقالة في السرسام .

(30) مقالة يرد بها على ابن رضوان المصري في اختلاف جالينوس وأرسطو طاليس .

(31) مقالة في الحواس .

(32) انتزاعات من كتاب ديوسقريدس في صفات الحشائش .

(33) كتاب الترياق .

(34) ك. النصيحتين للأطباء والحكماء .

(35) حل شيء من شكوك الرازي على كتب جالينوس .

(36) م . في العلة المراقية .

(37) مقالة في ميزان الأدوية المركبة من جهة الكميات .

(38) مقالة في موازنة الأدوية والأدواء من جهة الكيفيات .

(39) مقالة في التنفس والصوت والكلام .

(40) مقالة في اختصار كلام جالينوس في سياسة الصحة .

(41) اختصار كتاب الحيوان لابن الأشعث .

(42) م . في حد الطب .

(43) رسالة في المرض المسمى ديابيطس . (حسين جلبي) .

ولم يصلنا من هذه الكتب إلا القليل منها .

(4) شرح كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط (كوبريلي) .

(5) شرح كتاب الفصول لأبقراط (كوبريلي) .

كتاب الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعانية بأرض مصر[12]

هذا الكتاب بمقالتين ، وأضخم ما وصلنا من مؤلفات عبد اللطيف البغدادي . وفيه وصف لجغرافية مصر ، ومجرى النيل فيها وفيضاناته الموسمية ، وما يفعل فيها من الخصب والخيرات . ولمح المؤلف في هذا الباب إلى العلاقة بين المناخ ومزاج الإنسان ، وسبب زيادة الأمراض البلغمية والصفراوية بين سكان مصر . وذكر من نباتاتها الملوخية والبامية ، وأنواع الحمضيات كالليمون الحلو ، والرمان وغيرها . . . كما ذكر أصناف الأسماك والحيوانات البرية . ووصف مدينة ممفيس وعين شمس والإسكندرية . ولم يذكر المؤلف بهذا الكتاب

(12) كتاب الإفادة والإعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث والمعاينة بأرض مصر . وقد طبع الكتاب بلندن سنة 1965 مصوراً عن مخطوطة مع ترجمة إنكليزية .

حرق مكتبة الإسكندرية بإذن من عمر بن الخطاب (كذا)[13] . وفي الكتاب أيضاً ذكر لبعض الحوادث الغريبة ، قال : (إن والدين شويا صغارهما لأكلهم وحوكما لذلك ، وتكرر الحادث حتى صار ذكره لا يستوجب العجب ، وصارت الحكومة تطارد الذين يتصيدون الأطفال والنساء المترهلات لهذه الغاية) . كما ذكر أن طبيباً استدعي إلى عيادة مريض ولولا أنه فطن إلى هذه الحيلة لإستدراجه إلى سكين القصاب ، لصار لحمه في دكاكين القصابين .

كما ذكر البغدادي في كتاب الإفادة ملاحظاته على الهياكل العظيمة في إحدى التلول القريبة من القاهرة ، حيث درس فيها عدداً كبيراً من العظام البشرية ، وانتقد اعتماداً على ذلك ما كتبه جالينوس عن الفك الأسفل .

وهي رسالة قيمة تبرز فيها شخصية البغدادي الطبية ، ونظرته للأمور التي تمس الصنعة . فهاجم الأطباء (لخلاص الأبدان من السقم) والفلاسفة (لخلاص النفوس من آلام الجهل إلى سلامة المعرفة) ويهدف في نقده إلى المدعين بالمعرفة من أولئك الرجال ، ويستشهد عليهم بآراء أبقراط وجالينوس . كما انتقد المرضى والحكام على السواء لأنهم لا يلتفتون إلى الأطباء ذوي النقائص في معرفة الصنعة ، وقال أن السلطات في الإسكندرية كانت تزاول مراقبة الطب وتمتحن الأطباء وتفرض عليهم قسم أبقراط ، وأن مثل هذا كان جارياً بالقاهرة ودمشق وبغداد ، إلا أن الفوضى عمت حلب . ثم انهال بالسبّ على أحد أطبائها وكان يهودياً من المغرب ، وصديقاً لكل من ابن ميمون والقفطي . ويحتمل أن يكون القفطي قد هاجم البغدادي (كما ذكرنا سابقاً) لهذا السبب .

رسالة في المرض المسمى ديابيطس

وهي رسالة صغيرة في الداء السكري يقدم لها البغدادي بما قاله الأقدمون

(13) أول من قال أن مكتبة الإسكندرية قد أحرقت من قبل عمرو بن العاص هو عبد اللطيف البغدادي ، وأخذ عنه ابن العبري في كتابه مختصر الدول بالنسخة السريانية ، وانتشر هذا الخبر الكاذب بأقلام بعض المستشرقين . إلا أن المنصفين من الكتاب والمتعمقين في دراسة تاريخ مكتبة لإسكندرية قد دحضوا الخبر من أساسه .

عن مرض الديابيطس وأسبابه وظواهره . إلا أنه لا يحسن التفريق بين هذا المرض والأمراض التي تسبب استرسال البول الذي يعتبره أبرز أعراض الديابيطس . وهو يعزى هذا المرض إلى فالج أو استرخاء في عضلة المثانة مثلما يحدث في زلق الإمعاء ، أو إتساع في مجاري الكلى ، أو لمزاج ناري فيها ، فيجتذب الرطوبات إليها ، وخصوصاً من الكبد ، فيسبب ذلك ضعفاً في قوتها الماسكة للبول[14] . وليس في هذه الرسالة ابتكار وفكرة جديدة كما هو واضح ، كما ليس فيها إشارة إلى طعم البول الحلو المذاق في هذا المرض . وكل مضامينها منقولة (كما يذكر المؤلف نصاً) عن أوروبا سيوس ، وديوسقريدس ، واهرن القس ، ويوحنا بن ماسويه ، وتياذوق ، وجبرائيل بن بختيشوع ، والرازي[15] ، وحين يبحث البغدادي في فائدة السفرجل لهذا المرض يقول عن ابن سينا : أنه (ليس من أرباب التجارب ولا يوثق به ، وأما قياسه فساذج)[16] . وهذا هو البغدادي حينما يخاصم .

مقالة في الحواس

[17]هذه في الحقيقة مقالتان . يصف في الأولى الحواس الخمس المعروفة ، واختصاص كل واحدة منها وفضيلتها وكيفية الإدراك بالحس وتصنيفه على تنوع

(14) حقق هذه الرسالة ضمن مجموعة من أعماله بول غليونجي وسعيد عبده مشتركين ونشراها في الكويت سنة 1972 .

(15) ربما كان أريتوس الكابودوشي أول من وصف مرض الديابيطس ، وهذا الإسم من اللغة اليونانية ومعناه النافورة ، ولم يشر أريتوس إلى وجود السكر في البول بهذا المرض والذي ذكر ذلك لأول مرة هم الصينيون في القرن الثالث الميلادي ، وقد اكتشفوه حين لاحظوا أن ذلك البول يجتذب إليه الكلاب والذباب . ثم بعد ذلك سماه الهنود (بول عسل النحل) لحلاوة البول ولزوجته . أما العرب فقد كان بعض الأطباء منهم يتذوقون البول عند فحصه . وأول من أشار إلى حلاوة البول في العصر الحاضر هو وليس Willis في سنة 1674 ثم دوبسون في سنة 1774 وأخيراً Bauchardot بوكارد في سنة 1835 . وهو الذي قال أنه سكر الكلوكوز الذي يسبب الحلاوة في بول مرضى الدبابيطس .

(16) غوليونجي وعبده ص 151 .

(17) اقرأ الهامش (14) .

طبيعته ومصادره .

أما المقالة الثانية فوضعها بصيغة السؤال والجـواب ، وتشتمل عـلى إثني عشر قضيـة ، تبحث في شره المشايـخ عـلى الـطعـام ، والعـطش بعـد تنـاول السمك ، وخصب الأبدان بعد المجاعات ، والسمنة بعد النقاهة من المرض ، والحسس بالبرد إذا تحرك الهواء ، ونمو الكائنات الحية ، وضخامة أطراف ذوي المهن التي تنجز أعمالها باليـد أو الرجـل ، كما تنـاول موضـوع الأطفال الـذين يتوقف نمو أجسامهم ، وما إلى ذلك من المواضيع .

الدخوار[1]

مهذب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد ، والدخوار لقب عرف به . ولد ونشأ بدمشق . وكان أبوه علي بن حامد طبيباً كحالاً ، وكذلك كان أخوه حامد بن علي بن حامد . فتعلم مهذب الدين الطب والكحل على أبيه ، كما درسه علي رضي الدين الرحبي المتوفي سنة 631 هـ / 1233 م ، ثم علي عبد اللطيف البغدادي المتوفي سنة 629 هـ / 1231 م ، وعلي فخر الدين المارديني الذي نزل دمشق في سنة 587 هـ / 1191 م ، وعلى ابن المطران المتوفي سنة 587 هـ / 1191 م . ومارس في بداية عمله صناعة الكحل ثم انقطع إلى الطب والتحق بالبيمارستان الكبير النوري وزاول الطب فيه ، ثم عمل به في التدريس . وحين كان الملك العادل أبو بكر الأيوبي المتوفي سنة 615 هـ / 1238 م في زيارته لمصر مرض هناك ، فاستدعى الدخوار لمعالجته ، وكان يومئذ قد عم تلك البلاد وباء شديد هلك به كثير من البشر ، فلما شفي الملك العادل نصب طبيبه الدخوار رئيساً لأطباء مصر بأسرها ، وديار الشام معها[2] . ولما رجع الملك العادل إلى دمشق بسبب تحركات الفرنج على الحدود

---

(1) اقرأ عن الدخوار في العيون لابن أبي أصيبعة ص 728 ـ 736 ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردى 277/16 ، والدارس للنعيمي 127/2 والاعلام للزركلي 121/4 ـ 122 والقاموس الإسلامي لعطية الله 351/2 ، وسير النبلاء للذهبي 198/13 ـ 199 ، مرآة الجنان لليافعي 65/4 ـ 66 والشذرات لابن العماد 127/5 ، 128 ، وحاجي خليفة ص 141 ، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 209/5 و

Brockelmann, 1/491, Leclerc, 2/177 - 179.

(2) ابن أبي أصيبعة ص 731 .

الشمالية منها ، رافقه الدخوار وعاد يمارس الصنعة في البيمارستان النوري بدمشق .

يتضح من سيرة الدخوار أنه كان شغوفاً بممارسة صناعة الطب والتعليم فيها . وكانت مدرسته أول مدرسة نموذجية في تعليم هذه الصناعة بدمشق ، وأشهر مدارسها عموماً ، وصار يختلف إليها علماء المهنة وطلاب المعرفة الطبية وبذلك كانت أوسع المدارس التي عاصرتها في تخريج المتعلمين . ويروى أن الدخوار أوقف داره وخزانة كتبه لمدرسته ، ليدعم سير التدريس فيها ويمولها بما تحتاجه من نفقات .

كانت نهاية حياة الدخوار محزنة ، فقد أصيب بانفجار دموي في دماغه ، واستعصى عليه النطق ، ومع ذلك استمر يقابل تلاميذه ويكتب لهم ما يريد التعبير عنه دون النطق به ، وتوفي بدمشق سنة 628 هـ / 1230 م . من تلاميذه ابن أبي أصيبعة ، وابن النفيس ، وزين الدين الحافظي ، وشمس الدين الكلّي[3] ، وموفق الدين عبد السلام[4] وغيرهم . لقد كان الدخوار أستاذ الجيل يومئذ ، وعليه تخرج عظماء الطب في تلك الحقبة . ومؤلفاته في الطب هي :

(1) اختصار كتاب الحاوي في الطب الرازي .

(2) مقالة في الإستفراغ .

(3) كتاب الجنينة في الطب .

(4) تعاليق ومسائل في الطب .

---

(3) شمس الدين الكلي ـ هو أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن أبي المحاسن أصله من المغرب ويعرف بالكلي لأنه كان يحفظ كليات ابن سينا من كتاب القانون ، درس على الدخوار المتوفي سنة 628 هـ / 1230 م وعمل في البيمارستان النوري الكبير بدمشق . كما خدم الملك الأشرف موسى الأيوبي .

(4) موفق الدين عبد السلام ـ من تلاميذ الدخوار النابهين ، عاش في دمشق والقاهرة ثم استقر بحماة لدى حاكمها الملك المنصور المتوفي سنة 683 هـ / 1284 م .

(5) شكوك طبية ورد أجوبتها .

(6) كتاب الرد على شرح ابن أبي صادق لمسائل حنين .

(7) مقالة يرد بها على رسالة بن الحجاج يوسف الإسرائيلي في ترتيب الأغذية اللطيفة وكيفية تناولها .

(8) شرح كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط (حكيم أوغلو) نور عثمانية .

(9) مقالة في الإستفراغ (المتحف العراقي) .

رشيد الدين بن الصوري[1]

هو أبو المنصور بن أبي الفضل بن علي الصوري . من الأطباء العرب المشهورين في معرفة صنوف الأدوية المفردة والنباتات الطبية . ولد ونشأ بصور ، وهوى دراسة الأعشاب التي تنفع في تداوي الأمراض ، ودرس هذا العلم على على أبي العباس الجياني ، وانتقل إلى القدس وأقام بها سنتين ، واتصل بالحاكم العادل الأيوبي وصحبه سنة 612 هـ / 1215 م إلى مصر وبقي بمعيته مدة حكمه هناك ، ثم خدم من بعده ابنه الملك المعظم ثم الناصر بن المعظم . وصار في أيام هذا الأخير رئيساً لأطباء مصر[2] . ثم رجع رشيد الدين إلى دمشق واستقر بها . وكان من أصحابه ابن أبي أصيبعة .

عرف رشيد الدين الصوري عشاباً حاذقاً . وهاوياً لدراسة طبيعة النبت ، وما يمكن أن يستفاد منه في الطب ، فعرف منها أدوية لم يذكرها من تقدمه بهذه الصناعة ، وكان يستصحب معه مصوراً ومعه الأصباغ والليق ويتوجه معه إلى المواضع التي بها النبات . فيشاهد النبات ويحققه ، ويصوره بحسب ألوانه وأشكاله وأعماره ، في الإزدهار والذبول . وأدخل هذه الصور في كتابه عن الأدوية المفردة[3] .

---

(1) اقرأ عن ابن الصوري في العيون لابن أبي أصيبعة ص 699 ـ 703 وهدية العارفين لإسماعيل البغدادي 554/1 والاعلام للزركلي 49/3 ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 161/4 و

(2) الزركلي 49/10 .

(3) ابن أبي أصيبعة ص 703 .

توفي رشيد الدين بن الصوري سنة 639 هـ / 1241 وهو دون السبعين من العمر وله من الكتب .

(1) كتاب الأدوية المفردة .

(2) الرد على كتاب البلغاري في الأدوية المفردة .

(3) تعاليق طبية كتبها لابن أبي أصيبعة .

بنو أبي أصيبعة[1]

عرفت هذه الأسرة الشامية بالعلم والحكمة والفضل ، والمركز المرموق في دولة الحكام الأيوبيين بمصر ودمشق وبعلبك . رئيس الأسرة هو خليفة بن يونس بن أبي القاسم بن خليفة الخزرجي[2] ، ويعرف بابن أبي أصيبعة وهذه كنية أفراد العائلة جميعاً . وخليفة ذو مكانة إجتماعية بارزة ، وفصل بالعلم وإتصال بالعلماء والأطباء . وكانت الشام يومئذ في حال غير مستقرة بسبب المعارك الدائرة على ساحتها مع الصليبيين . فلما دخل صلاح الدين الأيوبي مصر ، ارتحل إليها خليفة مع أسرته وولديه رشيد الدين علي والقاسم .

وهناك التقى بصديقه الشامي جمال الدين ابن أبي الحوافر الذي كان آنئذ في خدمة الملك عثمان بن صلاح الدين (589 ـ 595 هـ / 1193 ـ 1198 م) ، ورئيساً لأطباء مصر . كما تعرف على الكحال أبي الحجاج يوسف طبيب البيمارستان في السقطين بالقاهرة ، وعلى موسى بن ميمون القرطبي ، والكحال نفيس الدين بن الزبير ، وعبد اللطيف البغدادي ، وسديد الدين داود بن أبي البيان طبيب البيمارستان الناصري . فوجه ولديه إلى هؤلاء العلماء ليتعلما عليهم الصنعة . فتخرج القاسم بطب العين على أبي الحجاج يوسف السبتي ، وتخرج رشيد الدين في الطب عامة على أبي الحوافر . وبعد أن تدربا في البيمارستان رجعت الأسرة إلى دمشق مسقط رأسها وكان ذلك سنة 597 هـ / 1200 م ليمارس ولداها الطب والكحالة فيها .

---

(1) اقرأ عن أسرة بني أبي أصيبعة في العيون لابن أبي أصيبعة ص 736 ـ 750 .
(2) اقرأ عن رشيد الدين علي بن خليفة في المصدر السابق ص 737 ـ 750 .

رشيد الدين علي بن خليفة

كنيته أبو الحسن . وهو الابن الأكبر لخليفة ابن أبي أصيبعة . ولد بالشام كما ذكرنا فيما تقدم . وتعلم الطب في مصر على أبي الحوافر طبيب الملك عثمان الأيوبي (589 ـ 595 هـ / 1193 ـ 1198 م) ، وتعلم طب العيون على الكحال نفيس الدين ابن الزبير طبيب البيمارستان . كما مارس في نفس البيمارستان الأعمال الجراحية . ودرس على عبد اللطيف البغدادي وسديد الدين علوم الحكمة واللغة . واشتغل في علم النجوم على ابن الجعدي ، وفي الموسيقى على ابن الديجوري المصري ، وصفي الدين بن التبان ، فألم بهذه العلوم جميعاً وأتقن معرفة الطب وممارسته ، كما تعلم اللغة الفارسية ، والكلام بالتركية ، ونظم الشعر بالعربية . وانتقل مع الأسرة إلى دمشق وهو في العشرين من عمره ، والتحق بمدرسة رضي الدين الرحبي وهو بنفس الوقت يعمل في البيمارستان النوري ، وزامل فيه مهذب الدين الدخوار ولم يبلغ الخامسة والعشرين إلا واشتهر بجودة المعالجة وحسن المعاملة مع المرضى ، وصار شيخاً محترماً في الآراء الحكمية ، فضمه الملك عيسى بن أبي بكر الأيوبي سنة 605 هـ / 1208 م إلى حاشيته . ثم انتقل إلى بعلبك بطلب من صاحبها الملك بهرام شاه بن فرخشاه الأيوبي (578 ـ 628 هـ / 1182 ـ 1230 م) ثم رجع إلى دمشق بخدمة الملك عيسى مرة أخرى ، ثم من بعده بخدمة ابنه الملك الناصر داود . وبقي في خدمة الملوك والأمراء الأيوبيين بدمشق ويعمل بنفس الوقت بالبيمارستان الكبير النوري حتى وافاه الأجل سنة 649 هـ / 1251 م .

كان رشيد الدين من أعلام الطب بدمشق في النصف الأول من القرن السابع / الثالث عشر الميلادي ، ومعلماً بارزاً من شيوخه . وله مدرسة تعلم فيها الصنعة كثير من الأطباء ، وتصانيف حسنة منها[3] :

---

(3) ابن أبي أصيبعة ص 750 .

(1) كتاب طب السوق ـ كتبه لأحد تلامذته ، ويشمل ذكر الأمراض التي تحدث كثيراً ومداواتها بالأشياء السهلة التي قد اشتهر التداوي بها .

(2) كتاب في الطب ـ ألفه الملك المؤيد نجم الدين مسعود بن الملك صلاح الدين الأيوبي .

(3) مقالة في نسبة النبض وموازنته إلى الحركات الموسيقية .

(4) الأسطقسات .

(5) تعاليق ومجريات في الطب ـ وجله في الطب الشعبي .

ابن أبي أصيبعة(4)

موفق الدين ، أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة ابن أبي أصيبعة الخزرجي ، وقد اشتهر بكنية جده ، وكان أبوه كحالاً كما ذكرنا فيما تقدم ، ودرس صنعته في مصر ومارسها في دمشق .

ولد أحمد بن القاسم بدمشق وتعلم الطب فيها ، ولا بد أن كان أبوه وعمه أحد شيوخه . كما يحتمل كثيراً أنه درس على الأطباء الآخرين الذين عاصروهما أمثال الدخوار المتوفي سنة 628 هـ / 1230 م ورضي الدين الرحبي المتوفي سنة 631 هـ / 1233 م وشرف الدين الرحبي المتوفي سنة 667 هـ / 1268 م . ونجم الدين ابن المنفاخ المتوفي سنة 653 هـ / 1254 م . ولا نعرف عن سعة ممارسته في الطب بمسقط رأسه . ونحسب أنه لم يشتهر بها ، أو

---

(4) اقرأ عن ابن أبي أصيبعة في البداية والنهاية لابن كثير 257/13 والدارس في أخبار المدارس للنعيمي 136/2 ـ 137 ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردى 229/7 . والشذرات لابن العماد 327/5 ، كشف الظنون لحاجي خليفة ص 1096 ، 1185 ، وكنوز الأجداد لكردعلي ص 332 ـ 337 ، ومعجم الأطباء لأحمد عيسى ص 114 ـ 116 ، وفهرست الخديوية 92/5 ـ 93 ، وروضات الجنات لخوانساري ص 85 ، والاعلام للزركلي 188/1 ـ 189 ، ومعجم المؤلفين لكحالة 48/2 ودائرة المعارف الإسلامية 69/1 ، وأدباء الأطباء 52/11 ـ 53 للخليلي ، ومجلة معهد المخطوطات العربية للمنجد ، والمقتبس 720/3 ـ 732 و Brockelmann, 1/325 - 326. Leclerc, 2/187 - 193.

أنه عرف بطب العيون فقط ، وربما لهذا السبب ارتحل إلى مصر في سنة 643 هـ وكان ذلك في حكم الملك الكامل محمد الأيوبي المتوفي سنة 635 هـ / 1237 م والتحق بالبيمارستان الصلاحي حيث كان يعمل فيه ابن النفيس رفيقه في المدرسة الدخوارية بدمشق . ويحتمل أنه لم يوفق إلى ما يبتغيه في تلك البلاد فهجرها بعد عام عائداً إلى دمشق . وفي هذه المدينة شرع سنة 643 هـ / 1245 م بوضع كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء . ثم انتقل إلى صرخد (صرخد : الحموي) بحوران جبل الدروز ، وفيها أكمل كتابه المذكور ، وتوفي فيها سنة 668 هـ / 1269 م بعمر يزيد على السبعين سنة .

كان ابن أبي أصيبعة يجيد فنون اللغة . ينظم الشعر ، ويهتم بجمع أخبار الحكماء والأطباء بالإضافة إلى ممارسة الطب والكحالة . وله من المؤلفات :

(1) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ وهو أشهر كتبه والوحيد منها الذي وصلنا .

(2) كتاب التجارب والفوائد .[5]

(3) كتاب حكايات الأطباء في علاج الأدواء[6] .

(4) كتاب إصابات المنجمين[7] .

---

(5) ابن تغري بردى . ص 229 . وفي البداية والنهاية والدارس ، قد نيف عمره على التسعين .

(6) الزركلي 1/189 .

(7) نلينو ـ الفلك عند العرب ، ص 66 .

ابن القف[1]

هو أبو الفرج أمين الدولة بن موفق الدين يعقوب بن اسحاق بن القف . من نصارى قرية الكرك بلبنـان . وكان أبـوه موفق الـدين لطيف العشرة حلو المجالسة ، وينشد الشعر ويستشهد بحوادث التأريخ وعبره ، وبأقوال الحكماء ، ويناقش في الأدب . ويتبارى في حسن الخط . وله أصدقاء كثيرون كـان منهم ابن أصيبعة المتوفي سنة 668 هـ / 1269 م فطلب منه أن يعلم ابنه أبا الفرج صناعة الطب . فأخذه ابن أبي أصيبعة إلى مجلسـه وصار يلقنـه ويعلمه فنـون الطب ويدربه على تطبيقها . وقرأ أبو الفرج عليه فصول أبقراط ومسائل حنين وكتب الـرازي . ثم قرأ مـزيداً من الكتب عـلى نجم الدين ابن المنفـاخ[2] ، ويعقوب السامري[3] . حتى أتقن الفن ومارس عملياته بنجاح في عجلون ، ثم ارتحـل إلى دمشق ، وعمل في البيـمارستان النـوري وتوفي بهـا سنة 685 هـ / 1286 م . وله من المؤلفات :

(1) كتاب الشافي في الطب ـ وربما كان هذا أول مؤلفاته . ويبحث الكتاب في أعضاء البدن والأمراض النفسية والجسمانية ، والسموم .

(2) شرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا (الظاهرية) .

---

(1) اقرأ عن ابن القف في العيون لابن أبي أصيبعة ص 767 ـ 768 ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 16/3 ، 245/13 وحاجي خليفة في كشف الظنون ص 565 ، 1023 ، 1166 ، 1268 وإيضاح المكنون للبغدادي 120/2 و193 هدية العارفين للبغدادي 546/545/2 و

(2) اقرأ عن نجم الدين بن المنفاخ في ص 550 .

(3) ابن أبي أصيبعة ص 768 .

(3) شرح الفصول أو كتاب الأصول في شرح الفصول لأبقراط وقد حققه بشاره زلزل وطبعه في الإسكندرية سنة 1902 (يكي جامع ، شهيد علي) .

(4) جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض ـ ويبحث في الصحة العامة والوقاية من الأمراض .

(5) العمدة في صناعة الجراح ـ وهو كتاب تقليدي من حيث التبويب وتوزيع المادة العلمية على الفصول . وإذ أن الكتاب يختص بالأعمال الجراحية فإن المؤلف أسهب في الكلام عن تشريح الأعضاء معتبراً هذا الموضوع خطوة ضرورية لفهم الخطوات العملية في المعالجات الجراحية . ولم يكثر في الكلام عن الأخلاط والأمزجة ووظائف الأعضاء لأن هذه المواضيع تخص الأطباء الذين يمارسون الطب الباطني ، فبحث فيها بإيجاز ظاهر وتطرق إلى الأمراض الأخرى غير الجراحية على قدر ما يجب أن يعرف عنها الطبيب الممارس غير الإختصاصي بالجراحة لتكون متممة أو مساعدة لوسائل التشخيص التفريقي بين الحالات المرضية الجراحية والباطنية . والكتاب بأي حال تجميع من كتاب التصريف للزهراوي ، والمنصوري للرازي ، والقانون لابن سينا وغير هذه الكتب . ومن حيث اختصاصه في الجراحة فهو الكتاب الذي يجوز مقارنته بالجزء الجراحي من كتاب التصريف للزهراوي ، ولولا الأصالة في هذا الكتاب الأخير وقدمه التأريخي لما كان أفضل من كتاب العمدة الذي نتكلم عنه .

مخطوطة كتاب العمدة بالمكتبة الأصفية بحيدر آباد الدكن ، والمجمع العلمي بكلكته . وقد طبع الكتاب على المخطوطتين المذكورتين بحيدر آباد سنة 1356 هـ / 1937 م .

بيمارستانات ديار الشام[1]

1 ـ البيمارستان النوري بحلب[2]

وسمي هذا البيمارستان أيضاً البيمارستان العتيق بعد أن أسس الأمير أرغون الكاملي البيمارستان الجديد في حلب . دخله ابن بطلان البغدادي سنة 440 هـ / 1048 م وهو في طريقه إلى مصر لمقابلة ابن رضوان المصري . كما يروى أن ابن بطلان عمل فيه . وأضيفت إلى البيمارستان قاعتان في عهد صلاح الدين الأيوبي . وبقيت تروى أخبار هذا البيمارستان حتى سنة 964 هـ / 1561 م وهي السنة التي توفي بها رئيس أطباء البيمارستان هاشم بن محمود .

2 ـ بيمارستان أنطاكيا

يروى أن ابن بطلان شارك في تأسيس هذا المستشفى سنة 455 هـ / 1063 م كما يروى أيضاً أنه حين دخل أنطاكيا كان فيها بيمارستان يعمل فيه رجل دين (بطريق) بمداواة المرضى[3] .

3 ـ البيمارستان الكبير النوري[4]

أسسه السلطان نور الدين زنكي في دمشق 549 هـ / 1154 م . ويذكر

---

(1) اقرأ عن بيمارستانات ديار الشام في تاريخ البيمارستانات في الإسلام لأحمد عيسى بك ص 203 ـ 260 .

(2) أحمد عيسى بك : ص 234 .

(3) ابن القفطي ص 297 .

(4) أحمد عيسى بك ص 206 .

أن الأموال التي أنفقت لتشييده كان أكثرها فدية قدمها أحد ملوك الفرنج لما وقع أسيراً بين يدي السلطان الزنكي[5] . كما أوقف السلطان الزنكي للبيمارستان ضياعاً ودوراً ومزارع لإدامته . وأعلن يوم افتتاحه أن البيمارستان للأغنياء والفقراء ، وللرفيع والوضيع على السواء . وكان من وفرة الطعام والراحة في هذا البيمارستان صار بعض الناس يتمارضون ليدخلوه ويتمتعون بأطايب مأكولاته ونعمه . وقيل أن النار في مطبخه لم تنطفىء منذ تأسيسه حتى سنة 1427[6] . وقد عمل في هذه البيمارستان ما يزيد على العشرين طبيباً وصيدلانياً كان منهم :

(1) مهذب الدين بن النقاش[7] .

(2) موفق الدين بن المطران .

(3) ابن حمدان الجرائحي .

(4) رضي الدين الرحبي .

(5) جمال الدين الرحبي .

(6) شرف الدين الرحبي .

(7) شمس الدين الكلي[8] .

(8) مهذب الدين بن علي الدخوار .

(9) شمس الدين اللبودي .

(10) سديد الدين ابن رقيقة .

(11) عز الدين السويدي .

(12) عماد الدين الدنيسري .

---

(5) المصدر السابق ص 216 عن ابن كثير (مخطوط) ص 569 .

(6) أحمد عيسى بك ص 211 .

(7) مهذب الدين بن النقاش البغدادي ـ سبقت ترجمة .

(13) بدر الدين بن قاضي بعلبك .

(14) أبو الفضل بن عبد الكريم المهندس .

(15) موفق الدين بن عبد العزيز السلمي[9] .

(16) كمال الدين الحمصي .

(17) رشيد الدين بن علي بن خليفة بن أبي أصيبعة .

(18) مهذب الدين أحمد بن الحاجب[10] .

(19) سعد الدين بن عبد العزيز السلمي[11] .

(20) جمال الدين بن عبدالله[12] .

(21) عبدالله بن عبد الحق[13] .

---

(9) موفق الدين عبد العزيز بن عبد الجبار بن أبي محمد السلمي ـ سبقت ترجمة .

(10) مهذب الدين بن الحاجب ـ أديب وفلكي وطبيب . ولد بدمشق وعمل لدى الحكام الأيوبيين بحماة ودمشق والقاهرة . كما عمل في البيمارستان النوري وتوفي بحماة بداء الإستسقاء وله كتاب مجدول على وضع تقويم الصحة (ابن أبي أصيبعة ص 659 ، وأحمد عيسى ـ البيمارستان ص 18) .

(11) سعد الدين بن عبد العزيز بن عبد الجبار السلمي ـ كان مثل أبيه متديناً شريف النفس ، وعالماً بصنعته ، ولد بدمشق وتعلم الطب فيها وعمل في البيمارستان الكبير النوري ، وخدم الأيوبيين . وكان له مجلس يعلم فيه طلاب الصنعة . توفي بدمشق سنة 644 هـ / 1246 م (ابن أبي أصيبعة 671 ـ 672) .

(12) جمال الدين بن عبدالله بن عبد السيد ـ أسلم مع والده واشتغل في آخر حياته في البيمارستان النوري بدمشق سنة 735 هـ / 1334 م . (أحمد عيسى) (البيمارستان 223 وابن الوردي ـ تأريخ الإسلام 2/310) .

(13) عبدالله بن عبد الحق ابن إبراهيم بن محمد ـ تعلم الطب على أبيه شمس الدين القاهري وكان رئيس الأطباء في القاهرة . واشتغل بالطب الجراحي حتى أتقنه وانتقل مع أبيه إلى دمشق ، وبرز في الجراحة وعين رئيس الجراحين فيها . واشتغل في البيمارستان النوري إلى حين وفاته سنة 891 هـ / 1486 م (أحمد عيسى البيمارستانات ـ ص 223) .

(14) أبو المجد بن أبي الحكم الباهلي ـ أفضل الدولة أبو المجد محمد بن أبي الحكم عبدالله بن المظفر الباهلي . أبوه من الأندلس ، يهوى الطرب ومعاقرة الخمرة ، ويضرب على العود ، وينظم الشعر ، ويحب الأسفار . توفي في دمشق سنة 549 هـ / 1154 م . (ابن أبي أصيبعة ص 628) .

4 ـ بيمارستان الموصل[15]

أسسه مجاهد الدين قايماز[16] صاحب قلعة الموصل سنة 572 هـ / 1176 م ، وزاره الرحالة ابن جبير[17] سنة 580 هـ / 1184 م وكذلك ابن بطوطة[18] سنة 728 هـ / 1327 م وهو آخر من روى عن هذه البيمارستان .

5 ـ بيمارستان حماة[19]

ومكانه بالقرب من الجامع الصغير على شط النهر في حماة . ذكره ابن جبير في رحلته حين دخل المدينة سنة 580 هـ / 1184 م ثم انقطعت أخباره بعد ذلك .

6 ـ بيمارستان القدس[20]

استحدثه صلاح الدين الأيوبي على موقع الكنيسة المجاورة للمدرسة التي

---

(15) أحمد عيسى بك ـ البيمارستانات في الإسلام . ص 200 عن ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ حوادث سنة 573 هـ .

(16) مجاهد الدين قايماز ـ رومي الأصل ، من أتباع زين الدين الأتابكي صاحب أربيل . يحب الخير والإحسان . أسس المدرسة والجامع المنسوبين إلى أسمه (المجاهدي) إلى جانب البيمارستان ، وموقعها جميعاً على شط نهر دجلة .

(17) ابن جبير ـ أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكتاني . من مواليد بلنسية بالأندلس ، درس اللغة والفقه وبرع في الشعر والنثر ، واشتهر برحلاته إلى الشرق الأوسط . فزار القاهرة ، وحلب ، والموصل ، وبغداد ، والكوفة ، ومكة ، والمدينة . كما زار صقلية . و (رحلة ابن جبير) من كتب الرحلات العربية المشهورة . توفي في الإسكندرية في سنة 614 هـ / 1217 م

(18) ابن بطوطة ـ أبو عبدالله محمد بن عبدالله الطنجي . رحالة عربي مشهور ولد بطنجة سنة 703 هـ / 1304 م . تعلم الفارسية والتركية ، كما درس الأدب وعلوم الدين ، وهوى الرحلات . فدخل كثيراً من بلدان القارات الثلاث المعروفة . له كتاب (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ، ضمنه زياراته لتونس والإسكندرية والقاهرة ، ودمشق والمدينة ومكة والموصل وديار بكر . وأبحر في الخليج العربي كما صعد إلى الشمال ودخل الأناضول وزار القسطنطينية ، وبلاد القرم والفولكا ، وخوارزم وبخاري . ثم انحدر إلى أفغانستان والهند ، وسيلان ، والبنغال ، والملايو ، والصين ، وسومطرة . ودخل في عمق أفريقيا إلى مالي : وغات : وتوفي في فاس بالمغرب سنة 779 هـ / 1377 م .

(19) أحمد عيسى بك ص 429 .

(20) المصدر السابق . ص 230 ، والقفطي ص 379 والنويري نهاية الأرب في فنون الأدب ،

كانت تعرف باسم ست حنة (أم مريم عليها السلام) ، عمل فيه يعقوب بن سقلاب النصراني ، ورشيد الدين بن الصوري . وفي سنة 862 هـ / 1458 م حدث زلزال حطم بناية البيمارستان . وموقعه معروف إلى اليوم في محلة الدباغة بالقدس[19] .

7 ـ بيمارستان عكا[21]

أسسه صلاح الدين الأيوبي في عكا سنة 583 هـ / 1187 م .

8 ـ بيمارستان الرقة[23]

ومكانه في الرقة ، عمل فيه بدر الدين بن قاضي بعلبك ووضع فيه مقالة في أحوال المدينة وأهويتها .

9 ـ بيمارستان باب البريد[23]

سمي بهذا الاسم لمكانه القريب من باب البريد ، وهو الباب الغربي لجامع دمشق[24] . عمل في هذا البيمارستان عز الدين ابن السويدي وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد .

= حوادث سنة 588 هـ / 1192 م .

(19) أحمد عيسى بك ص 429 .

(21) أحمد عيسى بك ص 233 وابن كثير ـ البداية والنهاية حوادث سنة 583 هـ .

(22) ابن أبي أصيبعة في ترجمة بدر الدين بن قاضي بعلبك ص 751 .

(23) أحمد عيسى بك ص 229 .

(24) جامع دمشق ـ أو المسجد الجامع الأموي ـ هو أقدم جامع في ديار الشام أقيم بدخول المسلمين إلى دمشق بأمر من أبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد سنة 13 هـ / 635 م في موقع كنيسة يوحنا المعمدان التي أقامها الامبراطور البيزنطي (ثيودوسيوس) في موضع معبد روماني . وقد عمر المسجد وأضاف إلى أبنيته عمائر جديدة الوليد بن عبد الملك سنة 87 هـ / 705 م واستقدم لأجل ذلك أفضل البنائين والمهندسين من الأروام ، واستغرقت أعماله فيه مدى خلافته التي دامت عشر سنوات . وقد أصيب الجامع بعد ذلك بالحرائق والزلازل فعمره الملوك المماليك المصريون .

10 ـ بيمارستان الصالحية أو القيمري[25]

ومكانه في حارة الصالحية بدمشق . ينسب إلى مؤسسه سيف الدين القيمري أبي الحسن علي بن يوسف بن أبي الفوارس بن موسك القيمري الهندي[26] (ت 653 هـ / 1254 م) إلا أن البيمارستان خرّب من قبل التتر حين دخلوا دمشق سنة 696 هـ / 1296 م ، ثم أعيد بناؤه وبقي يؤدي الخدمات الصحية حتى سنة 418 هـ / 1027 م . وخدم في هذه البيمارستان من الأطباء إبراهيم بن إسماعيل بن أبي القاسم وابن مقداد القيسي .

11 ـ البيمارستان الجديد بحلب[27]

أسسه ناظر الجيش محمد بن فضل الله القبطي المتوفي سنة 732 هـ / 1331 م .

12 ـ البيمارستان الدقاني[28]

أسسه دقان ابن تتش السلجوقي حاكم دمشق سنة 764 هـ / 1362 م 1363 م ، ومكانه قريب من الجامع الأموي بدمشق .

13 ـ بيمارستان نابلس[29]

أسسه ناظر الجيش محمد بن فضل الله القبطي المتوفي سنة 732 هـ / 1331 م بعيد أن أسلم .

ويسمى أيضاً بيمارستان أرغون الكاملي نسبة إلى مؤسسه سيف الدين أرغون الكاملي الذي أنشأه داخل باب قنسرين بحلب سنة 755 هـ / 1354 م وعزل فيها حجرات للأطباء الذين يقيمون فيه ، وقاعات لترفيه المرضى ، وغرفاً للأدوية ، وصحناً لحبس المجانين بالإضافة إلى المرافق الأخرى التي يحتاجها

---

(25) أحمد عيسى بك ـ ص 235 .

(26) ابن كثير ـ حوادث 654 هـ ، وابن العماد ـ شذرات الذهب 313/3 .

(27) أحمد عيسى بك ص 252 . وابن كثير حوادث سنة 755 هـ .

(29) أحمد عيسى بك ص 260 .

العمل في البيمارستان .

14 - بيمارستان الرملة[30]

أسسه محمد بن فضل الله القبطي الذي مر ذكره بعد أن أسلم .

15 - بيمارستان الجبل[31]

ومكانه في نيرب بضاحية دمشق . خربه التتر حين دخلوا المدينة عام 696 هـ / 1396 م . وكان يعمل بها الطبيب عبد الوهاب بن أحمد بن سحنون الحكيم[32] ، وأحمد بن أبي بكر بن حمزة بن منصور الهمذاني الدمشقي المعروف بالجيلي والمتوفي سنة 695 هـ[33] .

16 - بيمارستان صفد[34]

أسسه الأمير سيف الدين تنكر نائب ملك مصر ناصر الدين محمد بن قلاوون المتوفي سنة 740 هـ / 1339 م .

17 - بيمارستان حران[35]

ذكره ابن جبير في رحلته إلى حران سنة 580 هـ / 1184 م .

18 - بيمارستان نصيبين[36]

زاره ابن بطوطة في حوالي سنة 720 هـ / 1320 م وكان يعمل فيه الأطباء إلى ذلك التاريخ .

---

(30) المصدر المتقدم بك ص 260 .

(31) المصدر السابق . ص 247 .

(32) عبد الوهاب بن أحمد بن سحنون الحكيم - عاش في النيرب المجاورة لدمشق ، وهو أديب وشاعر وخطيب .

(33) أحمد بن أبي بكر بن منصور الهمداني الدمشقي المعروف بالجيلي - طبيب بيمارستان الجبل وتوفي سنة 695 هـ / 1295 م .

(34) أحمد عيسى بك ص 334 .

(35) المصدر السابق ص 201 .

(36) المصدر السابق ص 202 .

19 ـ بيمارستان الكرك[37]

أسسه الأمير سنجر الجاولي مولي الناصر محمد بن قلاوون حاكم مصر وذلك في حوالي سنة 711 هـ / 1311 م .

20 ـ بيمارستان حض الأكراد[38]

أسسه بكتمر بن عبدالله الأشرفي في سهل البقاعية سنة 719 هـ / 1319 م . استولى عليه الصليبيون ثم استردها منهم الملك بيبرس المملوكي .

---

(37) المصدر السابق ص 247 .

(38) المصدر السابق ص 247 .

القسم العاشر
الطب والأطباء في الأندلس والمغرب

أسبانيا قبل الفتح الإسلامي . الفتح الإسلامي في أسبانيا . وصول علوم العرب إلى الأندلس ونشأة الطب فيها .

الطب والأطباء في الأندلس والمغرب :

- أبو القاسم الزهراوي
- ابن جلجل الأندلسي
- عريب بن سعيد القرطبي
- ابن الرومية
- أسرة بني زهر
- ابن رشد
- الشريف الإدريسي
- البيمارستانات في الأندلس والمغرب

أسبانيا[1] قبل الفتح الإسلامي

أسبانيا هو الإسم الذي أطلقه الرومان على شبه الجزيرة التي كان اليونانيون يسمونها ايبريا[2] . وهي التي تضم كلاً من أسبانيا والبرتغال في خرائط هذا اليوم . أما الأندلس[3] ، فهو الإسم الذي أطلقه العرب على تلك الديار عندما دخلوها لأول مرة عام 93 هـ / 711 م .

وقد سكنت أسبانيا القديمة أقوام عديدة لا تخلو تواريخهم من غموض . ويتضح تاريخ تلك الديار إلى حد ما ، عندما بدأت الشعوب اليونانية المتحضرة تختلط بسكان شبه الجزيرة في بداية القرن الثالث ق. م ، أي بعيد عصر أبقراط الزاهر بعلوم الحكمة والطبيعيات والطب في اليونان . ثم دخلت أسبانيا شعوب

---

(1) أسبانيا ـ وفي الأصل (أشبانيا) باللغة الرومانية ، ومعناها الغرب أو المغرب . وأشبان بن طيطاش هو ملك روما الذي حكم شبه جزيرة أيبريا وبنى فيها أشبيلية (المقري في نفح الطيب) . وقد لا يكون هذا الكلام إلا من قبيل الإختلاق وغير واقعي .

(2) أيبريا ـ وهي الديار التي سكنتها أقوام مجهولة الأصل تعرف بالأيبيريين سكنت منذ أقدم الأزمان غربي أوروبا أثناء العصور الفينيقية ، ودخلت أسبانيا واختلطت بسكانها من الفلت وصار منهم الشعب الأسباني الأول .

(3) الأندلس ـ استحدث العرب هذا الإسم حينما دخلوا إلى أسبانيا . وقال الرواة أنه منسوب إلى أندلس بن طوبال بن نوح الذي سكن تلك المنطقة أما المنطقة المقابلة لها فسكنها أخوه سبت بن يافث فسميت على اسمه مدينة (سبته) . كما يقول المقري (نفح الطيب 1/124) أن أول من سكن تلك الديار قوم يعرفون بالأندلس ومنهم جاء اسمها . وقد يكون كل هذا تلفيق ليس وراءه حقيقة . واقرأ أيضاً عن جغرافية الأندلس لأبي عبيد البكري تحقيق عبد الرحمن الحجي ص 57 ـ 70 .

من الرومان بقيادة يوليوس قيصر في حوالي سنة 30 ق. م. كما أغار عليها الوندال[4] الجرمان في القرن الخامس وأقاموا فيها، وصاروا يهاجمون شواطيء البحر الأبيض المتوسط شمالاً وجنوباً. وانقرض كيانهم أخيراً بقوات الرومان (533 م). ولم يتركوا في البلادآثارأمهمة إلا ما يدل على القسوة والهمجية. ثم دخلت أسبانيا أقوام من القوط[5]. وهم مسيحيون من أصل جرماني. وأسسوا دولة كان آخر ملوكها لذريق الذي انهزمت قواته أمام طارق بن زياد عندما دخل أسبانيا فاتحاً.

وقد تأثرت لغة سكان البلاد الأصليين بلسان الشعوب التي وفدت إليها، وخاصة بلغة الرومان اللاتينية. فتولدت منها لغة عرفت باللغة البروفانسية[6]، صارت فيها بعد لغة العامة والخاصة، وأكثر في الإستعمال من أية لغة أخرى في أسبانيا. إلا أن هذه اللغة الجديدة لم تكن بأي حال تساعد على فهم العلوم المستوردة إلى البلاد، المكتوبة باليونانية. كما أن موقع أسبانيا في الغرب البعيد جعلها في عزلة جغرافية بالإضافة إلى عزلتها اللغوية عن العالم اليوناني في الشرق المتحضر. ولم تتطور الحياة الفكرية في تلك البلاد حتى بدخول جيوش الرومان إليها في حوالي عام 40 ق. م، ولا أيضاً بدخول النصرانية إليها إلا بعد ذلك بزمن طويل. وليس لدى الباحثين معلومات موثقة عما إذا كان في أسبانيا بين ذلك الوقت وبين دخول العرب إليها طب وأطباء يعملون على قواعد علمية. وكان عهدئذ بين أيدي نصارى البلاد كتاب طبي

---

(4) الفاندال أو الوندال ـ قبائل جرمانية مسيحية دخلت أسبانيا في القرن الخامس وحكمتها بالإتفاق مع ملوك البلاد. وعبروا البحر إلى الساحل المقابل لهم من أفريقيا الشمالية وجنوب أوروبا، ونهبوا بعض مدن صقلية وإيطاليا. وانقرض سلطانهم بقوات الرومان سنة 533 م ولم يتركوا وراءهم أثراً علمياً أو فنياً يستحق الذكر.

(5) القوط ـ من الشعوب الجرمانية القديمة. سكن بعضهم منطقة البحر الأسود والمجر واستولوا على إيطاليا. وتغلغل قسم منها في اتجاه المغرب ودخلوا أسبانيا في مطلع القرن الخامس ووسعوا ممتلكاتهم فيها على حساب الفاندال. وربما اعتنقوا المسيحية في هذه البلاد، واندمجوا بالسكان الأسبان الرومانيين. وترددت أحوالهم بعد سنة 672 م.

(6) جون تونر ـ تراث الإسلام ص 24 ـ 25.

مترجم إلى لغتهم المحلية بعنوان أبريسم[7] ، ومعناه العلمي الفصول أو جامع المعرفة أو ما بمعنى ذلك . وقد يكون مضمون هذا الكتاب قريباً جداً من مضمون كتاب أبقراط المسمى Aphorism أيضاً ، أو هو نفسه مطور شكلاً أو موضوعاً . وبقي الأسبان يرجعون إلى هذا الكتاب في ممارساتهم حتى عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الثاني بن الحكم الأول المتوفي سنة 228 هـ / 842 م . حينذاك بدأت تصل في زمانه كتب المشرق العربي فتحول إليها القراء يدرسونها ويعملون بفنونها .

دخول العرب إلى أسبانيا

عبر البحر طارق بن زياد[8] بأمر من الخليفة الوليد بن عبد الملك ودخل أسبانيا سنة 93 هـ / 711 م ، ثم أعقبه موسى بن نصير[9] ، تتم على يديهما فتح تلك البلاد ، وتأسيس إمارة أموية في أسبانيا تابعة للخلافة الأموية بدمشق . ولما آلت الخلافة للعباسيين سنة 132 هـ / 750 م صارت هذه الإمارة تبعاً لذلك من أقطار الخلافة العباسية .

وساعد الحظ أن يهرب الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية حفيد هشام بن عبد الملك من سيف أبي عبدالله السفاح ويصل هو ورفيقه الطبيب أبو إبراهيم الوليد المذحجي[10] إلى سبتة بالمغرب الأقصى . وهناك التف حوله

---

(7) ابن جلجل ، طبقات الأطباء (مقدمة المحقق ص (ى) .

(8) طارق بن زياد بن عبدالله ، مولى موسى بن نصير . تولى عبور البحر إلى أسبانيا لمعرفة أحوال تلك البلاد وإمكانية فتحها فكان بعد ذلك ما كان وهو معروف .

(9) موسى بن نصير ـ فاتح وحاكم عربي . ولد بالشام سنة 20 هـ / 640 م . وولي على البصرة في خلافة عبد الملك بن مروان ، ثم ولي على تونس ، وفي أيامه اقتحمت قوات العرب جزيرة سردنية وسواحل جنوب صقلية . كما وصلت براً إلى سبته التي كانت يومئذ تحت حكم الرومان . ثم وجه موسى أحد رجاله وهو طريف بن مالك النخعي إلى الأندلس فعبر البحر ودخلها مستطلعاً سنة 92 هـ / 710 م ، ثم دخلها طارق بن زياد في السنة التالية وتغلب على ملك البلاد القرطي لذريق ، واستولى على ملقا وقرطبة وطليطلة وتبع موسى بن نصير طارقاً بنفس السنة واستولى على أشبيليا وجميع وادي الكبير . وفتح هو وطارق سرقسطة وفلنسيا ودانيا . وتوفي موسى بن نصير وهو يؤدي فريضة الحج سنة 97 هـ / 715 م .

(10) عبد العزيز بنعبدالله ـ الطب والأطباء في المغرب ، ص 10 .

أنصار أشداء من أخواله البربر(11) المسلمين ، وعبروا بقيادته مضيق جبل طارق إلى أسبانيا ، وحارب عبد الرحمن الفهري (حفيد عقبة بن نافع) عامل أبي جعفر المنصور على تلك الإمارة العباسية . وانتصر الأمير عبد الرحمن (الداخل) أو صقر قريش كما لقبه المنصور ، وأعلن عن نفسه سنة 139 هـ / 756 م حاكماً أموياً على تلك البلاد ، واتخذ قرطبة(12) قاعدة لإمارته ، وأسس فيها الجامع المشهور باسمها . ولما تولى الحكم حفيده السابع عبد الرحمن الثالث (300 ـ 350 هـ / 912 ـ 961 م) أعلن عن نفسه خليفة على المسلمين في الأندلس ، واتخذ لاسمه لقب الناصر لدين الله . وقد امتد حكمه خمسين عاماً امتاز بالقوة والأمن ، وازدهار العلوم والفنون . ويذكر أنه هو الذي ابتنى مدينة الزهراء مسقط رأس الجراح العربي الأشهر أبي القاسم الزهراوي ، على مقربة من قرطبة . وأطلق عليها اسم محظيته (الزهراء)(13) (انظر الخريطة) .

وكانت بين الناصر وملك القسطنطية أرمانيوس (قسطنطين السادس 945 ـ 959 م) صداقة وتعاون سياسي فرضتها عليهما المصالح المشتركة ضد العباسيين في الشرق ، وحكومة شارلمان في الغرب . وقد أفادت هذه الصداقة خلافة قرطبة للحصول على الكتب اليونانية الأثرية من حكومة بيزنطيا ، كان

(11) حتي ـ تاريخ العرب مطول 601/2 .

(12) قرطبة ـ مدينة قديمة على نهر الوادي الكبير بأسبانيا . قيل أنها من أعمال الفينيقيين ، وازدهرت في عهد الرومان ، ودخلت في حكم المسلمين في سنة 93 هـ / 711 م . ووصلت قمة ازدهارها في خلافة الناصر لدين الله عبد الرحمن الثالث (300 ـ 350 هـ / 912 ـ 961 م) وابنه المستنصربالله (الحكم الثاني) المتوفي سنة 366 هـ / 976 م) . واشتهرت قرطبة بالحضارتين الإسلامية والقوطيّة ، وبمسجدها المزين بأروع فنون الهندسة والزخرفة . إلا أنها تدهورت بعد سقوط حكامها الأمويين الأوائل ثم ضمت سنة 471 هـ / 1078 م تحت لواء بني عباد في أشبيليا . وأخيراً استولى عليها فردناند الثالث القشتالي في سنة 634 هـ / 1236 م وكان ذلك آخر علاقتها بتاريخ العرب والمسلمين .

(13) مقدمة كتاب التصريف للزهراوي (الدكن ـ حيدر أباد) وتبعد الزهراء بنحو ثلاثين ميلاً عن قرطبة . وقد تدهورت بعد تأسيسها بخمسين سنة أي بانتهاء حكم مؤسسها عبد الرحمن الثالث .


خريطة الأندلس
فرنسا
مملكة أرغون
برشلونة
سرقسطة
ليون
مملكة ليون و قشتالة
برتقال
مدينة سالم
وادي الحجارة
قلمرية
بلنسية
طليطلة
قنطرة
اشبونة
الوادي الكبير
دانية
البحر المتوسط
المحيط الأطلسي
مرسية
قرطاجنة
باجة
بطليوس
قرطبة
غرناطة
اشبيليا
المرية
ملقة
قادس
مضيق جبل طارق
طنجة
سبتة
المغرب

(16)

منها كتاب ديوسقريدس في الحشائش كما سبق ذكر ذلك .

وتولى الخلافة بعد وفاة عبد الرحمن الناصر ابنه الحكم الثاني بلقب المستنصر بالله (350 ـ 366 هـ / 961 ـ 976 م) وكان هذا الخليفة مثل أبيه محباً للعلم ويقرب العلماء إليه ، ويعضد أعمالهم ويكرمهم بسخاء . كما كان ولوعاً بالعمران ، واقتناء الكتب وصارت قرطبه في حكمه أم المدن في أسبانيا وأرفعها شأناً[14] .

وبعد وفاة المستنصر بالله خلفه ابنه هشام المؤيد بالله (366 هـ / 399 هـ / 976 ـ 1013 م) وكان هذا صغير السن وقليل الدراية بأمور الحكم . فغلبه على أمره وزيره الداهية المنصور أبو عامر المتوفي سنة 393 هـ / 1002 م .

وأعقب حكم هشام المؤيد المتوفي سنة 399 هـ / 1009 م فتن واضطرابات متلاحقة تقسمت من جرائها البلاد إلى دويلات كان منها دولة بني ذنون في طليطلة (400 ـ 480 هـ / 1009 ـ 1085 م) ، وبنو حمود في ملقة (407 ـ 450 هـ / 1016 ـ 1057 م) ، وبنو عباد في أشبيليا (414 ـ 484 هـ / 1023 ـ 1091 م) ، وبنو جهور في قرطبة (422 ـ 460 هـ / 1031 ـ 1068 م) ، وبنو الأحمر في غرناطة (629 ـ 897 هـ / 1232 ـ 1492 م) . وطبيعي جداً أن ترتاح الحكومات الأسبانية إلى تجزئة التكوين العربي في الأندلس وتهاجم دويلاته واحدة بعد الأخرى ، فاستنجد بنو عباد سنة 479 هـ / 1087 م بالمرابطين[15] في مراكش ضد ملك ليون الفونس

---

(14) بلغ سكان قرطبة في حكم المستنصر بالله مليون نسمة . وكان فيها ثلاثمائة جامع ومائتا ألف دار ، وخمسون مستشفى ! ومكتبة تحتوي على ما يزيد على المائتين وخمسة وعشرين ألف مجلدة وقيل أيضاً أربعمائة ألف مجلدة وضعت لها فهارس بأربعة وأربعين جزءاً (الدوميلي ، ص 354) .

(15) المرابطون ـ أو الملثمون ، من قبائل البربر الإسلامية . أسس دولتهم أبو بكر اللمتوني في صنهاجة بالمغرب ، وتوفي فيها سنة 480 هـ / 1087 م . وبرز من أخلافه يوسف بن تاشفين =

السادس . إلا أن المرابطين لم يغادروا البلاد بعد أن أنجزوا مهمتهم إلا بعد أن دخلها الموحدون[16] سنة 540 هـ / 1145 م وطردوهم منها . وكان كل من الدولتين المذكورتين تتعصب للإسلام . فطارد الموحدون كل من يدعوا إلى النظريات الفلسفية التي لا يقرها علماء الإسلام ، سواء كان أولئك الدعاة من المسلمين أو من النصارى أو اليهود . فاضطر كثير من هؤلاء إلى الهجرة إلى شمال البلاد أو إلى خارجها . وبالرغم من هذا الظرف الذي لا يساعد على العمل بحرية في البحث العلمي برز أكابر مفكري الأندلس من الفلاسفة والأطباء أمثال ابن ماجة ، وابن طفيل ، وأبي مروان بن زهر ، وابن ميمون القرطبي وآخرون . كما استوجبت تبعية مدن الأندلس إلى دولة المرابطين والموحدين في مراكش ، أن يكثر العلماء ، والأطباء بصفة خاصة ، التنقل بين الأندلس والمغرب تبعاً لأوامر حكام الدولتين ، وأن يشاركوا في تطوير المعارف الطبية والفلسفية في كل البلدين .

ونشأت بنشاط بين نصارى الأسبان عصبية صليبية كفعل مضاد لعصبية الحكام الموحدين لإسلاميتهم ضد النصارى . كما تكثفت غاراته على المدن الإسلامية في الوقت الذي انشغل فيه الموحدون بتدبير أمورهم لقمع الثورات الداخلية في المغرب . وأخيراً استطاع الأسبان في سنة 634 هـ / 1236 م أن

= مؤسس مدينة مراكش عاصمة دولتهم . استنجد به أمير طليطلة ضد الفونس السادس ملك قشطالة فأنجده وضم طليطلة إلى حمايته . ويعزى إلى المرابطين إنتشار الإسلام في غانا والسنغال وكانوا متعصبين لشرائع الدين ومناهج السلف ودامت دولتهم ثلاثة وتسعين عاماً (448 - 541 هـ / 1056 - 1147 م) .

(16) الموحدون - دولة إسلامية أسسها زعيم بربري في شمال أفريقيا اسمه محمد بن تومرت الصوفي النزعة ، وكان قد زار المشرق وتشبع بالروح الإسلامية وصار يبشر لها في المغرب ، فالتم حوله أنصار كثيرون . واستولى تلميذه وخلفه عبد المؤمن بن علي على طول شمال أفريقيا من برقة إلى المحيط الأطلسي ، كما استولى على الأندلس أيضاً . وبلغت هذه الدولة ذروتها على عهد خلفه أبي يوسف يعقوب المنصور . وفي زمانه أصبح أسطول الموحدين مسيطراً على غرب البحر الأبيض المتوسط . وقد انقرضت دولتهم بالأندلس بقوات الأسبان سنة 1212 م ، وفي مراكش بقوات المرينيين سنة 1269 م .

يستعيدوا قرطبة ، وفي سنة 641 هـ / 1248 م استعادوا أشبيليا الأندلس فاضطر الموحدون أن يغادروا إلى موطنهم في المغرب ثم استرجع الأسبان في سنة 898 هـ / 1492 م غرناطة وبذلك خرج العرب نهائياً من أسبانيا بعد أن حكموها ما يقرب من الثمانية قرون .

نشأة الطب العربي في المغرب

نشأة الطب العربي في المغرب

استطاع إدريس بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب أن يقيم في عام 172 هـ / 788 م دولة علوية في المغرب الأفريقي . وخلفه ابنه إدريس الثاني وبنى مدينة فاس لتكون قاعدة دولته ، إلا أن هذه الدولة انطوت بعد عامين تحت حكم خليفة قرطبة عبد الرحمن الناصر . ثم في سنة 448 هـ / 1056 م استعاد المغرب استقلاله عن قرطبة بقوات المرابطين ، وبنى رئيسهم يوسف بن تاشفين (ـ453 ـ 500 هـ / 1061 ـ 1107) مدينة مراكش لتكون عاصمة لدولته التي غطت كل المغرب تقريباً . وهو أيضاً الذي أجاب دعوة حكام أشبيليا ضد القشتاليين ، كما أنه كان أول من استدعى أطباء الأندلس ليعملوا في المغرب ، وكان أولهم بنو زهر . ومن ملوك المرابطين الذين اهتموا بشؤون العلماء والأطباء علي بن يوسف بن تاشفين بن علي المتوفي سنة 540 هـ / 1145 م .

وفي عام 543 هـ / 1147 م استطاع الموحدون برئاسة أبي عبدالله بن تومرت أن يحلّوا محل المرابطين في حكم المغرب والأندلس ، وكانوا مثل سلفهم أو أكثر منهم تعصباً للإسلامية . وكان من أقوى ملوكهم أبو يوسف يعقوب المنصور (580 ـ 595 هـ / 1199 ـ 1213) ، وابنه محمد الناصر لدين الله (595 ـ 610 هـ / 1199 ـ 1213 م) وحفيده يوسف الثاني المستنصر بالله المتوفي سنة 620 هـ / 1224 م . ولهؤلاء الملوك الثلاثة مثلما كان لأمراء المرابطين علاقات صميمية مع أطباء الأندلس وخصوصاً مع بني زهر وابن رشد

مما ساعدت على تبادل المعارف بين علماء الأندلس وعلماء المغرب وازدهار أعمال البحث والتأليف في كلى البلدين .

وكان بين الموحدين وبني مرين خصومة ونزاع على السلطة ، فاضطر الموحدون أن ينسحبوا من الأندلس والتفرغ لمجابهة أخطار الثورات الداخلية في المغرب . وفي النهاية تغلب بنو مرين سنة 609 هـ / 213 م على الموحدين واستولوا على مراكش وبقي هؤلاء في الحكم حتى سنة 875 هـ / 1470 م . ومما يذكر عن أمراء بني مرين أن أبا يوسف يعقوب المريني المتوفي سنة 656 هـ / 1258 م كانت له همة محمودة وعناية بالشؤون الصحية بالمغرب ، فأنشأ البيمارستانات للغرباء والمجانين . ولقبت فاس يومئذ ببغداد المغرب (المراكشي ـ المعجب ص 200) وأثينة أفريقيا (بنعبدالله ـ الطب الإسلامي 1981 ـ الكويت ـ صفحة 255) وبعد حكم بني مرين انحدر نجم فاس ولم يبرز من أطبائها ما يشار إليه بالبنان .

دخول الحضارة العربية إلى أسبانيا

تعتبر أسبانيا من الوجهة الجغرافية جزءاً من أوروبا ، ودخول حضارة المشرق الإسلامي إليها هو في الواقع دخوله إلى القارة الأوروبية التي كانت يومئذ جاهلة في كل المعارف التي كان العرب ينعمون بها . ولم ينقطع مورد تلك المعارف من المشرق الإسلامي إلى أسبانيا (الأندلس) على مدى وجود العرب فيها . كما لم يتوقف دخول علوم الأندلس بدورها إلى أوروبا منذ دخول العرب إلى تلك البلاد وحتى خروجهم منها في أواخر القرن التاسع الهجري / الخامش عشر الميلادي .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المعارف التي أدخلها العرب إلى أسبانيا قد أبطلت أكثر ما كان عند سكان البلاد من الأفكار والعلوم ، واستحدثت باسمها حضارة عربية جديدة بكيفية خاصة تستحق أن توضع بمركز يعادل ، من وجوه كثيرة ، الحضارة العربية في المشرق الإسلامي .

لقد أدخل العرب دين الإسلام إلى أسبانيا ، كما أدخلوا إليها اللغة

العربية ، التي سرعان ما انتشرت على ألسنة الناس وتمازجت بلغتهم المحلية ، وخصوصاً بأسماء الاعلام ، والأماكن والمصطلحات العلمية ، وتعابير السوق والطريق . وساعد على إنتشار اللغة العربية بين الأسبان تزاوج المسلمين بالأسبانيات . فاختلطت القوميات بأسماء الاعلام ولغة الكلام . وشمل هذا الإختلاط أكثر الشعوب التي تقطن البلاد ، وحتى من لم يدخل منها في دين الإسلام ، بل حتى دولها التي بقيت خارج الحكم العربي في أسبانيا كدولة قشتالة ، وليون ، وأريغون في شمال البلاد . وكانت الفئات الإسلامية التي استقرت في اسبانيا تضم بالإضافة إلى الحكام العرب وأبقاعهم وأجنادهم ، مجموعات أخرى من البربر والصقالبة(17) واليهود . ولكل من هؤلاء لغة خاصة به . إلا أن اللغة العربية صارت بعد جيلين من الإختلاط ، تنافس عموم تلك اللغات التي منها اللغة الأسبانية ـ القشطالية ، واحتلت مكانها في المكاتبات الحكومية والتعليم ، وفي كثير من التعامل في التجارة والبيت والطريق . وانحصرت اللغة اللاتينية ، وهي التي كانت لغة الحكومة والعلوم المكتوبة ، في أحاديث رجال الكنائس وكتبهم الدينية . وأخيراً آلت عموم اللغات الأخرى إلى الزوال إلا الأسبانية ـ القشطالية (البروفنسية) . وهي لغة الأسبان التي استعملوها بعد ذلك لترجمة الكتب العربية إلى لغتهم ، ثم صارت لغة هذا اليوم في أسبانيا . ومع ذلك لا تزال إلى الآن مئات من مفردات اللغة العربية في التعابير الأسبانية ، نذكر بعضاً منها لنمثل بها تغلغل الروح العربي ولغته بين أهل تلك البلاد :

طاحونة Tahona . فندق Fonda . القبة Alcubo . رز Arroz .

---

(17) الصقالبة ـ شعوب سكنت بين جبال الأورال وبحر الأدرياتيك . ولغتهم من لغات الهندو ـ أوروبية . ويشكل قسمهم الشرقي أقوام روسيا ، وقسمهم الغربي البولونيين والسلاف . أما قسمهم الجنوبي فيشكل أقوام البلغاء والمقدونين . وكان الحكام الإسلام يستخدمون الصقالبة لأغراض حربية أو للحراسة الخاصة . وأكثر الصقالبة في الأندلس من هذه الفئة ، وأغلبهم من الرقيق . وقد كثر عددهم في قرطبة ، وصار قسم منهم من ذوي بينما كان القسم الآخر من الخصيان الذين يخدمون الحريم .

الساقية Assaqiya . القرية Alcaria . قنطرة Alcontara . نقال Alnqqal .
الرطل Arratel . صحراء Safara . جبل Jabal . المعدن Almaden .
كذلك وأدخل العرب إلى أسبانيا صنوف المعارف الفكرية والعقائدية والتطبيقية ، ومن الكتب كل ما يبحث بهذه المعارف . فتعلم الأسبان منهم تقطيع الشعر ، وتركيب الألحان الموسيقية واللعب الرياضية وما إلى ذلك . ومن أسبانيا تسربت هذه المعارف إلى أوروبا بواسطة التجار والسواح ، وطلاب العلم ، ومحبي الإستطلاع الذين كانوا يدخلون حواضر الأندلس ليروا بأعينهم ما يسمعون عنه من روائع الفن والمدنية عند المسلمين .

أن أعظم وأخطر ما فعله دخول العرب إلى الأندلس هو أن عدداً غير قليل من الأسبان والإيطاليين تعلموا اللغة العربية واستطاعوا أن يترجموا كتبها العلمية والفلسفية إلى لغتهم اللاتينية والعبرية لتصبح أساس الحضارة الأوروبية القائمة .

نشأة الطب العربي في الأندلس

لا تختلف طريقة وصول الطب العربي إلى الأندلس ، ونشأته وسرعة إنتشاره فيها ، عن الطريقة التي وصلت بها هذه الصناعة إلى بغداد وإنتشارها إلى أطراف الخلافة العباسية . فقد كان العرب في بداية حكمهم بالأندلس ، وكذلك الأسبانيون فيها ، في أشد الحاجة إلى معرفة صناعة الطب ، وكان الحكام العرب في الأندلس لا يقلون عن الحكام العباسيين في تشجيع التعلم وتعضيد العلماء ، فأمروا بإستيراد الكتب العربية من المشرق الإسلامي ، وترجمة ما يحصلون عليه من الكتب اليونانية ، وتأسيس المكتبات ودور التعليم ، وشجعوا طلاب العلم على الإغتراب لدراسة هذه المعارف في مواطنها وعلى علمائها في المشرق الإسلامي .

وليس من السهل تحديد زمن دخول الطب العربي إلى أسبانيا الإسلامية . ولا يفترض أيضاً أن يكون الطبيب أبو إبراهيم المدحجي الذي دخل مع عبد الرحمن الداخل إلى أسبانيا هو الذي بدأ أول حركة في نشر العلوم الطبية بالأندلس . إلا أنه يحتمل أن يكون قد مارس الطب بأفكار وأساليب لم تكن معروفة يومذاك في أسبانيا . ويمكن التقرير بكثير من الصحة أن الفعاليات العلمية قد ظهرت لأول مرة في حكم الأمير الحكم الأول المتوفي سنة 206 هـ / 822 م أو الأمير محمد الأول المتوفي سنة 273 هـ / 886 م على أبعد حساب . ويعتبر كل من حمدين بن أبان (ابن أبي أصيبعة ص 485) ، وعبد الملك بن حبيب السلمي القرطبي (ت 238 هـ / 852 م) من أوائل الأطباء الذين ظهروا في إمارة قرطبة . ولابن حبيب هذا كتاب (مختصر في الطب) مخطوطته

في المكتبة الوطنية بالرباط (بنعبدالله ـ أطباء المغرب ، ص 11) مما يدل على أن الطب قد وصل في ذلك العهد المبكر في تاريخ الأندلس إلى مرحلة التأليف .
ووصل إلى البلاد في تلك الحقبة عالم اسمه أحمد الحراني قادماً من العراق ، وهو طبيب ملم بصيدلية الأشربة والمراهم . كما ظهر في تلك الأيام طبيبان عرفا بالاسم واللقب وهما جواد النصراني وابن ملكوكة النصراني (ابن أبي أصيبعة ص 485) ، وطبيبان آخران هما محمد بن طملون وعمران بن أبي عمر (ابن أبي أصيبعة ص 486 ، 486) . ثم ظهر في قرطبة أبو القاسم المرحيطي[1] فكان فاتحة ظهور العلماء والأطباء من المستويات العليا في الأندلس .
ولإعتبارات كثيرة يعد حكم الخليفة الناصر (300 ـ 350 هـ / 912 ـ 961 م) مستهل تدفق علوم المشرق في الطب إلى الأندلس ، وظهور نوابغ الأطباء والعشابين فيها . فعبد الرحمن الناصر يناظر من هذه الناحية أبا جعفر المنصور الذي يعد أيضاً أول خليفة عباسي دعي إلى نقل العلوم اليونانية إلى بلاده (اليعقوبي ـ مشاكلة الناس ص 4) .

وكان في زمن الخليفة الناصر قد وصلت إلى قرطبة نسخة من كتاب ديوسقريدس في الأعشاب والأدوية بترجمة اصطفن بن باسيل[2] والكتاب كما ذكرنا سابقاً من أجل المؤلفات بعلم النبات ، وهو أقدمها عموماً . ولأن ترجمة اصطفن لم تنج من أغلاط في نقل أسماء النبات من أصلها اليوناني إلى العربي ، لذلك لم يرتح إليها المهتمون بهذا الموضوع[4] . وكانت بين حكومة قرطبة

---

(1) المرحيطي ـ هو الشيخ أبو القاسم مسلمة بن أحمد الوضاح ، من أهالي قرطبة . وهو رياضي وموسيقار وفلكي وطبيب وكيمياوي . كان يتردد كثيراً على قرطبة وفيها توفي حوالي سنة 395 هـ / 1004 م ولم تصلنا من كتبه الاكتاب رتبة الحكيم في الكيمياء والسيمياء وكتاب غاية الحكيم وأحق النتيجتين بالتقديم . من تلاميذه ابن السمح المهندس الغرناطي المتوفي سنة 426 هـ / 1034 م والطبيب أبو عبدالله الكتاني المتوفي سنة 420 هـ / 1029 م وابن سليمان الزهراوي ، وابن الصفار القرطبي ، وابن خلدون الحضرمي (ابن أبي أصيبعة 482 ـ 483 ، 484 ، 485) .

(2) ابن جلجل ـ طبقات الأطباء (مقدمة المحقق ، ص (ي) .

(3) المصدر السابق ، ص (ك) . (4) المصدر السابق .

وحكومة القسطنطينية علاقة طيبة كما قلنا سابقاً ، وكانتا تتبادلان الهدايا . وكان من هدايا الملك البيزنطي أرمانيوس إلى الخليفة الناصر كتابان ، أحدهما كتاب ديوسقريدس المذكور آنفاً مكتوب باللغة اليونانية[5] . فصارت بحوزة علماء قرطبة من هذا السفر القيم نسختان إحداهما عربية والأخرى يونانية ولما عرف الملك البيزنطي أن سكان أسبانيا ينطقون باللاتينية وتصعب عليهم قراءة اليونانية بعث إليهم سنة 340 هـ / 951 م نقولا الراهب الذي يعرف اللغتين اليونانية واللاتينية ليساعدهم على ترجمة كتاب ديوسقريدس . وقد شاركه في ترجمة الكتاب كل من حسدي بن شبروط ومحمد الشجار وأبو عثمان الجزار المعروف باليابسة ، والبسباسي ، ومحمد بن سعيد الطبيب ، وأبو عبدالله الصقلي[6] وكان هذا الأخير يعرف اليونانية . وربما شارك هذه الزمرة في نقل الكتاب ابن جلجل الأندلسي ، وعبد الرحمن ابن اسحاق بن الهيثم .

أما الكتاب الثاني الذي أهداه الملك البيزنطي إلى الخليفة الناصر فكان في موضوع التاريخ وعنوانه (أورشيوس) ولغته لاتينية يفهمها الأسبان . وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية في زمن الحكم المستنصر (350 ـ 366 هـ / 961 ـ 976 م) وشارك في هذه الترجمة قاضي النصارى الوليد بن خيزران ، وقاسم بن اصبغ . ونذكر هنا كتاب أورشيوس بالرغم من أنه ليس في موضوع الطب ، إلا أنه من المراجع المهمة التي اعتمدها ابن جلجل في كتابه الهام (طبقات الأطباء والحكماء)[7] . وسوف نتكلم عن هذا الكتاب ومؤلفه في القسم المخصص لمصادر الطب العربي .

وساعد الخليفة الناصر على إستيراد العلم إلى بلاده من أطراف الدنيا ، وشجع من يشد الرحال لطلبه . فسافر أحمد بن يونس الحراني وأخوه عمر بن

---

(5) المصدر السابق .

(6) ابن جلجل ـ طبقات الأطباء (مقدمة المحقق ، ص (ى) .

(7) المصدر السابق .

يونس[8] إلى المشرق واتصلا بثابت بن سنان ابن قرة ، وبالكحال ابن وصيف الحراني[9] ورجعا إلى قرطبة يحملان معهما ما حصلا عليه من علوم الفلك والطب . كما سافر إلى العراق وفارس ومصر يحيى بن مالك العابدي[10] ومكث ينتقل بين تلك الأمصار ، ويجتمع بعلمائها ويقابسهم ويناظرهم في مجالسهم اثنين وعشرين عاماً ، فاستفاد منهم الكثير من نظريات الطب وممارسته . كذلك سافر محمد بن عبدون الجيلي العددي[11] ، ودخل البصرة والفسطاط . كما سافر أبو حفص عمر بن بريق[12] طبيب الناصر إلى القيروان ولازم طبيبها ابن الجزار ستة أشهر وتعلم أسلوبه في التطبيب ، ورجع إلى الأندلس يحمل كتاب أستاذه (زاد المسافر) . كذلك سافر ابن السمينة[13] إلى المشرق لنفس الغاية .

---

(8) أحمد وعمرهما على الأرجح ابنا يونس بن أحمد الحرّاني الذي قدم من المشرق إلى الأندلس في حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن (238 ـ 273 هـ / 857 ـ 886 م) وكان طبيباً معروفاً وينسب إليه بناء المسجد المعروف باسمه في قرطبة . رحل أحمد وعمر إلى المشرق في سنة 330 هـ / 941 م من عهد الخليفة الناصر وأقاما هناك عشرة أعوام درسا فيها الطب على ثابت ابن سنان الصابي والكحالة علي ابن وصيف الحراني ، ولما عادا إلى الأندلس أسكنهما الخليفة المستنصر مدينة الزهراء وألحقهما بخدمته . ولما توفي عمر انفرد أخوه أحمد بخدمة الخليفة . وكان بصيراً بالأدوية المفردة ويحسن تداوي العين . ولما استخلف هشام المؤيد بن المستنصر (366 ـ 399 هـ / 976 ـ 1009 م) أناط به إدارة الشرطة ومراقبة السوق .

(9) ابن وصيف الحراني الصابئي ـ طبيب وكحال عاش ببغداد بحدود سنة 350 هـ / 961 م أي في عهد الخليفة المطيع لله . وكان يمارس الطب والحكمة (القفطي ـ تاريخ الحكماء ص 436 وابن أبي أصيبعة ص 311) .

(10) يحيى بن مالك العابدي ـ هو أبو زكريا يحيى بن مالك بن عابد بن كيسان ويعرف بالعابدي . ولد بطرطوشه بالأندلس سنة 300 هـ / 911 م ، ورحل إلى المشرق سنة 343 هـ / 979 م

(11) (حاشية طبقات ابن جلجل، ص 106).

(12) أبو حفص عمر بن بريق ـ من أطباء قرطبة النبلاء في حكم الخليفة الناصر عبد الرحمن (300 ـ 350 هـ) . وكان متديناً يحسن تجويد القرآن ويقوم بإعطاء الفتاوى على باب داره . ويحسن المعالجة في الطب . وقد ورد اسمه في العيون لابن أبي أصيبعة بالتاء بعدها القاف .

(13) ابن السمينة ـ يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة . من أهالي قرطبة أبان خلافة عبد الرحمن الناصر . مارس التنجم والطب وتوفي سنة 315 هـ / 927 م (ابن أبي أصيبعة ص 482) .

ولابي الحكم عمرو بن أحمد الكرماني السرقسطي[14] الذي تعلم الطب في مدارس حران فضل كبير في تطوير العمليات الجراحية بالكي والشق في بلاد الأندلس .

ولما بلغ الأطباء أشدهم التفتوا إلى التأليف . ويحتمل أن يكون كتاب الأبريشيم الذي كتبه يحيى بن اسحاق[15] وزير الخليفة الناصر أول المؤلفات العربية في الطب التي ظهرت في عز الخلفاء الأندلسيين وازدهار أيامهم بالعلوم والفنون . وهذا الكتاب ، طبعاً ، غير كتاب الأبريشيم الذي كان يتداوله الأسبان النصارى عند الفتح الإسلامي . وقد ذكر ابن أبي أصيبعة ليحيى بن اسحاق الوزير (كتاب كبير في الطب) ، وربما كان هذا الكتاب هو الأبريشيم الذي ذكره ابن جلجل . ويعد الكتابان من المفقودات .

ولما صعد المستنصر إلى دست الخلافة ، وكان أكثر من أبيه الناصر شغفا بالعلوم والفنون ، وتعضيد العلماء ، صرف الأموال الطائلة لجمع المخطوطات النادرة وتأسيس (دار علم) على غرار بيت الحكمة في بغداد . وصارت في هذه الدار مكتبة تضم مئات الألوف من المخطوطات . كما استحدث فيها ركناً خاصاً للإستنساخ ، ورصد لها أموالاً كثيرة لإدامتها وشراء المزيد من الكتب والتحفيات ، وعين لها من يجيد اللغات الأعجمية ويحسن الترجمة إلى العربية .

ومما يجدر ذكره أن أغلب مصادر العلوم الطبية في خلافة الأندلس كانت من مؤلفات علماء بغداد وحواضر الخلافة العباسية . أي أنها عربية المصدر من أعمال حنين والرازي والمجوسي وابن سينا ومن في مستوياتهم . أو من كتب

---

(14) أبو الحكم الكرماني ـ عمرو بن أحمد بن علي الكرماني القرطبي . كان يتقن علم العدد والهندسة ، ثم سافر إلى حران في المشرق ومنها استزاد في علم الهندسة ، ودرس الطب أيضاً . ثم رجع إلى الأندلس واستقر بمدينة سرقسطة ، وصار يمارس فيها الجراحة بالقطع والشق والبط والكي وغير ذلك . توفي سنة 458 هـ / 1065 م . ومن معاصريه حسداي بن يوسف بن حسداي الإسرائيلي . ومن تلاميذه الحسين بن محمد بن الحسين بن يحيى المهندس (ابن أبي أصيبعة ص 484 ـ 485) .

أبقراط وروفس وديوسقريدس وجالينوس بالصيغة العربية التي صنعت في بيت الحكمة . ولم يعرف أن علماء الأندلس قد عملوا بالترجمة على نطاق واسع كما فعل علماء بغداد . وربما كانت ترجمة كتاب ديوسقريدس في الأعشاب هو العمل الوحيد الذي تم على أيديهم في هذا المجال . على أن أطباء الأندلس سرعان ما أضافوا إلى الأفكار التي وصلتهم من المشرق الإسلامي أراء ومبتكرات جديدة من خالص أعمالهم واكتشافاتهم ، وخصوصاً في علم الجراحة ، والنبات ، والصحة العامة ، ومفردات الأدوية . وتقدموا في هذه العلوم إلى مدى بعيد من المعرفة وصارت في حواضر الأندلس مراكز حضارية في الطب لا تقل أهمية أو حجماً عن حضارة خلافة المشرق في بغداد والقاهرة . كما أنها أقرب إلى أوروبا اللاتينية وأكثر تأثيراً عليها من حضارة المشرق .

أطباء الأندلس والمغرب

نبغ في الأندلس العربية أطباء لهم باع طويلة في العلوم الطبية . وكان شأنهم شأن زملائهم في المشرق العربي ، يجمعون إلى معرفتهم بالطب علوماً أخرى كانت يومئذ من متطلبات من يريد الإختلاط بعلية القوم والوصول إلى قصور الخلفاء والمناصب العالية . فكان منهم الشعراء والمنجمون والفلاسفة والفقهاء وغير ذلك . فنجحوا في إرضاء الخلفاء ونالوا ثقتهم والإعتماد عليهم في المشورة وسياسة الدولة . فقد ولى كل من الطبيب ابن وافد عبد الرحمن بن محمد اللخمي ، ويحيى بن إسحاق ، الوزارة في حكم عبد الرحمن الناصر . وبقي حسداي بن إسحق[1] يمارس الطب لحاجة الناس إلى فنه وهو بمنصب الوزارة . وكان عبد الملك بن زهر وزيراً للموحدين . كما ولي القضاء كل من سليمان أبي بكر بن باج[2] ومحمد بن تمليخ . ومنصب القضاء يومئذ من أعلى المناصب في الدول الإسلامية . وولي عبدالله الملك الثقفي[3] خزانة السلاح

(1) حسداي ابن اسحاق من أحبار اليهود في قرطبة والمتقدم في علوم شريعتهم وأول من وضع ليهود الأندلس تاريخهم وتقاويم طقوسهم الإجتماعية والدينية . وكانوا قبلاً يعتمدون على الأخبار التي تصلهم من بغداد بهذه الأمور . وبذلك انقطعت تبعية يهود الأندلس لحاخامي بغداد . خدم حسداي الخليفة عبد الرحمن الناصر ووزر للمستنصر (ابن أبي أصيبعة العيون ص 498) .

(2) ابن باج ـ في العيون لابن أبي أصيبعة ابن تاج (بالتاء المعجمة) وهو تصحيف . مارس الطب والكحالة . وخدم الخليفة الناصر . وكان حلو المجالسة وحسن المعالجة ومتفقها بالقضاء فولاه الناصر سنة 333 هـ / 944 م القضاء في شذونة وسبته . وأصيب ابن باج بقروح في احليله استوجب قطعه . وكانت هذه العلة سبب وفاته (ابن جلجل ـ طبقات الأطباء 102) .

(3) خدم الثقفي الخليفة الناصر ثم المستنصر (350 ـ 366 هـ / 961 ـ 976 م) . وكان عالماً

وهو منصب دقيق وخطر . وكان ابن جلجل من المؤرخين والعشابين المشهورين وله مركز مرموق لدى الخلفاء والأمراء .

وكان كثير من أطباء الأندلس مولعين بدراسة النبات وأزهاره وأثماره وجذوره ، وما يدخل منها في الإستعمالات الطبية ، ولا يعرف فيما إذا كان ذلك سبباً لإهتمامهم بكتاب ديوسقريدس في الأدوية ، أم نتيجة له . إلا أن طبيعة براري أسبانيا وجبالها الغنية بصنوف النبات لا شك قد لفتت أنظارهم إلى دراسة خصائص النبات الطبيعية ، ومعرفة ما يمكن استخلاصه منها لأغراض طبية . ومن هذا نبغ بعض الأطباء بهذا الإختصاص وصاروا من أعلامه الكبار في مشارق الأقطار الإسلامية ومغاربها . كان منهم أبو عبدالله بن عبد العزيز البكري صاحب كتاب أعيان النبات والشجيرات الأندلسية ، والسيد الغافقي أحمد بن محمد مؤلف كتاب العمدة في الأدوية المفردة ، وابن الرومية أبو العباس أحمد النبطي مؤلف كتاب تفسير الأدوية المفردة . ومن الذين كتبوا في هذا الموضوع أيضاً الوزير ابن وافد اللخمي والشريف محمد بن محمد الحسني ، ويونس (يوسف ؟) بن بكلارش اليهودي ، وابن سمجون ، وابن جلجل . ومما يلفت النظر كثرة المشتغلين بالأدوية المفردة في بلاد الأندلس ، وقد يكون أصل ذلك للتنويع المتوفر في أجواء تلك الديار مما يساعد على نبات مختلف الشجر على جبالها وفي وديانها . ولذلك نرى أن أكثر المؤلفات في مفردات الأدوية تتطرق بنفس الوقت إلى أصولها الأولى من النبات .

وبرز في الأندلس أطباء في العلوم الجراحية نذكر منهم أبا الحكم الكرماني ، أما أشهرهم فهو أبو القاسم الزهراوي . ويرجع الفضل إلى هؤلاء في ظهور فضائل هذا الإختصاص في الطب ، ودخوله إلى أوروبا اللاتينية لتصبح كتبه من مقررات الدراسة في جامعاتها ، ومن المراجع الأولى للممارسين في الجراحة .

= بصناعة المساحة وبآراء اقليدس . وولاه المستنصر خزانة السلاح وكان أعرجاً وأكولاً ، وفقد بصره في أواخر عمره . ومات بالإستسقاء وقيل بالإسهال .

أما أطباء المغـرب فكان أكـثرهم من ديار الأنـدلس وارتحلوا إلى المغرب بحكم ارتباطهم بخدمة أمراء المرابطين ومن بعـدهم الموحـدين اللذين حكموا كـلى البلدين بـالتعـاقب . من المشهـورين من أولئـك الأطبـاء أبـو مـروان عبد الملك بن زهر وأبو الوليد بن رشد والشريف الإدريسي . وفيما يلي تعـريف بأطباء الأندلس .

عريب بن سعيد[1]

من أطباء قرطبة في القرن الرابع الهجري . ويروى أنه من أسرة تعرف ببني التركي[2] . كما يذكر أنه كان أديباً وشاعراً مطبوعاً ، وإخبارياً ثقة بالتواريخ[3] ، وذو علم في النحو واللغة ، بالإضافة إلى كونه من الأطباء اللامعين والممارسين الماهرين في الصنعة . وكان يعتمد على آراء الأقدمين ، ويتابع أفكار المعاصرين[4] ، ويدخلها في مصنفاته الطبية . فأخذ عن أبقراط وديوسقريدس وجالينوس وعن أطباء الهنود كما أخذ عن إسحاق بن سليمان الإسرائيلي (ت 344 هـ / 955 م) المعاصر له .

ولا يعرف عن أول نشأة عريب شيء ، ولا عن شيوخه . ولأنه خدم في بلاد عبد الرحمن الناصر (300 ـ 350 هـ / 912 ـ 961 م) وابنه الحكم المستنصر (350 ـ 366 هـ / 961 ـ 976 م) فلا بد أنه عاصر كثيراً من الأطباء الذين عاشوا في قرطبة في تلك الفترة ، أمثال عمران بن أبي عمر ،

---

(1) ورد اسم عريب في يتيمة الثعالبي (52/2) بالعين المعجمة لا العين المهملة . وورد اسمه في نفح الطيب للتلمساني : عريب بن سعد لا سعيد . وفي اللباب للسيوطي : بضم العين وفي غيره بفتحها . أما في مخطوطة الكتاب المحفوظة بالأسكوريال فورد اسمه كاملاً كما أثبتناه . ونستغرب أن لا يكون لاسمه ذكر في معاجم المؤلفين والاعلام الحديثة .

(2) المراكشي ـ الذيل والتكملة ، السفر الخامس ص 141 ـ 142 .

(3) المصدر السابق .

(4) المصدر السابق .

(5) بروكلمان ـ تأريخ أداب اللغة العربية 288/4 .

ويحيى بن إسحاق الوزير ، وأبي بكر بن باج[6] ، والأعرف ابن أم البنين[7] ، وأبي حفص بن بريق[8] ، واصبغ بن يحيى[9] ، ومحمد بن تمليخ ، وأبي الوليد الكتاني[10] ، وأحمد بن حفصون[11] ، وأبي عبد الملك الثقفي[12] ، وابن عبدون العددي[13] . وغير هؤلاء . ولا بد أن يكون بين بعض هؤلاء وبين عريب بن سعيد علاقة بسبب المهنة أو وشائج الأدب والصداقة . إلا أن ابن جلجل لم يدرج اسم عريب في كتابه طبقات الأطباء والحكماء كما درج أسماء أولئك فيه ، ولم يشر إليه في أية علاقة مع الأطباء والعلماء الكثيرين الذين ترجم لهم في ذلك الكتاب .

ولعريب بن سعيد كتابان في الطب :

---

(6) ابن باج ـ تقدمت ترجمته .

(7) ابن أم البنين ـ من أطباء قرطبة في القرن الثالث الهجري . خدم الأمير عبد الرحمن الثالث . وكان ذكي الفؤاد ، معجباً بنفسه وله نوادر مستملحة .

(8) ابن بريق ـ أبو حفص عمر بن جعفر ـ ورد ذكره في العيون لابن أبي أصيبعة بالتاء المثناة لا بالياء المثناة ، تصحيفاً . اتصل بابن الجزار في القيروان وسافر إليه ودرس عليه ، ولما رجع إلى الأندلس حمل معه كتابه (زاد المسافر) . وكان مطرب الصوت ويجود القرآن المجيد ، وخدم في بلاط عبد الرحمن الناصر .

(9) اصبغ بن يحيى الطبيب ـ من أطباء الخليفة الناصر وصنع له حب الأنسون . كما يذكر أن عمران بن أبي عمرو هو الذي صنع هذا الحب للناصر .

(10) الكتاني ـ أو الوليد محمد بن حسين المعروف بالكتاني ، من أطباء الخليفة الناصر ، وأدرك المستنصر وخدمه . اشتهر بزهده في المال وحسن معاملته للمرضى ولذلك أحبته العامة كثيراً (ابن جلجل ، ص 109) .

(11) ابن حفصون ـ من أطباء المستنصر بالله بقرطبة المتوفي سنة 350 هـ / 961 م . له نزعة فلسفية ، ومتوقد الذهن ويحسن ممارسة الصنعة . أبعد عن بلاط الخليفة في أواخر عمره . وكان حياً سنة 372 هـ / 982 م (ابن جلجل ، ص 110) .

(12) طبيب ورياضي ومهندس وقد خدم الخليفة الناصروالمستنصروولى في أيامهما خزانة السلاح . وكان أعرج وعمي في آخر عمره ومات بالإستسقاء (ابن أبي أصيبعة ص 492 ، ابن جلجل ص 111) .

(13) رحل إلى المشرق وأخذ عن أبي سليمان السجستاني في المنطق ودخل الفسطاط بمصر ودبر بيمارستانها وعاد إلى قرطبة وخدم بالطب الخليفة المستنصر وابنه المؤيد (ابن أبي أصيبعة ص 492 ، ابن جلجل ص 115) .

(1) **عيون الأدوية .**

(2) كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين ـ وهو سفر قيم حسن التبويب واضح العبارة . ويحتمل أن يكون أقدم كتاب بالعربية اختص بطب الأطفال بما في ذلك كتاب المعالجات البقراطية لأحمد بن محمد الطبري (القرن الرابع الهجري) ، وأول كتاب في رعاية الأمومة أثناء الحبل وبعده في النفاس والرضاع .

(3) **كتاب في الأنواء .**

ويتكون كتاب خلق الجنين من خمسة عشر باباً :

الباب الأول ـ في المني والتلقيح . ويأخذ المؤلف في هذا الباب عن أبقراط وجالينوس .

الباب الثاني ـ في الباه وأعضائه والأدوية المستعملة له . ويأخذ في هذا الباب عن طب الهنود وما يستعملونه من الأعواد والحشائش في طب هذا الموضوع .

الباب الثالث والرابع ـ في تركيب الأعضاء الأنثوية الداخلية ووظائفها في الحيض والحبل ، وعلامات الخصب في المرأة ، والأدوية المستعملة في كل ذلك .

الباب الخامس ـ في تكوين الجنين والتفريق بين جنسيه الذكر والأنثى ، وتخلق أعصائه وعلاقته بالمشيمة ، وجل هذه المعلومات مأخوذة عن أبقراط وجالينوس .

الباب السادس ـ ويبحث في مدة الحبل . ويذكر فيه أن جالينوس وأبقراط يؤكدان أن الحبل الطبيعي لا يطول أمده إلى أكثر من تسعة أشهر . ويذكر المؤلف حالات شاذة طال أمد الحبل فيها إلى أكثر من ذلك بكثير ، وقد تصل إلى سنتين . كما يذكر أن الجنين الذي يولد في الشهر السابع من الحبل له فرصة الحياة ، أما الذي يولد في الشهر الثامن فلا يعيش . كما ذكر بعض

الشذوذ في خلقة الأجنة .

الباب السابع ـ ويبحث في الإضطرابات المعدية وعلاجاتها بالتغذية والأدوية ، كما يبحث في سقوط الحبل السري وطرق منعه .

الباب الثامن ـ ويبحث في الولادة واستقبال الجنين وتخليص المشيمة .

الباب التاسع ـ في إختيار المرضع وتدبير اللبن في الثديين .

الباب العاشر ـ في نبت أسنان الطفل .

الباب الحادي عشر ـ في معالجة الأمراض العارضة للطفل ، كالقروح في الفم ، والقيء ، والإسهال ، والسعال ، والبكاء ، وورم السرة ورطوبات الأذن ، والسعفة في الرأس .

الباب الثاني عشر ـ في مصيص اللثة (الحكة) ونبت الأضراس والحمى بسببها ، والأدوية المستعملة فيها .

الباب الثالث عشر ـ في كلام الطفل ومشيه وفطامه ، وفي مرض الربو ، والحصى في المثانة ، وعسر البول ، والديدان في الأجواف ، ثبور الجلد .

الباب الرابع عشر ـ في احتلام الغلمان وحيض الجواري ، وكبر الثدي ، وغزر الشعر ، وفساد البشرة .

وقد ترجم الكتاب إلى العبرية . وطبع بصيغته العربية في الجزائر سنة 1956 على مخطوطة الأسكوريال .

ابن جلجل الأندلسي[1]

هو أبو داود سليمان بن حسان المشهور بابن جلجل الأندلسي . ويقول بعض البحّاثة[2] أن إنقطاع نسبه باسم أبيه يدعو إلى الظن أن أصله من الموالي الأسبان الذين حملوا أسماء عربية تسبق ألقابهم الأعجمية كما فعل ابن بشكوال المؤرخ[3] ، وابن القوطية النحوي[4] ، وابن سيده اللغوي[5] ، وابن البغونش الطبيب[6] . وذكر ابن الأبار[7] أن أصل ابن جلجل من قرطبة ، وأنه كان

(1) اقرأ عن ابن جلجل في جذوة المقتبس للحميدي ص 219 وتاريخ الحكماء للقفطي ص 19 . والعيون لابن أبي أصيبعة ص 493 ـ 495 . ومقدمة كتاب طبقات ابن جلجل تحقيق فؤاد سيد ، ومعجم الأطباء لأحمد عيسى ص 207 . وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان 4/289 ، وكشف الظنون لحاجي خليفة ص 1096 ، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 4/136 و
Ullmann - Mediz. Islam, p. 229.
Brockelmann, 1/237, S. 1/422.

(2) فؤاد سيد ـ في مقدمة تحقيقه لكتاب طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ، ص (ى. ن) .

(3) ابن بشكوال ـ خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال . وينسب إلى الخزرج ، ولد بقرطبة وينسب إليها . شاعر ومؤرخ وله دواوين وكتب في التاريخ . توفي في قرطبة سنة 578 هـ / 1182 م .

(4) ابن القوطية ـ محمد بن عمر بن عبد العزيز الأشبيلي القرطبي . لغوي وأديب مشهور ، توفي بقرطبة سنة 367 هـ / 977 م وله مصنفات كثيرة .

(5) ابن سيده ـ علي بن إسماعيل الأندلسي الضرير ، عالم بالنحو واللغة وأيام العرب . من تصانيفه (كتاب المخصص) وهو قاموس موسوعي بخمسة أجزاء . في الجزء الثاني منه معلومات ومصطلحات طبية كثيرة . توفي حوالي سنة 458 هـ / 1066 م .

(6) ابن البغونش ـ أبو يحيى سعيد بن محمد بن البغونش . من مواطني قرطبة تعلم الطب على ابن جلجل وابن شناعة ومحمد بن عبدون العددي. ثم انتقل إلى طليطلة واتصل بأميرها =

يتردد وهو ابن عشر سنوات على جامعها ، وعلى جامع الزهراء ليسمع الحديث فيها . وتعلم اللغة على قراءة سيبويه ، والنحو على ابن القوطية وبدأ دراسة الطب وهو في الرابعة عشرة من عمره وأتمه وهو في الرابعة والعشرين . ولم يعرف له معلم في هذه الصناعة إلا أنه عاصر عدداً من الأطباء المشهورين مثل محمد بن سعيد ، وعبد الرحمن بن اسحاق بن هيثم ، وأبي عبدالله الصقلي ، ومحمد الشجار[8] . ولا بد وأن ابن جلجل اجتمع ببعض هؤلاء ، وقد يكون تعلم عليهم وأخذ عنهم . وأتقن الطب بالممارسة حتى برز فيها وصار من مشاهير الأطباء في الأندلس .

أدرك ابن جلجل أواخر حكم الخليفة الناصر ، وعاصر ابنه المستنصر (350 ـ 366 هـ / 961 ـ 976 م) كما أدرك حكم الخليفة هشام المؤيد بالله (366 ـ 399 هـ / 976 ـ 1009 م) وصار طبيبه الخاص ، وفي زمانه وضع أكثر مؤلفاته[9] .

وكان لابن جلجل ولع خاص بدراسة النباتات ، وتجمعت لديه معلومات غزيرة وقيمة من أنواعها ، وفوائدها ، واستعمالاتها في الطب . وعكف على دراسة كتاب ديوسقريدس في النبات المكتوب باللغة اليونانية التي كان ابن جلجل يعرفها ؟ وساعده في هذه الدراسة الراهب نقولا[10] . قال ابن جلجل في سيرته الذاتية :

= إسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن ذي النون . وتوفي ابن البغونش سنة 444 هـ / 1052 م بعمر 75 سنة .

(7) ابن الأبار ـ محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلنسي . فقيه وأديب ومؤرخ . استوطن تونس وقتل بها سنة 658 هـ / 1259 م .

(8) شارك كل من أبي عبدالله الصقلي ، ومحمد الشجار ، وعبد الرحمن بن إسحاق بن هيثم في ترجمة كتاب الحشائش لديوسقريدس إلى العربية وربما كان ابن جلجل معهم في هذه العملية .

(9) طبقات الأطباء ـ ابن جلجل ـ مقدمة المحقق ، ص (يز) .

(10) المصدر السابق ، ص (كا) .

(كان لي حرص شديد على تصحيح الكتاب (يقصد كتاب ديوسقريدس) لأنني خفت أن يدرس وتذهب منفعته لأبدان الناس . فالله قد خلق الشفاء وبثّه فيها أنبتته الأرض ، واستقر عليها من الحيوان المشاء ، والسابح في الماء المنساب ، وما يكون تحت الأرض في جوفها من المعدنية . كل ذلك فيه شفاء ورحمة ورفق)[11] .

توفي ابن جلجل الأندلسي بعد سنة 377 هـ / 987 م ومن تلاميذه ابن البغونش المتوفي سنة 444 هـ / 1052 م .

مؤلفات ابن جلجل

لم يكن ابن جلجل مكثراً في التأليف ، فله كتابان ورسالتان فقط . والكتاب الكامل الوحيد الذي وصلنا هو كتابه التاريخي : طبقات الأطباء والحكماء . وثلاثة من مؤلفاته الأربعة وضعها عن النبات .

(1) **طبقات الأطباء ـ والحكماء** ـ هو أشهر كتب ابن جلجل ، والوحيد الكامل مما وصلنا منها ، وأول كتاب تراجم بمحتواه يصدر في ديار الأندلس ، ولولاه لظل ينقص كتب التراجم الكثير من المعلومات عن تاريخ الطب في تلك الديار ، وأخبار حكمائها . وسوف نتابع الكلام عن هذا الكتاب في قسم : التعريف ببعض مصادر الطب العربي بهذا الكتاب .[12]

(2) **كتاب تفسير أسماء الأدوية المفردة** من كتاب ديوسقريدس مكتبة المجلس بطهران . وضعه المؤلف على قراآته في كتاب ديوسقريدس في الحشائش ، ولم يصلنا من هذا الكتاب ألا وريقات موجودة في مكتبة مدريد . وقد أخذ عن هذا الكتاب ابن البيطار المالقي والسيد الغافقي وغيرهما .

(3) **مقالة في ذكر الأدوية** التي لم يذكرها ديوسقريدس .

(4) **رسالة التبيين** فيها غلط فيه بعض المتطببين .

---

(11) المصدر نفسه .

(12) طبقات الأطباء ـ ابن جلجل ، مقدمة المحقق ص (كا) .

الزهراوي(1)

الزهراوي هو أبو القاسم خلف بن عباس . من أعلام الطب في كل زمان ، وأشهر جراحي القرون الوسطى دون منازع . وأحد الأطباء العرب القلائل الذين عرفتهم أوروبا اللاتينية واعتمدت على كتبهم في تدريس الطب وممارسته ما يزيد على خمسة قرون .

ولد الزهراوي بمدينة الزهراء ، وإليها ينسب ، كما ينسب إلى الأنصار . والأرجح أنه نشأ بقرطبة وأمضى كل حياته فيها . ولا نعرف في هذه الفترة الزمنية إلا قليلاً من الأطباء الذين خدموا في بلاط الخليفة المستنصر والمؤيد ،

---

(1) اقرأ عن الزهراوي في العيون لابن أبي أصيبعة ص 501 ، وبغية الملتمس للضبي ص 271 - 272 ، والصلة - ابن بشكوال ص 166 ، 368 . وجذوة المقتبس - الحميدي ص 195 ، وحاجي خليفة - الكشف ص 411 - 425 ، وسامي حداد - العروة عدد تموز 1936 ص 54 - 58 ، وبروكلمان الأدب العربي 4/300 - 303 ، وكحالة في معجم المؤلفين 4/150 ، والزركلي في الاعلام 2/358 . أحمد مختار / منصور - دراسة وتعليق على كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف - مجلة المخطوطات العربية 262 ، الجزء الثاني ص 475 - 519 .

Carrison - Introd. Hist. Medc. P. 131 - 132.

Leclerc - Arab Medicine, 1/437 - 457.

Brockelmann 1/239, Sezgin, 3/323 - 324.

Campbell - Arabian Medecine, 1/85 - 90.

Hamarnah - Climax of Chemical Therapy in the 10 th Century - Arabic Medicine in Islam, 38/1963, P. 287 - 288.

Spink and Lewis - Albucases (Introduction) P. 7 - 15

Davidson - Text Book of Ser Gery 10 th Edition 1972, P 614.

منهم أبو بكر حامد بن سمجون وأبو عبيدالله البكري ، وكلاهما من علماء النبات والعقاقير البارزين . وليس لدينا معلومات على من درس الزهراوي الطب من هؤلاء ، أو من غيرهم . إلا أنه على ما عرفنا من مؤلفاته ، قد قرأ ما كتبه الرازي في الحاوي والمنصوري ، والمجوسي في كتاب الملوكي ، وابن سينا في القانون . وعيسى بن الحكم (مسيح) وتياذوق ، وابن التلميذ البغدادي ، وعلي بن عيسى الكحال . ولما ولع بالطب الجراحي صار يلتهم ما كتبه بولس الأجيني وأتيوس الآمدي في هذا الإختصاص حتى أتقنه وأجاد العمل به . وهناك احتمال كبير أنه كان شيخاً لأبي بكر الكرماني[2] (ت سنة 458 هـ / 1092 م) ، وأبي العرب يوسف بن محمد[3] (ت بعد سنة 430 هـ / 1028 م) ، وأبي بكر أحمد بن الخياط[4] (ت 447 هـ / 1055 م) والدارمي[5] (ت سنة 444 هـ / 1052 م) وابن وافد اللخمي ويوسف بن أحمد بن حسداي[6] . وكان يخاطب تلامذته الكثيرين بكلمة يا أولادي . كما

---

(2) الكرماني ـ أبو الحكم عمرو بن أحمد . من علماء قرطبة في العدد والهندسة . سافر إلى حران بالعراق ودرس علوم الحساب والطب ثم رجع إلى الأندلس ومعه كتاب رسائل إخوان الصفا . وكان يتقن جراحة الكي والقطع والشق والبط . توفي سنة 458 هـ / 1065 م (ابن أبي أصيبعة 484 ـ 485) .

(3) أبو العرب يوسف بن محمد ـ عاصر ابن وافد اللخمي ، وابن البغونش . وكان مدمناً على شرب الخمرة فكانت تفسد اتصالاته بالمرضى . توفي بعد سنة 430 هـ / 1038 م (ابن أبي أصيبعة 495) .

(4) ابن الخياط ـ أبو بكر يحيى بن أحمد تلميذ أبي القاسم مسلمة المرحيطي . كان عالماً بالحساب والنجوم . توفي في طليطلة سنة 447 هـ / 1055 م (ابن أبي أصيبعة 497) .

(5) الدارمي ـ أبو الحسن عبد الرحمن بن خلف الدارمي . يعتمد في ممارساته الطبية على أفكار أبقراط وجالينوس وعلى أفكار شيخه ابن البغونش المتوفي سنة 444 هـ / 1052 م (ابن أبي أصيبعة 497) .

(6) يوسف بن أحمد بن حسداي ـ طبيب مشهور بقرطبة ، ويعتمد على الطب اليوناني وبخاصة على أفكار أبقراط وديوسقريدس وجالينوس . سافر إلى مصر أيام الأمر بالحكام الله الفاطمي المتوفي سنة 421 هـ / 1030 م . .
وكان مدمناً للخمر واجتماعياً يحب النكتة (ابن أبي أصيبعة 499 ـ 500) .

يذكر أنه كان من الزهاد ، ويمارس صناعته بالمجان ، ولم يعرف له نسل .

اشتهر الزهراوي طبيباً وجراحاً ، وكان ظهور أفكاره حدثاً تحولياً في طرق العلاجات الطبية ، فهيأ للجراحة قدرة جديدة في شفاء المرضى أذهلت الناس أكثر بكثير مما فعلته أفكار أبي العباس المجوسي في المشرق بهذا الإختصاص . وقد لمعت مكانة الزهراوي بالجراحة في أوروبا اللاتينية أكثر مما كان لها بين أهل بلده ومعاصريه من ذوي المهنة . ولم يترجم له المؤرخون العرب إلا بقدر ما ترجموا لغيره من الأطباء المغمورين . قال عنه ابن أبي أصيبعة بالنص الآتي :

(وكان طبيباً فاضلاً ، خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة . جيد العلاج . وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب ، وأفضلها كتابه الكبير المعروف بالزهراوي . ولخلف بن عباس الزهراوي من الكتب : كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف . وهو أكبر تصانيفه وأشهرها . وهو كتاب تام في معناه)[7] .

واكتفى ابن أبي أصيبعة بإعطائنا هذا القدر القليل من المعلومات عن أعظم أطباء عصره . وكانت هذه الترجمة القصيرة تكفي لتقدير الزهراوي في الطب لولا أننا نعرف أن ابن أبي أصيبعة كريم غاية الكرم في مدح من هب ودب في العلم . أما في الغرب اللاتيني فقد نقلوا كتابه التصريف إلى لغتهم ليكون أحد مقررات كتبهم الجامعية . كما تيمنوا بصورته ووضعوها مرسومة على الزجاج الملون في دور العبادة حيث يصلي المرضى إلى الله ويدعون منه أن يمن عليهم بالشفاء على أدوية صاحب هذه الصورة . وقال يراون عن الزهراوي : (أنه أعظم جراح عربي أنجبته الأمة الإسلامية) وهذا النعت بلغة هذا العالم المستشرق وتقديره ، هو أكثر ما يمكن أن يمتدح به عالم عالماً آخر .

ومصدر شهرة الزهراوي كتابه التصريف لمن عجز عن التأليف ، وهو موسوعة في صنوف المعارف الطبية ، أبرز ما فيها قسمه الجراحي ، وهو المتوفر منه مطبوعاً . ويشير المؤلف في كتابه المذكور إلى مصادر كتابه فيذكر بالإضافة إلى

(7) ابن أبي أصيبعة ـ العيون ص 501 .

أعلام الطب اليونانيين الذين ذكرناهم ، ابن ماسويه ، وحبيش الأعسم ، وماسرجويه البصري ، وابن ربن الطبري ، وابن نوح القمري ، وعلي بن عيسى الكحال ، وإسحاق بن عمران ، وأبا الفرج بن الطيب ، وابن بطلان ، وابن جلجل ، والغافقي ، وأبا سهل المسيحي وابن جزله البغدادي[8] ، مما يدل على متابعة الزهراوي لما دون من التجارب الطبية وما ظهر فيها من جديد . فأفادته هذه النظرة الواسعة الشاملة على إكتشاف فنون جديدة في الجراحة لم يسبقه إليها أحد . فكان أول من وصف الناعور (الهيموفليا) وأول من رفع حصاة المثانة عن طريق المهبل[9] ، وأول من كتب في تشوهات الفم وسقف الحلق[10] وأول من ربط الأوعية الدموية بخيوط الحرير ، وخاط الجروح بشعر ذيل الخيل . وربما كان أول من أشار إلى حالة الحبل خارج الرحم[11] ، وإلى المشيمة المتقدمة في الحبل ، وسلس البول بسبب النواسير المهبلية المثانية . وقال عن بعض هذه الحالات أنها غير قابلة للشفاء بأي علاج . ولا يزال هذا النوع من البواسير ، كما قال الزهراوي ، ما لا يمكن علاجه بأية طريقة إلى هذا اليوم ، أما التحايل بعملية جراحية لتحويل مجرى البول إلى الإمعاء الغليظة ، فهو لمنع سلس البول لا لترميم الناسور بأي حال .

كما كان الزهراوي أول من شق جيب المياه أثناء المخاض لتعجيل الولادة[12] . ومما لا شك فيه أن الزهراوي قد اكتشف ملقط التوليد قبل أن يكتشفه جمبرلن بأكثر من خمسة قرون . كذلك يعتبر الزهراوي أول من تحايل على فحص محتويات الحوض في المريضات البكور عن طريق المقعد . وكان جالينوس يستعمل قثطرة لتفريغ المثانة على شكل حرف S اللاتيني بانحنائين يسيرين فجعلها الزهراوي منحنية من طرف واحد ، وهو تطوير إلى الأفضل ،

---

(8) الشطي - تاريخ الطب ص 133 .

(9) المصدر السابق ص 129 ، 134 .

(10) Carrison, P. 131.

(11) Spinx and Lewis, P. 480.

(12) Ibid, P. 460

وكان يصف المنظار المهبلي في سرده لخطوات فحص المريضة أكثر مما يذكر اسمه . وصورة المنظار كما رسمها مارش وهنتنكتون غير واضحة ولا تنطبق على وصف الزهراوي لهذه الآلة ، ومن الضروري تصليح الصورة بما يطابق نص وصف الآلة ، ومما يذكر عن الزهراوي أيضاً أنه أول من وصف ضربات القلب الضائعة Missed Beats .

وفي كتاب التصريف ما يدل على أن الزهراوي كان يولي اهتماماً كبيراً لعلم التشريح ، ويعتبر معرفته ضرورية لممارسة الجراحة بسلام وأمان . كما يذكر أن الجراحة في أيامه في مستوى لا يناسب المستويات العالية لعلوم الطب الأخرى ، ويشكو من عدم وجود أطباء من الجنس النسوي أو قابلات على مستوى عالي ، وقد يكون ذلك هو الذي دفعه إلى الإهتمام بموضوع الجراحة ، وبالجراحة النسائية بشكل غير إعتيادي بالنسبة إلى ذلك الزمن .

ويبرز في أعمال الزهراوي حسه العملي في الطب الجراحي وتقنية العمل فيه ، ونظرته الخاصة إلى الأورام ، والتحايل على قلعها ، وإعتماده على الكي والشق إذا فشلت الأدوية في علاجها . وقال في ذلك أن الأورام على نوعين : المرجلية التي تشبه العقرب الكثيرة الأرجل . والسرطانية ، والرخوة . . . وفي أورام الرحم قال : أنها إما سليمة وتعالج بالاستئصال ، أو خبيثة لا فائدة من علاجها[13] . وما أصدق هذا الحكم على ما فيه من اقتضاب .

وكثرة مصورات الآلات الجراحية في كتاب التصريف ، وتنوعها واختلاف تصاميمها بحسب شكل الأعضاء ومواضعها في الجسم ما يؤكد على أن الزهراوي لم يكن عالماً في العلوم الجراحية فحسب ، بل كان أيضاً يمارسها بإتقان وسعة وتفنن . إن الكتب البيزنطية التي كان الزهراوي يعتمد عليها ليس فيها صورة واحدة للآلات التي استعملها الأطباء البيزنطيون في عملياتهم الجراحية . فالكثير من آلات الزهراوي لا تقليدية ، كما أنها تدلل على أن هذا الطبيب كان قد مارس العمليات الجراحية التي أفاض في الكلام عنها بكتابه التصريف .

---

(13) Ibid, P. 461.

من آلات الجراحة التي استعملها أو ابتكرها الزهراوي : أنواع من المراود ، والصنانير والمباضع ، والمناشير ، والملاقط ، والكلاليب وأدوات التشمير ، ولوالب المهبل وعنق الرحم ، والمجارد ، والمباخر ، والقثاطير ، والمشارخ ، والمشارط والمحاجم ، والمقادح ، والمقاصيص ، والمقاطع ، والمثاقب ، والمكاوي وغير هذه كثير .
ومصورات هذه الآلات تزين كتاب التصريف المطبوع . على أن قسماً من تلك المصورات قد طورها الناشرون فابتعدت أشكالها قليلاً أو كثيراً عن أوصافها التراثية .

ربما كان أبو القاسم الزهراوي ، الطبيب الوحيد الذي لا يرد اسمه على اللسان إلا ويقفز إلى الخاطر سعة اختصاصه في الطب الجراحي وتنطسه بعلومه وسعة ممارسته فيه ، فكأنه وهذا الإختصاص اسمان لذات واحدة .

توفي الزهراوي في حوالي سنة 427 هـ / 1106 م[14] ، وله كتابان :

(1) تفسير الأكيال والأوزان ـ وقد حققه ونشره عبد الحميد العلوجي في بغداد سنة 1976 . وأكثر الإحتمال أن هذا الكتاب من بعض أجزاء كتاب التصريف المفقودة .

(2) التصريف لمن عجز عن التأليف ـ ويسمى أيضاً كتاب الزهراوي إختصاراً . وهو بثلاثين كتاب هي :

الكتاب الأول ـ في كليات الطب .

الكتاب الثاني والثالث في الأمراض وأسبابها من القرن إلى القدم . وقد ترجم شائيم توب هذين الكتابين إلى العبرية في القرن الثالث عشر وطبع باللغة اللاتينية في اكسرغ سنة 1519 ، 1930 .

الكتاب الرابع والكتب التي تليه إلى الكتاب السابع والعشرين ـ في

---

(14) كما قيل أنه توفي سنة 404 هـ / 1013 م وهو بعمر 97 سنة .

الأدوية المركبة .

والكتاب الثامن والعشرون والتاسع والعشرون ـ في الأدوية المفردة بمختلف اللغات .

والكتاب الثلاثون ـ في الجراحة عامة ، ويتكون من ثلاثة أبواب رئيسة هي :

الباب الأول ـ في الكلي بالنار ، والكلي بالدواء الحاد ، وطرق تطبيقها باختلاف المواضع من الجراحة عامة ، ويتكون من ثلاثة أبواب رتّبت باختلاف المواضع من الجسم ، مع ذكر الأمراض التي يستطب لها .

الباب الثاني ـ في الشق والبط والفصد ، وفي الخراجات ونحوها . ويدخل في ذلك عمليات الأسنان وأورام الفم والحلق ، وجلدة الرأس ، والثدي ، وإستخراج الحصاة من المثانة ، وعملية الإخصاء ، وعلاج الخنثاء ، واستئصال الخنازير ، وإصلاح الرتقة ، وعمليات الإمعاء والدوالي وغير ذلك .

الباب الثالث ـ في عمليات الجبر والخلع .

وقد ترجم جيرارد الكريموني الجزء الثلاثين من الكتاب إلى اللاتينية في طليطلة في القرن الثاني عشر ، ومنها نقل إلى اللغة العبرية من قبل شائيم توب ، فأخذ عنه روجر البالرمي وجراح فرنسا الكبير شولياك . وبقي اسم الكتاب ومؤلفه في كتب الطب ومدارسه بأوروبا زهاء أربعماية سنة . وقد طبع قسمه الجراحي باللغة العبرية مع ترجمة لاتينية لها بأكسفورد سنة 1778 باسم مقالة أبي القاسم في عمل اليد . وطبع مجموع ما وجد من كتاب التصريف باللغة اللاتينية في كوتنبرغ سنة 1915 .

ومخطوطة كتاب التصريف بلغته الأصل بمكتبة الراهب مارش ، ويرجع تاريخ نسخها إلى سنة 1274 ، ونسخة منه في مكتبة غوته وبودليانا والوطنية بباريس ومكتبة هانتنكتون والمتحف العراقي وغيرها . وطبع القسم الجراحي من الكتاب بصيغته العربية الأصل في حيدر آباد الدكن سنة 1326 هـ /

1908 م ، كما له ترجمة تركية بقلم صابونجي أوغلو شرف الدين بن علي الحاج الياس كذلك صدرت له طبعة أنيقة بالصيغة العربية مع ترجمة إنكليزية من صنع [15]

Spink and Lewis (University of Calfornia Press 1973)

وقد اعتمدها على مخطوط أحمد الثالث وحاجي بشيراغا وخدابخش .

(3) مقالة في عمل اليد (باريس) وقد ترجمت إلى اللاتينية باسم جراحة أبي القاسم ، ونشرت بصيغتها العربية مع ترجمة انكليزية في أكسفورد سنة 1778 .

(3) رسالة عن أمراض النساء (برومكلمان 303/4) .

---

(15) اختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً في تثبيت سنة وفاة الزهراوي . قالها البعض قبل سنة 400 هـ / 1009 م وقالها آخرون بعد ذلك ببضعة عقود من السنين . وقال ناشر كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف في المقدمة (العثمانية حيدر آباد الدكن) أنها كانت في سنة 500 هـ / 1106 م . وفي ذلك ابتعاد كثير عن الحقيقة .

أسرة بني زهر[1]

بنو زهر من نبلاء عرب الأندلس الذين اشتهروا بالجاه والتقوى والطب ما بين القرنين الخامس ـ السابع الهجري / الحادي عشر والثالث عشر الميلادي . وجدهم الأعلى (زهر) من قبيلة أياد بن محمد بن عدنان وينسبون إليها ، جاء من الجزيرة العربية إلى الأندلس واستطاع حفيده محمد (أبو بكر) بن مروان بن زهر ، المتوفي سنة 422 هـ / 1030 م أن يبرز بين فقهاء أشبيلية ويكوّن له مركزاً محترماً بين الناس . أما أعقابه من أبناء الأسرة فقد اشتهروا بالطب بالإضافة إلى علومهم الفلسفية والدينية . كما جرفت السياسة بعضاً منهم فوزروا للمرابطين (453 ـ 541 هـ / 1061 ـ 1146 م) والموحدين (515 ـ 665 هـ / 1125 ـ 1266 م) المعروفين بتعصبهما الشديد للإسلام ، ومعارضتهما لأصحاب الآراء التقدمية في المنطق والفلسفة . وقد هادن بنو زهر سياسة الحكام المذكورين ، وابتعدوا عن كل ما يعارضهما . حتى أن ابن زهر الحفيد طرد من مجلسه اثنين من تلاميذه حين لاح له من بين طيات ثيات أحدهما كتاب في المنطق الذي كان يومئذ بوق المتحذلقين بالآراء الفلسفية الحرة .

1 ـ أبو مروان عبد الملك بن أبي بكر بن زهر[2]

هو ابن مؤسس الأسرة محمد (أبو بكر) بن مروان بن زهر ، وأول

---

(1) ابن أبي أصيبعة ـ العيون 517 . وتكتب زهر بضم الزاء وسكون الهاء .

(2) اقرأ عنه في العيون لابن أبي أصيبعة 517 .

طبيب من أبنائها . تفقه على أبيه ، وسافر إلى القيروان حيث درس مبادىء صناعة الطب . ثم توجه إلى القاهرة وعمل في بيمارستاناتها . كما دخل بغداد أيضاً (المقري ـ نفح الطيب 1/445) . ومن بغداد رجع إلى دانية في الأندلس ، ثم انتقل إلى أشبيلية وصار من مشايخ الأطباء فيها . على أنه لم يكن دقيق الحكم في بعض آرائه الطبية . ومن الغريب أنه كان يعتقد أن الحمام يتلف إخلاط البدن ويفسد الأمزجة . وهو رأي يبدو غريباً لا يصدق ، إلا إذا قصد بالحمام الشديد الحرارة .

توفي أبو مروان بن زهر في أشبيلية سنة 471 هـ / 1078 م .

2 ـ أبو العلاء زهر بن عبد الملك[3]

هو زهر بن أبي مروان عبد الملك بن زهر المتقدمة ترجمته . أخذ الطب عن أبيه ، كما أخذه عن أبي العيناء المصري ، فحذق في هذه الصناعة واشتهر بها . وفي أيامه دخل المرابطون إلى أشبيلية سنة 483 هـ / 1009 م فضموه طبيباً إلى حاشيتهم بمراكش ، وهو أول طبيب مشهور من الأندلس يدخل المغرب الأقصى . وهنا استوزره الأمير يوسف بن تاشفين ، وخصه طبيباً له . وفي زمانه استورد التجار كتاب القانون لابن سينا إلى الأندلس ، إلا أن هذا الكتاب لم يعجب أبا العلاء وانتقده بمقالة رد فيها على بعض مضامينه ، خاصة ما له علاقة بالأدوية المفردة . كما انتقد رد ابن رضوان المصري على كتاب المدخل إلى الطب لحنين بن اسحاق .

توفي أبو العلاء سنة 526 هـ / 1131 م ودفن بأشبيلية . وله من المؤلفات :

(1) كتاب حل شكوك الرازي على كتب جالينوس .

(2) كتاب في النكتب الطبية .

(3) كتاب في الأدوية المفردة (غير كامل) .

---

(3) المصدر السابق 519 والتكملة لابن الابار 76 .

(4) **كتاب الإيضاح بشواهد الإفتضاح** في الرد على ابن رضوان فيما رده على حنين بن إسحاق في كتاب المدخل إلى الطب .

(5) **كتاب في الرد على ابن سينا** في مواضع من كتابه في الأدوية المفردة .

(6) مجربات في الطب ـ دونها حين أقام بصحبة المرابطين بمراكش سنة 526 هـ / 1131 م ولما توفي أمر علي بن يوسف بن تاشفين يجمعها فصار منها كتاب المجربات ، ومخطوطته في الأسكوريال .

(7) كتاب التذكرة ـ ويتضمن مشاهدات سريرية دونها لابنه أبي مروان . وله صيغة عبرية وأخرى لاتينية (مكتبة كلية الطب في باريس) وقد أعيد طبعها باللاتينية عدة مرات . وترجم الكتاب إلى الفرنسية أيضاً في سنة 1911 .

(8) رسالة في أمراض الكلي ، وضعها لعلي بن يوسف بن تاشفين . ولها صيغة لاتينية فقط نشرت سنة 1497 . أمسا الأصل العربي فيعد من المفقودات .

(9) جامع أسرار الطب (الوطنية بالرباط) .

(10) **كتاب حول الخواص** ـ أخذ عنه ابن البيطار فى خواص لحوم الحيوان .

(11) **مقالة في شرح رسالة يعقوب الكندي حول تركيب الأدوية .**

3 ـ أبو مروان عبد الملك بن زهر[4]

هو أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر بن أبي مروان بن زهر وكان من قادة الفكر الإسلامي بالمغرب الأندلسي ، والمتعصبين له ، وأبرز أطباء

---

(4) اقرأ عن أبي مروان عبد الملك زهر في ابن أبي أصيبعة 519 ـ 521 ، التكملة لابن بشكوال 616 . شذرات الذهب لابن العماد 4/179 . الاعلام للزركلي 4/303 . معجم المؤلفين 6/182 . والتراث العربي لميشيل خوري ، عدد 2 سنة 198 ، والطب والأطباء بالمغرب لعبد العزيز بن عبدالله ص 16 ـ 28 ، وأداب اللغة 3/106 ودائرة المعارف الإسلامية 1/184 . Leclerc 2/83 - 86, Brockelmann, S. 1/890 .

بني زهر ، وأشهرهم عند الأوروبيين في العصر الوسيط . ويعرف بينهم باسم Abomeroan . درس عبد الملك بن زهر الفقه والأدب والطب على أبيه ، إلا أن الطب صار الغالب عليه . وكان كالآخرين من أفراد أسرته يعارض الأفكار الحرة التي تشذ عن الشريعة الإسلامية ، ومثل أبيه لا يميل إلى آراء ابن سينا ولا يعتمد على كتاب القانون ، وكانت أفضل المراجع عنده كتب جالينوس كما ولع بدراسة الأدوية المفردة وتحضيرها . واستخدم نظرية الأخلاط في تفسير الأمراض ، والأغذية في معالجتها . وكان يعتمد في بحوثه على المنطق والتمحيص بالإستنتاج بقدر اعتماده على العمل اليدوي . وكانت ممارسته واسعة ، وقد دون فيها مشاهداته باتقان ودقة . فوصف التهاب التامور وخرّاج الحيزوم الذي قيل أنه هو نفسه كان مصاباً به . كما وصف باسهاب عملية رفع الحصى من الكلية[5] ، وعملية فتح القصبة الهوائية . وهو أول من دعي إلى تغذية المريض عن طريق الشرج ، وبمص السوائل بواسطة أنبوبة قصدير للمصابين بعسر البلع . وهو ثاني طبيب بعد الإسكندر التزالي[6] في وصف دويبة الجرب[7] ، وسماها (صوابة) .

وقد ورد في كتابه (التيسير) أنه كان لا يرتاح من إجراء العمليات الدموية ، وأن هذه ، تثير في نفسه الغثيان ، بينما لا يبالي من الأعمال الصيدلانية التي يستعمل فيها يديه لعمل المعاجين والأشربة ، إلا ما يدخل الخمر في تراكيبها فإنه يعافها ويكلف غيره لصنعها ، كما يكلف غيره أيضاً بإجراء العمليات الجراحية إذا استطبها لمرضائه .

وكان أبو مروان يتقيد بالسلوك المهني ، وبما كان يدعو إليه أبقراط في قسمه ، ويقول في كتاب التيسير أنه أقام هذا القسم أمام أبيه حينما بدأ في أول أمره بتعلم الصنعة عليه ، كما كان متزمتاً بأصول الممارسة فلا يرتجل

---

(5) Campbell - Arab Medc. 1/20 .

(6) السكندر الترالي سبقت ترجمة .

(7) Carison - introd. Hist. Medc. P. 132. .

الأدوية قبل أن يفحص المريض ويصل إلى تشخيص مرضه . ويشير بانتقاد في كتابه المذكور إلى زملائه الذين لا يعملون بهذه القاعدة . ويبدو من نصوص مؤلفاته أيضاً أنه ليس حدياً في عرض أرائه ، كما أنه لا يأخذ دائماً ما يقرأه على غيره محمل الثقة واليقين سوى قلة من المؤلفين ، أولهم جالينوس .

وقد التحق عبد الملك بن زهر بركب الأمراء المرابطين كما فعل أبوه ، فاستصحبوه معهم إلى مراكش ، ولأمر ما سخط عليه علي بن يوسف بن تاشفين سنة 535 هـ / 1140 م ، وأودعه السجن . وكان من تلاميذه في محبسه أو الحكم بن غلندو الأشبيلي ، وقد قرأ عليه كتاب الإقتصاد ، وهو أحد كتب أبي مروان بن زهر .

وحين دخل الموحدون سنة 540 هـ / 1145 م إلى أشبيلية تحسنت أحوال ابن زهر في أيامهم ، وصار طبيب أميرهم عبد المؤمن بن محمد بن تومرت وصحبه إلى مراكش ، ثم خدم من بعده ، يعقوب المنصور (580 - 595هـ / 1184 - 1198 م) وأكثر الإحتمال أنه توفي في أيام هذا الأمير وقيل أنه توفي بالسرطان وأبوه أيضاً ، وكان هذا الداء سبب وفاة أبيه أيضاً . ومن تلاميذه ، أبو الحسين بن أسدون الملقب بالمصدوم[8] ، وأبو محمد الشذوني[9] ، وأبو الحسن الزهري[10] ، وأبو الحكم بن غلندو الأشبيلي[11] .

---

(8) المصدوم - هو أبو الحسين بن أسدون . من أطباء أشبيلية . عرف متديناً وأديباً وشاعراً توفي سنة 588 هـ / 1192 م من تلاميذه ، عبد العزيز بن مسلمة الباجي .

(9) أبو محمد الشذوني - من أطباء أشبيلية . درس على أبي مروان بن زهر . خدم محمد الناصر ويوسف المستنصر المتوفي سنة 620 هـ / 1224 م .

(10) أبو بكر بن أبي الحسن من أطباء أشبيلية في أيام المستنصر الموحدي (ت 620 هـ / 1223 م) وتولى القضاء فيها وكان يحسن لعب الشطرنج فلقّب به ، فتضايق من ذلك وتعلم الطب ليتخلص من اللقب ، وصار يطبب الناس بلا أجر . توفي في دولة المستنصر وعمره خمس وثمانون سنة .

(11) Campbell - Arab. Medc. 1/60 .

ولعبد الملك بن زهر من الكتب في الطب :

(1) كتاب الإقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد ـ ويتضمن مؤشرات تفيد من له إلمام بهذا الفن وقدم في معرفته . وفيه أيضاً أخبار معاصريه من الأطباء وتعقيب على بعض أعمالهم في المهنة . وقد صنف هذا الكتاب لإبراهيم بن يوسف بن تاشفين (ت 516 هـ / 1122 م) ومخطوطته في المكتبة الوطنية بباريس ، والعبدلية بالزيتونة .

(2) كتاب الأغذية ـ ألفه لعبد المؤمن الموحدي (المكتبة الوطنية ـ باريس) .

(3) كتاب الزينة .

(4) **تذكرة في الدواء المسهل** وكيفية أخذه وقد وضعه لابنه الحفيد .

(5) **مقالة في علل الكلى** ـ وفيه وصف لحصى الكلية ومعالجتها .

(6) **رسالة في البرص** .

(7) **تذكرة في علاج الأمراض** نسبها إلى ابنه الحفيد .

(8) كتاب وجد بالعبرية بقلم صموئيل بن تلموق بالاشتراك مع يعقوب بن طيون الإيطالي وقد سمي سارتون هذا الكتاب **Lamp of Healing** أي **مصباح الشفاء** .

(9) **رسالة في تفصيل العسك على السكر** (المكتبة العبدلية) .

(10) **القانون المقتضب** (م . العبدلية) .

(11) **جمع الفوائد المنتخبة من الخواص المجرية** (أحمد الثالث) .

(12) **كتاب التيسير في المداواة والتدبير** ـ وهو أضخم كتب ابن زهر . وضعه لزميله وصديقه ابن رشد وبطلب منه ، ليكون مكملاً لكتابه الكليات في الطب . والكتاب بسفرين وضعهما المؤلف بالأسلوب السريري والعلمي وعلى التجربة في ممارساته على المرضى ، كما أدخل فيه مبتكراته في الطب والجراحة التي ذكرناها . وألحق به مقالة باسم

الجامع ، وهي مجموعة من الوصفات الطبية .

ومخطوطة كتاب التيسير في المكتبة الوطنية بباريس ، والمتحف البريطاني وبودليانا ، ونسخته مع (الجامع) مكتبة الوطنية بغوته .

ترجم كتاب التيسير إلى العبرية ، ومن هذه اللغة حوّل إلى اللاتينية العامية ، ثم نقلها من هذه اللغة بارافاسيوس إلى اللاتينية الفصحى سنة 1280 . وطبع الكتاب بهذه اللغة في البندقية سنة 1490 ، وطبع أربع مرات أخرى كان أخرها سنة 1530 . وفي مكتب اللغات الشرقية بباريس نسخة من الكتاب يرجع تاريخ طبعها إلى سنة 1521 وهي بمجموع يضم كتاب الكليات لابن رشد . كما ترجمه جيوفاني دي كابوا (النصف الثاني من القرن الثالث عشر) إلى اللاتينية أيضاً .

ولأهمية كتاب التيسير وموقعه بين كتب الطب العربية وما صنعه في جامعات أوروبا اللاتينية ندرج فيما يلي مفردات موضوعاته لنكشف عن شموليته وقيمته العالية في الطب النظري والعلمي . يشمل الكتاب ثلاثة كتب ضمنية هي :

الكتاب الأول / وفيه ست عشرة رسالة :

(الرسالة الأولى) في قروح الرأس (خاصة بالأطفال) وهي القرع وداء الثعلب والصلع وتشقق الشعر ، والسعفة ، وتبييض موضع من الشعر ، ونبات الشعر في غير موضعه ، والقمل والصواب .

(الثانية) ما يعرض في الرأس من الجراحات بالحدائد والحجارة والعيدان .

(الثالثة) أمراض الرأس من البرد والحر والرطوبة واليبس وأورام الغشاء الذي فوق العظم ، وأورام الأغشية التي تحت العظم . وأورام جوهر الدماغ .

(الرابعة) في أمراض الأذنين بالأورام ، وثقل السمع .

(الخامسة) في أمراض الأنف ، والرائحة القبيحة في داخـل الانف ، والأواكل الكثيرة الأرجل داخل الأنف .

(السادسة) في أمـراض الفم ، وورم اللسان واللهـاة واللوزة ، وبثور الفم وأورامه وقروحه ، واهتزاز الأسنان ، وثقب الأسنان وضرسها .

(السابعة) في أمراض الشفاه ، والفم ، ونتن الفم ، ولقوة الفم .

(الثامنة) في أمراض العينين بما فيهـا الحول ، والشتـر إلى أسفل ، وجـرب الأجفان والتـزاقها ، واعـوجاج الشعـر إلى داخل منبتهـا وانقلابهـا . وانتشـار الأشفار والقمـل فيها ، والشعيـرة وناسـور آمـاق العين ونقصـانهـا . وأمـراض ذات العين نفسهـا ، وأجـزاء العين وتـركيبهـا ، وضعف البصـر ، وأمراض الملتحم ، وأمراض السبلّ ، ما يسقط في العين وما يقع في الأنف والأذن . والعلق الذي يدخل في الأنف . وعملية القدح .

(التاسعة) في أمراض أجزاء الدماغ بحسب موقعها في المقدمة أو في الوسط أو في المؤخر من الدماغ . والصرع في اليقظة أو في النوم ، الوسواس والسـدر ، والسكتة وعلة السبـات . والسرسـام الحـار والبـارد ، والجنـون ، والبيضة والشقيقة .

(العاشرة) في أمراض الرقبة بسبب الرض والفسخ والتشنج والرعشة ، وأمراض الفقار ، وأمراض النخاع وتورم الرقبة ، وأورام اللهاة واللوز والـرئة وأمراض المري .

(الحادية عشرة) في أمراض الرية ، والسعال .

(الثانية عشرة) في أمراض القلب والإختـلاج والخفقان وأورام غشـاء القلب .

(الثالثة عشرة) في أمراض الكبـد ، والإستسقاء ، وأمـراض الطحـال واليرقان الأصفر .

(الرابعة عشرة) في أمراض مراق البطن بالفتوق والجراحات .

(الخامسة عشرة) في أمراض المعدة وأورامها والفواق .

(السادسة عشرة) في أمراض الصدر وأورامه والإختناق والجراحات والحروق التي تعرض فيه ، والشوصة وأمراض الحجاب .

الكتاب الثاني / وفيه سبع رسائل هي :

(الرسالة الأولى) في أعراض البطن وما يحويه وأورام البطن الأسفل ، وضعف المعاء التي تدفع الثغل ، والسجح التي تعرض في المعاء . وانبعاث الدم من أسفل .

(الثانية) في أمراض الكلي والحصاة المتولدة فيها ، والحصاة في المثانة وخروج البول منها .

(الثالثة) في علل الأنثيين وانقطاع الإيلاد عند الرجل ، وأورام الأنثيين .

(الرابعة) في أمراض القضيب والسدة فيه من حصاة وغيرها ، وقذف المني .

(الخامسة) في أمراض الأرحام والفرج ، وأورام واسترخاء الرحم ، وإفراط دور الطمث ، وامتناع الطمث ، والرتق في الفرج .

(السادسة) في أمراض العظام وكسرها .

(السابعة) ما يحدث في جسم الإنسان عموماً من الأمراض والدماميل ، والحكة ، والقروح والحصبة والجدري والبهق والبرص ، والجذام ، والسلع ، والفالج ، والعرق المدني ، وأوجاع المفاصل وما غير ذلك في هذا الباب .

الكتاب الثالث / وفيه ثلاث رسائل هي :

(الرسالة الأولى) في الحميات بما فيها حمى الدق .

(الرسالة الثانية) في البحرانات .

(الرسالة الثالثة) في الأمراض الوبائية .

4 ـ الحفيد بن زهير[12]

هو أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن زهر ، عرف بالحفيد بن زهر . كان أديباً وشاعراً[13] ، وعالماً فاضلاً ، محباً للخير والإحسان ، حلو الحديث ويجيد لعب الشطرنج ، ويهوى الرياضة . وقد حفظ القرآن الكريم وروى الحديث ، وتعلم الطب على أبيه واتقنه بالمراس والتجربة . ولم تعجبه الأفكار الفلسفية التي تماليء الألحاد ، لا تقية من غضب الحكام بل عن عقيدة وإيمان .

واستدعى الأمير يعقوب بن يوسف المنصور حاكم الموحدين ، ابن الحفيد إلى بلاطه في مراكش وخلع عليه الهدايا الجزيلة مما أثار عليه نقمة الحساد ، فدسّوا السم له ولإبنة أخته[14] وتوفيا به سنة 596 هـ / 1199 م . من تلاميذه أبو جعفر بن الغزال[15] . وتنسب له رسالة في طب العيون ذات قيمة عملية .

---

(12) ترجمة الحفيد بن زهر في العيون لابن أبي أصيبعة ص 521 . الوافي للصفدي 4/39 ـ 43 . كشف الظنون لحاج خليفة ص 213 . الاعلام للزركلي 47/129 . ومعجم المؤلفين الكحالة 10/257 ، إرشاد الأديب للحموي 7/21 ـ 25 ، والتكملة لابن الأبار 1/270 ، ودائرة المعارف الإسلامية 1/185 ، والمغرب في حلى المغرب 1/262 ـ 274 و Brockelmann. S. 1/893 .

(13) من شعر الحفيد بن زهر الموشح المشهور :

أيها الساقي إليك المشتكى ... قد دعوناك وإن لم تسمع
ونديم همت في غرته ... وشربت الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته ... جذب الزق إليه واتكى
وسقاني أربعاً في أربع

(14) يروى أن أخت الحفيد كانت طبيبة تمارس القبالة (أنور الرفاعي ـ تاريخ العلوم في الإسلام ص 119) .

(15) أبو جعفر بن الغزال ـ درس الطب على ابن الحفيد وتولع بدراسة الأدوية وصار خبيراً باستعمالاتها .

5 ـ عبدالله بن الحفيد[16]

هو أبو محمد عبدالله بن الحفيد بن زهر . أخذ الطب عن أبيه الحفيد ، وخدم الناصر بن منصور الموحدي بمراكش سنة 602 هـ / 1205 م وتـوفي فيها وهو بعمر 25 سنة بظروف غامضة مثلما تـوفي أبوه وأعقب ولـدين كان أصغرهما طبيباً اسمه أبـو العلاء محمـد ، وهو آخـر أنجال بني زهـر العائلة الطبية التي خدمت في الطب مدة تزيد على القرن ونصف .

---

(16) ترجمته في العيون لابن أبي أصيبعة ص 528 ـ 530 .

ابن رشد[1]

أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد . ويعرف ابن رشد . أو ابن رشد الحفيد تمييزاً عن ابن رشد الجد . وكان من عظماء حكماء الإسلام والعرب ، ومشاهيرهم في الطب والفلسفة بأوروبا اللاتينية.. ويعرف عندهم باسم Averos .

عرفت عائلة ابن رشد في قرطبة بالعلم والوجاهة . وكان جده محمد بن أحمد بن رشد من مشاهير القضاة في الأندلس ومن المالكين البارزين فيها . ودرس الحفيد ابن رشد الطب على أبي جعفر بن هارون الترجالي[2] ، وأبي مروان البلنسي[3] . ومن المظنون أنه اشتغل بالتشريح فقد قال في ذلك : (من اشتغل بعلم التشريح ازداد إيماناً بالله)[4] وهي قولة تجمع بين الإيمان العميق بالله والفهم الدقيق بالعلم .

ولما وضع ابن رشد كتابه الكليات Colleiget في الطب طلب من زميله

---

(1) اقرأ عن ابن رشد في الشذرات لابن العماد 4/320 ، العيون لابن أبي أصيبعة 530 ـ 532 ، أداب اللغة لزيدان 3/113 ـ 114 ، والوافي للصفدي 4/114 ، والاعلام للزركلي 6/212 ـ 213 . وBrockelmann S. I, 640 .

(2) ابن جعفر بن هارون الترحالي ـ من أعيان أهل أشبيلية وكان معتنياً بأفكار أرسطو ، وفاضلاً في صناعة الطب والكحالة . خدم أبا يعقوب ابن المنصور . ومن تلاميذه ابن رشد (ابن أبي أصيبعة 530) .

(3) الدجيلي ـ أعلام العرب 2/16 . وابن أبي أصيبعة ص 531 .

(4) ابن أبي أصيبعة .

وصديقه أبي مروان عبد الملك بن زهر أن يكتب له كتاباً في الطب ليكمل ما ينقص من كتاب الكليات فوضع ابن زهر كتاب التيسير في المداواة والتدبير . كما كان ابن رشد صديقاً لابن طفيل[5] ، أو كان أحد تلاميذه . وهذا هو الذي رشحه للخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب المنصور (580 ـ 595 هـ / 1184 ـ 1199 م) إلى وظيفة القضاء في أشبيلية . ثم شغل نفس هذا المنصب في قرطبة ، وأخذ مكان ابن طفيل بعد أن تقدم هذا في العمر ، في بلاط المنصور الموحدي ، وحظي منه بالتقدير والإحترام والتشجيع على المضي بالبحث العلمي والتأليف .

لقد كان ابن رشد بمركزه الفلسفي في الأندلس يقابل ابن سينا في المشرق الإسلامي ، مع ما بينهما من الخلافات الفكرية والعقائدية ، إلا أنه كان أدنى مرتبة منه بالطب ، بينما كان أرفع منه بالفقه والقضاء وكان يزوق أفكاره بلمحات متجددة حرة . فنقد الفارابي والغزالي بكتاب تهافت التهافت . كما كان ابن رشد موالياً صميمياً لأرسطو ، وداعياً قوياً لفلسفته ، وشارحاً قديراً لآرائه . وحاول أن يقرب بطريقة أفلاطونية ـ أرسطوية بين الطب والعقيدة . وادعى بتجدد الكائنات ، ورجوع الروح إلى الطبيعة بعد فناء الجسد[6] . وقد ألحقت هذه الأفكار بابن رشد كره المسلمين المحافظين ، فاتهموه بالزندقة ، وتفرق عنه أكثر تلاميذه ، سوى اليهود والنصارى . وثار عليه المنصور الموحدي وطرده من بلاطه ، وأحرق كتبه الفلسفية محتفظاً

---

(5) ابن طفيل ـ أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي القرطبي . اختص بخدمة الملك الموحدي أبو يعقوب يوسف بن منصور ، ووزر له . وصار ذا حظوة عنده فاستطاع أن يجتذب العلماء إلى بلاطه وكان منهم ابن رشد الذي خلفه حين طعن في السن فأخذ مكانته من لدن الملك الموحدي . توفي ابن طفيل بمراكش سنة 581 هـ / 1185 م . ومن آثاره قصته الفلسفية المبتكرة (حي بن يقظان) التي قصد منها أن العقل والوحي سبيلان إلى المعرفة الحقيقية . وقد نقلت القصة إلى اللاتينية ومن هذه إلى لغات أوروبية كثيرة منها الإنكليزية والفرنسية والألمانية والروسية .

(6) كارادي قد ـ دائرة المعارف الإسلامية 1/290 .

بالطبية منها . ونفاه إلى مراكش حيث توفي بها سنة 595 هـ / 1198 م . ثم نقل جثمانه إلى قرطبة ودفن بها . من تلاميذه الكثيرين أبو جعفر أحمد بن سابق الطبيب ، وابنه هو أبو محمد عبدالله الطبيب . وكانت أكثر مؤلفات ابن رشد في الفلسفة . أما كتبه في الطب فأغلبها تعليقات وتلخيصات لكتب جالينوس وهي :

(1) **كتاب الكليات** وهو أهم كتبه الطبية وأشهرها . ترجمه بوناكوسا إلى اللاتينية في بادوا سنة 1255 م وطبع في فينيسيا سنة 1482 ، وفي ستراسبورغ سنة 1531 ضمن كتابات الرازي وابن سرابيون وابن زهر . (أحمد الثالث) .

(2) **شرح أرجوزة منسوبة إلى ابن سينا ، وقد ترجم إلى اللاتينية .**

(3) **شرح كتاب الحيوان لأرسطو .**

(4) **تلخيص كتاب المزاج لجالينوس .**

(5) **تلخيص كتاب القوى الطبيعية لجالينوس .**

(6) **تلخيص كتاب العلل والأعراض لجالينوس .**

(7) **تلخيص كتاب التعرف لجالينوس .**

(8) **تلخيص أول كتاب الأدوية لجالينوس .**

(9) **تلخيص النصف الثاني من كتاب حيلة البرء لجالينوس .**

(10) **مقالة في حميات العفن .**

(11) **مقالة في الترياق .**

وقد ترجمت أكثر الشروح والمقالات المذكورة إلى اللاتينية من قبل ميشيل سكوت ، وإلى العبرية من قبل موسى بن طبون .

الشريف الادريسي[1]

هو محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس . من نسل إدريس بن عبدالله ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ومن هذا النسب جاء لقبه (الشريف) . كما يلقب بالحمودي من جده الأسبق حمود بن ميمون الإدريسي الذي حكم هو وأنساله في جنوب الأندلس ما يقارب الأربعين سنة قبل دخول المرابطين إلى تلك البلاد في سنة 480هـ / 1087 م ، ويلقب الإدريسي بالصقلي أحياناً .

[2] ولد الشريف الإدريسي في المغرب بمدينة سبته أو بتطوان سنة 493 هـ / 1100 م ، وفيها نشأ على العلوم الدينية والأدب وقراءة الشعر . ثم درس الجغرافيا والطب . والأرجح أنه أتم هذه الدراسة في قرطبة . وكان منذ صغره ولوعاً بالأسفار ، فطاف بالأندلس وشمال أفريقيا وجنوب فرنسا ووصل إلى مصر والشام وآسيا الصغرى ودخل بلاد اليونان[3] . فاكتسب معلومات جغرافية واسعة عن تلك الديار وحياة الناس فيها ، والنباتات التي تنمو في أراضيها . وقد عاصر الإدريسي روجر الثاني ملك صقلية التي كانت

---

(1) اقرأ عن الشريف الأدريسي في كشف الظنون لحاجي خليفة ص 1947 ، والوافي بالوفيات 1/163 . ودائرة المعارف الإسلامية 1/547 . والاعلام للزركلي 7/250 ـ 251 . وكتاب تاريخ الفكر الأندلسي لعبدالله كنون ص 312 ـ 316 . ومقال المقتطف ، مجلد 12/ ص 153 .

(2) دائرة المعارف الإسلامية 1/547 .

(3) أحمد سوسه ـ كتاب الشريف الأدريسي . باب 2/ ص 276 .

يومئذ ما تزال تنعم بالطابع الإسلامي والعلوم العربية ، كما كان بلاط هذا الملك يضم العلماء من مختلف الجنسيات تقليداً لما كان يفعله حكام المسلمين في عواصمهم . فاستقدم روجر الثاني ، الشريف الإدريسي لينضم إلى حاشيته . وكان في صقلية بعض البيوت من أسرة الحموديين[4] ، فكان ذلك من الدوافع التي جعلت الشريف الإدريسي يلبي طلب ملك الجزيرة ويلتحق به . فحصل منه على مكانة رفيعة وتقدير واحترام . كما أخلص الإدريسي للملك وصنع له كرة من الفضة رسم عليها خارصة العالم ، وصنف له كتاباً جغرافياً باسم (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) سجل فيه جغرافية الأقطار التي دخلها في المشرق والمغرب . ويبدو أن الإدريسي بالرغم من كل ما حظي به من صديقه الملك روجر فإنه كان يحن إلى وطنه ومسقط رأسه ، كما كان يحس في قرارة نفسه أن مكانه في بلاد النورمانديين الذين يشاركون الصليبيين في محاربة المسلمين حول بيت المقدس أمر لا تستسيغه القيم الإسلامية ، فقال متألماً :

ليت شعري أين قبري ضاع في الغربة عمري
لم أدع للعين ما تشتاق في بر وبحر
وخبرت الناس والأرض لدى خير وشر
لم أجد داراً ولا جاراً كما في طي صدري
فكأنني لم أسر إلا بميت أو بقفر

توفي روجر الثاني في سنة 548 هـ / 1154 م ، فساءت أحوال الجزيرة من بعده وأصاب المسلمين من أهلها الأذى والقتل والتشريد . وربما في هذه الفترة ترك الشريف الإدريسي الجزيرة إلى مسقط رأسه في سبته . وفيها توفي في سنة 560 هـ / 1164 م . وقيل أنه توفي في صقلية بالتاريخ نفسه .

---

(4) المصدر السابق ص 279 .

وللشـريف الإدريسي كتـاب الجـامـع لاشتـات النبـات ، وضعـه على معلومـاته عن نبت البـلاد التي دخلها في المشـرق والمغـرب ، مـرتبـة على حروف الهجاء ، مع ذكر أسمائها باختلاف اللغات التي منها الفارسية والهندية (مكتبة جامعة استانبول) ويأخذ ابن البيطار عن هذا الكتاب في كثير من كتابه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية (دار الكتب المصرية ، فاتح) .

ابن الرومية[1]

يعد أبو العباس ابن الرومية النبطي ، أحمد بن محمد بن مفرج الأموي (بالولاء) أعظم العشابين المسلمين . ويجيء في المرتبة العلمية بهذا الموضوع بعد ديوسقريدس اليوناني (القرن الأول الميلادي) . وأسرته في الأصل من سكان أشبيلية ثم نزحت إلى قرطبة . وبهذه المدينة ولد أحمد بن الرومية وكان الحكم يومئذ للموحدين ، وفيه تعالت أصوات الفقهاء والمحدثين . ودرس ابن الرومية علوم العصر الدينية ، فعرف بتدينه على المذهب الظاهري[2] ، وتعصبه للعلامة ابن حزم القرطبي[3] . كما تولّع بدراسة النباتات ، وصار يجول في أسبانيا لرؤية أنواعها ، وأبحر إلى شمال أفريقيا ، ووصل إلى مصر فاستقبله بترحاب حاكمها الملك العادل أبو بكر الأيوبي المتوفي سنة 523 هـ / 1228 م . ووصل منها إلى ديار الشام والعراق . واتصل بعلماء النبات في تلك البلاد ، ورواة الحديث فيها . ثم

---

(1) ترجمة ابن الرومية في العيون لابن أبي أصيبعة ص 538 ، وأخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ص 215 ـ 221 ، وشذرات الذهب لابن العماد 5/184 ، والاعلام للزركلي 1/210 ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 2/159 ، وتراجم إسلامية لعبدالله عنان ص 338 ـ 340 . التلمساني ـ نفح الطيب 1/644 ـ 625 ، ابن فرجون ـ الديباج ص 42 ـ 43 ، حاجي خليفة ص 1382 ، 141 .

(2) أتباع الظاهرية الذين يدعون بتأويل ظاهر القرآن والحديث .

(3) ابن حزم القرطبي ـ اسمه علي بن أحمد بن سعيد . قرطبي المولد . فقيه وشاعر وفيلسوف وطبيب ومؤرخ . وعمل في السياسة وصار وزيراً . وأخيرا انقطع إلى التأليف . من كتبه طوق الحمامة ، والفصل في الملل والأهواء والنحل .

دخل إلى آسيا الصغرى واليونان ؟ واطلع على ما فيها من الأعشاب الغـريبة واستعمالاتها في المعالجات الطبية . ويقول لسان الدين بن الخطيب أن ابن الرومية قد تحقق بنفسه عما سمعه وقرأه عن النباتـات بالمشـاهدة والـدراسة الشخصيـة كما يفعـل من يتحـرى الأحـاديث الشـريفـة ممن يـرووهـا روايـة صادقة[4] .

ورجع ابن الرومية بعد هـذه السياحـة الطويلة إلى مـوطنه في أشبيليـة حيث فتح ما يشبه الصيدلية لبيع الأدوية النباتية إلى الأطباء والمرضاء . وتوفي سنــة 637 هـ / 1239 م . ولــه كتب في الفقــه والحــديث ، وكتب في الأعشاب الطبية ومفردات الأدوية صارت مصدراً مهماً لابن البيطار في كتابـه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية . وتلك الكتب هي :

(1) تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديوسقريدس .

(2) مقالة في تركيب الأدوية .

(3) التنبيه على أغلاط الغافقي .

(4) الرحلة النباتية .

(5) شرح أدوية جالينوس .

---

(4) لسان الدين بن الخطيب ص 215 .

البيمارستانات في الأندلس والمغرب(1)

ليس في التراثيات العربية معلومات موثقة كافية عن البيمارستانات في الأندلس أو المغرب ، وإذ أن جميع الأقطار الإسلامية ومنها الأندلس قد اعتمدت إلى درجة كبيرة على الأفكار والكتب التي ألفها ومارس تطبيقها أطباء المشرق الإسلامي ، وخصوصاً أطباء بغداد ، فسلكت الأندلس من باب التقليد أو المنافسة ما كان في بغداد من دور علم ومدارس وترجمة كتب ونحو ذلك . وعلى هذا فمن الإحتمال الكبير أن كان في حواضر الأندلس عدد من المشافي على مستوى ما كان منها في بغداد أو قريباً من ذلك . إلا أن المؤرخين العرب لم يزودونا بأخبار تلك المؤسسات الصحية ، وهو أمر يلفت النظر . أما المؤرخون الأوروبيون فيذكرون بكثير من المبالغة عن عدد المستشفيات التي كانت في قرطبة ، ثم لا يذكرون واحداً منها في غير هذه المدينة(2) . أما ما عرفنا عن المستشفيات في الأندلس والغرب فهو :

1 ـ بيمارستان قرطبة

وقد أشرنا إليه فيما تقدم ، ومعلوماتنا عنه ليست أكثر من ذلك . إلا أننا نحسب أنه أسس في وقت مبكر بعد قيام دولة الأمويين في الأندلس ، وأنه كان على قدر من الإكتمال حين عمل فيه العدد الكبير من أطباء عبد الرحمن

---

(1) أحمد عيسى بك البيمارستانات في الإسلام ص 279 ؛ لسان الدين ابن الخطيب ـ الإحاطة في أخبار غرناطة 2/29 ودائرة الإسلامية (الشعب) 9/60 .

(2) Campbell 1/23.

الناصر وابنه المستنصر .

2 ـ بيمارستان غرناطة

أسسه محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج (من أمراء بني نصر) بحدود سنة 767 هـ / 1365 م . فلما انتزعت غرناطة من العرب سنة 1492 م حوّلت بنايته إلى دار لضرب النقود .

3 ـ بيمارستان مراكش

أسسه الملك الموحدي المنصور بن يوسف (580 ـ 595 هـ / 1184 ـ 1199 م) في مكان فسيح بمراكش ، وأحاطه بالأشجار والزهور ، وزوده بالأفرشة النفيسة ، وأجرى له ثلاثين ديناراً في اليوم للطعام والمنام ، وعين له مقومين وصيادلة وأطباء . فإذا نقه المريض وكان فقيراً يعطى له مالاً يعيش به ريثما يستطيع استئناف عمله ، وكان الملك المنصور يزور هذا المستشفى بعد صلاة الجمعة ويسأل المرضى عن أحوالهم وما يعمل لهم الأطباء والمقومون[3] . ومن الذين عملوا بهذه البيمارستان أبو الوليد بن رشد وابن رشد الحفيد وابنه[4] ، وأبو إسحاق إبراهيم الداني رئيس البيمارستان الذي توفي في أيام المستنصر بن الناصر الموحدي (611 ـ 620 هـ / 1214 ـ 1224 م) ، ومحمد بن قاسم بن بكر المالقي المتوفي سنة 757 هـ / 1258 م .

4 ـ بيمارستان سلا[5]

أقامه السلطان العلوي عبد الرحمن ملحقاً بضريح سيدي بن عاشر[6] ، وعمل به أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن عاشر الأنصاري الأندلسي الذي توفي بحدود سنة 764 هـ / 1265 م .

---

(3) أحمد عيسى ـ البيمارستانات في الإسلام ص 280 عن المعجب في تلخيص أخبار المغرب .

(4) دائرة المعارف الإسلامية 9/59 .

(5) سلا ـ مدينة في المغرب على ساحل المحيط الأطلسي .

5 ـ بيمارستان فاس[6]

أنشأه أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق أحد ملوك بني مرّين سنة 685 هـ / 1286 م في سوق الحناء قرب سوق العطارين . وترأس هذه المستشفى في سنة 900 هـ / 1494 م طبيب من بني الأحمر هو فرج الخزرجي فاشتهر البيمارستان باسم دار الفرج . وقد أدخل إليه الموسيقاريين لمعالجة الحالات النفسية التي يعاني منها المرضى .

كما كان في فاس مستشفى للمجانين الخطرين ومكانه خارج حدود المدينة[7] .

---

(6) عبد العزيز بن عبدالله ـ الطب والأطباء في المغرب ص 44 عن كنوز الصحة ويواقيت المنحة ص 72 ، ودائرة المعارف الإسلامية 9/60 .

(7) دائرة المعارف الإسلامية 9/60 .

القسم الحادي عشر
الطب العربي في أوربا اللاتينية

★ الحضارة العربية وما عاصرها في أوربا .

★ مسارب وصول الطب العربي إلى أوربا .

1 ـ جزيرة صقلية وأعمال ترجمة كتب الطب العربي فيها .

2 ـ مدرسة سالرنو والطب العربي فيها .

3 ـ طليطلة وغيرها من حواضر الأندلس وأعمال ترجمة الطب فيها .

4 ـ الحروب الصليبية وأثرها في نقل المعارف الإسلامية إلى أوربا .

الطب العربي في أوروبا اللاتينية

احتل العرب فيما بين القرن السابع والثالث عشر الميلادي موقع الصدارة بين أمم العالم قاطبة . وكان بينهم وبين من يليهم من الشعوب فراغ فسيح . وتعزى حضارة العرب التي تعرف باسمهم إلى العلوم والفنون ، وخصوصاً في الطب الذي برعوا به ومارسوه بثقة ونجاح ، حتى طغت مبتكراتهم فيه على الكثير من أصوله الأعجمية . وبرز عدد من أطباء العرب كحنين بن إسحاق ، وأبي بكر الرازي ، وأبي القاسم الزهراوي ، وابن سينا ، وابن النفيس ما يمكن اعتبار أي منهم من عظماء الأطباء على مدى عصور التاريخ . وكثرت تآليف الأطباء العرب حتى امتلأت بها دور العلم والمكتبات وحوانيت الوراقين . فكان منها في صنوف العلوم الطبية ما لم يكن له مثيل لا في العدد ولا في النوعية ، لأية أمة من الأمم التي عملت في الطب إلى ذلك التاريخ .

وصارت كل من بغداد والقاهرة ودمشق مركزاً ثقافياً يقصده طلاب المعرفة من كل مكان . كما صارت قرطبة وطليطلة وأشبيلية هدف الأوروبيين يأتونها من سالرنو ، ومونبليه ، وألمانيا وسويسرا ، وانكلترا ليطلعوا على ما فيها من روائع الحضارة العربية ، ويتعلموا فيها ، ويحملوا منها ما يمكن حمله إلى بلادهم التي كانت يومئذ تفتقر إلى كل أنواع المعرفة[1] .

وللمقارنة بين الطب في الأقطار الإسلامية وما يقابله في أوروبا اللاتينية

---

(1) Campbell - Arab Medicine, 1/107.

بنفس التاريخ ، فإن أوروبا باستثناء إيطاليا الجنوبية وجزيرة صقلية ، كانت قبل حكم شارلمان (742 ـ 814 م) المعاصر لهارون الرشيد ، في حالة بربرية من الفوضى والجهل[2] . وبعد وفاة شارلمان وحتى منتصف سنى الحروب الصليبية (1096 ـ 1272 م) كانت معرفتها بالعلوم الطبية جد ضحلة ، فيضطر الأطباء إلى إهمال المرضى أو قتلهم لكي ينقذوهم من آلام المرض ـ على حد قول أطبائهم[3] . إذ كان طبهم يومئذ رهبانياً . ويشارك في تعليمه رجال الكنائس ليشرفوا على حشر الروح الدينية في وصفات الأطباء ومداواتهم ، وفي تطبيق الطقوس الروحية التى كانوا يعتبرونها جزءاً مهماً إلى جانب الأدوية لشفاء المرضى . أما العلاج الطبي الحقيقي فلم يكن يتعدى تناول نقيع بعض الحشائش والحجامة ، التي لا يعتمد في استطبابها ولا في تطبيقها على معلومات فسلجية أو تشريحية[4] .

لقد كانت أوروبا الغربية في أكثر عهودها التاريخية بعيدة عن منابع الحضارات القديمة ، فلم يصلها من الحضارة اليونانية إلا الشيء القليل ، وهذه أيضاً لم تظهر إلا لتختفي بعد ظهور الرهبنة التي غالى رجالها في محاربة العلوم الوثنية ومنها الطب ، وتفاخروا بمقدرة الدين على شفاء البدن .

وفي الطب الجراحي ، كان الحال أدهى وأمر ، فقد كان الأطباء بتلك الحقب يتحاشون هذا النوع من العلاج حتى لو كان فيه أمل كبير لإنقاذ المرضى من هلاك محقق لا يمكن دفعه إلا به . وذلك لخوفهم من العقوبات القاسية التي فرضتها السلطات على من يمارس الجراحة ويفشل في إنجاح عملياتها . وكان القانون الذي شرعه ثيودريك ملك الفيزغوت بأسبانيا يقضي

---

(2) Ibid, 1/108.

(3) أسامة بن منقذ ـ الاعتبار ، ص 137 ـ 138 .

Watt - Influence of Islam on Modern Europe, P. 65.

(4) مايرهوف ـ تراث الإسلام ، 494 .

بأن يسلم الجراح إلى ذوي المريض الذي توفي بسبب العملية التي أجـراها عليه ذلك الجراح ، ليعملوا به ما يشاءون[5] . كما لم تكن المستشفيات في أوروبا يومئـذ إلا مثاوى لليتـامى والعجزة والمقـطوعين عن مواصلة السفـر ، ومحطات استراحة الحجاج العائدين من بيت المقدس أو الذاهبين إليه . ولم يكن للمرضى فيها إلا بعض الأسرة في ركن من أركانها المهملة ، وليس أكثر من ذلك . أما إدارة تلك المستشفيات فكانت بيد رجال الـدين ، وهم أيضاً يشاركون الأطبـاء في علاج المـرضى كما ذكـرنا سـابقـاً ، ولكن بـالـدعـاء والصلوات[6] . ولـم يستحـدث في أوروبا مستشفى بـالمقومـات الفنيـة التي كانت في المستشفيات الإسلامية إلا في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي . بينما كان الطب العربي في ذلك الوقت قد تحرر نهائياً من البدائية والتقليد ، ومـداخـلات متحلي الصنعـة من رجـال الـدين والـدجـالين . وأنشئت البيمـارستانـات الإسلاميـة منـذ سنـة 133 هـ / 750 م . وصـار في بغـداد العباسية وحدها عشر مستشفيات ، وعمل في أحد هذه المستشفيات ما يزيد على الأربعة والعشرين طبيباً من كبار الممارسين في الصنعة ، إضافة إلى عدد من الفصادين والحجامين ، والمجبرين ، والصيدلانيين . كما كان في قرطبة خمسون مستشفى[7] بنفس المقومات المذكورة . إلا أن ما حدث في البلاد الإسلامية ما بعد القرن الخامس الهجـري / الحادي عشـر الميلادي هـو أن ازداد التناحر بين حكام البلاد في المغرب والمشرق ، وصاروا يتنافسون فيما بينهم على السلطة ، فـاستضعفهم أعداؤهم وأغـاروا على دولهم ومـزقـوهـا واقتسموا خيراتها الواسعة ، فاسترجع القشتاليون طليـطلة في سنة 478 هـ / 1085 م ، وأجلى النورمانديون دولـة الفاطميين عن جـزيرة صقليـة في سنة

---

(5) Campbell 1/129.

(6) هونكه ـ شمس العرب ص 218 ـ 220 .

(7) Campbell, 1/57.

يبدو أن عدد المستشفيات في هذا المصدر مبالغ فيه . وأثبتناه لإحتمال أن العدد المذكور يشمل المراكز الصحية بشكل عام لا المستشفيات بالتخصيص .

485 هـ / 1092 م واسترجع فرديناند قرطبة في سنة 636 هـ / 1236 م . وبعد عشرين سنة دخل هولاكو بغداد وفتك بأهاليها ، وأحرق كتبها وخرّب عمائرها وأزال عنها كل معالم المدنية . وتفصيل الغزو المغولي لبغداد يبقى فجيعة في التاريخ لا تنساه الإنسانية . وهكذا تجزأت البلاد الإسلامية إلى دويلات يديرها حكام أجانب ، أو حكام من أهل البلاد ليس لهم دراية بالسياسة والإدارة . وكان بعض من هؤلاء شديدي العصبية على العلوم الطبيعية والمنطقية . ولم ينصرم القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي إلا وأقفرت البلاد الإسلامية من نوابغ العلماء والأطباء ، ومن إبداعاتهم الفكرية التي ألفتها ستة قرون متوالية . أما ابن البيطار المتوفي سنة 683 هـ / 1284 م وابن النفيس الذي توفي بعده بأربع سنوات ، فبالرغم من علو كعبيهما في الإبتكارات والإكتشافات الطبية فقد جاآ في وقت متأخر لا تجاوب فيه لأفكارهما في الصنعة ، ولا من يمشي على خطيهما في التحري والبحث العلمي ، فكانا خاتمة العلماء الخلاقين في المجالات العلمية .

في هذه المرحلة من تاريخ الطب العربي التي يمكن أن تدعى بمرحلة الإنحدار ، شرعت أوروبا تلتهم بنهم كل ما يقع في متناول بصرها من علوم العرب . وبعوامل من جذورها التاريخية التي تربطها بالحضارة اليونانية ، واتصالاتها الحديثة بعرب تونس والأندلس ، فإنها على ما يبدو ، كانت مهيأة للكسب العلمي ، وأن لدى بعض مواطنيها عقلية خصبة لإلتقاط المعارف الجديدة . كما لم تكن أوروبا يومئذ خالية تماماً من العلماء ، ومعاهد العلم ، والمؤسسات الصحية . فقد عرف عن وجود مستشفى في (مندا) بإيطاليا أثناء حكم الرومان فيها عام 580 م[8] . وعرف لأسقف أشبيلية أسيدور الصقلي[9] موسوعة في الطب . كما تأسست في مدينة سالرنو مدرسة

---

(8) Campbell, 1/112.

(9) Ibid, P. 112.

طبيـــة منذ سنـــة 236 هـ / 850 م ، وفي بـاريس مستشفى (ديـــو) سنـة 507 هـ / 1113 م .

وفي لندن مستشفى بارثلميـو سنة 521 هـ / 1127 م . إلا أن عمـوم هذه المؤسسات الصحية والعلمية كانت كما ذكرنا آنفاً دون المستوى ببعيـد بالنسبة لما يقابلها من المستشفيات في الأقطار الإسلامية .

وكانت اللغة الدارجة في الغرب الأوروبي هي اللاتينية ، أما اليونانيـة التي كانت لغة العلم حصراً ، فكان الناطقون بها قلة من المثقفين ، وجلهم من أصل يوناني لا روماني ، ويشـار إليهم بالأصبـع على أنهم متميزون عن غيرهم بعقلية راقية هي معرفتهم تلك اللغة . لذلك كانت تـرجمة التـراثيات اليونانية إلى اللغة اللاتينية غير مألوفة ، على أنها لم تكن غير موجودة نهائياً . فقد عثر الباحثون على نصيحة وجهها كـاسيو دوروس[10] (490 ـ 585 م) إلى النـاشئـة أن يـدرسـوا الـطب اليـونـاني في الكتب المـوجـودة بـالصيـغ اللاتينية[11] . وكاسيو دوروس رجل دين وسياسـة وتاريـخ ، وكتابـاته مـوثقة ومعتمدة ، وتدل نصيحته على وجود ترجمات لاتينية للكتب اليونانية في ذلك الـزمن السابق لحضـارة الإسلام وربمـا كانت التـرجمات من أعمـال الأطباء البيزنطيين في مدن سوريا أو في الإسكندرية .

وكان الغرب اللاتيني ، على اتصال تعايشي أو عدائي متواصل بمراكز الحضارة العربية في طليطلة وقرطبة ومدن صقلية الإسلامية ، والقيروان . وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم عند الكلام عن الطب في الأندلس وتونس . وبـالرغم من أن تلك الإتصالات كانت عابرة وعلى نطاق الأفراد والهوايات الشخصية لا بتخطيط جماعي أو حكومي ، إلا أنها دون شك يسرت للغرب أن يطلع مبكراً على مـا لدى العـرب من علوم ومعارف وحـرف لم تكن يومئـذ معروفـة في أوروبـا . فلما اتسعت الإتصـالات بين الغرب والعـرب حين دخل الأسبـان

---

(10) Ibid, P. 106.

(11) Ibid, P. 120 - 121.

طليطلة عام 478 هـ / 1085 م ، والنورمانديون صقلية عام 485 هـ / 1092 م ، ثم الأسبان إلى قرطبة عام 636 هـ / 1236 م ، وقعت بحوزة أولئك الأقوام كنوز المكتبات العربية ، وشرعوا ينقلونها إلى اللغات التي يفهمونها وهي اللاتينية ، واللاتينية المطورة (البروفنسية) ، والعبرية لغة اليهود الكثيرين في الأندلس يومذاك . وهكذا أثيرت حركة واسعة في ترجمة العلوم العربية في أقطار أوروبا تذكرنا بالحركات الفكرية ونقل العلوم اليونانية إلى العربية في صدر الخلافة العباسية ، والتناظر بين الحركتين موجود في كثير من الوجوه .

ومما يلفت النظر في الجانب الأوروبي من هذه المقارنة ، هو الإندفاع الشديد من المتعلمين إلى دراسة مترجمات الكتب العربية التي انتشرت مخطوطاتها فيما بينهم ، وتبني أفكارها برغبة وتصميم . فكثرت لغات الترجمة وصيغها ، وطبعت كتبها بتكرار في عديد من المدن الأوروبية . فترجم الكتاب العربي الواحد أكثر من مترجم واحد ، وإلى أكثر من لغة أوروبية واحدة . وبذلك صارت كتب الطب العربي متيسرة لمن يقرأ اللاتينية والعبرية والبروفنسية والانكليزية والعربية . وأضحت من أكثر كتب الطب بأيدي طلاب المعرفة ، ومن مقررات الدراسة المهمة في كليات الطب الأوروبية إلى زمن يقرب من منتصف القرن السادس عشر . كما أنهم أدخلوا إلى كتبهم الطبية كثيراً من الأسماء والمصطلحات العربية ، وطرق تركيب الأدوية ، واستعمال الأوزان والمكاييل التي استعملها العرب . وفيما يلي بعض الأدوية التي تبنى الأوروبيون استعمالها باسمائها العربية . وهي دون شك تعكس قدر ما تمسك به الأوروبيون بأفكار العرب وعلومهم الطبية : ليمون Citrus ، كركم Curcuma ، كافور Camphora ، نارنج Autrantium ، عنبر Ambergris ، مسك Muskus ، سكر Sugar ، تمرهند Tamarindis ، زنجفر Cinnabar ، بادزهر Bezora ، أم غيلان Acacia Arabica ، قرنفل Carphellata ، صندل Santalum وغير هذه كثير .

إن أعظم وأخطر ما فعله دخول لغة العرب إلى الأندلس هو أن عدداً

غير قليل من الأسبان والإيطاليين تعلموا هذه اللغة واستطاعوا أن يترجموا بها علوم العرب إلى لغتهم اللاتينية والعبرية لتحرك فيهم الروح العلمي ، ولتصبح بعد ذلك أساس الحضارة الأوروبية القائمة .

وثمة سؤال يلح على الفكر عما إذا كان المترجمون قد نقلوا تلك الكتب العربية كاملة إلى لغتهم أو أنهم طوروا بعض نصوصها أو حذفوا منها ما حذفوا بحسب ما تتطلبه أوساطهم العلمية أو الجغرافية أو التقليدية . إن الإجابة على هذا السؤال يتطلب مقارنة تلك المترجمات بالكتب العربية الأصل ، وهي مهمة عسيرة لا تزال بكراً لم يتناولها أحد من الباحثين إلى هذا اليوم .

مسارب وصول الطب العربي إلى أوروبا

تضافرت عوامل كثيرة على إيصال الطب العربي إلى أوروبا اللاتينية ، كان منها وأهمها التقارب الجغرافي والزمني فيما بين العرب والأوروبيين مما سهل الإتصالات المباشرة بين الطرفين . ومنها وجود من يعرف اللغتين العربية واللاتينية ، وتوفر الدعم الحكومي والديني لتلك الحركة الثقافية ، وثم الإستعداد الذاتي الموروث في نفوس الإيطاليين الذين كانوا أسبق الأوروبيين إلى الثقافة اليونانية ، وأعرقهم في العلم وأقدرهم على الترجمة . وكل هذه ظروف ومؤهلات تماثل ما كان للعرب منها للحصول على المعارف اليونانية في القرنين الثاني والثالث الهجري / الثامن والتاسع الميلادي . وكان دور طليطلة وقرطبة في أسبانيا ، وسالرنو في إيطاليا ، وبالرمو في جزيرة صقلية ، والقيروان في تونس في إيصال المعارف العربية إلى أوروبا ، يشابه دور الإسكندرية وأنطاكيا والرها وجند يسابور في إيصال المعارف اليونانية إلى العرب . كما أن الحروب الصليبية (489 ـ 671 هـ / 1069 ـ 1272 م) التي تلاحم فيها الغرب المسيحي بالمشرق الإسلامي المتحضر ، تحاكي أيضاً ولو على حجم أصغر ، ما فعله احتكاك العرب في فتوحاتهم بالأقوام الأعجمية التي كانت يومئذ لها معرفة واسعة بالعلوم العقلية والتطبيقية .

لقد وصلت علوم الطب العربي إلى أوروبا عن ثلاثة طرق رئيسة ، أهمها مدارس طليطلة وقرطبة . أما أسبقها زمنياً فهي مدرسة سالرنو الإيطالية .

وإذا كانت المبادرة الأولى في الترجمة قد وقعت بسالرنو ، فإنها قد انتشرت إلى كل إيطاليا وإلى داخل أوروبا شمالاً وغرباً ، وازدهرت في عواصمها إلى عدة قرون تالية . وهكذا كان الأمر في أسبانيا ، فلم تنحصر الترجمة في طليطلة بل شملت مدناً أخرى وانتقلت صاعدة إلى شمال البلاد ودخلت فرنسا أيضاً . أما جزيرة صقلية فتعتبر محطة ثالثة وذات أهمية خاصة كما سنرى فيما يلي . كما أن هذه الجزيرة قد أصبحت عربية قبل أن تتصل سالرنو بالعرب ، ويعمل علماؤها بترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية بما يزيد على القرنين ونصف من الزمان ، ولذلك سنعطيها الأولوية في كلامنا عن المسارب الثلاثة التي ذكرناها .

ومن الضروري أن نذكر هنا ، مرة أخرى ، أن الإتصالات فيما بين شعوب أوروبا والمسلمين لم يكن لها زمن محدد ، إذ بدأت ولو بشحة ، منذ حط العرب أقدامهم على السواحل الأوروبية . ويعتقد بعض المؤرخين أن المعلمين العرب قد دخلوا سالرنو منذ القرن الثاني الهجري / الثاني الميلادي[12] ، وصار ما يحصل عليه الغرب من تلك الإتصالات يزداد يوماً بعد يوم حتى وصل ذروته بعد أن استعادوا بلادهم من العرب ، فبدأوا بترجمة كتبهم وهم على وعي تام من أهميتها الكبيرة . كما نذكر أيضاً أن كثيراً من المترجمين الأوروبيين قد تنقلوا من قطر إلى قطر في أوروبا ، وراء الحصول على الكتب العربية وتبعاً للأحوال التي تشجعهم وتعضدهم على ترجمتها . فأشغل بعضهم في صقلية ثم انتقل إلى سالرنو . ومنهم من عمل في هذه المدينة ثم هجرها إلى طليطلة أو بالعكس . ولذلك صار من الصعب ، في بعض الحالات ، معرفة قوميات المترجمين وجنسياتهم . وصار كثير منهم

Freind - History of Physic, P .218. (12)

ينسبون إلى مدنهم لرفع الغموض في تبعياتهم . وسواء كانت أوروبا الشرقية قد استقت علومها من سالرنو أو بالرمو في صقلية ، وأوروبا الغربية من قرطبة وطليطلة في الأندلس ، فكلا المنبعين كانا من أصول الطب الذي ولـد ونشأ في بغداد ، ومن مترجمـات بيت الحكمة ومؤلفـات كبار الأطبـاء العرب في أقطار الخلافة العباسيـة والخلافـة الأمويـة في الأندلس . وقـد تطورت علوم الطب في الأندلس وأخذت طابعاً خاصاً بها ، وخصوصاً في علمي الجراحة ومفردات الأدوية والأقرباذين ، مـا جعلها أكثـر تأثيـراً على أفكار الغـرب من الطب الذي وصلهم عن طريق سالرنو أو بالرمو بصقلية .

1 ـ جزيرة صقلية

هـذه الجزيـرة عريقـة في الحضارة اليـونانيـة . فقد دخلت إليهـا لغـة اليونانيين وعلومهم منذ أنشأ فيثاغورس مدرسته الشهيرة في كروتون الإيطالية (القرن السادس ق. م) . وقد مر بنا ذكر علاقة أمباد وقليس بجزيرة صقلية ، إذ كان يعتبر نبيّها في العلوم الطبيعية . ولما آلت الجزيرة إلى الـرومان بعـد انقـراض دولـة كـل من انتيجينـوس في اليـونـان ، وسلوقس في الشـرق ، وبطليموس في مصر ، صارت الجزيرة تتكلم باللغة الـلاتينية بـالإضافـة إلى لغتها اليونانية ، وصارت تصلها المعارف عن طريق مدرسة سالرنـو الإيطاليـة حتى دخول العرب الأغالبة إلى عاصمة الجـزيرة بـالرمـو في سنة 212 هـ / 827 م ، وفي حكـم الأغـالبة على الجـزيرة دخـل إليها عـدد من المتعلمين العرب كان منهم أصحاب الحرف اليدوية والأطباء والمنجمون ، ونشروا بين سكانها ما لديهم من أفكار ومعارف ولغة . فتعلم الصقليون اللغة العربيـة ، وقلدوا معيشة العرب ، ولبسوا مثل لباسهم ، واقتبسوا الكثير من عاداتهم ومن أسمائهم وألقابهم وأسمـاء أدواتهم وشوارعهم ، وبضـاعة أسـواقهم . وهكذا صارت في الجزيرة حياة عربية بالرغم من تأصل الحياة اليونـانية والـرومانيـة فيها . وصار سكانها يتكلمون العربية ويمارسون علومها مثلما يمارسون اللغة اليونانية واللاتينية . وقد أشرنا إلى كل ذلك عندما تكلمنا عن الطب في تونس في فصل سابق . وطبيعي جـداً أن يتمازج سكـان جزيـرة صقلية الأصليـون

بالعرب عن طريق المعايشة والدين والتزاوج ، فكثر فيهم الأعمام والأخوال من الطرفين وتقاربوا وتعاونوا على تصريف أمورهم مثلما يفعل من هم من أرومة واحدة . ولموقع جزيرة صقلية من ساحل إيطاليا الغربي الذي هو على بعد مرأى منها ، فإن الإتصالات السلمية والعدائية بين عرب الجزيرة ومدن إيطاليا كأنترانته ، ونابولي ، وباري ، وسالرنو ، لا بد قد حملت بعض المعارف العربية إلى تلك المدن . وبعد إبراهام السبتي المعروف باسم دونولو اليهودي واحد ممن كان لهم دور فعال في هذا المجال . وسوف نعود إلى الكلام عن هذا الطبيب مرة أخرى في فقرة قادمة .

ضعفت الدولة الفاطمية صاحبة الولاية على جزيرة صقلية فانتهز روبرت جسكارد النورماندي ملك جنوب إيطاليا بما فيها سالرنو ، واستعاد باري . ثم دخل روجر الثاني النورماندي سنة 1072 م عاصمة الجزيرة بالرمو . وبذلك انسحبت السلطات العربية من جزيرة صقلية لتصبح ملكاً للنورمانديين . وكان من حسن حظ هذه الجزيرة أن حكامها الجدد من أسرة انجو[13] النورماندية (روجر الأول حتى فزدريك الثاني ، ومانفرد ، وشارل الأول) الذين خلفوا حكم العرب على الجزيرة ، كانوا يميلون إلى نشر التعليم وتعضيد العلماء . ويحتمل أنهم التفتوا إلى هذه النواحي بعد أن لمسوا فوائد الثقافة في مدرسة سالرنو التي كان يومئذ تخضع لحكمهم ، فصاروا يشجعون سكان الجزيرة على متابعة التعلم الذي بدأه العرب معهم . واستبقوا بعض العلماء العرب الذين عاشوا في الجزيرة أيام حكم العرب فيها ليكونوا قدوة حسنة لشباب الجزيرة الذي يرغب في التعلم . كما أغروا علماء العرب في الأندلس على

---

(13) أسرة أنجو النورماندية من أشهر الأسر التي حكمت في إيطاليا وجزيرة صقلية في القرنين الحادي عشر والثالث عشر . عرف ملوكها بنشر العلم وبشغفهم بدراسة الأفكار العربية ، وترجمة كتبها إلى لغتهم اللاتينية . بدأ حكمهم بصقلية بعد خروج العرب منها سنة 485 هـ / 1092 م ودخول قوات روجر الأول . ومن ألمع ملوكهم روجر الثاني الذي وصلت مدرسة سالرنو في زمانه إلى مستوى جامعي . وهو الذي شرع نظام الإمتحانات للأطباء الممارسين لعزل منتحلي هذه الصناعة عن ممارستها على البسطاء من المرضى .

النزوح إلى الجزيرة وكان من هؤلاء الشريف الإدريسي ، الجغرافي الشهير ، صاحب كتاب : نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ، الذي صنعه في بالرمو لصديقه ملك الجزيرة روجر الثاني (المتوفي عام 1154 م) كما صنع له كرة من الفضة نقش عليها خارطة الدنيا . واهتم روجر الثاني بأفكار العرب في الممارسة الطبية ، وقلد أنظمتهم في ضبط أعمال الممارسين ، فأصدروا أمره في سنة 535 هـ / 1140 م بمنع الأطباء من مزاولة المهنة إلا بعد أن يجتازوا امتحاناً يثبت كفاءتهم في الممارسة(14) . وهو التنظيم الذي طبقه العباسيون على الأطباء ، وأدخله الأغالبة إلى الجزيرة .

وخلف حكم النورمانديين على الجزيرة الملك فردريك الثاني (المتوفي سنة 1250 م) وهو حفيد روجر الثاني من أمه ، وابن هنري السادس ملك ألمانيا . وفردريك الثاني أقل من روجر الثاني في حب المعرفة ونشرها بين المواطنين ، بالإضافة إلى أنه هو نفسه يعد من المثقفين ، وله ولع خاص بعلم النجوم ، والبيولوجيا . وكان قد دخل البلاد العربية مع الصليبيين واطلع على حضارتهم ، وتزوج سنة 1225 م بأميرة ملك القدس ، وأقام علاقات سياسية مع الملك الكامل الأيوبي . وكان معجباً بعمارة قبة الصخرة بالقدس فقلدها في أحد قصوره(15) . كما كانت له اتصالات مع علماء سوريا ومصر والعراق .

وانتعشت الحركة الفكرية في حكم فردريك الثاني ، فترجم ميشيل سكوت مختصر كتاب الحيوان لأرسطو من الصيغة العربية بقلم ابن سينا إلى اللغة اللاتينية(16) . كما ترجم إلى هذه اللغة شروحاً لابن رشد على أرسطو . وميشيل سكوت المتوفي سنة 1335 م أسباني الأصل من طليطلة ، استقدمه فردريك الثاني ليكون مترجماً وفلكياً في بلاطه ، ويعتبر من أكابر علماء

---

(14) Harington - School of Salerno, P.35.

(15) Ahmed - History of Islamic Scicily, P. 85.

(16) مايرهوف ص 499 ، والدوميلي ـ العلم عند العرب ص 449 ـ 450 .

القرون الوسطى .

وهناك عالم آخر كان في بلاط النورمانديين بصقلية هو الأسقف هرمن الألماني المتوفي عام 1272 م . وكان هذا من مواطني طليطلة قبل أن يستقدمه الملك مانفرد النورماندي إلى الجزيرة ، فترجم له كتباً لابن رشد والفارابي ، قبل أن يرقى إلى منصبه الديني[17] .

ومن العلماء الذين يذكرون في تاريخ صقلية بتلك الحقبة (موسى يانورميتان) الذي ترجم كتاب أبقراط في الطب البيطري من صيغته العربية إلى اللاتينية[18] . والأرجح أن هذا المترجم يهودي وأن صيغة الكتاب العربية كانت من أعمال حنين ابن اسحاق .

أما أشهر من عرف من المترجمين في صقلية فهو من كان يسميه العرب فرج بن سليم (سالم) الجرجنتي[19] ، واسمه عند اللاتينيين Moses Farachi (Faragust) وكان يهوديا يعمل في بلاط الملك شارل الأول النورماندي (1266 ـ 1285 م) وهو من النشيطين في التنقل بين مراكز الثقافة الأوروبية ، وفي ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية . ويحتمل كثيراً أنه درس الطب في مدرسة سالرنو ومارسه في مدن إيطاليا قبل أن يدخل بالرمو . وعلى أي حال فإن تسلسل تنقلاته بين المدن غير معروف على وجه الدقة .

ترجم فرج بن سليم إلى اللاتينية كتاب الحاوي للرازي ، وكتاب التجربة الطبية لجالينوس بلغة حنين بن اسحاق وحبيش ، وكتاب تقويم الأبدان لابن جزله ، وجراحة ماسويه[20] . وبوفاة فرج بن سليم سنة 1290 م توقفت فعاليات الترجمة بمستواها العالي . على أنه لا بد من ذكر مترجم آخر هو أرنولد فلانوفا Arnold Villa Nova الذي عاصر فرج بن سليم في أواخر

(17) الدوميلي ـ العلوم عند العرب ص 450 .

(18) المصدر السابق والصفحة .

(20) المصدر السابق ، ويقصد به ماسويه المارديني .

عمره ، وزامله في بلاط بالرمو . وهو أسباني الأصل من فالانيسا أو من قرية قريبة منها . كان هذا يعرف اللغة العربية والعبرية واليونانية واللاتينية إضافة إلى اللغات المحلية . وألف كتباً لملوك الجزيرة . كما ترجم لهم أقساماً من كتب ابن سينا والكندي وابن زهر . وكانت وفاته عام 1313 م . وهو آخر من عمل بترجمة الكتب العربية في تلك الحقبة .

ومن الراجح أن الكتب المترجمة التي ذكرناها هي نفسها (بالصيغة العربية) التي كان يتداولها من يعرف هذه اللغة من سكان صقلية .

ولم ينحصر تأثير المسلمين على صقلية بإدخال العلوم العربية وتطبيقها على مواطني الجزيرة فحسب . فقد تأثر سكانها أيضاً بأخلاق المسلمين الذين عايشوهم وتعاملوا معهم فقلّدوهم بكل ما له علاقة بشخصياتهم وألقابهم ومأكلهم ومشربهم . واستمر كل ذلك حتى بعد أن غادر المسلمون الجزيرة ، فتلقّب الملك روجر الثاني بـ (المعز لدين الله) وتلقب الملك وليم الأول بـ (الهادي بأمر الله) . وصاروا يفتتحون خطاباتهم بما يناظر البسملة عند المسلمين ، ويوقعون في نهايتها باسم الملك المعظم وما إلى ذلك ، وكانت كل هذه الشكليات من سمات الأبهة والعظمة في الحضارة العربية .

2 ـ سالرنو[21]

لهذه المدينة علاقة قديمة بالتاريخ الحضاري ، وعلاقة خاصة بحضارة العرب . وبالرغم من الغموض الذي يلف أخبارها ، إلا أنها لا تتجرد من اسم العرب المرتبط بها في أي حجم وشكل توضع تلك الأخبار . والمهم من تاريخ سالرنو هو القسم المتعلق بمدرستها الشهيرة التي كان أساس

---

(21) اقرأ عن مدرسة سالرنو في المصدر السابق ص 428 ـ 430 .

(1) Harington - School of Salernum.

(2) Oskar Kristeller - school of Salerno - Bulletin of the History of Medicine, 7 (1945) P. 138 - 194.

تـأسيسها لتعليم الـطب ثم تطورت لتكـون جامعـة لكثير من العلوم النـظرية والتطبيقية .

كانت سالرنو ذات يوم جزءاً من أمبراطورية الإسكندر المقدوني المتوفي عام 333 ق. م وكان أهلها يتكلمون باليونانية ثم صاروا يتكلمون بـاللاتينيـة بعد أن آلت إلى الرومان سنة 194 ق. م. وبرزت أهمية المدينة بعد أن أنشأ القديس بندكتين Benedictine في القرن السادس الميـلادي الديـر المعروف باسمه على جبل مونت كاسينو المجاور لسالرنو . وكان رهبان الدير يستقبلون المرضى ويعالجونهم بالإطعام ، والعناية البدنية ، والوسائل الروحية كجزء من أعمال البر والإحسان الذي ينهجه رجال الدين عامة . ولقرب سالرنو من الدير وموقعها الصحي فقد اتخذها الرهبـان منجعاً لمن يتمـاثل من مـرضائهم إلى الشفاء . وأخيراً أنشأ فيها اللمبـارديون مستشفى لهـذا الغرض . وفي أوائـل القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي حاصرها المسلمون الأغالبة فأنقذها النورمانـديون العـائدون من الحـروب الصليبية في سـوريا ، وبـذلك انتقلت المدينة من يد اللمباردبين إلى النورمانديين برئاسة الملك روبرت جسكارد . أما شهرة المدينة في تاريخ الطب فترجع إلى مدرستها الطبية التي عرفت لأول مـرة أبـان الثـورة العلميـة في بغـــداد (القـرن الثـــاني الهجـري / الثـــامن الميلادي) . وبالـرغم من معلوماتنـا الوفيـرة عن الأطباء الـذين ينتسبون إلى مدرسة سالرنو ، إلا أن هناك أموراً تخص نشأة المدرسة وجنسيات أطبائها ما تـزال غامضـة ومتضاربـة . وقد أشيـع أن أربعة أطبـاء من جنسيات مختلفـة ويتكلمون بأربعة لغات مختلفة ، تعاونوا على تأسيس المدرسة . كـان منهم يهودي اسمه هيلينوس ويعلم بالعبرية ، وآخـر يونـاني اسمه پـونتوس ويعلم باللغة اليونانية ، وثالث هو عبديلا (عبدالله ؟) ويعلم بالعربيـة . ورابع هـو سـالرنـوس وكان يعلم بـاللاتينيـة[22] . والشائعـة هذه ، بـأي حال ، ليست محصنة ضد الطعن بصحتها مع أنها مرتبة باتقان . وإذ أننا نعرف أن العرب

---

(22) الدوميلي ص 429 . Harington, P. 12.

منذ خلافة عثمان بن عفان (23 ـ 35 هـ / 644 ـ 656 م) قد استهدفوا الوصول إلى إيطاليا وجزر البحر الأبيض المتوسط فلا يستبعد نهائياً أن يكون أحد علمائهم الذي قد يكون اسمه عبدالله قد دخل إيطاليا الجنوبية واجتمع بالعلماء الثلاثة الآخرين فأسسوا في سالرنو المدرسة التي نتكلم عنها .

إن أقل ما ترمي إليه هذه الإشاعة عن تنويع لغات التدريس في مدرسة سالرنو ، هو أن هذه المدرسة كانت تعمل بتنظيم جامعي ويدخل إليها طلاب العلم من مختلف الجنسيات واللغات .

ويروى أيضاً خبر آخر وقع في زمان كانت فيه مدرسة سالرنو تخطو نحو النضوج ذلك أن اليهودي الإيطالي شبطاي (سبتي) بن إبراهام Sabatai Ben Abraham المعروف باسم دونولو Donoloقد وقع أسيراً بقبضة حرس سواحل صقلية أثناء حكم المسلمين فيها فاقتيد إلى بالرمو العاصمة ، وهناك تعلم اللسان العربي ، ورجع بعد مدة إلى مسقط رأسه في (أوترانتة) بإيطاليا حيث توفي بحدود سنة 970 م . ويقال أن دونولو درس في علوم بالرمو علوم بابل والهنود والعرب . وقد عرف له كتابان بالعبرية أحدهما في التنجيم والآخر في مفردات الأدوية ، ومضامين الكتابين كانت يومئذ من العلوم التي عرفت عند العرب حصراً . وذكر دونولو في مؤلفه الثاني ما يربو على المائة وعشرين عقاراً من مصادر عربية[23] . والكتابان من أوائل الكتب التي وضعت باللغة العبرية . وإذ أن دونولو مارس صنعته في جنوب إيطاليا فلا يستبعد أنه هو ، أو كتاباه المذكوران قد دخلا مدرسة سالرنو ليكونا من الكتب المتداولة بين أيدي أساتذة وطلاب المدرسة . ويحتمل أيضاً أن جربرت (الباب سلفستر الثاني بعدئذ) المتوفي سنة 1003 م ، وهرمن الكسيح السويسري المتوفي سنة 1054 م قد درسا كتابي دونولو وتأثرا بهما . فكانا فاتحة تولعهما بالثقافة العربية . وقد دخل البابا سلفستر الثاني الأندلس ليتفقد رعاياه المسيحيين وشاهد بأم عينيه حضارة العرب في تلك البلاد ،

---

(23) الدوميلي ص 428 . مايرهوف ، ص 495 . وCampbell, 1/116.

فأعجبته الأرقام العربيـة ؟ (الغباريـة) فدعى قـومه إلى استعمـالها بـدلاً من الأرقام الرومانية[24] . ولا تزال شعوب أوروبا منذ ذلك التاريخ تستعمل تلك الأرقام ، إلى هذا اليوم .

والمدلول التاريخي من قصة دونولو التي ذكرناها ، هو أن جزيرة صقلية كانت أسبق محطات العلم العربي التي نقلت أفكارها إلى أوروبا اللاتينية . كما تدل القصة أيضاً على أن المعـارف العربيـة قد دخلت إيـطاليا ، وربمـا سالرنو بالذات قبل أن تدخلها متـرجمات قسـطنطين الأفـريقي المتوفي سنـة 1087 م بما يزيد على القرن من الزمن .

وقد تعاقب على حكم سالرنو عدد من الملوك ، كان من حسن حظها أن أكثـرهـم من هواة الثقـافة وتشجيـع التعليم ونشر المعـرفة . وتتمثـل هذه الصفـات بشكـل خـاص في الحكـام النـورمـانـديين (1076 ـ 1224 م) فازدهرت المدرسة في أيـامهم حتى قاربت المستـوى الجامعي ، واجتـذبت إليهـا طلاب المعـرفة والمعلمين من العـرب والصقليين والأسبان . ووصلت المدرسة ذروتها في المستويات العلمية أثناء حكم فردريك الثاني الذي توفي سنة 1272 م . ويذكر أن هذا الملك أصدر تشريعاً بموجبه يمنع الأطباء من ممارسة مهنتهم ما لم يكونـوا قد درسـوا الطب سبـع سنوات ، وأن يجتـازوا امتحاناً أمـام هيئة في مـدرسة سـالرنـو خاصـة لهذا الغـرض . وتكون مـواد الإمتحان في أعمال أبقراط وجالينوس وابن سينا . أما من يرغب في ممارسة الجراحة فعليه أن يدرس التشريح ويجتاز امتحاناً بهذا الموضوع . كما أصدر فردريك الثاني أمراً بتحديد أجور الأطباء وإنزال العقوبـة بمن يتفق منهم مع الصيادلة على ترويج بيع الأدوية[25] . وإذ أن قانون ابن سينا قد تـرجم إلى

---

(24) Campbell, 1/116.

(25) المهم مما ورد في تشريع فردريك الثاني هو : (1) أن يكون الطبيب ابناً شرعياً (2) قـد بلـغ الواحد وعشرين عاماً (3) أن يكون قد درس سبع سنوات في الطب (4) أن يجتاز امتحاناً في الطب أمام لجنة تشكل من أساتذة مدرسة سالرنـو لهذا الغـرض (5) يحاسب الـطبيب حسابـاً =

العبرية في طليطلة في حوالي منتصف القرن الحادي عشر فلا بد وأن يكون هذا الكتاب قد وصل إلى مدرسة سالرنو إبان حكم فردريك الثاني وصار أحد كتبها المقررة في الدراسة ، فوضعه هذا المشرع في مواد الإمتحان إلى جانب كتب أبقراط وجالينوس . كما نعتقد أن كتاب الملكي للمجوسي ، كماسنرى بعد قليل ، كان من الكتب المدرسية بسالرنو كذلك . أما أشهر أعمال المدرسة المنسوبة لأطبائها فكان كتاب Regimen Sanitatus الذي وضعه المؤلفون بصيغة أرجوزة يزيد عدد أبياتها على الثلاثماية وخمسين بيتاً ، فيها الكثير من الأفكار العربية في الطب .

وعمل في مدرسة سالرنو (القرن الثاني عشر) أربعة وعشرون طبيباً ، من مختلف الجنسيات ، وإذا كان قسطنطين الأفريقي أحد المعلمين في المدرسة فهو أبرزهم وأشهرهم جميعاً ، عدا أنه أول من فتح باب هذه المدرسة لدخول العلوم العربية بشكل كتب وأفكار منظمة هي خلاصة الفكر اليوناني والعربي مجتمعين . وعلى هذا إذا كانت جزيرة صقلية أسبق من سالرنو في حصولها على الطب العربي ، فإن ترجمات قسطنطين التي دخلت سالرنو قد سبقت الترجمة في الجزيرة المذكورة بما يقارب القرنين . وفي القرن الثالث عشر بدأت تظهر الجامعات الأوروبية الحديثة التي كان من أوائلها جامعة نابولي التي أسسها فردريك الثاني سنة 1224 م ، ومنذ هذا التاريخ بدأت مدرسة سالرنو في الإنحطاط على أنها بقيت تعمل في التدريس حتى القرن الخامس عشر . وكان في المدرسة عدد غير قليل من الأساتذة في الطب ، كان منهم اثنان أو ثلاثة من الطبيبات الشهيرات ، نذكر منهن : تروت يولا أو (الأم تروت) المزامنة لقسطنطين الأفريقي ، وروبيكا (القرن 13) . وليس لنا علم عن نساء شغلن كرسياً جامعياً في أية مدرسة طبية

= عسيراً إذا اتفق مع الصيادلة على ترويج صرف الأدوية . ويمنح الطبيب الذي يجتاز الإمتحان وتتوفر فيه الشروط الأخرى لقب ماجستير . أما لقب دكتور فلا يمنح إلا لمن مارس التعليم منها . (Harington, P. 35)

سبقت عهد مدرسة سالرنو أو عاصرتها . كما يجلب نظرنا أن في مدرسة سالرنو كل الإختصاصات الطبية الرئيسة ، فكان فيها أطباء باطنيون ، وجراحون ، وأطباء للأطفال ، وللأمراض النسائية والولادة ، وأطباء للعيون . ويندر ، إن لم يكن معروفاً البتة ، في أي مدرسة هذا التجميع لإختصاصات الطب في ذلك الوقت ، باستثناء مدارس الطب في الأقطار الإسلامية . وفيما يلي نثبت معلوماتنا عن حياة بعض المترجمين المشهورين ومن عمل في مدرسة سالرنو وبعض مدن إيطاليا الذين كانت لأفكارهم علاقة بالطب العربي .

1 ـ قسطنطين الأفريقي Constantine The African

أشرنا أثناء الكلام عن الطب في تونس ، إلى قسطنطين الأفريقي أو القرطاجي ، على اعتباره من أطباء تلك الديار ؟ وأحد تلاميذ مدرسة القيروان في الطب ، وألمحنا إلى معرفته باللغات اليونانية واللاتينية والعربية . كما قلنا أن ليس لهذه الشخصية ذكر في التواريخ الإسلامية ، ومعلوماتنا عنه مستقاة عن المصادر الأوروبية الغنية بأفكاره ومغامراته وأسفاره . ويروى فيها أنه من أصل عربي[26] ، وعبر البحر إلى إيطاليا مرتين ، تاجراً بالأعشاب الطبية أو هارباً من غضب المواطنين عليه حين تعالى عليهم بالهرطقة كما يدعون . ومما ذكر بهذا الصدد أنه في سفرته الثانية إلى إيطاليا كان يحمل معه حزمة من كتب الطب العربية الموضوعة ، والمترجمة عن اليونانية ، وأن عاصفة دهمت السفينة التي كانت تقله فغرق الكثير من كتبه في اليم . وصاحب هذه الرواية يقول أيضاً : أن هذا المغامر الذي كان حتى عبوره البحر إلى إيطاليا ، يدين بالإسلام ، واعتنق النصرانية بعد وصوله إلى البر الإيطالي وسمى نفسه قسطنطين[27] ، وأنه اتصل بأحد أطباء سالرنو الذي كان أخاً لحاكم المدينة ، فيسر له مقابلة ملك البلاد ، روبرت جسكارد النورماندي فأعجب هذا

(26) الدوميلي ص 432 وCampbell, 1/131

(27) المصدر السابق ص 432 وCampbell, 1/128

بمعلوماته التأريخية والطبية ومعرفته باللغات ، وحسن تصرفه مع الناس ، فاتخذه نديماً له أو سكرتيراً[28] . إلا أن قسطنطين فضل الإنقطاع عن حياة الدنيا بدير مونت كاسينو وفيها توفي سنة 1087 م بعد ثمان سنوات قضاها بالترجمة والتأليف في العلوم الطبية ، وتعليم زملائه رهبان الدير هذه الصنعة التي كانت إحدى أعمالهم كرجال دين لإطعام الجياع ، ومداراة وتطبيب المرضى .

وفي غمرة انشغال قسطنطين بترجمة الكتب العربية واليونانية إلى اللاتينية كانت مناوشات الفرنجة العدائية قد زادت على طليطلة في أسبانيا فسقطت هذه المدينة أخيراً بيد القشطالين سنة 1085 م لتبدأ هذه الأقوام دورها في نقل المعارف العربية إلى أوروبا الذي شرع به قسطنطين في مونت كاسينو قبل بضع سنوات . وبأي حال فقد دخلت الكتب التي ترجمها قسطنطين إلى مدرسة سالرنو ودمغتها بطابع الفكر العربي الذي صار أحد مميزاتها العلمية البارزة في التاريخ الحضاري .

وبالرغم من السمعة الرنانة التي يتمتع بها اسم قسطنطين بين مترجمي الكتب الطبية العربية إلى اللاتينية في مطلع النهضة الأوروبية بالقرن الحادي عشر وما بعده ، فإنه من الراجح أن قسطنطين لم يمارس الطب ، أو على الأقل لم يكن معروفاً كطبيب ممارس . وقد لا يكون أكثر من تاجر بالأعشاب الطبية ، وأنه أيضاً لم يكن واحداً من أساتذة مدرسة سالرنو ، إلا أن مترجماته كانت في صدر قائمة الكتب المقررة فيها . ومن المؤكد أن قسطنطين لم يكن يحسن اللغة اللاتينية[29] التي ترجم إليها الكتب العربية ، ولذلك كان يستعين بتلميذه أو زميله افلاتيوس (المتوفي عام 1100 م) الذي كان يحسن تلك اللغة ويجيد التعبير بها . ومع ذلك كانت المترجمات بسبب العمل المشترك

(28) مايرهوف ص 495 ، الدوميلي ص 432 وCampbell, 1/123

(29) مايرهوف ـ تراث الإسلام ص 495 . Campbell, 1/123

فيهما ، على قدر من التفكك والركاكة[30] على أنها كانت بنفس الوقت لامعة وجذابة بين الكتب الأخرى في مدرسة سالرنو .

وشيء آخر نذكره عن قسطنطين في الترجمة ، وهو أنه انتحل لنفسه بعض الكتب العربية التي ترجمها ، ولم يشر إلى مؤلفها لا بالقليل ولا بالكثير ، وهي فعلة تنافي سلوك العلماء ، وانتقدها عامة المؤرخين . ويرى بعض المحققين في سيرة قسطنطين ، أنه اضطر أن يفعل ذلك لأن ملوك أوروبا وباروناتها كانوا يومئذ يهيئون شعوبهم لحرب صليبية على المسلمين في سوريا والقدس ، فكرهوا أن تكون في الكتب التي يتداولونها أسماء عربية أو إسلامية . فوضع قسطنطين اسمه على صدر الكتب التي ترجمها ليروجها بين القراء النصارى ، ويرضي بنفس الوقت سادته الحكام الصليبيين . وطبيعي أن لا يكون هذا التفسير منطقياً ولا عذراً مقبولاً ، إذ كانت أكثر الكتب العربية التي ترجمها قسطنطين لمؤلفين من الأطباء غير المسلمين ، كما لم ينتحل أي مترجم في طليطلة التي عاشت في سني الحروب الصليبية ، كتاباً عربياً كما فعل قسطنطين .

لقد زاد عدد مترجمات قسطنطين الأفريقي على الثلاثين كتاباً ، نقلها جميعاً إلى اللغة اللاتينية[31] ، نذكر منها :

(1) كتاب العشر مقالات في العين لحنين بن اسحاق العبادي . وقد نحله المترجم لنفسه بعنوان « أمراض العين » .

(2) قسم كبير من كتاب الملوكي لعلي بن العباس المجوسي ، ونشره باسمه بعنوان Pantegni ودخل هذا الكتاب عن طريق مدرسة سالرنو إلى أوروبا ، وبقي مرجعاً في التدريس فيها حتى ظهور مترجمات جيرارد الكريموني للكتب العربية .

---

(30) الدوميلي ص 434 . Campbell, 1/131

(31) نشرت مؤلفات قسطنطين الأفريقي في بازل سنة 1539 .

(3) كتاب الغذاء لإسحاق بن سليمان الإسرائيلي .

(4) كتاب العناصر للمؤلف السابق ذكره .

(5) كتاب البول للمؤلف السابق .

(6) كتاب الحميات للمؤلف السابق .

(7) كتاب الفصول لأبقراط بترجمة حنين بن إسحاق وحبيش بن الأعسم .

(8) كتاب تدبير الاصحاء لأبقراط بترجمة حنين بن إسحاق أيضاً .

(9) كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط بترجمة حنين أيضاً .

(10) كتاب في الكيمياء لأبي بكر الرازي . وسماه قسطنطين كتاب التجارب ونسبه إلى اسمه .

ويجلب نظرنا أن قسطنطين لم يترجم كتاب القانون لابن سينا ، مع أنه عاصر هذا المؤلف . وكان الكتاب لحداثته يطغي يومئذ على كل الكتب الطبية الأخرى . وربما ترجم كتب اسحاق بن سليمان الإسرائيلي لصغر حجمها ومضامينها العملية المختصرة . أو لأن هذا المؤلف من أطباء تونس التي ينتسبب إليها قسطنطين الأفريقي ، والعرق دساس كما يقول المثل . كما يحتمل أن لا يكون كتاب القانون لابن سينا قد وصل إلى تونس بعد ، وهو الأرجح .

2 ـ يوانيس افلاتيوس (ابلا توريوس) **Johannes Afflatius**

يؤكد المؤرخون أن هذا الطبيب ، مثل قسطنطين من أصل عربي(32) ، وصل إلى سالرنو من فاس بالمغرب في صدر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، واتصل بقسطنطين الأفريقي وتأثر بأفكاره العلمية والكهنوتية ، فتنسك في أواخر عمره والتحق به في دير مونت كاسينو . وكان

(32) Campbell, 1/126.

يوانيس يحسن اللاتينية التي لا يجيدها قسطنطين ، فساعده في الدير على ترجمة الكتب العربية إلى تلك اللغة . وتابع عمله في التأليف بعد وفاة قسطنطين حتى آخر حياته في سنة 1103 م ، وقد ترك كتابات في التشريح استعمل فيها بعض المصطلحات العربية .

3 ـ نيقولا بريبوسيتس Nicholas Praepositus

طبيب آخر عمل في مدرسة سالرنو في منتصف القرن الثاني عشر ، وربما كان عميدها الإداري . له كتاب في العلاجات الطبية يحتوي على حوالي مائة وخمسين وصفة طبية مرتبة على تسلسل حروف الهجاء ، التقط أكثرها من مفردات الأدوية التي كان يستعملها الأطباء العرب(33) ، كما فيه ذكر لوحدات الوزن والحجوم التي كانوا يستخدمونها في صيدلياتهم ، وذكر الأسفنجة المخدرة التي تكلم عنها ثيودريك البولوني الذي توفي قبله بقرن تقريباً . وقد نسب ثيودريك المعادلة الصيدلانية المستعملة في تحضير المواد العطرية المخدرة في الأسفنجة المذكورة إلى الأطباء العرب(34) . وذكر أيضاً استعمال الجبائر في كسور العظام ، والتداوي بالكلي الذي هو من أعمال العرب المبتكرة دون خلاف على ذلك .

4 ـ تروتيولا(35) Trotula

وتدعى أيضاً الأم تروتيولا . عاصرت قسطنطين وعملت أستاذة للأمراض النسائية والتوليد وأمراض الأطفال في مدرسة سالرنو حتى وافاها الأجل في سنة 1059 م . ويبدو أنها كانت ذات مركز إجتماعي محترم . فقد روي أن طابور مشيعيها إلى مثواها الأخير بلغ أكثر من كيلو متر . ولها كتاب

---

(33) Ibid, P. 127.

(34) Ibid.

(25) اقرأ هذا المقال الممتع عن تروتيولا وسيدات مدرسة سالرنو في
Trotula and the Ladies of Salerno - By H.P. Bayon. Proceedings of the Royal Society of Medicine Vol. 33, P. 471 - 471.

باسم الأمراض النسائية والتوليد ، ضمنته ما يصيب المرأة من الأمراض الخاصة بها . وبه أيضاً شيء من أمراض الأطفال . وجل الكتاب مأخوذ مما ترجمه قسطنطين عن الكتب العربية . وقد ترجم إلى اللغة الإنكليزية من قبل إليزابيت هل سنة 1940 .

5 ـ برنارد البروفنسالي Bernard Provincial

عمل هذا صيدلانياً في مدرسة سالرنو في حوالي سنة 1155 م وكان له عناية بالأدوية المفردة . وله فيها كتاب استقى مادته من مصادر عربية[36] .

6 ـ روجر السالرنوي

عمل هذا الطبيب جراحاً في مستشفى سالرنو ، ودرّس بمدرستها في حوالي سنة 1180 م ، وله كتاب في الطب أخذ فيه عن الزهراوي . وقد علق المطلعون على هذا الكتاب بقولهم : أنه طبخة لاتينية من مواد عربية[37] . وبقي الكتاب معتمداً في موضوع الجراحة بأوروبا إلى أن انتشرت ترجمة كتاب التصريف للزهراوي فأخذت مكانه بأيدي الأطباء .

7 ـ برونو الكاليبريان Bruno The Calabrian

من أطباء سالرنو في القرن الثالث عشر . وله كتاب الجراحة الكبرى الذي صنعه بذكاء وحذق . فجعل قسمه النظري على قانون ابن سينا وكتب جالينوس ، وقسمه العملي على كتاب التصريف للزهراوي[38] .

8 ـ كراسو

له يد في تأسيس مدرسة سالرنو . ورغم أعماله الواسعة بطب العين ، فقد كانت علاقة أفكاره بالطب العربي واضحة[39] .

---

(36) Campbell, 1/128.

(37) Ibid. P. 131, 133.

(38) Ibid.

(39) الدوميلي ص 437 .

وهناك ثمة مترجمون إيطاليون ، لا نستطيع أن ننفي علاقتهم بمدرسة سالرنو ، عملوا على نقل الكتب العربية إلى لغة بلادهم ، عرف منهم :

9 ـ اكيوريوس Accurius

من أهل بستويا في حوالي سنة 1200 م . ترجم إلى اللاتينية كتاب قوى الأغذية لجالينوس بلغة حبيش العربية .

10 ـ بوناكوزا

تنصر عن اليهودية ، وترجم سنة 1255 م كتاب كليات ابن رشد إلى اللاتينية .

11 ـ بارڤتيوس اليهودي والمتنصّر يعقوب

ترجما بالمشاركة كتاب التيسير لابن زهر في حوالي سنة 1280 م .

12 ـ داود هرمينوس David Hermenus

ترجم إلى اللاتينية كتاب أمراض العين لعمار بن علي الموصلي .

وهناك أيضاً مترجمون إيطاليون ليس لهم علاقة بمدرسة سالرنو نذكرهم فيما يلي لما أسهموه في ترجمة الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية .

13 ـ الپاكو ، اندريا

جاء هذا المترجم في وقت متأخر (1522) بالمقارنة إلى المترجمين الإيطاليين الآخرين . وكان قد استوطن سوريا نحو من ثلاثين سنة واتقن اللغة العربية ، واطلع على كنوزها الأدبية والعلمية فترجم إلى اللاتينية كتابي القانون والسكنجبين لابن سينا ، وكناش ابن سرابيون ، وبعض آثار كل من ابن رشد وابن النفيس المتعلقة بالدورة الدموية الصغرى . وقد نشرت هذه الترجمات سنة 1547 . كما ترجم الباكو كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأطعمة لابن البيطار ، ونشرت هذه الترجمة سنة 1602 .

14 ـ ڤيزاليوس ، اندريا

تحتمل وفاته بحدود سنة 1564 . وهو من أسرة لبعض أفرادها تعلق

بالطب العربي . ترجم إلى اللاتينية المقالة التاسعة من كتاب المنصوري للرازي المختصة بعلاج الأمراض عامة . وقد نشرت هذه الترجمة سنة 1537 . ثم ترجم الكتاب كاملاً سنة 1544 .

3 ـ مدارس طليطلة[40]

كانت طليطلة أثناء الحكم العربي في الأندلس ، أعظم من قرطبة كمركز لامع بالثقافة الإسلامية ، وأكثر منها ازدحاماً بالنصارى من أهل البلاد . فكانت على هذا محجاً لمحبي العربية ومشاهدة معالم الحضارة الإسلامية ، فيشد الناس إليها الرحال من كل مكان في أسبانيا ، ومن خارج أسبانيا أيضاً . وربما كان من أوائل العلماء البارزين الذي اتصلوا بالعرب واستفادوا من معارفهم هو جربرت الذي أصبح الباب سلفستر الثاني (989 ـ 1003 م) ، وكان هذا يميل إلى دراسة العلوم الطبيعية التي كانت تسمى يومئذ بالعلوم المحرمة Forbidden Sciences كالتنجيم والسيمياء وما إلى ذلك . ومن أوائل من دخل طليطلة أيضاً الفليلسوف الإنكليزي اديلارد الباثي (المتوفي عام 1142 م)[41] ، واليهودي المتنصر بيتر الفونسي الذي هاجر بعد ذلك إلى إنكلترا وصار طبيب ملكها هنري الأول (1068 ـ 1134 م) . والعالمان المذكوران أول من أدخل العلوم العربية إلى إنكلترا . وإذا كانت

---

(40) طليطلة ـ يرجع تاريخها الأقدم إلى ما قبل دخول الرومان إلى أسبانيا سنة 193 ق. م وازدهرت كمركز دولة القوط الغربيين بعد سنة 503 م . فتحها طارق بن زياد سنة 96 هـ / 714 م وصارت ابان حكم المسلمين فيها من أهم مراكز الثقافة العربية في أسبانيا حتى سقوطها بقوات القشطاليين سنة 475 هـ / 1085 م .

(41) اديلارد الباثي انكليزي الأصل . عرف بشغفه بالعلوم العربية والتجول في المغرب والمشرق وراء العلم . فدخل صقلية وسالرنو وسوريا وأقام بطرسوس حيث اتصل بعلمائها وناقشهم في علم التشريح . وهجر طرسوس أثر زلزال وقع فيها إلى بيت المقدس وكانت يومئذ بيد الفرنج الصليبيين . وبعد سبع سنوات قضاها في التجوال رجع إلى فرنسا ثم دخل طليطلة ومنها عاد إلى موطنه في إنكلترا وتوفي بها عام 1146 م . ولأديلارد مترجمات من زيج الخوارزمي ، ومدونات على مشاهداته في المشرق العربي .
(الدوميلي ـ العلوم عند العرب ، ومايرهوف ـ تراث الإسلام) .

طليـطلة أول المـدن التي استـرجعهـا الأسبـان من العـرب إلى سلطانهم (1085 م) فلا غرابة أن تزدحم المدينة بوقت سريع بأهـل البلاد الأصليين ومن يهوى رؤية الأعمال الإسلامية ، ويتشفى بخروج العـرب من المدينـة . كما استقطبت طليطلة في وقت مبكر فتيان الأسبان الذين يتطلعون إلى دراسة العلوم الإسلامية .

وكان في أسبانيا منذ الحكم القوطي عدد كبير من اليهود ، كمادخلتها أسر يهودية أخرى من المغرب الأفريقي في بداية الفتح الأموي للبلاد . فلما ضاقت هذه الأقوام بتزمت الحكـام الموحـدين (540 ـ 545 هـ / 1145 ـ 1150 م) وتعصبهم ضـد الذميين ومن يبشـر للأفكـار الحرة ، صـارت هذه الفئات تهاجر إلى طليطلة التي تحـررت من المسلمين عقب استيلاء الملك القشتـالي عليها سنـة 487 هـ / 1085 م ، وهكذا أصبحت هـذه المـدينـة متجمعاً لكثير من محبي الأفكـار الحرة في العقـائد والعلوم . والتفت هؤلاء إلى دراسة الكتب العربية وترجمتها إلى لغة البـلاد . وتحمس رئيس أساقفـة طليـطلة رايمونـد Raymound of Savetat (1125 ـ 1153 م) إلى تشجيع من له رغبة في العمل بهذا الحقـل . ورايمونـد عالم ورجـل دين متحرر لا يتعصب إلى شريعته إلا بحـدود ، وله إتصـالات سابقـة بالعلمـاء العرب في المدينة ، ويعـرف ما في كتبهم من كنـوز في العلوم والفنون ، فـاستطاع أن يستحدث في سنة 535 هـ / 1140 م (أي بعد ما يزيد على النصف قـرن من سقوط طليطلة بيد القشطالين) مـركزاً لتـرجمة تلك الكتب إلى الـلاتينية الـمحلية . وأسس في هذا المركز مدرسة لتعليم اللغة العربية وطريقة الترجمة منها إلى لغة البلاد[42] ، ودعا إلى هذا المركز كل من له معرفة باللغة العربية من داخل البلاد وخارجها . وكان أكثر المترجمين من الإيطاليين والأسبـان . ويشكل اليهود جبهة قوية في كليهما على اعتبارهم يحسنون اللغة العربية أكثر من غيرهم من المترجمين . وصاروا واسطة التفاهم والإتصال بين القشطاليين

---

(42) Campbell, 1/138 - 139, 144.

وبقايا علماء العرب في طليطلة . وبذلك كان اليهود في تلك الفترة من أبرز الفئات بين خليط الناس الذي يملأ طليطلة . وبرزت مكـانتهم حين انضموا إلى مـركز التـرجمة الـذي أنشأه رايمـوند ، فكـانوا من أنشط العـاملين فيـه وأخصبهم إنتاجاً . وكان لأسرة بني طبون وبني جبرول دوراً ضخماً في تلك الأعمـال . وبالـرغم من كفاءة المتـرجمين في النقل وجهـودهم في تحسين الترجمة إلا أن هذه كانت مضـطربة العبـارة وقراءتهـا ممجوجـة . كما نقلت بعض الأسمـاء والمصطلحـات الفنية بتحـريف كامـل بـدّل كثيـراً من أصـل مضامينها ، إلا أنها بالإجمال كانت بسبب اتقان الأسبان للغة اللاتينية ، أجود من مترجمات قسطنطين الأفريقي الذي تـوفي قبل ظهـور مترجمـات طليطلة بحوالي نصف قرن ، ومع ذلك بقيت كتب قسطنطين في التـداول طيلة هذه المدة وإلى ردح آخر من الزمن بالرغم من توفر مترجمات طليطلة التي تفضلها بكثير .

ويبـدو أن اختيار الكتب العـربية لتـرجمتها إلى الـلاتينية كـان متروكـاً للمتـرجم نفسه ، وليس لإدارة مـركـز التـرجمـة سيـطرة عليـه لتعيين الكتب المطلوب ترجمتها . ولذلك وجدت أكثر من ترجمـة واحدة للكتـاب العربي الواحد . وبقي مركز الترجمة يعمل في طليطلة حتى القرن الثالث عشر ، وهو العصر الذي أخذت فيه أوروبا بزمام التعليم واستحداث الجامعات ، فانتفت حاجتها إلى ترجمة الكتب العربية واكتفت بما تجمع لـديها من المتـرجمات منها . وفيما يلي أشهر من عمل بأسبانيا في نقل الكتب العربية إلى اللغـات الأسبانية :

1 ـ جيرارد الكريموني **Gerard of Cremona**

هو كبير مترجمي طليطلة وأكثرهم إنتاجاً . أصله من كريمونا بإيطاليا . ولا يستبعد أنه درس في مدرسة سالرنو ، وقرأ مترجمات قسطنطين الأفريقي باللاتينية ، وإذ ذاك لمس ضعف تلك الترجمات وضرورة تعلم اللغة العربية ليقرأ نصوص علومها ويفهم لباب أفكارها . فقصد مركز الترجمة في طليطلة

وفيها تعلم العربية على نصراني عربي من مواطني المدينة اسمه ابن غالب[43] . كما قيل أنه نزح من إيطاليا إلى طليطلة وراء كتاب المجسطي لبطليموس ، فلما ظفر به مكتوباً باللغة العربية اضطر أن يتعلم هذه اللغة ليستطيع قراءة الكتاب . وليس بين الروايتين فرق جوهري أو ما ينفي أن جيرارد كان جامعياً يطلب العلم في كل مكان . ويروى أيضاً أنه ترجم المجسطي من صيغته العربية إلى اللاتينية[44] ، وكان عمره حينذاك يناهز الستين سنة . ومع ذلك استمر يترجم بلا كلل حتى آخر عمره الذي كان في سنة 1187 م وهو في عمر الثالثة والسبعين ، فكانت حصيلة أعماله تربو على الثمانين كتاباً مترجماً[45] ، التي لولا بعضها لاختفت معارف عربية كثيرة ومهمة بسبب ضياع أصولها الأولى بعد انسحاب العرب من أسبانيا .

وفيما يلي بعض مما ترجمه جيرارد الكريموني من الكتب العربية :

(1) أكثر كتب أبقراط وجالينوس بترجمة حنين بن اسحاق وتلاميذه .

(2) أكثر كتب اسحاق بن سليمان الإسرائيلي ، وعريب بن سعيد .

(3) الأجزاء الجراحية من كتاب المنصوري للرازي .

(4) الجزء الجراحي من كتاب التصريف للزهراوي .

(5) الفصلين الرابع والخامس من الكتاب الرابع من قانون ابن سينا .

(6) كتاب معرفة قوى الأدوية المركبة للكندي .

(7) كناش يوحنا بن ماسويه .

(8) الأدوية المفردة لابن وافد الأندلس .

(9) شروح ابن رضوان المصري على جالينوس .

(10) بعضاً من كتب الفارابي ، وثابت بن قرة ، وابن الهيثم .

---

(43) Ibid, P. 144.

(44) مايرهوف ـ تراث الإسلام ص 497 .

(45) قائمة مترجمات جيرارد الكريموني في الدوميلي ص 462 ـ 464 . ومايرهوف ص 495 .

(11) كناش يوحنا بن سرافيون .

2 ـ جيرارد سابيونيتا

قيل أن هذا المترجم هو الذي أكمل ترجمة قانون ابن سينا الذي بدأ به جيرارد ، وأنه فعل ذلك بطلب من ملك صقلية فردريك الثاني .

3 ـ إبراهيم الطرسوسي

يهودي من برشلونة . ترجم رسالة في البول لحنين بن اسحاق . وترجم بالمشاركة مع سمعان الجنوى كتاب التصريف للزهراوي ، وكتاباً في الأدوية المفردة لابن سرابيون .

4 ـ رايمون ريڤونا

إيطالي الأصل واستوطن مرسية ، ثم انتقل إلى طليطلة . وفي هذه المدينة ترجم كتاب مسائل حنين بن إسحاق بعنوان مسائل طبية .

5 ـ ميخائيل سكوت

من معاصري جيرارد الكريموني ، ويحتمل أنهما درسا العربية معاً على ابن غالب . وهو أول من ترجم مؤلفات ابن رشد إلى اللاتينية . وجودته في الترجمة هي التي رشحته إلى بلاط ملك صقلية فردريك الثاني . وهناك توفي بعد سنة 1232 م .

6 ـ يوحنا الأشبلي

كان يهودياً باسم داود ، ثم تنصر باسم يوهانيس هسبلانس ، وكان يترجم من العربية إلى القشتالية ثم يترجمها منجو من هذه اللغة إلى اللاتينية . ومن أشهر أعمالها رسالة بالعربية في حفظ الصحة بعث بأصلها اليوناني أرسطو إلى الإسكندر المقدوني . وله أيضاً ترجمات زهاء خمسة عشر كتاباً في الفلسفة والعلل .

7 ـ ماركوس الطليطلي

له تراجم إلى اللاتينية لكتب جالينوس التي صنعها حنين بن إسحاق بالعربية .

8 ـ أسرة بن طبون

اشتهرت بعلمائها وبأعمالهم في ترجمة الكتب العربية إلى اللغة العبرية . وكان المدعو موسى بن طبون المتوفي سنة 1283 م أكثرهم إنتاجاً في هذا الحقل . له ترجمة لشروح ابن رشد على أرسطو وبعض من قانون ابن سينا وأرجوزته ، واقرباذين الرازي .

9 ـ شمطوب بن إسحاق

له ترجمة التصريف للزهراوي وكتاب المنصوري للرازي إلى اللغة العبرية . وكانت وفاته سنة 1258 م .

10 ـ اصطيفان السرقسطي

عمل بسرقسطة بحدود سنة 1233 م وله ترجمة اقرباذين ابن الجزار إلى اللاتينية .

4 ـ الحرب الصليبية

دامت الحروب الصليبية بين مسلمي الشرق ونصارى أوروبا زهاء المائتي سنة (490 ـ 670 هـ / 1096 ـ 1291 م) شارك فيها من الجانب الإسلامي السلجوقيون والأيوبيون بقيادة صلاح الدين الأيوبي ، والمماليك المصريون بقيادة بيبرس والمنصور قلاوون . ومن الجانب المسيحي بارونات أوروبا وملوكها وباباواتها . وكان من أبرز من عمل في هذه الجبهة فردريك الثاني ملك صقلية وجنوب إيطاليا المعروف باهتمامه بترجمة كتاب الطب العربي إلى اللغة اللاتينية . وهو ألماني من الأب ونورماندي من الأم .

كانت الفرنجة لا تنسى أن المسلمين بالإضافة إلى أنهم يمتلكون أقدس مزاراتهم في القدس ، فإنهم أيضاً يسيطرون على كثير من أفضل بلادهم بأوروبا . فاشتدت مناوشاتهم العدائية على طليطلة في أسبانيا حتى

سقطت بأيدي القشطاليين عام 1085 ، فزاد ذلك بتحمس أوروبا عامة التي كانت هي الأخرى تستعد لمحاربة المسلمين في ديار القدس . فبدأوا بالحرب الصليبية سنة 489 هـ / 1096 م . وأوروبا لم تكن بعد قد تمكنت من تطبيق العلوم الطبية التي سبق وترجمها قسطنطين الأفريقي في مونت كاسينو ، أو التي بدأوا بترجمتها في طليطلة أثر خروج العرب منها . فكان مما يلفت النظر في الحروب الصليبية أن المحاربين الفرنج لم يوفروا لجنودهم ما يحتاجه المقاتل من طب وأطباء . أما الجراحون الذين رافقوا حملاتهم العسكرية فلم يكونوا يجيدون من الأعمال إلا حلق لحى الضباط في كل صباح . إذ كان حتى سنة 1163 م من المحضور تدريس الجراحة في العلوم الطبية . ويروي أسامة بن منقذ ، وهو شاهد عيان في الحروب الصليبية ، أحداثاً عن جهل الأطباء الصليبيين في الطب تدعو إلى الدهشة والذهول[46] .

وكانت الحروب الصليبية على نوعية خاصة . فقد كانت دوافعها الأولى دينية ، ثم صارت في مراحلها التالية توسعية . ومع ذلك فقد سادت فيها الروح الرياضية وتقاليد الحروب المترفعة عن الغدر وتجاهل الإنسانية . فكان المتحاربون النصارى ، فيما بين حمى القتال يدخلون أطراف البلاد الإسلامية ويختلطون بسكانها ، ويتبادلون معهم البضائع ، ويستفيدون من خدمات أطبائهم ومستشفياتهم ، ويواصلون ملوكهم بالمكاتبات والوفود . فكسب الأوروبيون بهذه الطرق معارف وأموراً حياتية جمة ، منها صنع الورق ، والبارود ، وزراعة القطن والأرز والليمون والبطيخ ، كما تعلموا منهم كثيراً من المعنويات المهمة في تنمية الشخصية وأدب النفس ، كان منها تقفيل الشعر ، وتركيب الألحان الموسيقية ، ووضع الأمثال ، وممارسة الألعاب الفكرية ، والبدنية . أما في العلوم الطبية ، فللغرابة لم ينتفع الصليبيون قدراً كافياً منها يناسب المدة التي قضوها بين المسلمين ، وحجم اتصالاتهم

---

(46) أسامة بن منقذ ص 138 ـ 139 .

الواسعة بمراكز حضارة العرب التي كانت يومئذ بأعلى المراتب العلمية ، وخصوصاً في دمشق والقاهرة . وربما كان الياس اصطيفان الأنطاكي الوحيد الذي انتهز فرصة وجوده في تلك الديار فتعلم العربية ودرس كتبها وترجم بعضاً منها إلى اللاتينية . وهذا العالم إيطالي الأصل من مواليد بيزا وأحد تلاميذ مدرسة سالرنو وبالرمو التي كانت تدرس العربية فعشق علوم هذه اللغة وتعلمها ، وأعاد سنة 1127 م ترجمة كتاب الملكي للمجوسي ، وأشار في هذه الترجمة إلى السرقة التي أقدم على تنفيذها قسطنطين الأفريقي بانتحاله الكتاب لنفسه مترجماً إلى اللاتينية . وما كاد الصليبيون يصلون إلى أوطانهم ويلملمون شملهم ، وينقهون من أتعابهم وجراحاتهم حتى التفتوا إلى نشر ما تعلموه من العرب بين مواطنيهم فأسس لويس التاسع أثر رجوعه باريس سنة 1260 م مستشفى تقليداً لمستشفيات سوريا . وأسس البابا أنوسنت الثالث مستشفى آخر على نفس الطراز . وربما كان الملك فردريك الثاني أكثر ملوك أوروبا الصليبيين تأثراً بالحضارة العربية . وأكثر منهم في نشرها في أوروبا كما تقدم ذكره .[47]

---

(47) الدوميلي ص 440 .

القسم الثاني عشر
العلوم الطبية عند العرب

1 ـ كليات الطب

العناصر الطبيعية الأول ، الإخلاط ، الأمزجة ، القوى والأرواح ، وظائف الأعضاء ، مركبات الجسم التشريحية . الدورة الدموية ، الأمراض وأسبابها وأعراضها . الفحوص السريرية .

2 ـ العلوم السريرية

آ ـ الأمراض الباطنة .

ب ـ العلوم الجراحية والتخدير .

جـ ـ الأمراض العصبية والنفسية ، الماليخوليا .

د ـ الأمراض النسائية والتوليد . منع الحمل والكم العائلي .

و ـ أمراض العين وتداويها .

ز ـ طب الأطفال والصبيان .

ح ـ علم النبات والأدوية المفردة والأقرباذين .

ن ـ السموم في الطب العربي .

ل ـ أحكام النجوم والقوى السحرية في الطب العربي .

م ـ الموسيقى في الطب العربي والأطباء الذين لعبوا بآلات الطرب .

3 ـ وسائل العلاج في الطب العربي

المسهلات ، المقيئات ، الحقن ، استدرار البول ، المعرّقات ، الحجامة والفصد ، العلق ، العلاج بالطرق الطبيعية . العلاج بالجراحة .

الكليات في الطب العربي
(العلوم الأساسية)

الكليات مصطلح أطلقه الأطباء العرب على فروع المعرفة الطبية التي تبحث في مركبات الجسم ووظائف أعضائه ، وفي أسباب الأمراض وقواعد تشخيصها وتداويها . ويضم المصطلح التشريح والفسيولوجيا ، ونظريتي الأخلاط والأمزجة ، والقوى والأرواح . كما يلحق به طرق الفحص ومبادىء فن التداوي وأدويته . ومصطلح الكليات قريب جداً من مصطلح العلوم الأساسية الذي استحدثه الأطباء في هذا العصر . وربما كان أول من استعمل مصطلح الكليات وكتب في مضامينه بأسهاب هو ابن سينا . ثم كتب في مواضيعه كثير من الأطباء العرب ، إلا أنهم لم يذكروا ذلك بإسم الكليات .

أما الدارسون لنظريات ابن سينا في العلوم الأساسية المذكورة فلا يذكرونها إلا بإسم كليات ابن سينا . وسمى ابن رشد كتابه الطبي (الكليات) الذي اشتهر بعد ذلك بإسم كليات ابن رشد على معنى ملفوظ كليات ابن سينا ، ولو أنه شمل أيضاً العلوم السريرية .

وقد أدرك الأطباء العرب ضرورة دراسة التشريح في الطب الجراحي[1] . وضرورة معرفة منافع الأعضاء (الفسيولوجيا) في الطب

---

(1) رفض الرازي أن يجري أحد الكحالين على عينيه عملية القدح لأنه اكتشف أن ذلك الكحال لا يعرف طبقات العين (ابن العبري ـ مختصر الدول ص 15) ويقول الرازي في كتابه محنة الطبيب (فأول ما تسأل عنه التشريح ومنافع الأعضاء ، وهل عنده علم بالقياس وحسن فهم ودراية في معرفة كتب القدماء ؟ فإن لم يكن عنده ذلك فليس بك حاجة إلى امتحانه في =

الباطني . ومما يدعو إلى العجب أن المعلومات في هذين العلمين كانت يومئذ بالرغم من بدائيتهما والغموض الذي يلفها كما سنرى ، كافية للطبيب لتشخيص أكثر الأمراض وعلاجها . وكثرة البيمارستانات والأطباء في العصور الإسلامية ، وما عرف عن تداوي غرائب الحالات المرضية بأنواعها التي يكثر ذكرها في التراثيات الأدبية والطبية ، والتي مهما كان رأي أطباء هذا العصر فيها ، فإنها تدل على الفوائد الجمة التي كان يحصل عليها الطبيب المعالج عند تطبيقه مبادىء العلمين المذكورين . وإذا كان الإنسان قد استطاع في العصر الحجري أن يمارس عملية ثقب الجمجمة ، وفي القرن الثلاثين ق. م أن يمنع تفسخ أجساد الموتى بواسطة التحنيط ، وأن يستعمل بنجاح الوخز بالأبر في التخدير والعلاج ، وكل هذه العمليات تستدعي الدهشة في هذا اليوم ويكاد لا يصدق وقوعها في تلك الأحقاب السحيقة ، فلا غرابة على هذا أن كان الأطباء العرب قد تمكنوا من اكتشاف العلاقة غير الملموسة بين علل الأمراض وأعراضها التشخيصية عن طريق نظرية الأخلاط والخبرة الطويلة في تطبيقها ، وشخصوا صنوف الأمراض وعالجوها بحسب ذلك . ولا يصح بأي حال نقد تلك الأفكار بمقاييس ومفاهيم هذا العصر .

مقومات الجسم

تقوّم حياة الإنسان بعوامل سبعة تشارك في تركيبه وفي أداء وظائف أجهزته وأعضائه ، هي :

(1) العناصر الطبيعية الأربعة الأول ـ وهي الهواء والماء والتراب والنار .

(2) الأخلاط الأربعة وهي الدم ، والبلغم ، والمرة الصفراء والمرة السوداء .

(3) الأمزجة الأربعة ـ وهي الحال التي يتقمصها المريض المصاب باختلاف في الأخلاط .

= المرضى . . (اسكندر ـ مجلة المشرق م 54 سنة 1960 ص 471) واقرأ أيضاً عن ابن جميع المصري في المقالة الصلاحية في إحياء الصناعة الطبية ـ مكتبة برنستون رقم 55 H .

(4) منافع الأعضاء ـ وهي الأعمال الغريزية التي تؤديها الأعضاء .

(5) مركبات الجسم العضوية (تشريحه) .

(6) القوى البدنية .

(7) الأرواح .

1 ـ العناصر الطبيعية الأول أو الإسطقسات[٢]

العناصر الطبيعية الأول هي جوهر الجزيئات التي تتكون منها الكائنات من جماد ونبات وحيوان ، بما في ذلك جسم الإنسان . وهذه العناصر هي : النار ، والهواء والماء والتراب . وتسمى أيضاً الأركان الأول ، ومنها تتكون الأغذية ، ومن الأغذية تتكون الأخلاط ، ومن الأخلاط تتكون الأعضاء . ومجموعة من الأعضاء تشكل أجهزة البدن . وهكذا يتكون الجسم من عناصر أول ، وعناصر ثوان ، وعناصر ثوالث ، أو بالإختصار من عناصر قريبة وعناصر بعيدة عن الجسم . فأقربها إلى الجسم هي عناصر الأعضاء ، وأبعدها هي جوهر النار والهواء والماء والتراب .

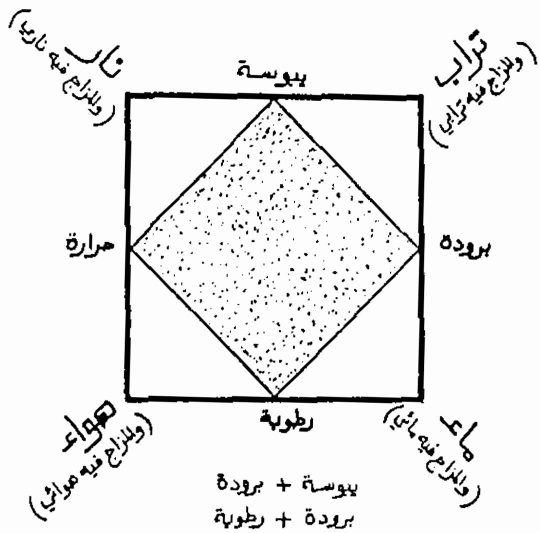
وصفات العناصر الأول من حيث كيفياتها الفيزياوية تختلف باختلاف جواهرها . والمهم في الطب من تلك الصفات : رطوبتها[3] ، وحرارتها ،

---

(2) اقرأ للرازي في الفصول ص 18 ـ 21 وفي كتاب المدخل إلى الطب (منشورات سلمنقة بأسبانيا) في الفصلين الأول والثاني ، والملكي للمجوسي 1/15 ـ 18 ، والقانون لابن سينا 1/65 .

(3) الرطوبة ـ اعتبر قدماء فلاسفة اليونان الماء ، الجوهر الأساس لكل الأحياء ، والرطوبة صفة الماء وفي القرآن الكريم ﴿ وجعلنا كل شيء من الماء حياً ﴾ . والحرارة منشؤها النار . وقال جالينوس : إن الحرارة رطبة بالإضافة إلى أنها حارة . وقال أيضاً أن الطعام يتحول في الجسم إلى ثلاث رطوبات تتكون بالتسلسل ؛ أولها الرطوبة التي في الدم ، والثانية التي ما بين الأنسجة ؛ والثالثة هي التي في الأنسجة . وتؤول هذه الرطوبات الثلاث أخيراً إلى الفضول المفيدة للجسم التي هي الأخلاط الأربعة المعروفة ، وإلى الفضول غير المفيدة التي تعتبر جزءاً من الرطوبات الأساس الثلاث التي سبق ذكرها . وتستكن الفضول المفيدة في أعضاء الجسم وتجاويفه ، وتكون معدة للإستهلاك إذا ما حرم الجسم من الغذاء . ويضيف ابن سينا رطوبة =

ويبوستها ، وبرودتها . فأقصى درجات الحرارة فيها هي النار ، وغاية درجات البرودة هو الماء ، وأقصى درجات الرطوبة هو الهواء ، ونهاية الجوهر اليابس هو التراب . وليس هناك كيفية فيزياوية أخرى غير ما ذكرنا[4] .



يبوسة + برودة
برودة + رطوبة
رطوبة + حرارة
حرارة + يبوسة

مخطّط تلاحم العناصر الأول والكيميات والأمزجة

فالحرارة صفة النار ، والبرودة صفة الماء ، والرطوبة صفة الهواء ، واليبوسة صفة التراب . وهذه الكيفيات هي طبيعة الأغذية التي يقتات منها الإنسان ، وبالتالي إخلاطه وأمزجته . (انظر المخطط) .

= رابعة مصدرها النطفة الجنسية ، وهو رأي أخذه ابن سينا عن الأطباء الهنود القدماء .
يفهم مما تقدم أن الرطوبة ضرورية للحياة ، فإذا قل وجودها في الجسم أصابه اليبس ثم الهلاك . وما أشد التناظر بين نظرية الرطوبة القديمة التي ذكرناها ومفهوم باثولوجية الأماهة Hydration ، والخواء Starvation في هذا العصر . واقرأ أيضاً مقال
Hall, T.S., - Life, Death and Radical Moisture, Clio Medica 6/1: 3 - 18, 1971.

(4) قال أرسطو أن عنصراً خامساً هو الهيولي (المادة) يضاف إلى العناصر الأربعة الأول ليكون لكل شيء (صورة) خاصة ، وبدون ذلك العنصر الخامس لا يكون للشيء صفة مميزة . وكانت المادة والصورة من قواعد فلسفة أرسطو . واقرأ عن الهيولي في فردوس الحكمة لابن ربن الطبري تحقيق صديقي ص 13 .

2 ـ الأخلاط[5]

إن أبرز ما في الطب العربي مما يفسر فعاليات الجسم وظهور الأمراض فيه هو نظرية الأخلاط التي تنسب أصولها الأولى إلى أبقراط (ـ 370 ق. م) ، وتعتبر من أشهر أعماله . وربما كان حاملوا أفكار فيثاغورس (القرن السادس ق. م) أسبق من أبقراط إلى وضع أوليات هذه النظرية . وقد مشى الأطباء الإسكندرانيون على هديها في ممارسة المهنة ، كما عمل بها الأطباء العرب دون أن يدخلوا عليها تغييرات جذرية . إلا أنهم توسعوا في تطبيقها إلى جانب ما كان لهم من نظريات خاصة بهم في أسباب الأمراض وأعراضها .

والأخلاط نوع من سوائل الجسم ، وتتكون من عناصر الأغذية ، فهي العناصر الثوان . كما تسمى أيضاً (بنات الأركان) . والأركان هنا هي العناصر الأول . وصفة الخلط وكيفيته مستمدة من طبع عناصره الأول ، فيكون الخلط أما حاراً ورطباً ، وهذه صفة خلط الدم . أو يكون بارداً ورطباً وهي صفة خلط البلغم . أو يكون بارداً وجافاً وهذه صفة خلط المرة السوداء . أو يكون حاراً وجافاً وهذه صفة خلط المرة الصفراء . فإذا كانت هذه الأخلاط الأربعة متعادلة ومتناسقة بصفاتها ومقاديرها في الجسم ، حصلت منها العافية ، وهي حالة يكون فيها مزاج الجسم في حالة الإعتدال ، أو يكون منها المرض إذا كان المزاج خارج الإعتدال .

ومصدر الخلط هو الغذاء كما ذكرنا قبلاً ، فإذا انحدر الطعام إلى المعدة خضع فيها لعملية (الهضم الأول) الذي يحصل منه الكيموس . ويتحول قسم من الكيموس إلى خلط البلغم ، وتمتص المساريق ما يبقى من

---

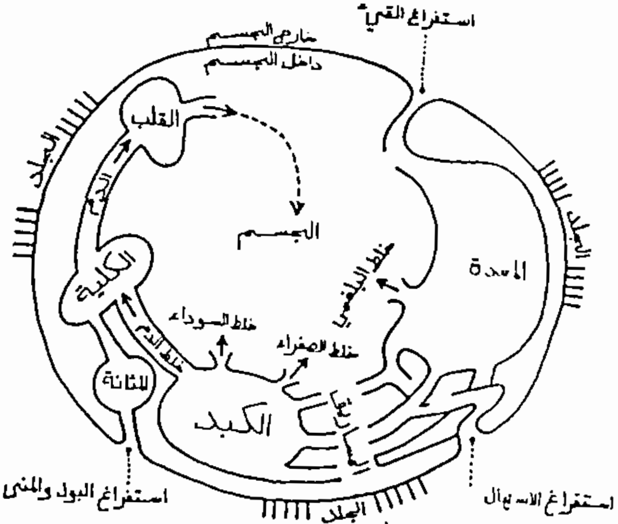
(5) اقرأ عن الأخلاط في المدخل إلى الطب للرازي ـ الفصل السادس ، وكتاب الملكي لابن المجوسي 1/43 ـ 46 ، والقانون لابن سينا 1/13 ـ 19 ، والفصول للرازي ص 49 ـ 52 وفي كتاب كفاية الطبيب المنسوب إلى ابن رضوان المصري (مخطوطة مكتبة غوته) ، والمختارات في الطب لابن هبل البغدادي 1/16 ـ 18 .

الكيموس في المعدة لتوصله إلى الكبد حيث يتكـون من رغوتـه خلط المرة الصفراء ، ومن رسوبه خلط المرة السوداء . أما القسم الصافي منه (ما بين الرسوب والرغوة) ، فيتكون منه خلط الدم . أي الدم ذاته ينتقل حينئـذ من الكبد إلى القلب عبر الوريد الأجوف وفي طريقه إلى القلب يتحرر من الماء الـزائـد الـذي فيـه بـواسـطة الكليتين التي تفـرزه على صـورة بـول (أنـظر المخطط) .

وفي كل مرحلة من تحولات الكيموس إلى نوع من الأخلاط يبقى منه مقدار فائض عن الحاجة فيلفظه الجسم بالإستفراغ الطبيعي بواسطة العرق ، والمخاط ، وسوائل الرئـة ، والجلد ، والمني بالإضـافة إلى البـول والبراز . وطبع الخلط كما ذكرنا سابقاً من طبع العناصر الأول .

خلط الدم

ويتكون هذا الخلط في الكبد من أصفى أقسام الكيموس ويدخل إلى الأوردة ليصل إلى القلب الذي يـدفعه بـدوره إلى أعضاء الجسم وأطـرافه . وتسمى حـالة الـزيادة في خلط الـدم (الإمتلاء) وهـو على نوعين : امتـلاء



الاخلاط والفضولات بمفهوم الأطباء العرب

بحسب الأوعية ، وامتلاء بحسب القوة[6] . ويحدث النوع الأول حين تفيض كمية الدم في تجاويف العروق فتقصر الأوعية عن استيعابها بسبب فشل الأوعية عن التمدد والإنتفاخ . وعلامة هذا النوع من الإمتلاء : حمرة الوجه ، وسخونة البدن ، وبروز العروق ، وعظم النبض ، ودكونة البول ، والرعاف ، وكثرة التثاؤب والتمطي وكلال الذهن والثقل في الرأس والعينين . أما الإمتلاء بحسب القوة فيحدث حين تقصر الطبيعة عن إحالة ما يصل إلى أعضاء الجسم من الغذاء فيتجمع فيها الفضول التي تزيد في كمية الدم . ودلائل هذه الحالة صغر النبض وعدم نضج البول ، وسقوط الشهوة في الطعام ، والكسل والثقل في الحركة وتمدد الأعضاء . وطبع خلط الدم حار ورطب ، وكذلك طبع المزاج الدموي .

خلط البلغم Phlegme

وهو أول الأخلاط في تسلسل تكونها في الطعام الذي يدخل إلى المعدة ، وموطنه في الأوردة . وقد يتحول البلغم إلى خلط الدم وبالعكس ، تبعاً لوفرته أو قلته ، أو نضجه ، أو عدم نضوجه بالحرارة الغريزية . وطبع خلط البلغم بارد ورطب ، وكذلك يكون مزاج الشخص المصاب باختلاف في خلط البلغم .

خلط المرة الصفراء Yellow Bile

يتكون هذا الخلط في الكبد ، وينصب قسم منه في المعدة ليساعد على هضم الطعام الذي يدخلها . وينصب القسم الآخر الصافي في الدم فيجعله رقيقاً لطيف القوام ليسهل وصوله إلى أبعد أطراف الجسم ، وأدق أوعيته في الإمعاء ، لينقذف بالإستفراغ (البراز ، البول ، العرق) وطبع المرة الصفراء حار وجاف ، وكذلك يكون مزاج المصاب بها .

---

(6) ابن رضوان المصري ـ كفاية الطبيب (المطبوع) ، ص 57 .

خلط المرة السوداء Black Bile

يتكون هذا الخلط في الكبد . ويكون وافراً بعد تناول الطعام الجاف البارد . وهو للدم كالخميرة للنبيذ . ويجتذب الطحال القسم الغليظ منه ليقذف به إلى فوهة المعدة ليعدل به الشهية إلى الطعام . أما خلط السوداء المختلف فهو المرة السوداء الشديدة النضج أو المحترقة . وطبع المرة السوداء حار وجاف ، وكذلك مزاج الشخص المصاب به .

وهناك مرة سوداء تحصل من احتراق البلغم ، وهي سوداء اللون قيرية القوام ، وتكون غذاء دسماً للأورام الخبيثة والجذام ، وداء الفيل .

3 ـ الأمزجة[7] Tempers

جسم الإنسان كغيره من أجسام الكائنات مزيج من مقادير معينة من العناصر الأول التي ذكرناها قبلاً . وجسم الإنسان المعافى هو ما تعادلت فيه تلك العناصر . فإن اختلفت بكميتها أو بكيفية الإمتزاج فيما بينها ، اختلف تبعاً لذلك مزاج الشخص وفقد عافيته ويكون بذلك خارج الإعتدال . وفي هذه الحالة يكون المزاج حاراً إذا كان عنصر النار غالباً على غيره من العناصر الأول الأخرى . وإذا كان عنصر الماء هو الغالب صار المزاج بارداً . وهكذا يكون المزاج يابساً أو رطباً بسبب عنصر التراب أو الهواء الغالب فيه . ولا يحتمل أن يكون ثمة مزاج حار وبارد معاً ، أو رطب وجاف معاً ، لأن الأضداء هنا لا تتفق . وإذ أن العناصر الأول للأخلاط هي عناصرها البعيدة ، فإن الأخلاط تكون بإحدى الطبائع الأربع تبعاً لتناسب طبائع عناصرها ، وتؤول بالتالي إلى إحدى الأمزجة الآتية :

المزاج الدموي

وخلط الدم فيه هو الغالب على الأخلاط الأخرى . والطبع فيه حار

---

(7) اقرأ عن الأمزجة في الفصول للرازي ص 21 ـ 23 ، والمجوسي 1/18 ـ 23 ، وابن سينا 1/6 ـ 14 ، والمدخل إلى الطب للرازي (الفصل الثالث والرابع والخامس) . والمختارات لابن هبل البغدادي 1/9 ـ 12 .

ورطب . ويكون لون المريض به اختناقياً ، والنبض ممتلئاً والملمس حاراً ، ويتعرض المريض بـه إلى أخطار الإمتـلاء الدمـوي كالـرعاف ، ونفث الـدم وتقيئه ، والرمد والخوانيق ، والحميات المطبقة ، والدماميل ، والأورام الحارة والموت الفجأة .

المزاج البلغمي

وخلط البلغم في هـذه الحالـة هو الغـالب . ويكون الـطبع فيـه بارداً رطبـاً ، ولـون المـريض بـاهتـاً ، والنبض لينـاً وصغيـراً ، واللمس بـارداً ، والإستمراء ضعيفاً ، والمنى كثيراً ورقيقاً ، كما يكون عرضة للإصابة بالفالج واللقوة والحميات البلغمية .

المزاج الصفراوي

ويغلب فيـه خلط المرة الصفـراء ، وطبعه حـار يـابس ، ولـون بشـرة المريض أصفر ، ومذاق فمه مـر بجفاف ، وفي النفس تقلب ، وفي النبض سرعة . وتكثر فيه الحمى الغب والمحرقة والبرسام الحار ، والبثور الخبيثة ، واليرقان ، وتورم الكبد ، وحرقة البول ، والقروح في العـانة وفي الإمعـاء ، وقلة الشهوة للطعام ، وكثرة العطش .

المزاج السوداوي

ويغلب فيه خلط المرة السوداء ، وطبعه حار يابس ، ويصاب به السمر من ذوي الشعر الأسود ، وتكون شهوتهم للطعام كبيرة ، وبشـرتهم ناشفـة ، وعيونهم ومناخيرهم يابسة . ولهم شهوة للجماع مع قلة بالمني . ويكون بهذا المزاج عرضة لمرض المالينخوليا ، والجذام ، والسرطان ، والدوالي ، وداء الفيـل وحميات الـربع ، وأوجـاع الطحـال ، وقـروح الإمعـاء ، والمنـامـات المرعبة .

وتخضع الأمزجة باختلاف أنواعها ، بالإضافة إلى طبيعة عناصرها الأول وأخلاطها ، لمؤثرات خارجية كثيرة ، منها فصول السنة والأبراج السمـاوية ،

ودورة القمر ، والبيئة الجغرافية ، وطبيعة العضو المعتل ، وعمر المـريض ، وجنسه ، وتؤخذ جميـع هذه العـوامل بنـظر الإعتبار في تشخيص الأمـراض ومعالجتها .

4 ـ منافع الأعضاء[8]

منافع الأعضاء ، أو أعمالها الغريزية (الفسيولوجية) ثلاث أصناف :

(1) الوظائف الطبيعية ـ وتشمل فعالية التغذية والتوالد . وتديرها قـوة طبيعية مركزها في الكبد ومن أهم أعمالها الغذائية تكوين الأخلاط الأربعة .

(2) الوظائف الحيوانية ـ وتشمل حركتي الإنبساط والإنقباض في فعل التنفس الرئوي ، والهضم المعدي والمعوي ، وضربات القلب ، ونبض الأوعية الدموية ، كما تشمل الحركات الإرادية عموماً . وتدير هذه الأمور القوة الحيوانية التي في القلب .

(3) الوظائف الروحية ـ وتشمل الأفعال المحركة التي تنـظم عمليات الحس والشم والنظر والسمع والذوق واللمس . كما تشمل الفعاليات الفكريـة ومنها الذاكرة والخيال ونحو ذلك . وتدير هذه الأمور قوة روحية يمتلكها الإنسان دون الحيوانات الأخرى .

5 ـ مركبات الجسم العضوية (التشريحية)

تقسـم أعضـاء الجسم من حيث تـركيبهـا التشـريحي إلى بسيـطة وهي متشـابهة التـركيب كاللحم والعـظم والأربطة والأعصـاب . ومـركبـة أو آليـة كاليدين والرجلين واللسـان .

ويتحرك الجسم على مفاصل بأمر يصله من الدماغ بواسطة الأعصاب .

---

(8) المجوسي ـ كتاب الملكي ، الجزء الأول ـ المقالة الثانية .

وتنظم الحركة وتسيرها عضلات ملموسة تخضع لإرادة الإنسان . وفي الجسم حركات أخرى لا إرادية ولا محسوسة ، تسيرها عضلات غير ملموسة كالتي في المعدة والمثانة والعين .

وإذ أن أكثر الكتب التراثية في الطب العربي تسهب في المعلومات التشريحية والفسلجية بما يناسب حجم الطب التطبيقي في تلك العهود ، فإنه يخطر على البال سؤال في مقدار ما عمل به الأطباء العرب في تشريح جسم الإنسان .

لم يعمل الأطباء العرب بكامل حرياتهم في علم التشريح لإعتبارات عاطفية وعرفية ودينية . وقال ابن النفيس : (وقد صدنا عن مباشرة التشريح واضع الشريعة ، وما في أخلاقنا من الرحمة . فلذلك رأينا أن نعتمد في تعرف صور الأعضاء على كلام من المباشرين لهذا الأمر ، خاصة الفاضل جالينوس)[9] . إلا أن المظنون أن قسماً من الأطباء العرب قد شرح جسم الإنسان سراً . والمؤكد أن يوحنا بن ماسويه قد شرح القردة باعتبارها ذات أجسام مثيلة لجسم الإنسان ، وكان يحتفظ في بيته بقردة سماها (حماحم) ، لهذه الغاية[10] . وابن ماسويه أول من عمل من العرب بالتشريح المقارن علناً . وقد وضع استناداً على نتائج أعماله كتاباً في التشريح ، ويعتبر هذا الكتاب من المفقودات . وليس هناك ما ينفي أن يكون آخرون غير ابن ماسويه قد بحثوا في التشريح عملياً . قال ابن رشد (595 هـ / 1198 م) : (إن من اشتغل بعلم التشريح ازداد إيماناً بالله)[11] . وقد يكون هذا الطبيب الفيلسوف المتحرر الذي عاش في كنف

---

(9) ابن النفيس في شرح تشريح القانون ص 2 (نسخة مصورة على مخطوطة ويلكم بلندن) ، يكتب : ونحن نقول أن واضع الشريعة الإسلامية لم يصد الباحثين عن مباشرة التشريح بهدف نفع الإنسان بمعلومات في الطب (اقرأ مقال الدكتور قنديل شكر في مجلة الدارس الأردنية عدد 1/1979 ، ص 20 ـ 21) .

(10) ابن أبي أصيبعة ص 250 .

(11) المصدر السابق ص 533 .

الحكـام الموحـدين (524 ـ 668 هـ / 1130 ـ 1269 م) المتـزمتين بـلا حدود للشريعة الإسلامية ، قد نادى بالتسبيح للقدرة الإلّهية في تنظيم أعضاء الجسم ، ليتستر على أعماله في تشريح جسم الإنسان .

وكـانت فاتحـة معرفـة الأطباء العـرب بالتشـريح ممـا قـرأوه في كتب جالينوس الخمسة في التشريـح التي ترجمهـا حنين بن إسحاق العبـادي إلى العربية وهي : كتاب تشريح الأموات (الإنسـان) ، وكتاب تشـريح الأحيـاء (الحيوان) ، وكتاب علم أبقـراط في التشريـح ، وكتاب تشـريح الـرحم ، وكتاب آراء أرسطو في التشريح . وصارت هذه الكتب بصيغتها العربيـة هي كـل ما بقي من آثـار جالينـوس أبي التشريـح بهذا المـوضوع ، إذ لم يبقى لأصولها اليونانية وجود .

كما قدّم العرب فضلاً آخر بعلم التشريح وذلك بتجميعهم المعلومات التشريحية المتناثرة في مختلف الكتب اليونانية القديمة والمتأخرة ، ووضعها بترتيب في أبواب وفصـول من السهل على القـارىء الوصـول إلى مفرداتهـا المطلوبة . وكان الدور الذي لعبه كل من المجوسي في كتاب الملكي ، وابن سينا في كتاب القانون وابن القف في كتاب العمدة في الجراحة بارزاً في هذا الحقـل . كما سـاهم العرب في إكتشـاف حقـائق تشـريحيـة هـامـة . قـال إسحاق بن حنين أن العضلة الثلاثية الموجودة في مؤخرة عين الحيـوانات لا وجـود لها في عين الإنسـان . وهذه مـلاحظة دقيقـة لم يلتفت إليهـا علمـاء اليونان[12] . ووصف ابن سينا عضلات العين بأسلوب علمي دقيق لم يسبقه أحـد إليـه . وكـان ابن النفيس المتـوفي سنـة 687 هـ / 1288 م أول من اكتشـاف الدورة الـدموية في الرئـة، كمـا نفى الإتصـال المبـاشـر بين تجـويفي القلب الـذي ادعاه جـالينوس . واكتشف أيضـاً أن عضلة القلب تتغـذى من عروق مثبتة في جرمها[13] ، لا من الدم الذي يملأ تجويفه . كما كان الأطباء

(12) خير الله ـ الطب العربي ص 169 .

(13) المصدر السابق ص 166 (عن مخطوطة يمتلكها سامي حداد ـ بيروت) .

يعتقدون من قبل . ومن الأطباء الذين ساهموا في إضافة معارف جديدة إلى علم التشريح عبد اللطيف البغدادي المتوفي سنة 629 هـ / 1231 م ، وهو صاحب كتاب الإفادة والإعتبار الذي ضمنه معلومات تشريحية عن العظام ومفاصلها وأوضاعها في جسم الإنسان كان قد حصل عيلها من مشاهداته على الهياكل النظمية في إحدى تلول مصر . وقد ردّ استناداً على ذلك على بعض آراء جالينوس في هذا الموضوع[14] .

ومن الأمور التشريحية التي أولاها العرب كثيراً من اهتمامهم هي الأعصاب والعروق (الأوعية الدموية) ورأوا أن وجودها ضروري لكل عضو في الجسم ، وأن معرفة مواقع أي واحد منهما ضروري لتشخيص الأمراض العصبية ، ولإجراء عمليات الفصد وعمليات الشق باختلاف مواضعها على سطح الجسم . وقالوا أن الأعصاب على ثلاثة ضروب وهي المحركة والحسية ، وأعصاب للحركة والحس معاً . وتختلف الحاجة إلى نوع العصب تبعاً لإختصاص العضو وأعماله لخدمة الجسم .

وعرف العرب الأعصاب التي تنبت من المادة الدماغية ، والعصب الراجع إلى أعلى بمحاذاة الحنجرة بعد أن يتفرغ منه العصب الحائر الذي يغذي المعدة . وعرفوا علاقة الأعصاب بالفقرات الرقبية وما يليها من فقرات العمود الفقري . كما عرفوا أن الأعصاب تعتل بالبرد ، والإلتهابات ، والشدة ، والضغط ، فيفسد عملها وبالتالي تعطل وظيفة العضو الذي يتغذى بها . كما يصيب العصب العطل التام والمفاجيء بالقطع ، وهي حالة لا برء منها .

أما العروق فعلى نوعين : العروق الضوارب (الشرايين) وهي التي تحمل الدم إلى أجهزة الجسم وأعضائه . والعروق وأنواعها في الجسم ليميزها عن الأعصاب حتى لا يقطع عليها خطأً بدلاً من العروق في العمليات الجراحية .

---

(14) عبد اللطيف البغدادي ـ الإفادة والإعتبار ص 575 .

وعرف الأطباء أن جدران الأوردة مكونة من طبقة واحدة لتستطيع جذب الدم والغذاء من الكبد . وأن جدران الشرايين مكونة من طبقتين . كما عرفوا تفاصيل إتصالات هذه الأوعية بالكبد والقلب ومسيرتها في أقسام الجسم .

التسلسل العلمي والتأريخي لإكتشافات الدورة الدموية في الرئة

الدورة الدموية عصبة الحياة في جسم الإنسان ، ومعلوماتنا عنها تدخل في كل العلوم الطبية الأساسية والسريرية والمرضية التي يجب أن يلم بها الممارس . وتسلسل الخطوات في إكتشاف الدورة الدموية الكبرى لا خلاف عليها ولا على مكتشفي أي جزء من أجزائها . أما الدورة الدموية في الرئة ، فعليها من هذه الوجهة خلاف . ومن المفيد أن نستعرض التسلسل التأريخي والعلمي للدورة الدموية عامة لنعرف الحقائق التشريحية التي سبقت اكتشاف دورته في الرئة ، ونصل إلى دور العرب في إكتشاف هذه الدورة .

كان كل من القلب كعضو يعمل بالحركة ، والأوعية الدموية ودوران الدم فيها ، مدار بحث العلماء منذ بدأ طلاب المعرفة يبحثون عن حقائق العلوم الطبية . والأرجح أن الدم كان أول ما دُرس من المواضيع الثلاثة المذكورة . فعرفت طبيعته السائلة ، وحركته الإنسيابية ، وضرورته للحياة منذ أقدم الأزمان . كما عرف مبكراً وجوده في أوعية عرفت بعدئذ بالأوعية الدموية . إلا أن دوراته في الجسم لم تفسّر إلا في زمن متأخر كما سنرى . ومنذ انشغل العلماء بأمر القلب ، بقي هذا العضو يحتل المكان الأول من اهتمامهم بأعضاء الجسم ، ثم تبع ذلك اهتمامهم بالأعضاء الأخرى التي تجيء في مرتبة حياتية تالية . وفيما يلي التسلسل العلمي والتأريخي للإكتشافات التي سّجلت بهذا الموضوع :

(1) ربما كان المصريون القدماء (الآلاف الثلاثة ق. م) . أول الأقوام التي انتبهت إلى ضربات القلب ، وجعلت بينها وبين نبض الأوعية الدموية علاقة زمنية(15) . فافترضوا أن القلب يتحرك في كل أعضاء الجسم من

(15) Carrison - History of Medicine, P. 55.

خلال النبض . وطبقوا هذا الإفتراض بتعداد نبض المرضى ، وهو اكتشاف مبتكر في حقل الممارسة الطبية .

(2) كانت معلومات البابليين المعاصرين للمصريين ، عن الجهاز الدموي ، تحوم حول جرم القلب والأوعية الدموية الكبيرة كالوريد البابي والأجوف السفلي . واعتبروا الكبد مصدر الدم ، والدم أساس الحياة . ولم يعرف أنهم اكتشفوا الدورة الدموية ، أو النبض ، وما بين كل منهما والقلب من علاقة كجهاز واحد مترابط الأطراف .

(3) أما أطباء اليونان فهم حتى القرن الرابع ق. م لم يتقدموا في هذا المضمار خطوات تحوّلية . وكتابات أبقراط في التشريح جد مختصرة وقليلة . ومما قاله فيها أن القلب عضلي التركيب وله جوفان ، ومغلف بالشغاف ، وأن الجوف الأيمن يغذي الرئة بالدم ويأخذ منها الهواء . أما الجوف الأيسر فليس فيه دم بل هو مليء بالهواء . ثم قال : والقلب مركز الذكاء ومبعث حيوية الجسم[16] . ولم يذكر شيئاً عن الدورة الدموية . أما أرسطو (القرن الثالث ق. م) فقد كرس بحوثه على نمو الصوص في البيضة ولم يكتشف معلومات لها علاقة بالقلب والدم سوى أنه قال : إن في كل موضع من جسم الصوص وعاءان دمويان يسلكان ممراً واحد . ولا بد وأن يكون المقصود بهما : وعاء شرياني وآخر - وريدي[17] .

إن المهم من اكتشافات اليونانيين في الجهاز الدموي هو أن الرئة لها دور في إدخال الهواء إلى الدم ، وأن هذا الخليط موجود في تجويف القلب الأيسر ومنه يتوزع إلى أطراف الجسم . أما معلوماتهم عن النبض فكانت غير واضحة ، إلا أنها أدخلت في التطبيق من قبل بعض الأطباء

---

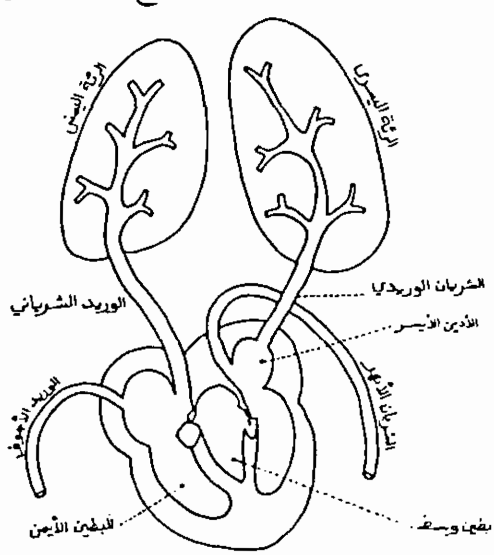
(16) Segerist - History of Medicine, 2/276.

(17) Singer and Underwood - Hist. Medc. P. 42.

ولم يكن أبقراط من هؤلاء بأي حال .

(4) بعد قرن أو أكثر بقليل من العهد الأبقراطي أثبت هيروفلس (280 قبل الميلاد) أن الشرايين تحتوي على الدم ، وأن الدم يدور فيها بفعل حركة القلب بالإنقباض والإنبساط ، فتصل ذبذباتها إلى أطراف الأوعية الدموية في الجسم فيحدث النبض[18] . وفي نفس الوقت ظهرت أبحاث ايراستراتوس (310 ـ 250 ق. م) زميل هيروفلس في مختبرات الإسكندرية ، يذكر فيها أن الدم القادم من الكبد إلى القلب يغادره إلى الرئتين بطرق الشريان الشبيه بالوريد . ويصور القلب بشكل مضخة تدفع الدم المهوّي من تجويفه الأيسر إلى الأوعية الدموية في الجسم . كما صور ايراستراتوس وجود منافذ بين نهايات الأوعية الشريانية ونهايات الأوردة .

والجدير بالملاحظة أن خطوات هيروفلس وأراستراتوس في اتجاه الدورة الدموية في الرئة كانت واسعة ، ولو تابع أحد ممن جاء بعدهما من



الدورة الدموية في القلب والرئة بمفهوم «جالنوس»

---

(18) خير الله ص 165 .

الباحثين على نفس الخط من التفكير لكان من المحتمل أن تكتشف الدورة الدموية في الرئة قبل وقت اكتشافها من قبل ابن النفيس المتوفي سنة 687 هـ / 1288 م .

(5) في القرن الثاني الميلادي ادعى جالينوس (131 ـ 201 م) أن الحاجز بين جوفي القلب اسفنجي أي فيه فتحات غير متقابلة ، ومسام غير مرئية ، ينفذ من خلالها الدم من الجوف الأيمن إلى الجوف الأيسر[19] . وبالرغم من أن هذا الإدعاء لا أساس له من الواقع ، وأن الحاجز المذكور صمد التركيب ولا منافذ من أي نوع فيه ، فإن إدعاءه الخاطيء عزل بنفس الوقت الرئة عن القلب ، ولم يلتفت إلى ضرورة وجود هواء في الدم الذي يصل إلى القلب . أي أن جالينوس اختلف مع كل من أبقراط وايراستراتوس اللذين قالا بضرورة تهوية الدم في الرئة قبل أن يصل إلى القلب ، وهي غلطة عظيمة من جالينوس العظيم . (انظر المخطط)

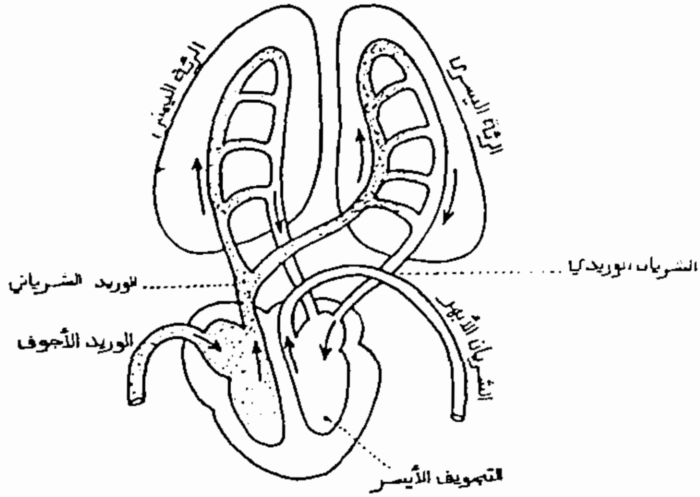
(6) بقيت نظرية جالينوس عن الدورة الدموية التي ذكرناها معمولاً بها ، بالرغم من خطائها، ثمانية قرون تالية ، ونطق بها بإيمان كبار الأطباء اليونانيين والبيزنطيين والعرب على السواء ، إلى أن ظهر ابن النفيس وكشف عن حقيقة الدورة الدموية في الرئة ، وهي الحلقة التي تفسر انتقال الدم من جانب القلب الأيمن إلى الرئة ليرجع منها محملاً بالهواء (الأوكسجين) إلى جانبه الأيسر .

اهتدى ابن النفيس إلى إكتشاف دورة الدم في الرئة بدافع عن عدم اقتناعه بوجود مسام في الحاجز الذي بين جانبي القلب كما ادعى جالينوس . قال ابن النفيس في ذلك : (فإن جرم القلب هناك ليس فيه منفذ ظاهر كما ظنه جماعة ، ولا منفذ غير ظاهر يصلح لنفوذ الدم كما ظنه جالينوس ، فلا بد

---

(19) المجوسي 1/ 148 و Ullmann - Islamic Medicine, P. 62 .

أن يكون هذا الدم إذا لطف ونفذ في الوريد الشرياني إلى الرئة لينبت في جرمها ويخالط الهواء ، ويتصفى ألطف ما فيه وينفذ إلى الشريان الوريدي ليصل إلى التجويف الأيسر من تجويفي القلب ، وقد خالط الهواء وصلح لأن يتولد منه الروح . أما ما بقي منه أقل لطافة فتستعمله الرئة في غذائها)[20] . (انظر المخطط)



الدورة الدموية في القلب بتفسير «ابن النفيس»

6 ـ القوى[21] Temprement

القوى وأفعالها هي السمة المرئية والملموسة التي تدل على قيام أعضاء الجسم بوظائفها . وهي موجودة في النبات والحيوان مع فرق في المقدار والكيفية ، مثلما هي موجودة في الإنسان . والقوى التي يشترك فيها الإنسان والحيوان هي القوة الحيوانية ، والتي يمتلكها النبات كما يمتلكها الحيوان هي

---

(20) شرح تشريح القانون (مخطوط) .

(21) اقرأ عن القوى والأرواح في كتاب الملكي لابن العباس المجوسي 10/130 ـ 134 والقانون لابن سينا 1/66 ـ 72 ، والمختارات لابن هبل 1/101 ـ 103 .

القوة الطبيعية . أما القوة التي يختص بها الإنسان وحده دون غيره من المخلوقات فهي القوى النفسية أو الروحية .

والقوى الثلاث هي التي تدبر شؤون الجسم الحياتية ، وتنظم فعالياته الفسلجية . ولكل واحدة منها اختصاص معين ، فالقوى الطبيعيّة تتحكم في فسلجة الغذاء والتلاقح ونمو الجسم ، ومركزها الكبد . وتعمل القوة الحيوانية لضمان حركة القلب والرئة والمعدة والإمعاء وما إلى ذلك ، ومركز هذه القوة في القلب ومنه تصل عن طريق الشرايين إلى أجهزة الجسم عامة . أما القوة النفسية فاختصاصها في إدارة الأمور العقلية والروحية والحركات اللاإرادية ومركزها في الدماغ ، ومنه تنحدر إلى أجهزة الجسم بطريق الأعصاب .

وهناك قوى أخرى تتفرع من القوى الرئيسة الثلاث التي ذكرناها ، منها :

آ ـ **القوة المغيّرة** ـ وهي التي تحول مزيج المني بالدم إلى جنين ، فهي بأمرة القوة الطبيعية .

ب ـ **القوة المكوّنة** ـ وهي المسؤولة عن (كون) الجنين من يوم التلقيح حتى يوم الولادة .

جـ ـ **القوة المغذية** ـ وهي المسؤولة عن فسلجة الهضم والتمثيل الضرورتين للحياة والنمو .

د ـ **القوى الجاذبة** ـ وهي التي تجتذب نوع الغذاء الذي يحتاجه العضو .

هـ ـ **القوة الدافعة** ـ وعملها في دفع فضلات (افرازات) الجسم إلى الخارج .

و ـ **القوة الماسكة** ـ وتعمل في مسك الأغذية التي تصل العضو إلى أن تهضمها وتمتصها .

ز ـ **القوة المصوّرة** وهي التي تعمل على تغيير الأصل لخلق الأعضاء منها .

7 ـ الأرواح[22]

تسيطر على القوى الثلاث التي ذكرت فيما تقدم وعلى فروعها ، قوى أخرى أعلى ليس للجسم مفراً منها ، ولا يستطيع أن يبقى على الحياة بدونها ولو إلى لحظات ، تلك هي الروح ، وكنه الروح من الأمور الفكرية التي حيرت عقل الإنسان منذ أقدم الأزمان . ولا يزال أمره على حقيقته مجهولاً . ولذلك أطلق عليه أسماء متعددة منها : الحياة والنفس Soul, Spirit, Pneuma, وغيرها . أما الأطباء المسلمون فلم يتوسعوا في دراسة موضوع الروح واكتفوا بما وصلهم عنه من علماء اليونان . ويحتمل أنهم فعلوا ذلك اتباعاً لحكم الآية الكريمة : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾[23] ، على أنهم قالوا في تفسير وجوده من الوجهة الفسيولوجية ، أنه يتكون في الدم بعد اتصاله وامتزاجه بالهواء .

وقد افترض للروح ثلاثة أنواع بحسب القوى الموجودة في الجسم . وموقعها من الأعضاء المهمة فيه : وهي : الروح الطبيعية ومكانها الكبد ، وتتولد من أصفى ما به من الدم . والروح الحيوانية ومكانه في القلب . والروح النفسية ومكانه جيوب الدماغ . وهو يتولد من الروح الحيوانية الذي يصل إلى الدماغ . ويختص الروح الموجود في جيب الدماغ الخلفي بالحركة والذكر ، ويختص الروح الموجود في جيبه الأمامي بالأمور المعنوية . أما الروح الموجودة في الجيب الأوسط فيختص بالتفكير . ولم يذكر علماء اليونان ولا العرب نواحي التطبيق في العلاج الذي يهدف إلى الجيوب الثلاثة . كما يقع بهذه الإفتراضات معرفة كنه الروح حين نرى في أنواعه الثلاثة من العلاقة بالقوى الرئيسة الثلاث وكأنما هما شيء واحد بأسماء مختلفة .

---

(22) المجوسي 2/130 ـ 132 ، 142 ـ 145 ، 148 .

(23) سورة الاسراء رقم 17 .

الأمراض وتشخيصها

1 ـ الأسباب الستة التي تؤثر على صحة البدن[1] :

تؤثر على أعضاء الجسم وبالتالي على صحته ستة أسباب (عوامل) هي :

(1) الهواء والمكان .

(2) الطعام والشراب .

(3) الحركة والسكون ومن ضمنها النوم واليقظة .

(4) الأسر والإنحباس (حصر البول والإمساك) .

(5) الإستفراغ بأنواعه (التعرق ، القيء ، الجماع ، الإسهال ، التبول ، والتغوط) .

(6) حالات النفس (المزاج) .

ولإعادة العافية إلى الجسم يعالج المريض بما يلائمه من المأكولات والمشروبات ، وبالرياضة أو بالراحة والنوم ، أو بتناول المسهلات أو المدّرات أو المعرقات ، أو بإستفراغ الدم بالفصد أو الحجامة حسبما تستلزمه حالة المريض أو نوع إخلاطه الفائضة ، بتقدير من الطبيب المعالج .

---

(1) اقرأ عن الأسباب الستة في تحصيل الصحة لحبيش بن إبراهيم التفليسي (المجمع العلمي العراقي 2 وفي كتاب الحيلة لرفع مضار الأبدان عن أرض مصر لابن رضوان المصري (خزانية الكرملي) وكتاب تقويم الصحة بالأسباب الستة لمحمود بن مسعود السجزي .

2 ـ المرض :

عرّف الأطباء العرب المرض على أنه حالة تجعل العضو عاجزاً عن أداء وظيفته التي يختص بها ، أو أنه يقدر على أدائها قدرة ضعيفة ، أو تجعل العضو المعتل موجعاً وإن كان يؤدي وظيفته . قال الرازي : (ما دام الجسد بأجمعه أو بعض أعضائه يفعل أفعاله التي تخصه بمقدار العادة الجارية له ، وبلا وجع فهو سليم صحيح)[1] . أن فشل العضو في أداء وظيفته أو التوجع منه هما أبرز ما في طبيعة المرض وأعراضه .

وقد سميت الأمراض بحسب اسم العضو المعتل كذات الرئة ، والرحام ، والقلاب . أو بحسب أعراضه كالصرع ، والشقيقة (الصداع النصفي أو الشقي) . أو بشيء يشبهه كداء الفيل . والحصبة والجدري أو بحسب سببه كالمالينخوليا . وأكثر هذه الأسماء كانت معروفة عند العرب منذ العصور الجاهلية ، أي قبل بدء ترجمة الكتب اليونانية إلى العربية ، فأدخلت أكثرها في المؤلفات الطبية الجديدة دون تحريف .

وتكون الأمراض أما ظاهرة كالبثور والأورام ، أو باطنه لا تعرف إلا بأعراضها وعلاماتها المنظورة . وقد يشمل المرض أكثر من عضو واحد لا بحكم المجاورة فقط بل للعلاقة التشريحية أو الفسلجية التي تربطهما حتى لو كانا في مواضع متباعدة في البدن . فارتباط المعدة بالدماغ بواسطة الأعصاب ، والثديين بالرحم عن طريق الأوردة ، يجعل هذه العلاقة قائمة بين هذه الأعضاء في حالة مرض أحدهما .

وتشفى بعض الأمراض الطارئة أمراضاً أخرى قائمة كحمى الربع التي تساعد على الشفاء من الصرع والنقرس ، والذرب على شفاء ذات الجنب وأوجاع بعض الأورام .

---

(1) الرازي ـ الفصول ص 63 ، ابن أبي أصيبعة ـ العيون ص 565 .

3 ـ أسباب الأمراض(2)

وتكون أسباب الأمراض خارجة عن الجسم طارئة عليه كالجروح ، ولسع الدويبات ، وضربة الشمس ، والتجمد بالثلج وأمثال ذلك . أو يكون سببها من باطن الجسم نتيجة لإختلاف الأخلاط وتغيير المزاج . كما يحدث المرض من برودة أو سخونة القلب والكبد . أو يكون بالخلقة أو بالوراثة . وقد يتبع أيضاً جنس المريض أو عنصره . أو يحدث بالعدوى في حالة الحميات الوبائية ، وخصوصاً في المطافات التي تضيق بها المساكن . كما تكون العدوى بالجذام والجرب .

ولم يتعمق الأطباء العرب ، ولا من سبقهم في هذه الصناعة من الأعاجم ، في البحث عن السبب المباشر للأمراض ، واكتفوا بمعرفة أعراضها وعلاماتها ، وجعلوا كل مجموعة من هذه تخص مرضاً معيناً . واعتبروا اختلاف الأخلاط أكثر أسباب الأمراض . وفسروا أكثر الظواهر المرضية لإختلاف في طبيعة إخلاط الجسم وأمزجته . وبقيت هذه النظرة هي القاعدة المتبعة في تعليل أكثر الأمراض حتى تأريخ اكتشاف المكرسكوب في منتصف القرن الخامس عشر . ومن ذلك اليوم دخل علم الأمراض ميادين فسيحة من المعرفة . وتغير الكثير من المفاهيم الطبية ، وبالأخص في تعليل الظواهر المرضية ودورة الأمراض .

4 ـ علامات الأمراض وأعراضها وتشخيصها(3)

العلامات المرضية هي الدلائل الظاهرة على وجود المرض . والأعراض هي الدلائل غير الظاهرة التي يتعرف عليها الطبيب الفاحص من شكوى

---

(2) اقرأ في أسباب الأمراض في الفصول للرازي ص 63 ـ 66 ، وفي المختارات لابن هبل لبغدادي 1/124 ـ 134 . وما كتبه هذا المؤلف يعكس صورة شاملة لما كان يمارسه الأطباء العرب في الأربعة قرون التي سبقت أيامه .

(3) الرازي ـ الفصول ص 63 ، واقرأ أيضاً عن أعراض الأمراض في المختارات لابن هبل 1/124 ـ 136 .

المريض أو من استجوابه ، أو يكشفها بالإستنتاج . وبالعلامات والأعراض يتوصل الطبيب إلى تشخيص المرض . كما يكتشف العضو العليل من إختلال عمله أو عجزه عن أدائه . فالعطل في الحواس الخمس واتباعها كالذاكرة والإستجابة للعاطفة دليل على مرض في الدماغ ، أو في النفس . وعدم استواء النبض دليل على مرض القلب ، واضطراب التنفس يدل على مرض في الرئة . كما يستدل من لون الغائط والبول على حال الكبد ، ومن فحص القارورة (البول) على حال الكلي ونحو ذلك . وسميت العلامات التي تشير إلى وجود المرض : العلامات التشخيصية ، والعلامات التي تدل على مرض سبق وجوده في حياة المريض : الأعراض والعلامات المذكرة . وهناك علامات وأعراض تظهر قبيل ظهور المرض تسمى علامات الإنذار ، وتنبيء هذه عن تردي صحة المريض أو تحسنها قبل هذا التحول[4] .

5 ـ الفحوص السريرية

يقصد بالفحوص السريرية الطرق التي تستعمل لفحص المريض في سريره . وهذا التعبير بأي حال مستحدث لم يرد على لسان الأطباء العرب ، إلا أنهم مارسوا أكثر الفحوص التي تطبق باسمه في هذا اليوم . مضافاً إلى ذلك فحص افرازات المريض كالبراز والبول ، والبصاق ليستدل من جميعها على تشخيص المرض . وينظر الطبيب الفاحص إلى المريض المستلقي على سريره ليعرف لون بشرته ، وبياض عينيه وحركتهما وشرودهما . ويسأل المريض عن استمرائه الطعام ، ومواضع الشكوى من جسمه . ثم يجس نبضه ويتلمس تحت الأضلاع وقرب المعدة عن الكبد المتورمة . وينظر إلى القدمين عن وجود الوذمة التي تدل على برودة الكبد . بعد ذلك ينظر الفاحص إلى قارورة البول ، والبراز ، والبصاق ليقدر ما فعله المرض في الكلى والإمعاء والرئتين .

---

(4) خير الله ـ الطب العربي ص 108 .

وقد وضع ابن رضوان المصري خطة لفحص المريض وتشخيص مرضه ، فيها مؤشرات سريرية جديرة بالذكر . قال : (تعرف العيوب هو أن تنظر إلى هيئة الأعضاء والسحنة والمزاج ، وملمس البشرة ، وتفقد أفعال الأعضاء الباطنة والظاهرة ، مثل أن تناديه من بعيد ، فيظهر بذلك حال سمعه ، وأن تعتبر بصره بنظر الأشياء البعيدة والقريبة ، ولسانه بجودة الكلام ، وقوته بشيل الثقل والمسك والضبط والمشي مقبلاً ومدبراً . ويؤمر بالإستلقاء على ظهره ممدود اليدين قد نصب رجليه وصفهما وتعتبر بذلك حال أحشائه . وتتعرف حال مزاج قلبه بالنبض وبالأخلاق ، ومزاج كبده بالبول وحال الأخلاط . وتعتبر عقله بأن تسأل عن أشياء ، وفهمه وطاعته بأن يؤمر بأشياء ، وأخلاقه إلى ما تميل بأن يعتبر كل واحد منها بما يحركه ويسكنه . وعلى هذا المثال أجر الحال في تفقد كل واحد من الأعضاء والأخلاق)[5] .

وأكثر الفحوص السريرة تطوراً وممارسة عند العرب هما النبض والبول .

6 ـ النبض[6]

ذكرنا فيما تقدم أن المصريين القدماء عرفوا ظاهرة النبض ، وأدخلها اليونانيون في الممارسة الطبية منذ العهد الأبقراطي ، واهتم به جالينوس أقصى الإهتمام ، ووضع فيه كتابين باسم كتاب النبض الكبير ، وكتاب النبض الصغير . وقد نقل حنين بن إسحاق كلى الكتابين إلى العربية ، وصارا من الكتب المعتمدة في الممارسة الطبية عند العرب . كما اهتم الأطباء العرب بالنبض كعلامة مهمة في التشخيص والتوقعات المرضية ، وألّف في

---

(5) ابن أبي أصيبعة ص 565 .

(6) اقرأ عن النبض في الفصول للرازي ص 73 ـ 76 ، والحاوي 17/35 ـ 38 ، 40 ـ 45 ، والملكي للمجوسي 1/254 ـ 271 ، والقانون لابن سينا 1/163 ـ 166 ، والزبدة في الطب لإسماعيل الخشروشاهي ص 2 ـ 12 . واقرأ أيضاً الكتيب الظريف (تحفة الطالب في أحكام العرق الضارب) لعبد الواحد بن محمد الدلاج المغربي (مخطوط) .

موضوعه كثير من الأطباء ، كان منهم حنين بن إسحاق ، وحبيش الأعسم ، وثابت بن قرة ، وقسطا بن لوقا ، وإسحاق بن عمران بالإضافة إلى ما كتبه بتفصيل كل من الرازي والمجوسي وابن سينا في كتبهم بالطب العام . ويقول الرازي أنه قرأ في النبض ست عشرة مقالة . ومن كثرة التجربة على النبض والمشاهدات السريرية عليه ، عرفت له أنواع يختص كل واحد منها بطبيعة من طبائع الجسم وعلله وأمزجته .

وقد عرف الأطباء العرب النبض على أنه حركة من أوعية الروح (أي الشرايين) مؤلفة من انبساط وانقباض لتبريد الروح بالنسيم) وفحصوه بالجس لتشخيص الأمراض . والجس عليه عملية تحتاج إلى معرفة بتشريح الأوعية الدموية ومواقعها في البدن ، وطول مران على تلمسها في حالتي الصحة ، والمرض . ولا يمكن تشبيه النبض بشيء يقاربه ليكتفي الفاحص بالقراءة عنه دون التجربة والمران فيه .

ويفحص النبض أثناء الراحة ، والهدوء النفسي ، لا بعد الرياضة أو دوام الجوع ، أو الإفراط في الأكل[7] . وتعرف حالته من الأوصاف الآتية[8] :

(1) حجمه في حالة انقباضه .

(2) تناوبه (أي درجة سرعته) .

(3) شدة قرعه للأصابع .

(4) استوائه وانتظامه في القوة .

(5) زمان كل حركة فيه ودوام سكونها .

(6) حرارة ملمسه وبرودته .

(7) قوام الأوعية (أي القوة الآلية التي فيها) بالإمتلاء أو الخواء .

---

(7) المصادر السابقة .

(8) ابن سينا القانون 1/124 .

(8) حالة جدران الأوعية .

ويقدر حجم النبض بأبعاده الثلاثة : طولاً وعرضاً وعمقاً . ويقدر تناوبه بالبطء أو بالسرعة أو بالإعتدال ، وقوته بوضوح انقباضه . والنبض المستوى هو النبض الطبيعي في قوته وسرعته . والنبض المختلف هو الذي لا نظام له وتكون فيه ضربات زائدة أو ناقصة وهناك أيضاً النبض الإنبساطي Diastolic المتواتر ، ويكون هذا قصيراً متتابعاً . ونوع آخر يعرف بالمتفاوت وهو الذي يكون فيه الإنبساط طولاً ، أما النوع الثالث فيعرف بالمتراخي أو المخلخل .

نصوص تراثية في النبض

قال الرازي :

(إن في الشرايين لقوة عجيبة ، ذلك أنها تتحرك من ذاتها إنبساطاً وإنقباضاً)[9] وعرف الرازي أن هاتين الحركتين من فعل القلب ، فقال : (إن الشرايين إنما تنبت في تجويف القلب الأيسر ، ومنه تجري فيها هذه القوة النابضة) وقال أيضاً : (النبض إنما يختلف إما لأن القلب لم يقو على حركته التي كانت له ، وإما لأنه اضطر إلى ما هو أكثر منها . وفي الحالة الأولى يختلف بأن يصير أضعف وأصغر من الطبيعي ففرق بينهما بذلك وبالأحوال الخارجة أيضاً . واعلم أن استواء النبض دليل على اضطلاعه بما يحتاج إليه من الحركة واستغنائه عما هو أكثر منها ، فذلك هو خالص بحس القلب جداً . فإن اختلفت فكلما كانت النبضات الصغار أقل فهو أجود)[10] .

وقال علي ابن العباس المجوسي :

(القلب والعروق الضوارب تتحرك كلها حركة واحدة ، وعلى مثال واحد ، حتى أنه يمكن أن يقاس بواحد منها على جميعها ، ولذلك صرنا

(9) الرازي ـ الفصول ص 73 .
(10) الرازي ـ الحاوي 17/41 .

نتعرف حال حركة القلب من حركة الشريان[11] . وقال أيضاً :

(إن النبض رسول لا يكذب ومناد أخرس يخبر عن أشياء خفية بحركاته الظاهرة)[12] . ولا حاجة أن ننبه إلى الإبداع والعذوبة في هذه العبارة الغنية بالمادة العلمية .

وقال ابن سينا في النبض :

(النبض حركة من أوعية الروح ، مؤلفة من إنبساط وإنقباض لتبريد الروح بالنسيم . وكل نبض مركب من حركتين وسكونين ، لأن كل نبض مركب من إنبساط وإنقباض ، ثم لا بد من تخلخل السكون بين كل حركتين متضادتين لإستحالة اتصال الحركة بحركة أخرى بعد أن يحصل لنهايتها نهاية) .

وتكلم ابن سينا بإسهاب في النبض باختلاف الأمزجة ، والبلدان ، والفصول ، والأغذية وفي أنواعه أثناء النوم ، واليقظة ، والرياضة وبعد الإستحمام ، ومع الأوجاع ، والأورام والعوارض النفسية .

وقال في النبض عند الحوامل :

(أما الحاجة فيهن فتشتد بسبب مشاركة الولد في النسيم المستنشق ، فكأن الحبلى تستنشق لحاجتين ونفسين . فأما القوة فلا تزداد لا محالة ولا تنقص أيضاً كبير انقاص إلا بمقدار ما يوجبه بسير أعباء الثقل ، ولذلك تغلب أحكام القوة المتوسطة والحاجة الشديدة ، فيعظم النبض ويسرع ويتواني)[13] .

7 ـ البول[14]

ويسمى الفحص على البول (التفسرة) . ويجب أن تكون العينة

---

(11) المجوسي ـ الملكي 1/254 .

(12) المصدر السابق والصفحة .

(13) ابن سينا ـ القانون 1/123 .

(14) اقرأ عن فحص البول في الفصول للرازي ـ 55 ـ 56 ، والحاوي في البول وما يتعلق به في =

للفحص من بول الصباح ، أو بعد النومة الطويلة ، وأن يتم الفحص عليها في خلال ساعة بعد استحضارها من المريض . كما يوصي المريض الذي يفحص بوله أن لا يشرب ولا يأكل ما يغير لون البول أو قوامه . فإن الزعفران يصبغه بلون أصفر ، والرمان بلون أحمر ، والبقول بلون أخضر . فتغطي هذه الألوان المكتسبة لون البول على طبيعته . كذلك يوصي المريض أن لا يشرب المشروبات المسكرة ، ولا يخضب شعره بالحناء قبيل جمع البول للفحص ، لأن الجلد يمتص هذه الصبغة وتفرز في البول . ويوصي أيضاً أن لا يأكل بأفراط قبيل التفسرة ، ولا أن يكون صائماً عن الطعام وإن تعذر أخذ البول في الصباح فلا يجب جمعه بعد التعب والرياضة أو الغضب بل بعد الراحة التامة أو بعد القيلولة)[15] .

ويستهدف من فحص البول معرفة مقداره ، ولونه ، وقوامه ، وصفائه ، وكدره ، والرسوب الذي يتجمع فيه ، والزبد الذي يعلو سطحه ، ورائحته ، وطعمه[16] .

وكان الأطباء يفحصون أبوال النساء لتشخيص الحبل . ولقد مر بنا أن أبا قريش طبيب الخيزران عرف أن سيدته الخيزران كانت حاملاً من فحص بولها ، كما ادعى أبو قريش أنه يعرف بفحص البول جنس الجنين في بطن أمه . ونجح أبو قريش في (حدسه) على الخيزران مرتين . وأيد الطيفوري الذي صار بعدئذ طبيب الخليفة موسى الهادي ، تشخيص الحبل من فحص البول ، غير أنه نفى تشخيص جنس الجنين قبل ولادته . والمهم من هذه القصة أن تشخيص الحبل بفحص البول كان العرب يومئذ يمارسونه بقدر من

= الجزء التاسع المطبوع بالدكن وفي كتاب الياقوتة الهارونية لابن الحكم الدمشق (مخطوط) ، والملكي للمجوسي 1/281 ـ 285 والقانون لابن سينا 1/136 ـ 146 ، والمختارات لابن هبل 1/171 ـ 184 ، وكفاية الطبيب لابن رضوان المصري ص 64 .

(15) المصادر السابقة .

(16) المصادر السابقة .

الإعتماد . وبعد مرور ما يزيد على الأربعة قرون جاء ابن هبل البغدادي المتوفي سنة 610 هـ / 1213 م ليقارن (البول الكدر الذي يشبه لونه الشراب الردي ، أو ماء الحمص إذا لم يكن عن مواد قيحية في الأحشاء ، فهو بول الحبالى)[17] .

نصوص تراثية في البول

نسوق فيما يلي ثلاثة نصوص في البول كتبت في ثلاث حقب مختلفة من قبل الرازي المتوفي سنة 320 هـ / 932 م ، وابن سينا المتوفي سنة 429 هـ / 1037 م ، وابن هبل البغدادي المتوفي سنة 610 هـ / 1213 م لنعرف ما تعاقب من المعلومات بهذا الموضوع . وهي مقارنة جديرة بالمعرفة .

قال الرازي :

(إن البول يدل على حال الدم ، وذلك أنه منه ينفصل . وعلى كثير من أسباب الكلى لأنه الموضع الذي يمر به ، لأن البول إنما ينفصل من الدم بعد انطباخه معه . فيدل بلونه وقوامه على مقدار انطباخ الدم . فإن كان الطبخ مقصراً كان أبيض رقيقاً ، وإن كان مفرطاً كان أحمر غليظاً . وإن كان معتدلاً كان أصفر معتدلاً في الغلظ والرقة . وإن أفرطت الحرارة في الكبد افراطاً شديداً كان أسود شديد الغلظ كما يكون في الأمراض الحادة المهلكة . والبول يزداد صبغاً ما لم يأكل الإنسان أو يشرب . ولذلك ينبغي أن يجعل الإنصباغ من ذلك خطأ . . ولا ينبغي أن يحكم بأن الحرارة غالبة بمقدار ذلك الصبغ . . وينبغي لمن يعنى باستقصاء أمر الرسوبات أن يأخذ البول في قارورة ضخمة بيضاء مستديرة الأسفل ، ويترك ساعات من ثلاث إلى عشر ليستقر كل ما ينبغي أن يستقر فيه . . والبول الذي يخرج سريعاً ومتواتراً كالحال في العلة المسماة (تقطير البول) لا يدل من أمر الطبخ على شيء وذلك أن مثل هذا الماء لم يقم في الكبد تمام الطبخ ، بل خرج سريعاً .

---

(17) البير اسكندر ـ الرازي ومحنة الطبيب ص 499 ـ 450 (مجلة المشرق) .

وكذلك نجد من به ديابيطس يبول بولاً مثل الماء لأنه يبوله بعد أن يشربه بهنيهة)[18] .

وقال ابن سينا في فحص البول :

(دلائل البول منتزعة من أجناس سبعة : جنس اللون ، وجنس القوام ، وجنس الصفاء والكدرة ، وجنس الرسوب ، وجنس المقدار في القلة والكثرة ، وجنس الرائحة ، وجنس الزبد . ومن الناس من يدخل في هذه الأجناس جنس اللمس وجنس الطعم . . والبول الرقيق جداً يدل على ضعف القوة الهاضمة وعدم النضج . وربما دل على ضعف سائر القوى حتى لا ينصرف في الماء البتة بل ينزلق كما يدخل . والبول القليل المقدار يدل على ضعف القوى . . واستعداد للإستقساء . والبول الكثير يدل على ذوبان وعلى استفراغ فضول ذائبة في البدن . . وبول النساء على كل حال أغلظ وأشد وأقل رونقاً من بول الرجال . . وبول الرجل إذا حركته مالت كدرته إلى فوق ، وبول المرأة لا يكدره التحريك)[19] .

وقال ابن هبل في فحص البول :

(البول أحد الدلائل الدالة على أحوال الكبد والكلى والمثانة ومجاري البول ، وعلى أحوال العروق التي تتوسط هذه الأعضاء ، وعلى أحوال البدن بتوسط العروق . . والبول يدل بلونه وقوامه ، وصفائه وكدورته ، وكثرته وقلته ، وتسفله في رسوبه وتعلقه وزبده ورائحته . . والبول الأبيض الرقيق الذي كالماء يكون في العلة المسماة ديابيطس ، وهو سلس البول . فإن صاحب هذه العلة لا يزال يشرب الماء من شدة العطش حتى يخرج الماء بحاله . . ولون البول الأبيض إذا كان رقيقاً يدل على عدم النضج ، أو ضعف الكلية ، أو على سدد في الكبد ، أو اليبس الشديدة أو كثرة شرب الماء .

وإذا كان غليظاً يدل على رداءة البلغم الخام أو شدة النضج . وإذا كان مع ذلك قليلاً دل على اليبس . . والبول الكدر الذي يشبه لون الشراب

---

(18) الرازي ـ الفصول 70 .

(19) ابن سينا ـ القانون 1/136 ـ 146 .

الرديء ، أو لون ماء الحمص إذا لم يكن عن مواد قيحية في الأحشاء فهو بول الحبالى . . والبول القليل المقدار الذي يجيء قطرة قطرة بغير ارادة رديء ويدل على أن الآفة قد تأدت إلى الدماغ وأثرت فيه .

(وبول النساء أغلظ وأميل إلى البياض من أبوال الرجال لكثرة فضولهن وقلة رياضتهن ، وسعة منافذ أبوالهن وما يصحب من سيلان أرحامهن . . وبول الحبلى كأن عليه ضباباً يتبين فيه كالقطن المنغوش ، أو يرى فيه كالحب يصعد وينزل . . وإذا كان بول الحبلى يميل إلى الزرقة فهو دليل أول الحمل ، أو إلى الحمرة فهو دليل آخره . وبول النفساء فيه قطع سود وذلك من دم الطمث المحتبس في الحبل .

(وبول الرجال إذا حرك تكدر ، ومال إلى أعلى القارورة ، وماء التين والسكنجبين ، وماء العسل وغيره مما يمتحن به الطبيب ، كلما قربتها منك ازدادت صفاء . والبول بالخلاف فإنه كلما قربته منك ازداد كدورة)[20] .

يلاحظ مما تقدم عن البول . أن الرازي لم يذكر في كتبه الفرق بين بول الرجال وبول النساء . ولأن هذا الطبيب قد نقد التفصيلات الدقيقة في أصناف النبض واعتبر كثيراً منها غير تطبيقية ، ورأى أبعادها عن المعلومات العلمية التي تدخل في امتحان الأطباء[20] ، فهناك احتمال كبير أن الرازي كان ينظر إلى افتراض الفرق بين بول الرجل وبول المرأة بنفس اللامبالاة في عدم الإعتراف بواقعية أجناس النبض الكثيرة . وطبيعي أيضاً أن الرازي لم يعترف بصحة تشخيص الحبل من فحص البول . أما تذوق البول عن الحلاوة التي فيه لتشخيص مرض الديابيطس فلم نعثر على ما يثبت ممارسة هذه الطريقة ، ذلك لأنه لم يكن يومئذ معروفاً أن بول الديابيطس يحتوي على مواد سكرية . ومع ذلك نتساءل لماذا إذن اعتبر الفحص على طعم البول من الإستدلالات التشخيصية في الطب ؟ وأي استدلال كان ذلك إذا لم يكن عن مرض الديابيطس ؟ .

---

(20) ابن هبل 1/171 ـ 184 .

الأمراض الباطنة

يقابل هذا المصطلح في تعابير هذا اليوم ، الأمراض الباطنة . ويقصد به الأمراض غير الظاهرة التي يستدل عليها بأعراضها الخارجية . وأكثر تلك الأمراض الباطنة هي ذاتها الشائعة في الوقت الحاضر مع اختلاف في أسبابها وصورها السريرية وتسمياتها الفنية وطرق تداويها . وفيما يلي نذكر بعضاً من تلك الأمراض كما كان يفهمها الأطباء العرب ، تاركين للقارىء أمر مقارنتها بمعلوماتنا عنها في الوقت الحاضر .

1 ـ الحميات[1]

حالات الحمى شائعة قديماً وحديثاً . وكانت تعتبر من الحالات المرضية العابرة غير الخطيرة ، إلا في وقعات معينة . وقد اعتبر العرب الحمى عرضاً في أكثر الحالات[2] ، وأن لها أسباباً كثيرة يرجعون أكثرها إلى فساد الأخلاط أو قلة نضجها أو زيادة انطباخها ، أو إلى تغييرات في أورام البدن .

ويكون تشخيص الحمى بلمس جلد العليل ، أو بالإعتماد على شكواه منها . وقد لا يكون في هذه الحالة الأخيرة وجود لها في المريض . ولما

---

(1) اقرأ عن الحميات في الفصول للرازي ص 84 ـ 90 ، والحاوي للرازي 14/9 ـ 169 ، الملكي لعلي بن العباس المجوسي 1/293 ـ 301 ، والمختارات لابن هبل 3/253 ـ 290 .

(2) الفصول ص 84 .

لوحظ تناوب الحمى سميت بحسب ذلـك حمى يوم ، أو حمى ربـع . كما وصفت أنواع أخرى منها كالحمى المطبقة ، والمحرقة ، والنـافض ، وحمى الدق ، وعرفت الفروق السريرية فيما بينها ، وصفات النبض والبول في تلك الأنواع ، والأعراض التي يشكو منها المريض كالثقل العام في البدن ، وثقل الرأس ، والنخس في سطح الجسم ، والتثاؤب المتكرر ، واضـطراب النوم وفقدان الشهية . واعتبر الأطباء الحميات التي تظهر في الليل أقل خطورة من التي تظهر في النهار . وفسروا النافض مع الحمى من كثرة الأخلاط الـرديئة في المرتين (السوداء والصفراء) وحدتها وسرعة حركتها ، ودقة الحس عنـد المريض من ملامسة الماء البارد .

ولأن طبيعة الحميات لم تكن معروفة فقد عولجت حالاتها على مبـدأ (الـراحة تـرياق العلل) إلا أن الأطبـاء اختلفوا في أمـر تغذيـة المـريض ، فأوصى بعضهم بالحمية ، وقال آخرون بضرورة التغذية على الأقـل بالبقـول اللينة . كما نصحوا بشرب الماء بارداً ، وتناول ماء الشعير وماء العسل ، وماء الرمان المز . ولا تتبع هذه الطريقة من العلاج في حالات الحميات المسببة عن الأورام البلغمية والدموية وفي حالة الدبيلات)[3] . كما استعمل الفصد والمسهلات في بعض الحميات الأخرى . وكانت العرب منذ قـديم الزمـان يبلّون أجسـامهم إذا سخنت بالمـاء البارد . وأكـد النبي ﷺ على فائـدة هذه العملية حين قال : الحمى من نار جهنم فأطفئوها بالماء[3] .

2 ـ اليرقان[4]

قـال الرازي : إن منقيـات الدم ثـلاثة : المـرارة والطحـال والكلى . فالمرارة إذا لم تجتذب الصفراء حدث اليرقان ، والطحال إذا لم يجذب المرة السـوداء حدث اليـرقان الأسـود . والكلى إذا لم تجذب مـائية الـدم تكـوّن

---

(3) المصادر السابقة (عن ابن قيم الجوزية ـ الطب النبوي ص 18) .

(4) اقرأ عن اليرقان في الحاوي 7/142 ـ 176 ، والملكي 2/401 والقانون لابن سينـا 1/400 ـ 409 .

الإستسقاء اللحمى[5] .

واليرقان هو أن ينبت في الجسم دم صفراوي ، ويعرف ذلك في لون العين واللسان وطعم الفم . وأوضح ما يكون في العين لأنه يظهر على الملتحمة قبل أن يحسّن به في سائر البدن[6]. (واليرقان يدل على برد الكبد ضرورة ، وإذا كان البول في اليرقان أحمر غليظاً فاعلم أن المرة لا تنصب إلى الإمعاء ، لكنها قد أخذت في طريق البول وتركت طريق البراز)[6] .

وقال ابن سينا في علاج اليرقان :

(اعلم أن القصد من علاج اليرقان متوجه نحو أمرين : أحدهما إزالة اليرقان نفسه بما يحلله عن الجلد وعن العين بالأدوية المعرقة والمفسلة وبالسعوطات ، وبالمواد المسهلة للمادة الفاعلة لليرقان . والقصد الثاني من العلاج ينحو نحو السبب فيقطعه . وهو إما إصلاح مزاج أو تقوية قوة ، أو تدبير ورم ، أو تقيح سد ، وإما بفصد بأسليق أو أسيلم ، أو حجامة فوق موضع الكبد)[7] . . ويستعمل للإسهال الهليلج ، والشاهترج وماء الجبن والسقمونيا .

3 ـ الإستسقاء[8]

يقصد بالإستسقاء تجمع الماء في أجواف الجسم أو بين أنسجته . ويراه الرازي على ثلاثة أنواع :

آ ـ اللحمي ، وهو الماء المنتشر في لحم الجسم كله .

---

(5) الحاوي 7/199 ـ 200 .
(6) المصدر السابق ص 147 .
(7) القانون 3/404 .
(8) اقرأ عن الإستسقاء في الحاوي 7/153 ، 208 ـ 209 ، 229 ، 244 ، 245 ، 252 ، 182 ، 183 ، وفي الملكي 1/374 ، والقانون 2/384 ـ 398 ، والمختارات 3/369 ـ 383 .

ب ـ الزقي ، وهو وجود الماء حراً في الجوف البريتواني . ويسمى أيضاً (الحبن) .

جـ ـ الطبلي ، وهي الحالة التي يتجمع فيها الماء داخل الإمعاء . وتحدث من تمدد المعدة والايلاوس .

وقال الرازي : إذا بطلت القوة الجاذبة التي في الكلى ، وضعفت بسوء مزاج بارد ، حدث انتشار مائية الغذاء في جميع الجسم . وفي هذه الحالة يكون الإستسقاء لحمياً[9] . كما يكون أيضاً إذا بطل الهضم في جميع الأعضاء[10] .

(أما الإستسقاء الذي يحدث من الكبد فهو زقي ، والذي يحدث من فساد المعدة والإمعاء فهو طبلي . وفي الزقي تسبح الإمعاء فيه . ويفرق بين الإستسقاء اللحمي وغيره ، أن اللحمي في جميع البدن ، والطبلي والزقي في البطن وحدها . وجلدة البطن في المستسقى تمتد وتنتؤ السرة وتهيج قروح الفم واللثة قبل الموت)[11] .

ويعالج الإستسقاء الحبنى بالمازريون[12] ، والأفسنتين[13] ، وماء الهندباء[14] ، وماء الباقلاء ، والراوند[15] ، والهليلج[16] ، ونقيع

---

(9) الحاوي 7/247 .

(10) المصدر السابق 7/245 .

(11) المصدر السابق 7/190 .

(12) المازريون Mezerenum نبت أوراقه شبيهة بأوراق الزيتون إلا أنها أدق . ومذاقها مرو تستعمل مع الأفسفتين كمسهل في حالات الإستسقاء .

(13) الأفسنتين ـ شجيرة أزهارها أقحوانية في وسطها صفرة ، وأوراقها تشبه أوراق الجزر . مذاقها مر وتستعمل مسهلاً ومدراً (ابن البيطار ـ الجامع) .

(14) الهندباء Batavian Endyve نبات من فصيلة الباقلاء ، بري وبستاني .

(15) الراوند Rhubarb ـ نبت جبلي ، لون أوراقه أسود ضارب إلى الحمرة ونقيعة ينفع المعدة والطحال ، وحالات الربو ، وأمراض الكلى والكبد والنزف الدموي (ابن البيطار ـ الجامع) .

السوس[17] ، والشبرم[18] . أما الإستسقاء الزقي فيعالج بالبزل .

4 ـ القولنج[19]

(القولنج مرض في الإمعاء ، يحدث وجعاً شديداً يحتبس معه في الأكثر ما جرت العادة باستفراغه بالطبع . وعلى الخصوص أكثر ما يعرض هذا الوجع في المعي المسمى قولون ، ومنه اشتق اسم هذا المرض . وسببه على الأكثر احتباس رطوبات لزجة بلغمية في المعي تنفذ في طبقات هذا المعي . . وتمدده تمديداً يحس المعي كأنه يتمزق ، أو لإحتباس ريح يفعل ذلك الفعل ، أو لثغل (غائط) يابس متحجر حبسته الرطوبات اللزجة الملبسة عليه ، أو بسبب ورم يحدث في المعي نفسه فيسد الطريق . . أو لإنصاب خلط حاد مراري لذاغ يلذغ المعي ويؤلمه ألماً شديداً . أو لإجتماع ديدان كثيرة تملأ المكان وتزدحم فيه ، أو لفتق أو إنخلاع في المعي .

(وعلامات القولنج الوجع الشديد في البطن ، واحتباس الثقل ، والريح ، والغشي ، والتهوع والقيء الشديد الذي لا يكاد يثبت معه شيء . . ويحس الإنسان كلما تحرك كان في بطنه مسلّة ، أو كأنما تثقب إمعائه بمثقب)[20] .

---

(16) الهليلج ـ مشهور عند العامة والعطارين . منه الأصفر والصيني والهندي والكابلي . وأجوده الأصفر . وكلها تفيد المرة والجذام ووجع الطحال والمعدة . والنوع الكابلي نافع في حالات الإستسقاء (ابن سينا ـ أدوية القانون ، شرح جبور 65 ـ 67) .

(17) السوس Liqurie ـ نبت معمر ، وله أنواع كثيرة وعصارتها حلوة المذاق يصلح المعدة الفاسدة ، ويفيد التهاب القصبات الرئوية ، ومدر للبول . كما يفيد موضعياً للجراحات (ابن البيطار ـ الجامع) .

(18) الشبرم ـ نبت يشبه الصنوبر إلا أنه بطول ذراع فقط وثمره شبيه بالعدس . ويستعمل لإسهال البطن (ابن البيطار ـ الجامع) .

(19) اقرأ عن القولنج في القانون 2/452 ـ 460 والمختارات 3/315 والملكي 1/369 ـ 370 . وكتاب القولنج لأبي بكر الرازي تحقيق صبحي محمود حمودي ـ حلب 1983 .

(20) المصدر السابق ، ابن هبل ـ المختارات 3 ـ 316 ـ 317 .

(والفرق بين القولنج وحصاة الكلية ، أن الألم في الحصاة يكون دائماً في جانب البطن وما يلي الخاصرة ، وأخف مما في القولنج .. وفي القولنج ، الألم على الأكثر حوالي السرة[21] .. وبالجملة فأسلم أنواع القولنج ما كان فيه الألم أخف والأعراض أقل ، ويخف بالجشأ .. ويسكن على الكمادات والنطولات . وأرداه ما اشتد فيه الألم ، وعظم احتباس البراز والجشأ والريح ، وأمسك معه البول ، وعرض فيه الغشي وبرد الأطراف ، والعرق البارد ، والفواق المتدارك ، والكزاز ، واختلاط العقل)[22] .

(والعلاج يجب أن ينظر في القولنج من أي الأنواع .. والحقن في أمراض القولنج المستفرغة أصلح من الأدوية المستعملة . وأعلم أن القيء العارض وإن كان مضعفاً نافع في استئصال المواد المتشربة في جرم المعدة[23] . وتستعمل له الأدوية المسهلة كالغاريقون والصبر والمصطكي والقرنفل المواد التي تستعمل له في الحقن الشرجية فهي اللبلاب ، وماء النخالة ، ويستعمل لألم القولنج بزر الكرفس والأنيسون وبزر البنج والأفيون . أما السلق ، وحب القرطم ، وبزر الكرفس ، والسنامكي والبابونج . وتستعمل كل من هذه الأدوية مفردة أو مع بعضها ومحلولة بالماء بنسب معينة .

5 ـ الايلاوس[24]

(هو القولنج المستعاذ منه ، وشر أنواع القولنج . وهو من الأمراض المهلكة ، وقل من سلم منه . خاصيته شديدة الأعراض ، يعود فيها الزبل (الغائط) من الفم . والفرق بين هذه العلة وبين القولنج ، أن القولنج يعرض في الإمعاء الغلاظ ، وهذه تعرض في الإمعاء الدقاق ، وعلاماته مثل علامات

---

(21) المصدر الأخير 3/319 .

(22) المصدر الأخير 3/320 .

(23) المصدر الأخير 3/321 .

(24) اقرأ عن الايلاوس في القانون 2/262 ـ 271 ، المختارات 3/337 ـ 340 .

القولنج إلا أنها أشد وأعظم . والوجع فيه فوق السرة ، والقيء أكثر . وفي العلاج ينظر في سبب هذه العلة . . وتعالج أولاً كما يعالج القولنج وأكثر الحالات تنتهي بالهلاك) .

6 ـ الديابيطس[25]

(هو أن يخرج الماء كما يشرب في زمان قصير ويسمى باليونانية (دياسقومس) وبالعربية الدوّار ، والدولاب ، وزلق الكلية . . وصاحبه يعطش فيشرب ولا يرتوي ، بل يبول كما يشرب غير قادر على الحبس البته . وسبب الديابيطس حال الكلية بضعف ما يعرض لها ، واتساع وانفتاح في فوهات المجرى فلا ينضم ريثما تلبث المائية في الكلية) .

ويعالج الديابيطس بالتبريد بالبقول ، والفواكه والخس والخشخاش وماء القرع المشوي وعصارة الخيار ، وماء الرمان الحامض ، وماء التوت وماء الإجاص . وينفع من الأدوية أقراص الجلنار وأقراص التباشير بماء القرع .

7 ـ أمراض القلب[26]

(. . . من الأمراض الخطرة . ومن أسبابه الحميات ، وأورام شغاف القلب ، والإنصبابات المائية فيه ، ومن أعراضه البهت في البشرة ، والشكوى من الخفقان ، والضعف العام ، والذبحة الصدرية[27] . وتعتبر الحمى اختلاطاً قتالاً لمصابين بمرض القلب . كما يكون الموت المفاجيء من نتائجها أيضاً . ويعالج مرض القلب بالراحة واللبائخ على الصدر ، والغذاء الوافي ، وتعديل الهضم ، وبالفصد[28] . ومن الوصفات المستعملة في

---

(25) اقرأ عن الديابيطس في الحاوي 1/129 ـ 130 ، والقانون 2/526 ـ 528 ، والمختارات 3/425 ورسالة عبد اللطيف البغدادي في الديابيطس (غليونجي وعبده) .

(26) اقرأ عن أمراض القلب في القانون 2/262 ـ 271 والمختارات ت 3/221 ـ 225 والرسالة في الأدوية القلبية لابن سينا تحقيق محمد زهير البابا والياقوتية الهارونية (مخطوط) .

(27) Kamal - Encyclop. of Islamic Medicine P. 323.
منقولاً عن كليات ابن رشد .

(28) المختارات 3/225 ـ 229 .

العلاج سفوف من طحين الكهرب الأصفر والسنبل[29] والزرنباد[30] .

8 ـ السل[31]

(. . . ويسمى الدق أيضاً . وسببه قرحة في الرئة . وهو مرض لا يبرأ منه المريض ، لأن الرئة عضو سخيف الجوهر دائم الحركة وشديد الرطوبة والإبتلال ، وأجزاء عروقه المتآكلة غلاظ صلاب فلذلك يعسر التحام قروحه ، ومسلك الهواء إليه بعيد .

وعلامات هذه العلة سعال ونقث المدة (القيح) ، وحمى دقّية تقوى في الليل ، كما يكثر العرق وحمرة الوجنتين . وإذا طالت العلة انتشر الشعر ، وتعقف الأظافر ، ويضيق النفس ، وينفث الدم . وهذه علامة تحدث قبيل الموت .

والمرض غير قابل للشفاء ، إلا أن المصاب به يعالج لرغبة في بقائه لا أكثر من ذلك[32] . ويعطى المريض في هذه الحالة لبن الاتن الفتية ، وماء الشعير بالجلاب[33] ، وماء النخالة بالعسل ، وعصير عرق السوس[34] ، وبزر الخبازي[35] ، وأقراص الكافور[36] .

---

(29) السنبل ـ هو الناردين أو الخزامي . نبت طيب الرائحة ، مقوى للكبد والطحال والكلى والإمعاء . وهو مدر للبول . ويوقف النزف المفرط من الرحم .

(30) الزرنباد Wild Ginger ـ نبت استوائي من فصيلة الزنجبيليات ويسمى أيضاً عرق الكافور ، ويقال أن موطنه الصين يحلل أرواح الرحم ومدر للبول ونافع لأمراض القلب والماليخوليا (ابن البيطار ـ وابن ميمون في شرح أنواع العقار) .

(31) اقرأ عن السل في القانون 2/248 ـ 257 ، والحاوي للرازي 4/37 ـ 70 ، والمختارات 4/257 ـ 261 والملكي 2/182 ، 322 ـ 325 .

(32) القانون 3/217 ـ 218 .

(33) الجلاب Ipomaea ـ نبت من فصيلة اللبلابيات أنواعه كثيرة جداً وأزهاره كبيرة ، وألوانه كثيرة .

(34) السوس ـ ورد تعريفه في الهامش (17) .

(35) الخبازي أو الخبازة Malva منه البستاني وهو الملوخية ويؤكل هذا طبيخاً . ومنه بري وكبير كالخطمي . وهو ملين للبطن ومدر للبول (ابن البيطار ـ الجامع) .

(36) الكافور ـ صمغ شجرة تنمو في سرنديب (سيلان) والصين . أغصانه وأوراقه بيضاء وخفيفة =

9 ـ الامتلاء[37]

(إذا زاد ما في تجويف العروق والشرايين من الدم والإخلاط ، مع حفظ نسبتها التي كانت عليها قبل الزيادة ، والبدن صحيح سليم ، سمى الأطباء هذه الحالة إمتلاء)[38] . وهي حالة تولد أمراضاً مختلفة في الجسم يكون من بعضها خطر على الحياة .

من أعراض الإمتلاء : ثقل البدن وكسله ، وكثرة النوم ، والتمطي والتثاؤب ، وشبه الإعياء ، وتبلد الفكر وثقل الرأس ، وكلال البصر ، وعظم النبض ، والنفث الدموي ، والرعاف في الحالات المتقدمة بالمرض[39] . وتعالج حالة الإمتلاء بالفصد وتقليل الطعام والشراب .

10 ـ الجدري والحصبة[40]

هذان المرضان من الأمراض الأثرية التي أصابت الإنسان ، ولم يلفت الفرق بينهما أنظار المعالجين إلا في أزمان متأخرة وربما حسبوهما مرضاً واحداً بدرجتين من الشدة . والرازي دون شك أول من أحسن وصف هذين المرضين ، وفرّق بينهما سريرياً ، وكتاباته بهذا الموضوع من بدائعه الرائعة في الطب . من ذلك ما ذكره عن وجع الظهر الذي اعتبره علامة تفريقية في الجدري لا توجد في المصاب بالحصبة . وذكر أيضاً علامة تفريقية أخرى هي أن البثور التي في الجدري على الجلد تغور إلى عمقه . ومن ملاحظاته الدقيقة أيضاً حدوث الرعاف عند البعض منهم والتحسن في حالة المريض

= يفيد في حالات الرّعاف وبرد الكلى ، ومواضع التآكل في الأسنان ، والسل الرئوي ، (ابن البيطار ـ الجامع) .

(37) اقرأ عن الإمتلاء في الفصول للرازي ص 48 ـ 49 ، والكفاية في الطب لابن رضوان المصري (تحقيق الدكتور سلمان قطاية) 4 .

(38) الرازي ـ الفصول ص 48 .

(39) المصدر السابق ص 49 .

(40) اقرأ عن الحصبة والجدري في الحاوي 17/2 ـ 6 ، 14 ـ 16 ، 19 ، 20 ، 22 ، 31 ، 33 ، 34 ، وعن الجدري في الملكي 309/1 ـ 310 وفي القانون 67/3 ـ 71 .

بسببه . فصار الرازي يرعف المصاب بالجدري متوخياً الفائدة التي تعقب هذه المضاعفة . كما لاحظ ما يعتري عين المجدور من مضاعفات ، فأولى هذا الأمر عنايته حتى لا يصيب العين الضرر الدائم . واعتبر الجدري بعمومه سليماً إلا إذا تضاعف بالإسهال والحمى العالية وكثرة البثور القيحية .

أم الطفح في الحصبة فوصفه الرازي سطحياً لا ينتأ على سطح الجلد وأشار إلى أن مثل هذا الطفح قد ينشأ داخل الجوف فيسبب نزفاً معوياً . ولاحظ أيضاً أن المصابين بالحصبة لا يشكون من وجع الظهر .

واستعمل الرازي في علاج الجدري شرب ماء الرمان ، ونشوق ماء الورد ، وسويق الشعير ، والأغذية القابضة . كما استعمل الفصد في بعض الحالات .

لقد كان الرازي سيد موضوع الجدري والحصبة دون منازع ، ومن الخالدين الذين كتبوا فيهما . ولذلك سأنقل إلى هنا بعض النصوص التراثية التي وردت على لسان هذا الطبيب العظيم ، دون غيره من الأطباء الذين كتبوا في هذا الموضوع . قال الرازي :

(الجدري والحصبة من جنس الأمراض الوافدة ، ويحدثان أبداً مع هبوب ريح الجنوب وخصوصاً إن هبت في الصيف[41] . وقال أيضاً : (وجدت الفرق بين الجدري والحصبة ، أن الحصبة إنما تكون حمرة فقط في سطح الجلد ، وليس لها عمق البتة ، أعني نتوأ وعلواً . والجدري يكون كما يبدو مستديراً وله نتوء فأجد التفرس في ذلك . ومتى اشتبه عليك فلا تحكم إلا بعد هذه الحالة بيوم أو يومين ، فإنه إن لم يظهر نتوء فليس يجب أن تحكم بأنه جدري[41] .

وأخذ الرازي في التشخيص عن ابن ربن الطبري وقال (إذا احمرت العين والوجه في حمى الدم وثقل البدن والرأس ، واحتك المنخران وجاء

---

(41) الحاوي 17/16 .

العطاس والغم والكَرب فإنه يدل على جدري . فألق في العين كحلاً مححوكاً بماء المطر أو بالكزيرة[42] .

وذكر الرازي من علامات الحصبة (. . أن يغلظ الصوت ، وتحمر العينان والوجنتان ، ويجد الوجع في الحنجرة والصدر ، ويجف اللسان ، وتنتفخ الأصداغ ، ويحمر الجسد ، وتدمع العينان ، ويهيج التهوع . فإن رأيت هذه فإنه ستظهر الحصبة . والحصبة تظهر بمرة ، والجدري شيئاً بعد شيء . والحصبة الخضراء والبنفسجية رديئة ، خاصة إن جاءت بغتة ، فإنه يغشى عليه ويقتل سريعاً . والجدري الذي يسود لونه ويجف ولا يمتلىء بل يكون صلباً ثؤلبياً فإنه يورث الغشي ، وهو قاتل . والجدري الصغار المتقاربة خطر ، والكبار أسلم[43] . والذي يكون بنفسجياً أو أسود ، ويظهر مرة ويبطي أخرى ، ويعرض معه غم شديد ، وبحة في الصوت ، وتغير في العقل ، فأهرب منه[44] .

(. . والجدري الذي لا يجمع رطوبة لكنه ثآليل ، ويتشقق منه الجلد ويكون ذلك الشق شديد اليبس ثم يتبع ذلك غم شديد ونفس رديء ، وإختلاط عقل ، وذهاب الصوت ، فإنه قاتل . وقد يكون جدري كبار في جوفه جدري صغار ، ويسمى المضاعف[45]) .

وفي علاج الجدري قال الرازي :

(يجب أن تدثر صاحب الجدري في وقت خروجه ، جيداً . ويوقي من البرد بالثياب ، ولا ينشق هواء بارداً فإنه هلاكه . . وكل من يموت من هذا المرض يموت لكثرة المدة عليه . وأنه لا يكون في وسع الطبيعة أن تنفض جميعها إلى الجلد . وأنا أحب أن أخدش في ابتدائها عروق الأنف ، فإني

(42) المصدر السابق 17/3 .
(43) المصدر السابق 17/2 ـ 3 .
(44) المصدر السابق 17/17 ـ 18 .
(45) المصدر السابق .

رأيت من رعف سلم منه أكثر ، لأنه أكثر ما يكون للصبيان فلا يتهيأ للفصد[46]) . ثم قال في العلاج بالفصد : (. . . يفصد قبل اليوم الرابع وبعده ، بالجملة قبل أن يثور جله . فإذا ثار كله فلا يحتاج إلى الفصد ، لكن دعه ليبقى على القوة ، اللهم إلا أن تقدر أن المدة كثيرة جداً فتفصد لتخفف على الطبيعة قليلاً)[47] .

11 ـ العرق المديني[48]

هو نتؤ خيطي الشكل والملمس ، يظهر تحت سطح الجلد في الساقين أو اليدين أو الجنبين . ويكون في مظهره الخارجي شبيه بالدوالي إلا أنه أصلب قواماً ، وأن المصاب به يحس بحركة في داخله تماثل حركة الديدان ، فتسبب له حكة وألماً .

نذكر هذا المرض الغريب بالرغم من ندرته لأنه كان من الأمراض المتوطنة في الجزيرة العربية ، وربما اكتسب اسمه لوجوده في ديار المدينة المنورة . وقد استرعى نظر الأطباء العرب وأثار انتباههم بإهتمام قبل غيرهم ممن سبقوهم في العلوم الطبية . وربما كان الطبيب اليوناني سورانس . (القرن الثاني ق. م) قد شاهد هذا المرض واعتبره عصباً منتفخاً . أما جالينوس فقد عرف عنه من أفواه الناس الذين شاهدوا حالاته المرضية . وقال أنه لم يشاهد حالة واحدة من المصابين به . وأول من كتب عن هذا المرض من الأطباء العرب هو عبدالله بن يحيى البرمكي[48] الذي عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري وقد وردت إشارته إلى هذا المرض في كتابه (الإختصارات) ، وهو يعزوه إلى البلغم الحار الذي تثيره أجواء المناطق

(46) المصدر السابق 17/20 ـ 21 .

(47) المصدر السابق 10/21 .

(48) ابن هبل 202/4 ، ابن القف 2/79 ابن سينا 3/138 .

(49) أوطان .

(48) Sezgin, 3/256 - 297.

الحارة كالجزيرة العربية . وذكر قسطا بن لوقا في كتابه (البلغم) هذا المرض وقال أنه شاهد في سامراء مريضاً به أربعون عرقاً مدينياً اختفت جميعها بعد المعالجة . أما أبو بكر الرازي ، فهو كالعادة لم يكتف بالكلام عن طبيعة المرض وما قاله فيه الأطباء القدماء والمعاصرون ، بل عزز رأيه فيه بكثرة مشاهداته السريرية على المصابين بهذا المرض ، فقال : (رأيت العرق المديني لا يكاد يخرج بالأبدان الرطبة ، وإنما يخرج بالعضلة والنحيفة ، ولا بمن أدمن الإستحمام والدخول في الماء وشرب الشراب ، والتوسع في الأغذية)[49] .

وذكر المجوسي العرق المديني عقب وصفه للدوالي قائلاً هي علة تحت الجلد شبيهة بالعرق ، وتتحرك حركة بينة كما يتحرك الدود . فإذا انفتح موضع الرأس منها يحدث منها أوجاع)[50] وأكد ابن سينا (أن حركة العصب الدودية التي يحسها المريض تحت الجلد ، كأنها حركة حيوان)[51] . وبالرغم من كل ما ذكره هؤلاء وغيرهم من الأطباء العرب واليونانيين ، بأن في العصب حركة تماثل حركة الديدان ، إلا أن أحداً منهم من يجزم أن العصب المديني لم يكن إلا دودة خيطية تصل إلى الإنسان من شرب المياه الملوثة ببرقات هذه الدويبة . وأن الحركة التي يحس بها المصاب بهذا المرض ليست من فساد العصب ، بل من حركة الدودة المذكورة .

وذكر الرازي في علاج العرق المديني قائلاً : (.. ينفتح الموضع الذي يكون فيه طرف هذا العرق ، وينفتح الجلد ، ويخرج منه طرف العرق . فإن مدّ عرضت منه أوجاع شديدة وخاصة إن انقطع . ولذلك يعلق بعض الناس بطرفه رصاصة وتلفه عليها لئلا ينقطع ويخرج قليلاً قليلاً بثقل الرصاص حتى يخرج آخره . ويعصر العضو وينطل بالماء الحار ليسهل

---

(49) الحاوي 11/293 ـ 294 .

(51) الملكي 1/314 .

(52) الحاوي 11/290 ، القانون 2/76 .

خروجه ، ثم يرفع بالأصابع قليلاً قليلاً ويمسح ويخرج) . ثم قال : (فإن انقطع أو لم يخرج ، حتى يوصل إليه ويخرج ثم يعالج بعلاج الجراحات)[53] .

12 ـ التهاب الشريان الصدغي

إن هذه الحالة كسبب للصداع المزمن غير نادرة ، فتسبب ورماً موضعياً مصحوباً بألم ، وصداعاً واضطراباً في الرؤية . ولم ينتبه اليونانيون إلى هذه الحالة المرضية كما لم يسجلها الأطباء من بعدهم حتى القرن التاسع عشر ، بينما كتب علي بن عيسى الكحال في موضوعها منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وشرح طريقة علاجها بالجراحة بدقة تجلب النظر ، قال :

(. . وتفتش عن الشريانات بالأصابع بعد تسخين الموضع بالدلك وبالكماد بالماء الحار ويكون ذلك بعد الرقبة والخنق الرقيق حتى إذا ظهر الشريان علّمت بالمداد ، ثم تجذب إليك بالأصبعين من اليد اليسرى ثم تشقه بالمقراض شقاً معتدلاً . ويكون الشق على الجلد وحده. ثم تمر العرق بصنارة حتى يخلص من جميع جهاته وتكوينه . وإن كان الشريان دقيقاً فادخل تحته مبضعاً وابتره . . وتديم الدم يجري منه ، ويكون ذلك باعتدال ، فإنك إذا فعلت ذلك وبترته فاكوه ، فإن شفتي العرق تتقلص تحت الجلد فيجب حينئذ أن تقطع الدم وتشدّه ، وإن كان الشريان عظيماً فيجب أن تدخل في الإبرة خيط كتان أو إبريسم ، ثم تكشف عن العرق ما ذكرت ، وتفصد وتخرج من الدم بحسب الكفاية ، ثم تربط العرق في موضعين ، وهو مكشوف ، واقطع ما يكون بين الرباطين[54] .

---

(53) المصدر السابق 291/11 ، واقرأ أيضاً عن العرق المديني في كتاب العمدة لابن القف 79/2 .

(54) تذكرة الكحالين لعلي بن عيسى ص 340 ـ 341 .

العدوى والأوبئة

اكتشف العرب فعل العدوى منذ قديم عصورهم . وربما كانت مشاهداتهم على إنتقال الجرب بين الإبل هي التي أثارت انتباههم إلى إنتشار بعض الأمراض بين أفراد مجموعة من الناس . ثم اكتشفوا بين الحين والآخر أن حالات الحصبة والجدري والجذام والسل تنتقل من المريض بها إلى غيره من الأصحاء . ويذكر أن الحارث بن حلزة اليشكري كان مصاباً بالجذام ، وحين قرأ معلقته أمام ملك الحيرة عمرو بن هند ، رفعت بينهما ستارة تحوطاً من أن يصل هذا المرض إلى غيره من المستمعين . وأيدت الأحاديث النبوية واقعية العدوى ، وإنتشار الأمراض بالأعداء بين الأحياء . ومن البديهي أن لا يكون العرب يومئذ قد عرفوا طبيعة العدوى وطريقة عملها في حمل المرض من المريض إلى المعافى ، إلا أنهم أدركوا أن ملامسة المجذوم أو المجدور ، والولوج إلى مخدعه يعقبه ظهور نفس المرض في الشخص الذي يخالط هذه الفئة المريضة . وحين عرفوا بيقين أن مجرد الإقتراب من الفئة المذكورة يؤدي أحياناً إلى نفس النتيجة ، كان تقدماً في معرفة مهيئات إنتشار الأمراض المعدية . وإحتمال أن تكون النظرة الطويلة إلى العين الرامدة هي سبب إنتقال الرمد من شخص (على ما كان يعتقد) تأتي على هذا المنوال من أسباب العدوى . كما اعتبروا إنتقال الأمراض بالوراثة من صنف العدوى أيضاً ولما أشرف الأطباء العرب على تعليل الأعراض والعلامات المرضية أدخلوا الأمراض المعدية في باب ردائة الإخلاط وسوء المزاجات . قال المجوسي أن المزاج البارد والجاف تربة صالحة لإنعاش الخلط السوداوي ليسود على غيره من أخلاط البدن فيسبب الجذام[55] . كما أعطى تفسيراً للأمراض الموروثة ، يقول فيه أن نطفة الرجل تنطلق حاملة خلطاً غير طبيعي فيكون منها نجلاً مصاباً بمرض ذلك الخلط .

---

(55) الملكي 1/310 .

ويحاول المجوسي أن يفسر العدوى الجماعية في حالات الأوبئة ، وأن يجعل للهواء وتبدلات الأجواء الموضعية والموسمية علاقة بأحداث الأمراض الوافدة ، فيقول : (فأما خروج الهواء عن الإعتدال في جملة جوهره ، فهو أن يستحيل في جوهره وفي كيفياته إلى الفساد والعفن ، فيحدث في الناس أمراضاً وأعراضاً رديئة . . وتسمى هذه الأمراض : بالوافدة . وإنما سميت أمراضاً وافدة لأنها تعم كثيراً من الناس في زمان واحد ، وذلك لأن السبب المحدث لها عامل مشترك وهو الهواء المحيط بنا[56]) .

ثم يتحدث المجوسي عن الأمراض التي تنجم عن تبدل الأجواء بسبب العفونات فيقول : (. . بخارات رديئة تخلط الهواء ، ومن بخارات رديئة ترتفع من الخنادق ومن البحيرات ، أو من أقذار المدن أو من جثث القتلى ، أو موت البهائم . . فيرتفع من تلك الجيف بخارات رديئة . . فيستنشقه الناس فتكثر فيهم الأمراض الردية المهلكة كالموت الذي عرض لأهل أثينا[57] . أما تغيير جملة الهواء من قبل أوقات السنة ، فهو أن يتغير الوقت من أوقات السنة عن طبعه ، فيصير الشتاء حاراً يابساً ، عديم المطر ، ويصير الصيف مطيراً ، ويكون الربيع بارداً يابساً بمنزلة الخريف ، ويكون الخريف حاراً رطباً ، فيحدث عند ذلك الموت والوباء والطواعين والريح والجدري والحميات الحارة[58] .

إن ظهور الأمراض في حالة تبدلات الجو وفساد الهواء بالعفونات التي يجعلها المجوسي كأحد أسباب حدوث الأمراض وإنتشارها بشكل قاطع ، لا تزال مدلولاتها قائمة بالرغم من عدم وضوح صورتها من الوجهة الوبائية .

---

(56) المصدر السابق 1/168 .

(57) طاعون أثينا ـ وصف ثوسيديدس Thucydedes الطاعون الذي اجتاح أثينة عام 543 ق. م وأشار إلى العدوى به والمناعة منه التي يكتسبها الإنسان إذا شفي من الإصابة وقال : إن الشخص لا يصاب بهذا المرض مرتين ، أو على الأقل تكون إصابته الثانية غير قاتلة .
Ullmann - Islamic Medicine, P. 86.

(58) الملكي 2/62 ـ 169 .

وملعوماتنا عنها في الوقت الحاضر ليست أكثر بكثير مما دونه المجوسي في هذا الموضوع . والرائع في نصوص هذا المؤلف أنه يعلل من لا يتأثر بالأوبئة إلى الإستعداد الكامن داخل أبدان هذه الطبقة من الناس في عدم خضوع إخلاطهم لفعل الهواء الفاسد . وعلى أساس هذا الإفتراض يوصي المجوسي من باب الوقاية من الأمراض الوافدة ، أن يستفرغ الإنسان من بدنه الخلط الذي يناغم مزيج الهواء الذي يحمل الوباء ، بالفصد أو الإسهال ، وأن يستكن في بيت يتحرك فيه الهواء ، ويدخله أريج النباتات والزهور المعطرة . كما ينصح بالطين الأرمني والكافور .

وذكر المجوسي الإسهال كأحد أعراض الأمراض الوافدة (الملكي 1/168) ، وقد ينضوي تحت هذا العنوان مرض الهيضة .

أما مرض الطاعون فلم تتوضح صورته عند الأطباء العرب إلا في منتصف القرن الثامن الهجري (1348 م) . فقد قال عند أبو عبدالله محمد بن اللخمي الشقوري المتوفي سنة 549 هـ/ 1345 م في كتابه مجرّبات الشقوري (مكتبة الرباط) أنه مرض يحمله الهواء . ويقترح للوقاية منه تحسين الهواء بأريج الصندل والبخورات والبلسم ، وتجديد هواء المنزل[59] . وتبلورت الفكرة عن خطورة الطاعون وإنتقاله بين الناس بعد النصف الثاني من القرن الثامن الهجري (1374 م) . فقد كان فيما كتبه كل من ابن خاتمة الأنصاري المتوفي سنة 881 هـ/ 1369 م ، ولسان الدين بن الخطيب المتوفي سنة 776 هـ/ 1374 م عن الطاعون من الوجهة العلمية ، أصالة جد رائعة . أما وقع ما كتباه على عامة الناس ، ورجال الدين خاصة ، فقد كان عاصفاً غير متوقع ، نظراً للأراء السائدة آنذاك من أن هذا المرض عقاب من السماء على العاقين من البشر ليس غير . قال ابن الخطيب في كتابه مقنعات الرسائل : (عندما ينفذ الوباء إلى داخل جسم الإنسان أثر العدوى به ، فإن الروح أول ما تتأثر به ، فيصبح الجسم حاراً وتصل حرارته

---

(59) Ullmann - Islamic, Medc. P. 92.

إلى رطوبات العروق فتفسدها . فإذا كـانت طبيعة الجسم مـدعومـة بأحـوال الكواكب والقمر ، ولهـا كفاءة للدفـاع عن نفسها بـطرد الرطـوبات الفـاسدة بواسطة البول والبراز والعرق والرعاف وما إلى ذلك من وسائـل الإستفراغ ، آل أمر المريض إلى تحسين حاله . أما إذا عجز الجسم عن الدفاع عن نفسه بالطريقة المذكورة ، فإن الرطوبات الفاسـدة تصل إلى التجـاويف الموجـودة خلف الأذنين وتحت الإبطين وفي المغابن ، وقد تتحلل المواد السـامة التي تتجمع في هذه المواضع إذا كانت لا تزال هنـاك ثمة حـرارة غريـزية تقـاوم مسرى الوباء . وإذا انتقلت الأخلاط العفنـة إلى الرئـة ذات البنية المخلخلة والضعيفة في وسائل دفاعها ، فتظهر منها علائم الإلتهابات الرئوية كـالبصاق الدموي وأمثاله ، والهلاك حينئذ متوقع في أكثر الحالات) ونلاحظ الدقة في الوصف والتسلسل التشريحي في دورة هذا المرض مما يتفق تمام الإتفاق مع ما نعرفه اليوم عن باثولوجية الطاعون ونوعية الدملي والرئوي . وتظهر البراعة السلوكية لدى ابن الخطيب في هذا الباب حين يصر أمام رجال الدين على أن هذا الوباء ينتقل بالعدوى . ويعزز رأيه بأمثلة تعتمد على المشاهدة ، وتكرار الأحداث المتماثلة في المسكن الواحد ، أو من يزور هذا المسكن . بينما لا يشـاهد مثـل ذلك في الأمـاكن المنعزلـة التي لم يدخلهـا المصـابـون بهـذا الداء[60] .

(60) Ibid, P. 93 - 94.

العلوم الجراحية والتخدير

تبحث العلوم الجراحية في الأمراض التي تعالج باليد لا بالأدوية ، حين تحتاج إلى عمليات جراحية بالبط والشق والقطع والجبر والخياطة وما إلى ذلك وكانت تجارب الأطباء العرب بالعمليات الجراحية قليلة بالنسبة إلى توسعهم في ممارسة الطب الباطني ، والمعالجات فيه بالحمية والتغذية والأدوية . والطب الباطني بأي حال أهم من إختصاصات الطب الأخرى . ومن يختص به يتقدم على غيره من الممارسين ، ويكن دوماً أول طبيب يعوده المريض . وعلى هذا الأساس كثر الأطباء في الطب الباطني ، وقل الجراحون تبعاً لذلك .

ويسمى العلاج باليد ، العلاج بالحديد أيضاً ، أي بآلات الحديد ، ويطبق إذا فشل العلاج بالأدوية . وقد يطبق قبل تجربة التداوي بالأدوية حين يعرف الطبيب المعالج أن الأدوية لا فائدة ترجى من إستعمالها . وينطبق هذا الإحتمال على أكثر الأورام غير الإلتهابية .

وقد أشار كثير من الأطباء العرب إلى ضرورة معرفة تشريح الجسم لمن يعمل بالطب الجراحي ، وأدخله قسم منهم في المواد الإمتحانية المهمة ، ومن يرسب فيه فلا يشفع نجاحه في المواضيع السريرية عند الإمتحان . وقال الزهراوي أن من يريد أن يعمل في الجراحة فعليه أن يدرس أولاً كتب التشريح ويعرف عضلات الجسم وعظامه ، وأربطته ، وأعصابه ، وأوعيته الدموية ، والعلاقة فيما بين كل واحدة من هذه الأعضاء . وربما كان

الزهراوي أول من التفت من الأطباء العرب إلى الطب الجراحي كموضوع له مكانة واسعة في التداوي وواحد من الإختصاصات الطبية المهمة . وكان في المشرق الإسلامي جراح يعاصر وينافس الزهراوي في الشهرة والمكانة بالعلوم الجراحية ، والأولوية في هذا الإختصاص ذلك هو علي بن العباس المجوسي المتوفي سنة 384 هـ/ 994 م . ولكل من هذين النـدّين كتاب واحد هو أساس شهرته . وكتاب المجوسي هو : كامل الصناعة الطبية أو الكتاب الملكي ، وكتاب الزهراوي هو التصريف لمن عجز عن التأليف . وقد لعب كل واحد من الكتابين دوراً مهماً في تحويل الأطباء العرب إلى إستخدام الجراحة في علاج بعض الأمراض . كما لعب دوراً خطيراً في مدارس الطب بأوروبا عندما وصلتهم الكتب العربية . وقد نجح الزهراوي وأبو الحكم الكرماني في إبراز فضائل الجراحة في المغرب مثلما نجح المجوسي وابن النفيس في المشرق . وكان أهم مؤلفات هذا الطبيب الأخير كتاب شرح تشريح القانون لابن سينا ، الذي يدل مضمونه على شديد اهتمام ابن النفيس بموضوع التشريح . وعاصر ابن النفيس طبيب سوري هو الآخر لم يهتم إلا بالمواضيع الجراحية ، ولم يؤلف إلا بها . ذلك هو ابن القف الكركي صاحب كتاب العمدة في صناعة الجراح الذي يمكن أن يعتبر كتاباً مدرسياً مثالياً للإختصار غير المخل في كتابة مواضيعه ضمن الإختصاص الذي لم يبتعد عنه المؤلف .

وعندما نتكلم عن الجراحة في الطب يطرق البال ثلاث تساؤلات .

1 ـ هل استعمل الأطباء العرب التخدير ؟ وما هي المواد المخدرة التي استعملت في هذا المجال ؟

2 ـ وماذا عن النظافة ، ولا نقول عن التعقيم ، في العمليات الجراحية ؟

3 ـ وما هو مصير المريض الذي يحتاج إلى معالجة جراحية بعملية كبرى ؟ وما هي العمليات التي كانوا يمارسونها من هذا الصنف ؟

إن غالبية العمليات الجراحية التي مارسها العرب كانت قريبة من سطح

الجسم لا في أعماقه . وكانت تتم على الأكثر من غير تخدير . ولا خيار للمريض في هذه الحالة إلا أن يتحمل آلام الكلي والفصد وقلع السن ، والختان ، وفتح الخراج وأمثالها . وربما كانوا يستعملون في هذه العمليات دواء يسبب الخدر لا قطع الحس بالألم . وآلام العمليات المذكورة بأي حال محتملة على الأكثر . والإنسان منذ أقدم أيامه الأولى يتحايل على تخفيف الألم بالعض على أصبعه بشدة ، ليلهو ولو مؤقتاً ، بهذا الألم الطارىء . ويروى أن عروة بن الزبير بن العوام المتوفي سنة 85 هـ/ 704 م أصابت قدمه آكلة (غانغرينا ؟) فقطعها أحد الأطباء دون أن يتناول عروة مخدراً يخفف ألم هذه العملية القاسية[1] . لأنه رأى أن ذلك اليق برجولته العالية ، وأكثر دلالة على إحتماله للشدائد .

وقد اكتشف الأعراب بعض الحشائش المخدرة بمحضى الصدفة ، وصاروا يمضغونها للإسترخاء وطلب السبات . وكان من هذه عشبة البنج[2]

---

(1) ابن قتيبة ـ المعارف ص 22 ، الأبشيهي ـ المستظرف 2/ 288 .

(2) البنج ـ عشبة عرفتها أقدم الشعوب التي استعملت الأعشاب في تداوي الأمراض ، ويرد ملفوظ (البنج) في التراثيات الطبية والأدبية بصيغتي الاسم والفعل ، واسم الفاعل أيضاً (بتشديد النون) . أما المصادر الأجنبية فتذكره بصيغة الاسم فقط ولأن هذه المادة الطبية كانت في العصور الإسلامية من أكثر المواد إستعمالاً في إيقاف الألم وقطع الحس وإثارة السبات الذي تتطلبه بعض الحالات المرضية أو العمليات الجراحية ، فمن المستحسن أن نتكلم عنها بقدر من التفصيل .

كلمة البنج سنسكريتية الأصل Bhanga وحورها الفرس إلى بنك (بالكاف الفارسية) وهي المادة التي تقطع الحس وتجلب السبات . ثم عرفها اليونانيون باسم Hyocyamus كما عرفها الرومان بنفس الاسم إلا بتحوير يسير . قال فيها ديوسقريدوس أنها الأسقواميس ، وهي نبت له قضبان غلاظ وورق عراض مشققة الأطراف وعليها زغب وثمرها يشبه الجلنار ، ويحمل بزوراً شبيهة ببزر الخشخاش . والبزر الأبيض منه هو الأفضل والأسلم ، ويليه الأحمر في الإستعمال . أما البزر الأسود فلا يستعمل لشروره الكثيرة . وعصارة البنج أجود وأشد تسكيناً للأوجاع من صبغته وقد أضحى نص ديوسقريدوس في البنج مصدراً لكل من كتب بعده عن هذه المادة الطبية ، فلم يذكر جالينوس عن البنج في كتابه مفردات الأدوية إلا مختصراً لما قرأه في النص المذكور . فقال أن البنج مخدر ويسكن الأوجاع . وربما كان البيروني أول من ذكر البنج =

التي صار يطلق اسمها على كل ما يفعلَ مفعولها على الحس في الجسم كالزوان[3] والأفيون .

ويروي الهمداني بإختصار شديد حادثاً استعملت فيه (قطايف) مبنِّجة فنام من أكل منها[4] وقول الهمداني مبنجّة ولم يقل مخدرة يجعل الفرق واضحاً بين البنج الذي يسبب النوم وقطع الحس ، وبين التخدير الذي يسبب الخدر ولكنه لا يقطع الحس ولا يسبب النوم أيضاً . كما استعمل الأطباء العرب الأفيون والقنب الهندي (الحشيشة) لنفس الغرض . وربما وصلت

= من الكتاب العرب ، وأطلق عليه اسم شحروتا (شوخرونا) الذي ينطق به السريان . ومن هذا الإسم اشتق العرب لفظ السوكران والشوكران . والشوكران أو السوكران بأي حال غير البنج ، وقد استعملا خطأ بمعنى البنج في أسبانيا وإيران وبعض الأقطار العربية .

وذكر ابن سينا عشبة باسم (بنك) وقال أنها تنبت في الهند ، وهي تشوش الفكر وتخلط العقل . ثم تكلم عن عشية (البنج) وقال أن عصارتها تستعمل بدل الأفيون لتسكين الأوجاع . وربما كان (البنك) ليس إلا نفس عشبة البنج بهذا الاسم المطور . أما ابن القف في كتابه العمدة ، فيفاجأنا بطريقة جديدة في استعمال البنج ، قال أنه مخدر ومنوم شماً وضماداً على الجبين عن طريق الشم ، وهذا ما يجعلنا نفكر فيما قرأناه في كتابِ ألف ليلة وليلة (2/132) عن مادة مرقدة تعطي بطريق الإستنشاق ، ما يدفعنا هذا الأمر إلى أن نصدق بما قاله البحاثة المستشرقون في إستعمال العرب للأسفنجة المنومة (Campbell 1/127) بالرغم من أننا لم نقف على معلومات تفصيلية في تراثياتنا الطبية عن طريقة ومجال استعمال هذا الأسلوب من التخدير . (اقرأ عن البنج في القانون لابن سينا 1/229 ، والمختارات لابن هبل البغدادي 2/40 ، والمخصص لابن سيده 12/162 ، وتاج العروس للزبيدي 2/10 والموسوعة في علوم الطبيعة لأدوار غالب 1/167 ، وتكملة المعاجم العربية لدوزي بتحقيق النعيمي 1/446 ، والألفاظ الفارسية المعربة ص 27 ، والقول المقتصب لسرور ص 26 ، ودائرة المعارف الإسلامية 4/198 ـ 199 ، والمعتمد في الأدوية المفردة للملك يوسف بن عمر الغساني 36 ـ 37) .

(3) الزوان ـ عشبة تنمو مع الحنطة ، وتسمى أيضا الدمثة والشيلم . وحبتهما تسرك (ابن البيطار 2/174) .

(4) الهمداني ـ محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد وكنيته أبو الحسن . من كبار المؤرخين العرب . نشأ في بغداد وتوفي فيها سنة 521 هـ / 1127 م وله تأليف كثيرة منها : الذيل على تاريخ ابن جرير الطبري . وفي هذا الكتاب ذكر المؤلف حكاية القطايف المبنجة (ص 131) .

هذه المبنجات إلى العرب من الفرس أو الهنود ، وقد شاع استعمالها بين عامة الناس وصاروا يستعملونها لكل أنواع الألم ، وللأرق ، ولإيقاف بكاء الأطفال دون أن يستشيروا طبيباً بهذا الخصوص .

واستعمل الفصادون زيت الطيب يمسحون به موضع الفصد لتنظيف الجلد إضافة إلى أنه يخفف من ألم ضربة المشرط[5] .

أما عن تخدير عموم الجسم بطريقة الإستنشاق الذي تستلزمه العمليات الجراحية الكبرى ، فليس في المصادر المعتمدة ما يفيد صراحة أن الأطباء العرب قد عرفوا هذه الطريقة في التخدير ، سوى إشارتين تحتاجان إلى مزيد من التحقيق والإستقصاء أولاهما ما ذكره مؤلفو كتاب ألف ليلة وليلة[6] في قصة الجارية تودد عن إستعمال هذا النوع من التخدير . والثانية ما ذكره المؤرخون الأوروبيون من أن ثيودريك البولوني (1206 ـ 1298 م) قد استعمل ما سميت بالأسفنجة المنومة Saporific Sponge لتخدير المريض على طاولة العمليات ، وأن ثيودريك كان يغرق أسفنجة في محلول عطري مخدر ثم يجففها ويضعها على أنف وفم المريض الذي يريد تخديره . وتذكر تلك المصادر أن ثيودريك حصل على تركيب ذلك المحلول العطري المخدر من العرب[7] .

---

(5) ابن الأخوة ـ معالم القربة ص 161 .

(6) ألف ليلة وليلة ـ مجموعة قصص عربية مجهولة المؤلف أو المؤلفين ، تدور أحداثها في العواصم الإسلامية لا سيما في بغداد والقاهرة . وتروى هذه القصص على لسان جارية اسمها شهرزاد لتسلية ملك مستبد يتلهى بقتل عرائسه اسمه شهريار . وأكثر الإحتمال أن هذا الكتاب ليس لمؤلف واحد . وفي قصة الجارية تودد (إحدى قصص الكتاب) إشارات إلى الحياة الإجتماعية والصحية في بغداد وما يجب أن يكون عليه الطبيب من معرفة في علم النجوم والموسيقى ، ولعب الشطرنج ، والرياضة وما إلى ذلك ، بالإضافة إلى الطب . ترجم الكتاب إلى كثير من اللغات الحية كالفرنسية ، والألمانية والروسية ، وطبع بالقاهرة بصيغته العربية سنة 1865 . وله طبعات أخرى لا يعتمد عليها .

(7) Campbell Arabian Medicine, 1/56.

أما التعقيم بمعناه العصري فطبيعي أن لا يكون العرب قد عرفوا عنه شيئاً . إذ لم تكتشف هذه الطريقة إلا في مطلع هذا القرن . على أن الجراح العربي كان يهتم بنظافة ثيابه وتقليم أظافره ، وغسل يديه بالسدر والماء ، وبنظافة المكان الذي تجري فيه العملية وتبخيره بالدخان . ومن المتوقع جداً أن تكون إلتهابات الجروح ، من الإختلاطات المألوفة بعد العمليات الجراحية أياً كانت أنواعها ودرجاتها .

العمليات الجراحية التي مارسها العرب

مارس الأطباء العرب كثيراً من العمليات الجراحية غير البسيطة ، كبتر الأطراف ، وفتح المثانة والإحليل لرفع الحصى منهما ، وفتح القصبة الهوائية وتعمير ذات الدم ، وقطع الخنازير ، والبواسير ، وعمليات الولادة العسرة ، وعملية (السطو) لحالات إسقاط الجنين الحشيش وعملية (الخشعة) للجنين الحي بفتح بطن الحامل لحظة وفاتها[8] ، وعمليات كسور العظام . كما مارسوا كثيراً من الجراحة الطارئة ، وأدركوا بالتجربة أن الطارىء الذي يصيب القلب أو الكبد أو الدماغ لا يرجى من علاجه شفاء ، وكذلك الأمر في حالة السرطان .

أما عمليات فتح البطن على أورام الأعضاء الباطنة ، وإزالة الإنسداد المعوي فلم يمارسها الأطباء العرب .

الأدوات الجراحية

لم تصلنا عينات من الأدوات الجراحية التي استعملت في العمليات لنعرف شكلها ، والمواد التي صنعت منها . وفي تصورنا أنها كانت معمولة من الخشب الصلب أو الأبانوس أو بعض المعادن وصور بعضا التي وجدت بكتاب التصريف للزهراوي تشمل أنواع المباضع والمناشير ، والمقاصيص ومخاريط الزوائد اللحمية ، وأدوات الكوي ، والمقادح والمسابر ، والصنانير

---

(8) لسان العرب ـ مادة خشع .

وغير ذلك مما يحتاجه الجراح في الشق والبط وسد الجروح وفي كتاب دعوة الأطباء لابن بطلان (ص 33 ـ 34) أسماء آلات جراحية أخرى وقد وجدت بعض الأدوات الجراحية التي استعملها المسلمون في الفسطاط (هنري عوض ـ مجلة كلية الآداب ، يناير 1976 من 60 ، 77 . 79) . ونذكر فيما يلي بعض العمليات الشائعة يومذاك ، مفضلين نقل أصل نصوصها التراثية لما فيها من دقة الوصف وجمال التعبير .

1 ـ الختان[9]

مارس العرب الختان في الجاهلية ، وقد يكون انحدر إليهم من اليهود . وهو عند المسلمين الأحناف سنة وليس واجبا[10] ، ومع ذلك كان يعتبر علامة تدل على دين الشخص . كما اعتبرت عمليته اشهاراً للشخص بدخوله الإسلام[11] ولهذا كان يمارس الختان على الصبي والفتاة على السواء[12] إلا أنه كان على الذكور أعم . ومن الخاتنات المعروفات حتى عهد الرسول ﷺ أم عطية الأنصارية[13] .

---

(9) الختان ـ هو قطع قلفة الصبي . ويرجع تأريخ هذه العملية إلى أقدم العصور . فقد مارسه المصريون القدماء ، واليهود واليونانيون . كما مارسه العرب في العصور الجاهلية وربما انحدرت هذه العادة إليهم من اليهود أو المصريين . ولسنا متأكدين من أن البابليين قد مارسوه لنجعلهم أول ما مارسها من العرب . ويعرف الختان في مصر والسودان حالياً بالطهارة الفرعونية ، ويمارسونه على البنات كما يمارسونه على الأولاد . وفي كتاب البخاري أن النبي إبراهيم (ع) ختن وعمره سنتان . وكان يختن الصبي في تركيا في حضرة إمام المسجد ، وربما قصد بذلك ليشهر إسلام الصبي . وفي جاوة يلبسون الصبي الملابس العربية عند إجراء عملية الختان (عطية الله ـ القاموس الإسلامي 2/217) .

(10) عطية الله ـ القاموس الإسلامي 2/217 .

(11) المصدر السابق .

(12) ابن الأخوة ـ معالم القربة ص 164 .

(13) أم عطية الأنصارية ـ واسمها نسيبة بنت كعب الأنصارية . من فضليات نساء الصحابة . وكانت تشارك المسلمين في محاربة المشركين ، وعملت في تمريض جرحاهم ، وفي ختن الفتيات (ابن الأخوة ـ معالم القربة ص 164 وأعلام النساء لكحالة 5/171 عن ابن حجر في الاصابة) .

ثم صارت عملية الختان من اختصاص الفصادين[14] ، كما كان الحلاقون يمارسونها أيضاً . وتستعمل الموسى في هذه العملية ويحذرون فيها من بذح الحشفة فتسبب نزفاً دموياً مميتاً يقاضي عليه الخاتن أمام المحتسب[15] . كما يفضل إجراء عملية الختان في الفصول الحارة لا الباردة .

2 ـ البواسير[16]

(تكون البواسير إما داخلية شبيهة بحبات العنب ، واحدة أو أكثر في العدد . وإما خارجية على حافة المقعد . وتكون بلون الجلد وتسبب النزف) .

(ويفحص المريض بالبواسير الداخلية بعد أن يتغوط . ثم يطلب منه أن يدفع نفسه إلى داخل لتسقط البواسير إلى خارج ، حين ذلك تمسك بصنارة وتقطع جذورها وإذا صعب المسك عليها بالأصبع فتستعمل قطعة من القماش الخشن للقبض عليها . وبعد قطع الناسور يذر على مكانها من المواد المانعة للنزيف ، أو يكوي مكان جذورها ، ثم يتابع اندمالها بعد ذلك[17]) .

(وعلاج البواسير الخارجية أسهل من معالجة البواسير الأخرى ، لأنها أقرب إلى يد الجراح . وتجري العملية ذاتها التي تستعمل للبواسير الداخلية . أما إذا رفض المريض إجراء عملية القطع والكلي ، فتسحب الباسورة إلى الخارج وتربط بخيط قوي في قاعدتها مستعملاً الإبرة لينفذ الخيط في الباسورة ويثبت . وهكذا يعمل في البواسير الأخرى عدا واحدة

---

(14) ابن الأخوة ص 164 .

(15) المصدر السابق .

(16) اقرأ عن البواسير في الملكي للمجوسي 2/482 والقانون لابن سينا 2/469 ـ 488 ، والعمدة لابن القف 2/219 .

(17) الزهراوي ـ التصريف (التيمورية) ص 131 ـ 132 والملكي 2/219 .

تترك لنزول الدم وتخفيف الإحتقان ويستريح المريض بعد العملية أياماً حتى تسقط البواسير من ذاتها ثم يعالج موضعها بالدهوانات) .

وذكر ابن القف ، وهو جراح عاش في سوريا بعد ما يقارب القرنين من حياة الزهراوي ، أن لمعالجة البواسير ثلاثة أنواع من العمليات : الأولى بالخزم ، وهي إدخال خيط من الإبريسم بواسطة إبرة إلى داخل قاعدة الباسور ثم يلف الخيط حول أصله ويربط ربطاً وثيقاً . وهذه هي الطريقة التي ذكرها الزهراوي . وثانيها أن يلف خيط الإبريسم على أصل الناسور ثلاث أو أربع مرات ، ثم يشد بعد ذلك بإعتدال ويترك يوماً وليلة ثم يحل الشد ويربط مرة أخرى أقوى من الربط الأول ، ويترك يوماً وليلة وهكذا حتى تسقط الباسورة . أما ثالث أنواع عمليات الباسور فبالقطع وقد مر ذكر ذلك .

3 ـ جراحات المراق واندلاق الثرب والمعي

في هذه الحالات الجراحية قال المجوسي : (إن كان قد نال الموضوع ورم وإنتفاخ ، فضمد الموضع بشراب أسود قابض مسخن حتى يذهب الورم والنفخ ، فإن لم تجد هذا الشراب قبل ، أغمس أسفنجة بماء حار وضمد بها المعي والثرب ، فإن النفخ يذهب . وتعالج الورم بما يسكن . فإذا فعلت ذلك فأكبس الثرب والمعي إلى داخل . فإن كان الهواء بارداً فينبغي أن تدخل العليل الحمام وتعلقه بيديه ورجليه حتى ينحدب ظهره إلى أسفل . وإن لم يكن دخول الحمّام ، فليمرخ الموضع بدهن بنفسج وشمع ، ثم رم إدخال المعي والثرب ، فإن لم يدخل ذلك وكان قد بقي من النفخ بقية فينبغي أن تزيد في الشق وتوسعه قليلاً بمقدار ما يدخل المعي والثرب . . واعلم أنك متى لم تدخل المعي والثرب من يومه فإنه يخضر ويسود ، فينبغي أن تقطع ما قد أخضر وأسود منه بعد أن تربط العروق والشرايين التي فيه بخيط إبريسم دقيق على ما وصفت لك في رباط الشريان الذي في الإصداع وغيره . ثم تقطع ما تريد قطعه . وأدخل الباقي إلى داخل . ثم خيط مراق البطن بخيط معتدل فيما بين الصلابة واللين فإن الخيط الشديد الصلابة ربما خرق الجلد

الشديد فينقطع . . . ولا تكن الغرز قريبة من حافة الجرح فينخرم ، ولا بعيدة من حافته فيمتنع من إنضمام الشفتين . وأن تغرز الإبرة من خارج الجلد في العضلة التي على المراق في الصفاق من أجل العضلة ثم تخرج الإبـرة إلى خارج ، ثم تعد الخيط وتعقده ثم تقطعه ثم تغرز الإبرة في موضع آخر قريباً من ذلك وتفعل مثل ذلك إلى أن تأتي على الجرح كافة . وتذر على الجرح الـذرور الأصفر وتشـدّه بالـرفائـد أياماً حتى يعد ، فـإذا أعدّ فـألزمـه مـرهـم الباسليقون ، وأقطع الخيوط إذا علمت أنه قد التحم . . . ويجب أن تعلم أن الجراحة إذا وقعت بالإمعاء الغـلاظ كانت أسهـل برء ، وإذا وقعت بـالإمعاء الدقاق كانت عسيرة . فأما المعي المسمى بالصائم فلا برء له البتة ، لكثـرة العروق والشرايين الكبار التي فيه ، ولدقته ، وكثرة العصب الذي فيه ، ولأنه أقرب إلى الكبد من جميع الإمعاء . وما كان من أجزاء المعدة السفليـة فقد يمكن برؤها . وينجب فيهـا العلاج لشيئين أحـدهما لأنهـا أغلظ والثاني لأن الأدوية التي تعالج بها تصير إلى جميع أجزائها وتنبث فيها[18]) .

4 ـ السرطان[19]

قال المجوس :

(هذا المرض يتولد من المرة السوداء . وهو مرض إذا استحكم وعظم لم يمكن فيه العلاج ولا يكاد يبرأ . وقد يستعمل فيه القطع بالحديد إذا كان في عضو يمكن استئصاله وقطعه حتى لا يبقى شيء من أصله . فإذا لم يكن فيه ذلك وعولج بالحديد ، تقرح وانقلبت له شفاه وجنبية ، ولا يكاد يندمل ، ويكون لذلك مخاطر من جود أحدها أنه ربما كان في العضو شرايين وعروق كبار فيعرض من ذلك نزف حتى يخاف على العليل . وإن ربطنا تلك العروق والشرايين نالت الأفة الأعضاء الشريفة التي منها تنشأ هذه العروق والشرايين .

---

(18) اقرأ عن جراحات المراق في الملكي 2/482 .

(19) اقرأ عن السرطـان في الملكي 2/190 ، والعمـدة 2/145 والتصـريف للزهـراوي ص 91 والياقوتة الهارونية لابن الحكم الدمشقي (مخوط) .

وأيضاً فإنه لا يمكن أن يكون أصل ذلك العضو .) واستطرد المجوس قائلاً :

(. . فإن كان العليل ممن يحتمل إخراج الدم فأفصده من القيفال ، وأخرج له من الدم بمقدار ما تحتمله القوة والسن والزمان ، وعلى قدر كيفية الدم ، يعني إذا كان الدم أسود فأستكثر من استخراجه ، وإن كان أحمر فقلل وأسهل الطبيعة بماء الفاكهة أو بماء اللبلاب وغذه بلحوم الطير . .) .

أما ابن القف فقال في السرطان :

(هو ورم متقرح له أرجل شبيهة بأرجل السرطان . وذلك لإمتلاء العروق المتصلة بمحل الورم . . . والفرق بينه وبين الصلابة من وجوه أربعة ، وهي أن السرطان ورم تتصل به عروق ممتلئة من مادة سوداوية ، أما الصلابة فليس لها ذلك . وثانيهما أن الصلابة هادئة ساكنة ، وثالثها أن السرطان متقرح أما الصلابة فغير متقرحة . وأكثر حدوث السرطان في النساء[20] .

وفي علاج السرطان يمنع المريض من تناول ما يولد السوداء ، كالعدس والكرنب ، ولحم كبير الماعز والبقر . وتستعمل له من الأدوية : عرق السوس وبذر الخس وبذر الخبازي ، ولسان الثور بنسب خاصة ، وتؤخذ طبيخاً .

المضاعفات بعد العمليات عامة

يتعرض المريض بعد العملية إلى مضاعفات مرضية تصيب موضع العملية أو تصيب عضواً آخر من الجسم كالمعدة أو الرئة أو الدم . وأكثر وأخطر تلك المضاعفات : (1) النزف الدموي أثناء العملية أو بعدها . (2) انتان جروح العملية . ومنذ أقدم عصور الطب الجراحي وحتى هذا اليوم تحتل هاتان المضاعفات صدر قائمة المضاعفات الأخرى الكثيرة التي تعقب العمليات الجراحية .

---

(20) العمدة 1/154 .

وقد عالج الأطباء العرب النزف بحسب مقداره ، ومصدره من الشرايين أو الأوردة ، وحجم هذه العروق ، وعمق موضعها من سطح الجسم .

فإذا كان النزف يسيراً فتلطخ منطقته بالأدوية الحابسة للدم كالجبسين والنشا والصموغ والكندر والراتنج وأمثالها[21] . أو تبرد المنطقة تبريداً شديداً[22] .

فإذا كان العرق النازف صغيراً ، وموضعه عميقاً في الأنسجة فيقطع عرضاً لينسحب طرفاه بفعل التقلص الذي ينتاب جدرانه ، فتكسوه الأنسجة بفعل الإندمال[23] .

وفي حالة كون العرق كبير فتسد فوهته بلفّافة من وبر الأرنب أو نسيج العنكبوت أو رقيق القطن ، أو خرق الكتان البالية ، وتذر عليها الأدوية التي تمنع انحدار الدمّ . ويشد العضو شداً محكماً برفائد . وتسمى هذه الطريقة لتوقيف النزف : عملية الردم[24] .

ويفرق ابن سينا بين النزف الشرياني والنزف الوريدي فيعالج الحالة الأولى بربط الشريان من جهة القلب ، وهو الطرف الذي ينحدر منه الدم . وقد يضطر الجراح إلى إخراج العرق النازف ، شرياناً كان أم وريداً ، بصنارة خاصة ، ويعصبه .

وقد لا يتوقف النزف إلا بكي المنطقة بالأدوية الكاوية مثل النورة والزاجات . أو تعصب بضماد كاوي من وبر الأرنب المشبّع ببياض البيض والنورة[25] . كما يستعمل الكي لمعالجة النزف بالحديد المحمى ، ونسوق

---

(21) ابن سينا ـ القانون في الطب 3/166 .
(22) المصدر السابق 3/166 ـ 168 .
(23) المصدر السابق 3/162 .
(24) المصدر السابق 3/167 .
(25) الزهراوي (حيدر آباد ص 35 ـ 36) .

فيما يلي ما كتبه الزهراوي في هذا الموضوع كمثال للوصف الدقيق لتقنية العمليات التي يكتبها الجراحون العرب ، إضافة إلى طريقة الزهراوي الخاصة في إجراء هذا العلاج .

(وكثيراً ما يحدث نزف الدم من شريان قد انقطع عند جرح يعرض من خارج ، أو عند شق ورم أو كي عضو ونحو ذلك فيعسر قطعه . فإذا حدث لأحد ذلك ، فأسرع بيدك إلى فم الشريان وتضع عليه أصبعك السبابة وشده نعماً حتى ينحصر الدم تحت أصبعك ولا يخرج منه شيء . ثم تضع في النار مكاوياً زيتونية صغاراً وكباراً عدة . . وتنفخ عليها وتصير حامية جداً . ثم تأخذ منها واحدة إما صغيرة أو كبيرة على حسب الجرح والموضع الذي انفتح منه الشريان . ويترك المكواة على نفس العرق بعد أن ينزع أصبعك بالعجلة ، وتمسك المكواة حتى ينقطع الدم . فإن اندفع عند رفعك الأصبع من فم الشريان بالمكواة ، فخذ مكوى أخرى بالعجلة من المكاوي التي في النار المعدة ولا تزال تفعل ذلك واحدة بعد واحدة حتى يقطع الدم . وتحفّظ أن لا تحرق عصباً يكون هناك فيحدث على المريض بلية أخرى .

واعلم أن الشريان إذا نزف منه الدم فإنه لا يستطاع قطعه ولا سيما إذا كان الشريان عظيماً إلا بأربعة أوجه ، أما بالكي كما قلنا ، وأما ببتره إذا لم يكن قد انبتر ، فإنه إذا بتر تقلصت طرفاه وانقطع الدم . وأما أن يربط بالخيوط ربطاً وثيقاً . وأما أن توضع عليه الأدوية التي من شأنها قطع الدم ، الخ)[26] .

أما أنتان الجروح فكثيرة الحدوث كما هو متوقع ، إذ لم تكن وسائل التعقيم معروفة يومئذ ، فتتقيحّ الأنسجة وتنسلخ الخيوط من حافات الجروح فتؤل الحالة إلى ضرر على الجسم أو خطورة على الحياة .

---

(26) المصدر السابق .

الأمراض العصبية والنفسية

عرفت الأمراض العصبية والنفسية منذ أقدم الأزمان ، وبقت مدة طويلة في نـطر الناس على أنهـا من أعمال الجن ، وعـولجت على ذلك الأسـاس بتجويع المريض وتعذيبه وعزلـه عن المجتمع لينفـر الجن من هذه المعـاملة القاسية فيخـرج من رأس المريض . وربمـا كانت عمليـة التربنـة في قحف الـرأس التي مارسهـا الإنسان القـديم ، إحدى تلك العـلاجـات الغـريبـة . وتحسنت طرق العلاج بمرور الزمن . ولما جاء الأطباء العرب صاروا يدبرون حال المريض بمرض عقلي مثلما يعالجون أي مريض آخر بالراحة والرياضة والمـوسيقى ، والأدويـة المهـدئـة ، وبكـل مـا يـريـح النفس والأعصـاب ، وخصصوا لهم حجرات تتوفر فيهـا الراحـة والهدوء ، وقـاعات لـلإستيناس ، ويشرف عليهم خدم تدربوا على مداراة المصابين بهذه الأمراض[1] .

وقـد أيقن الأطبـاء العـرب من تـأثيـر المـوسيقى على نفس الإنسـان وأعصـابه ، وفـائدتهـا في الأمراض العقليـة ، فكتب ابن ماسـويـه في هـذا المـوضـوع كمـا كتب فيـه أيضـاً ابن الهيثم ، وإسحق بن عمـران وأخـرون كثيرون . ولأبي البركات هبة الله بن ملكـا رسالـة في صميم هذا المـوضوع بعنوان ، في العقل وماهيته[1] وربما كان القطرب ، وألمانيا ، والمالينخـوليا من أكثر الأمراض النفسية الشائعة يومذاك[2] .

---

(1) ابن أبي أصيبعة ـ عيون الأنباء ص 376 .

(2) في الجـزء الأول من كتاب الحـاوي للرازي ـ معلومات تـطبيقيـة غـزيـرة عن هـذه الأمـراض . وكـذلك في القـانون لابن سينـا عن القـطرب 2/71 ، والصـرع 2/76 ، والكـزاز 2/100 ، والقوة 2/103 والرعشة 2/105 .

كان للأطباء العرب باع طويلة في هذا الإختصاص الطبي من الوجهتين النظرية والتطبيقية . وفي التراثيات الطبية والأدبيـة عدد من قصص الأمـراض النفسية التي تظهر بها براعة الأطباء العرب وإبداعاتهم في تشخيص ومعالجة هذه الأمراض .

ولا شك أن نجاح الأطباء في معالجة المرضى بتلك القصص كان أحد أسباب الشهرة الـواسعة التي امتلكهـا الأطباء العـرب بحق . وقد سبق ذكـر حكاية محظية هارون الرشيد التي بقيت يدها مبسوطة فلا تستطيع ردهـا إلى مكـانها ، فـاكتشف جبرائيـل بن بختيشوع أن مـرضهـا نفسي لا جسمـاني ، فعالجها على هذا الأساس بنجاح[3] .

وروي أن ابن سينا عالج مريضاً من أعزة بني بـويه ، كـان يعتقد أنـه (بقرة) ويطلب من ذويه بإلحاح أن يذبحوه فانقطع عن الأكل لأنهم رفضوا أن يفعلوا ذلك . فضعف كثيراً وأقلق الأهل والجيران بخواره وصراخه . وطلب أهله أن يتولى ابن سينا أمره . فأرسل إليه من يخبره بأنه قادم ليذبحه حسب طلبـه . ولما حضـر ابن سينا وفي يـده السكين ، أمر بـربط يدي المـريض ورجليـه ، وطرحـه على الأرض لذبحـه . ولما هم ابن سينـا بالـذبح جسَّ عضـلات المـريض جسـاً دقيقـاً ، ثم التفت إلى أهله وقـال لهم بصـوت جهـوري : (أن البقرة ضعيفـة جـداً ويجب تسمينهـا قبـل ذبحهـا . فـأخـذ المريض من تلك الساعة يأكل بشهية زائـدة ليسمن . فقوي جسمـه ، وترك وهمه وشفي تماماً[4] .

ويذكر في هـذا الباب أيضـاً أن شابـاً كان يعتقـد أنه يحمـل دنا على رأسه ، فكان يتحاشى السقوف الواطئة والأمكنة المزدحمة لئلا يـرتطم الـدن ويسقط على الأرض ، فعـالج أبـو البركـات هبـة الله بن علي بن ملكـا هـذا

---

(3) ابن أبي أصيبعة ص 188 .

(4) المسرقندي ـ جهار مقاله ص 85 ـ 86 .

الشاب بأن أمر غلاماً أن يضرب بعصى في الهواء من فوق رأس المريض ، ويأمر غلاماً آخر أن يرمي دنا وراء هذا المريض بذات الدقيقة التي ضرب بها الغلام الأول الهـواء بعصاه . ونهاية القصة معروفة[5] .

وفي الأمراض العصبية عرف العرب مرض اللقوة ، والسـدر والدوار ، والرعشة ، والشقيقة والصرع والتشنج والكزاز .

الماليخوليا[6]

الماليخوليا ، من الأمراض النفسية التي بحثها الأطباء القدماء بكثير من الإهتمام والتفصيل ، فتكلم فيها من اليونانيين روفس الأفسـي ، وسوارنـس الأفسي ، وجالينوس ، وأوريبا سيوس . ومن الأطبـاء البيزنـطيين المتأخـرين إيتيوس الأمدي ، وبولس الأجيني . كما بحث فيهـا كبار أطبـاء العرب منهم يوحنا بن ماسويه ، وثابت بن قرة ، وإسحاق بن عمران البغدادي ، وأبـو بكر الـرازي ، وعلي بن العبـاس المجـوسي ، وابن سينـا ، وعبـد اللطيـف البغدادي ، وغير هؤلاء . ويمكن الحكم للعرب على أنهم كانـوا أفضل من كتب عن الماليخوليا من الأطباء الذين سبقوهم إلى هذا الموضوع . ويعتقد بعض البحاثة أن وصف العلماء العرب لأعراض هذا المرض السريرية تفوق وضوحاً ودقة مما نقرأه عنها في بعض الكتب الحديثة .

ومصـطلح الماليخـوليا ، كمـا يقول إسحـاق بن عمران لا يعني هـذا المرض فقط ، بل يشير إلى سببه ، وهو خلط المرة السوداء Black Bile في حالة إختلافها بالكمية أو بالكيفية الفائضة عن حـاجتها الـطبيعية[7] . أي أن إسحق جعل سبب هذا المرض عضوياً لا نفسياً ، وأن أعراضه نتيجة لا سبباً

---

(5) ابن أبي أصيبعة ص 374 ـ 375 .

(6) اقرأ عن الماليخوليا في الحاوي للرازي 1/62 ، 64 ، 68 ، 68 ، 69 ، 70 ، 75 ، 80 ، 87 ـ 89 . والملكي للمجـوسي 2/264 ـ 267 ، والـقـانـون لابن سينـا 2/65 ـ 71 ، والمختارات لابن هبل 3/39 ـ 46 ، وكتاب الماليخوليا لاسحاق بن عمران تحقيق الهيلة .

(7) Ullmann-Islamic Medicine, p. 73.

لهذا المرض .

وتكون المالينخوليا إما متأصلة خلقياً أو مكتسبة . وتحدث الأولى كعلة في مني الرجل ، أو اختلال في رحم المرأة . ولكل من الحالتين تأثير على مزاج الشخص . وإذ أن الجنين يتخلق من تلاقي مني الرجل بدم الرحم (الحيض) ، فإن النوع المتأصل هو في الحقيقة النوع الخلقي أو الموروث .

ويتعرض الإنسان للمالينخوليا في الحالات الآتية[8] :

(1) إذا اعتاد الإفراط بالطعام والشراب .

(2) إذا أهمل نظافة بدنه الداخلي .

(3) إذا أخل بموازنة الأسباب الستة الإضطرارية التي هي الحركة والراحة ، والنوم والرياضة وإستفراغ الإمعاء والإمساك ، والأكل والشرب ، والشهيق والزفير . وطبع النفس . فإذا قلت مقادير طرفي هذه الأسباب عن اعتدالها سبب ذلك تراكم الفضلات فتتحول هذه إلى المرة السوداء ، وإذا زادت عن اعتدالها استهلكت رطوبته (سوائله) فيتولد منها أبخرة لا تلبث أن تتحول إلى مرة سوداء .[9]

(4) الإفراط في الأطعمة الحارة والجافة .

(5) السكن في المحلات الجافة الباردة ، أو الرطبة الباردة أو في المستنقعات .

(6) تجاهل العادة في ممارسة بعض الأمور الحياتية كأن ينقطع الشخص عن عملية الفصد التي اعتاد عليها .

(7) الإدمان على المشروبات (النبيذ وأمثاله) .

---

(8) Ibid, P. 72.

(9) المجوسي ـ الملكي 231/1 .

(8) السهر والإنقطاع عن الأكل .

والمالينخوليا من حيث آنية نشوئها ، وماهيتها وكيفيتها ، ودرجتها ، ثلاثة أنواع[10] :

(1) نوع يتكون من الدماغ مباشرة ، وسببه غير معروف ، ويصاحب بعض حالاته حمى عالية ، وتظهر أولاً في المرة الصفراء قبل تمام احتراقها ويكون المريض في هذه الحالة صبياني في كلامه وحركته . أو تكون من زيادة المرة السوداء .

(2) تزداد المرة السوداء في البدن عامة ثم تتحرك صاعدة إلى الدماغ وتستقر فيه .

(3) تكون المرة السوداء قد عمت البدن كله ، ونفذ قسم منها إلى بوابة المعدة العليا Cardiac End لتصل أبخرتها إلى الدماغ . وتكون شكوى المريض في هذه الحالة من أعراض نفسية ومعدية معاً . ولذا سمي هذا النوع من المالينخوليا (العلة الشرسوفية) . ولأن القلب قريب من فوهة المعدة العليا ، وأنه مصدر للروح الحيوانية التي تصل إلى الدماغ لتغذي فيه قوى التفكير والذاكرة والإدراك ، فإن زيادة المرة السوداء في فوهة المعدة تؤثر بشكل من الأشكال على الروح الحيوانية في القلب . وبنفس الوقت أن المرة السوداء التي تصل إلى المعدة من خلال فوهتها السفلى تعطل فعالية القوى الهاضمة وبذلك يسوء الهضم وبالتالي تزداد المالينخوليا سوءاً وهكذا دواليك[11] .

وفي أي من الأنواع الثلاثة تكون الأعراض واحدة تقريباً أو متقاربة ، فيشكو المريض من أشخاص يراقبونه ويتعقبون خطواته ، أو يريدون الفتك

---

(10) Ullmann - Islamic Medicine P. 203. عن مخطوطة كتاب المالينخوليا لاسحاق بن عمران (ميونيخ) .

(11) المجوسي 1/232 .

به . أو يعتقد أنه ليس مثل سوية الناس ، كأن يحس أنه فقد رأسه ، أو أنه معمول من خزف ، أو أنه من جنس الأبقار . وينزوي في حجرته لما فيه من الكآبة والحزن العميق بسبب هذه الإحساسات . أو يشكو من الأرق ، أو فقدان الشهية أو الصداع الشديد . وقد يظهر على وجهه البهق الأسود . أو يركبه البكاء أو الضحك بلا سبب[12] .

أما المجوسي فاعتبر المالينخوليا مرضاً في جرم الدماغ ، أو يكون في الدماغ بتأثير المرة السوداء التي في المعدة (المراقية والنافخة) . وقد تكون من المرة السوداء في الدم ، أو من إحتراق المرة الصفراء . أي أن المجوسي عزا المالينخوليا إلى إختلاف الأخلاط الثلاثة : الدم والمرتين ، دون البلغم . ويقول أن المصابين بالمالينخوليا ضعفاء البدن ، وصدورهم مشعرة ، وجلودهم نحاسية اللون ، وعيونهم غائرة ، وأفواههم ناشفة ، ونبضهم قوي ولكنه بطيء ، وأفكارهم سيئة ويثورون لأتفه الأسباب . كما يعتقد المجوسي بوجود ما يسمى القطرب أو جنون المسخ ، وهي حالة من أصناف المالينخوليا يعتقد المريض فيها أنه مسخ دنّاً أو بقرة أو غير ذلك ما سبق وذكرنا ذلك[13] .

وفي علاج المالينخوليا قال المجوسي :

(يجب أن يبادر بعلاجه قبل أن يستحكم ، فإنه سهل في الإبتداء ، صعب عند الإستحكام . . . ويجب على كل حال أن يفرح صاحبه ويطرب ويجلس في المواضع المعتدلة ، ويرطب هواء مسكنه ويطيبه بغرس الرياحين فيه . . . ويتناول الأغذية الفاضلة . . ويصب على رأسه ماء فاتراً ، ويتجنب الجماع والتعرق الشديد ، وتناول الباقلاء ، والقديد ، والعدس ، والكرنب ، والشراب الغليظ . . وإذا أردت تنويمهم فلك أن تنطلي رؤوسهم بماء الخشخاش والبابونج والأقحوان فإن النوم أوفق لعلاجهم[14] .

---

(12) المصدر السابق 1/232 .

(13) المصدر السابق 2/267 .

(14) المصدر السابق .

الأمراض النسائية والتوليد[1]

نصح النبي محمد (ص) المرضى باستشارة الأطباء . ولم يخصر النصيحة بالرجال دون النساء . ومن هذا يمكن تقدير حجم ممارسة الطب النسائي في العصور الإسلامية ، إذا علمنا أن الطبيب الرجل كان في الغالب يمارس صناعته على المرأة كما يمارسها على أبناء جنسه ، وأن حالات عسر الولادة كثيرة الحدوث فلا تنجو بسببها إمرأة متزوجة من شكوى نسائية ، فتستشير ولو بتحرّج الطبيب الرجل لمعالجتها . فإذا امتنعت المرأة ورفضت الكشف على أعضائها الأنثوية ، طلب الطبيب من إحدى القوابل أن تفحص عليها بعد أن يزودها بتعليمات عن طريقة الفحص والهدف منه[2] . وأكثر القوابل لهن هذا المران . كما كان الفحص المقعدي مألوفاً في تلك الأيام . وربما كان يعمل الطبيب كما تعمله القابلة في بعض الأحيان والحالات (الحاوي 9/4) أما في الحالات الولادية الملحّة التي تتطلب مداخلة الطبيب الفورية فلا خيار للمريض حينذاك إلا أن تستكين لكل ما يفعله الطبيب المعالج لإنقاذها من الخطورة الأنية ، فتتم عليها عملية الفحص أو عملية التوليد وهي بين الحانقة والراضية . وعن التخدير الذي يستعمل في العمليات النسائية والولادية فإن كلاً من الرازي وابن سينا والزهراوي قد ذكر

---

(1) اقرأ عن الأمراض النسائية والتوليد عند العرب في كتاب الحاوي ـ الجزء التاسع المطبوع ، ابن سينا ـ القانون 2/39 والزهراوي ـ التصريف ص 116 ، وابن القف 2/216 .

(2) الرازي ـ الحاوي 9/94 ، الزهراوي ـ التصريف . ص 13 .

استعمال (البنج) لتخفيف الحس بآلام المداخلة الجراحية[3] . كما لا يستبعد إن كانت تنجز عمليات التوليد يومذاك بدون تخدير مثلما كانت إلى وقت قريب في بغداد تمارس عمليات خياطة العجان وجرف الرحم ، والتوليد بالملقط من غير تخدير أيضاً .

واعتمد الأطباء العرب في أوائل اشتغالهم بالطب النسائي على الكتب اليونانية التي عالجت هذا الموضوع . ومن أقدم تلك الكتب ، كتاب طبيعة الجنين لأبقراط ، وكتاب المولودين لسبعة أشهر لجالينوس بترجمة حنين بن إسحاق[4] . واعتمدوا أيضاً على كتب سورانس ، وروفسن ، وأوريباسيوس وإيتوس الأمدي ، وبولس الأجيني ، وكل هؤلاء متضلعون بهذا الإختصاص . ثم أخذ العرب بزمام هذا الأمر وبدأوا ينشرون مجرباتهم فيه . وربما كان أول من كتب من العرب في الطب النسوي هو يوحنا بن ماسوية وكان كتابه بعنوان علاج النساء اللاتي لا يحبلن حتى يحبلن . وله كتاب آخر بمداراة الحامل بعنوان : لم امتنع الأطباء عن معالجة الحوامل في بعض شهور حملهن . ويعد الكتابان من المفقودات . ولعريب بن سعيد القرطبي (أواسط القرن الرابع الهجري) كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين[5] . خصص أبوابه العشرة الأولى في رعاية الحامل والماخض والنفساء[6] . ثم توالى ظهور كتب أخرى في الطب النسوي كان أبرزها ما كتبه الرازي في الجزء التاسع من كتابه الحاوي في الطب . والمجوسي في

---

(3) اقرأ عن النبج في هامش رقم (2) بموضوع الجراحة .

(4) ابن النديم ـ الفهرست ص 290 .

(5) طبع كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى لعريب بن سعيد في الجزائر سنة 1956 من قبل نور الدين عبد القادر وهنري جاهي الفرنسي .

(6) اعتمد عريب بن سعيد في كثير من نظراته في الطب الولادي على آراء أبقراط وجالينوس . حتى أنه لم يتخلص من فكرة تأثير الكواكب على الأجنة وحياتها الرحمية بالنسبة لأوقات مواليدها وحياتها بعيد الولادة (خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين ص 38 ـ 39) . ويكتب عريب بضم العين أو فتحها .

الجزء الثاني من كتابه الملكي ، وابن سينا في الجزء الثاني من كتابه القانون في الطب ، والزهراوي في كتابه التصريف . كما كتب فيه غير هؤلاء أيضاً . وليس لدينا معلومات موثقة إلى أي مدى مارس أصحاب هذه الكتب ، الجراحة الولادية والنسائية . ونحسب أن الولادات الطبيعية كانت من أعمال القوابل . ولا بد أن كان عددهن كبيراً ، إلا أننا لا نعرف هوية واحدة منهن ، ما عدا أخت الحفيد بن زهر الأشبيلي ، وهذه أيضاً لا نعرف عنها حتى اسمها الأول . ونحسب أن الزهراوي كان قد تقدم شوطاً واسعاً في عمليات الجراحة النسائية والولادية .

ونسوق فيما يلي بعض النصوص في تشريح الأعضاء الأنثوية وأمراضها التي وردت في كتب الطب العربي كمثل للأوصاف الدقيقة والجودة البارعة في التعبير والمضمون ما يجعلها قريبة جداً مما نقرأه في كتب الطب الحديثة .

تشريح الأعضاء الأنثوية

قال أبو العباس المجوسي في تشريح الأعضاء الأنثوية ، (هذه الأعضاء هي الرحم والثديان والأنثيان (المبيضان) . ونحن نبتدىء أولاً بالرحم ونبين الحال في هيئتها ووضعها وحال الجنين فيها فنقول : إن الرحم شبيهة في خلقها بخلقة المثانة لا سيما قعرها ، إلا أنها تختلف عنها في أن لها زائدتين عن جنبيها شبيهتين بالقرنين منهما تدخل العروق والشرايين التي تحمل إلى الرحم الحس والروح . والرحم في جوهرها قريب من جوهر العصب لما احتيج منه من التمدد إلى الخارج في أثناء الحبل عندما يعظم الجنين . وفي الرحم أكثر عصبانية وأزيد صلابة ، إلا أن صلابته معتدلة . . . وهو (الرحم) ذو طبقة واحدة مؤلفة من ليف مختلف الوضع ، ففيه ليف ذاهب وارباً . . . وفيه ليف ذاهب بالعرض ، لما احتيج فيه إلى قوة الدفع في وقت خروج الجنين إلى خارج . . . والرحم مربوطة بما يليها من الأعضاء بربابطات حساسة ليمكن فيها التمدد إلى كل الجهات في وقت الحمل . للرحم

تجويفان أحدهما في الجانب الأيمن والآخر في الجانب الايسر . . وفي كل واحد من التجويفين مواضع مقعرة يسيرة التقعير يقال لها النقر ، ملي بأفواه العروق التي يصير فيها دم الطمث . وهذه المواضع من الرحم خشنة وجعلت كذلك ليستمسك فيها المني وتتعلق به أجزاء من المشيمة فيكون كالرباط لها .

ومكان (المبيضين) في موضع أعلى من عنق الرحم ، ومن وراء الزائدتين المعروفتين بالقرنين . . . وبيضتا الأنثى أصغر حجماً من بيضتي الذكر وشكلهما مستدير مفرطح وجوهرها غددي . . ويتصل بكل واحدة منهما عرق غير ضارب يصير من ناحية الكليتين ويدخل في الزائدتين المعروفتين بالقرنين) .

(والرحم ليس في كل النساء متساوياً . وذلك أنها في النساء اللواتي لسن بكوامل أصغر منها في الكوامل ، وفي الحوامل أعظم ، وفي النساء اللواتي لم يحبلن قط أصغر وأكبر منها النساء اللواتي قد حبلن . . وكلما حبلت المرأة أكثر كان الرحم منها أكبر[7]) .

الولادة العسرة

قال الرازي : (يكون العسر من أجل الولادة ، أو من المشيمة أو من الأشياء التي من خارج ، وأما من أجل أن تكون سمينة ، أو صغيرة الحجم ، أو لم تلد قط . أو لأنها حارة ، أو لأن في رحمها ورم ، أو لأن رحمها ضعيف لا تقدر أن تدفع . وأما من أجل المولود ، فأن يكون خروجه قبل الزمان الذي يجب أو يكون عظيماً ، أو صغيراً جداً ، أو كبيراً الرأس ، أو له خلقة مشوشة أو ميت أو مريض ، أو لأنهم كثيرون أو لأن شكله غير طبيعي .

---

(7) المجوس الملكي 1/117 .

ولنكتب أسباب عسر الولادة في النص المتقدم بلغة إختصاص هذا اليوم لنرى كيف أننا لا نستطيع أن تضيف إلى تلك الأسباب سبباً آخر في عسر الولادة لم يذكره الرازي :

(1) (أن تكون الوالدة سمينة) : وهي السمنة المفرطة التي لها إرتباط بالهورمونات وفسلجة الطلق ، وميكانيكية الحوض .

(2) (أو صغيرة الحجم) : وهي التي يقصر طولها عن الخمسة أقدام ، إذ أن الحوض في هذه المرأة يكون صغير الأبعاد فلا يسع مرور الجنين فيه .

(3) (والتي لم تلد قط) : أي الخروص (ذات الحبل الأول) وأكثر الولادات العسرة هي فعلاً في هذه الأمهات بسبب جسمها الصلب أو نفسيتها المتوترة .

(4) (الأورام الحارة) : ويشمل هذا التعبير أورام الرحم وأورام المبيضين ، وعظام الحوض .

(5) (رحمها ضعيف لا تقدر أن تدفع) : وهي الحالة التي نسميها خذلان الرحم .

(6) (خروج الجنين قبل الزمان الذي يجب) : أي تكون ولادته مسبقة . وهي أحد أسباب الاعتلانات الشاذة التي بدورها تسبب عسر الولادة .

(7) (أو يكون عظيماً) : وعظم الجنين وتحجمه سبب مهم من أسباب العسر الولادي .

(8) (أو يكون صغيراً) : وصغر الجنين سبب آخر من أسباب شذوذ الاعتلانات .

(9) (كبير الرأس) : وبديهي أن لا يسع الحوض الطبيعي رأس الجنين المتحجم . ويكون كبر الرأس على الأكثر بسبب الإستسقاء الدماغي .

(10) (خلقة مشوهة) : ويدخل في هذا الباب الأجنة الممسوخة بأنواعها ، وإنعدام القحف ، وكبر البطن وإمتلائها بالكليتين أو المثانة .

(11) (الجنين الميت والمريض) : إذا فقد الجنين حياته أو حيوته ، فقد قدرته على تكييف وضعه في الرحم فيعتلن بغير الرأس ، وتعسر ولادته .

(12) (لأنهم كثيرون) : أي في حالة التوائم ، وسبب العسر في هذه الحالة بين تزاحم الأجنة في مسلك واحد . فتكثر بذلك الاعتلانات الشاذة .

وفيما يلي طرق معالجة بعض الحالات في عسر الولادة تذكرها بالنص التراثي :

(أما عسر الولادة فمتى كان يسبب سمن المرأة أو صغر الرحم أو من قبل ضعف القوة الدافعة ، فينبغي أن تؤمر المرأة بالإجتهاد في الزحير والطلق ، وأن يمرّخ منها الظهر وأسفل البطن بدهن الشيرج ، أو تقعد في ماء بطيخ فيه حلبة وبزر كتان وبابونج وإكليل الملك ، وهو فاتر . وتدخل في أنفها فتيلة من قرطاس لتعطس .

وإن كان عسر الولادة من قبل أن المرأة بكر فتشق عذرتها بدرهم ، وبإدخال الإبهام . وإن كانت جبانة فتشجع وتقوي نفسها وتؤمر كما ذكرنا بشد الطلق والزحير . وإذا تأخرت ولادة الجنين وكان ميتاً فيقطع قطعاً قطعاً[8]) .

وفي حالة الجنين المستعرض قال الرازي :

(يفترض أن تكون إحدى اليدين ساقطة في المهبل . تدفع اليد إلى داخل الرحم ، أو تقطع إذا كان الجنين ميتاً)[9] .

في حالة المشيمة المتقدمة قال الزهراوي :

(8) الرازي 9/131 ـ 132 . وذكر ابن سينا في عسر الولادة .
(9) المصدر السابق . عن الرازي إلا أنه لم يذكر هذا المصدر .

(يعتلن الجنين في الحوض وتعتلن معه المشيمة . وفي هذه الحالة يشق على الجارة (الأغشية) لتفريغ الرحم من السائل الأمنيوس[10] .

وقال ابن المجوسي في احتباس المشيمة والجنين الميت :

(أما متى احتبست المشيمة أو كان في الرحم جنين ميت ، فينبغي أن تسقى المرأة شيئاً من الابهل والشكطرا مشبع بماء مغلي فيه الترمس والفوتنج . ومما يفضل ذلك شراب الكرنب وبزر رواند والابهل ، من كل واحدة جزء معجوناً بمرارة البقر . إذا عملت منه شيافة وتحملت بها المرأة أخرج الجنين الميت أو المشيمة . . . ويجب إذا احتبست المشيمة أن لا يؤخر معالجتها ويبادر في إخراجها بالتعطيس وغيره ، وإلا كان منها التلف)[11] .

وفي كتاب التصريف للزهراوي يبرز الحس الجراحي واضحاً من ثنايا وصف هذا المؤلف لخطوات عمليات التوليد وإستعمال الآلات ، قال :

(إذا عالجت الجنين الميت بما ذكرته . . فلم تخرج ، واضطرك العمل باليد ، فينبغي أن تنظر فإن كانت المرأة صحيحة القوة وليس بها من الأعراض التي تخاف عليها منها التلف ، فينبغي أن تستلقي المرأة على ظهرها . . . وساقاها مرتفعتان ، وخادم يضبطها من كلتي الجهتين . . ثم تنطل فم رحمها بالادهان مع لعاب الخطمي والحلبة وبزر الكتان وتدهن القابلة يدها بهذه الادهان واللعابات ، ثم تدخل في الرحم برفق ثم تطلب بها مكاناً يغرز به الصنارات من الجنين والموضع الموافقة لذلك . وأنظر فإن كان الجنين تأتي على رأسه فغرز الصنار في عينيه ، أو في قفاه ، أو فمه ، أو حنكه ، أو تحت لحيته ، أو ترقوته ، أو في المواضع القريبة من الأضلاع الوسطى ، أو تحت الشراسيف ليكون الجذب متساوياً . . فإن خرج بعض

---

(10) الزهراوي ـ التصريف (الخزانة التيمورية) ص 116 ـ 117 .

(11) المجوسي ـ الملكي 2/439 واقرأ أيضاً عن الجنين الميت في العمدة لابن القف 2/216 .

الجنين فنقل الصنائر إلى موضع آخر هو أرفع قليل . وتفعل هذا حتى يخرج الجنين كله . فإن خرجت يده قبل غيرها ، ولم تتمكن ردها لإنضعاطها ، فينبغي أن تلف عليه خرقة ثم تجذبها حتى إذا خرجت كلها ، قطعها إما في مفصل الكتف أو في المرفق . وهكذا ينبغي أن تفعل في اليد الأخرى ، وفي الرجلين . فإن كان رأس الجنين كبيراً ، وعرض له ضغط في الخروج أو كان في رأسه ماء مجتمع فينبغي أن تدخل في ما بين الأصابع مبضعاً شوكية وتشق بها الرأس فتخرج به الماء وتشدخه بالآلة التي تسمى المشداخ . . فإن خرج الرأس وانضغط عند الترقوة فلتشق حتى تنشف الرطوبة التي في الصدر ، فإنه ينضم الصدر حينئذ . . فإن لم تنضم الصدر ولم تأت للخروج ، فأقطع الصدر قطعاً على ما يمكنك . فإن كان أسفل البطن وارماً وكان به حبن فينبغي أن تبطه حتى تسيل الرطوبة منه . . .)[12] .

وفي حالة انحباس رأس الجنين في الولادة بالمقعدة كتب الزهراوي :

(. . . فأما الجنين على رجليه ، فإن جذبه سهل وتسويته إلى فم الرحم هين . . وتشق البطن أو الصدر حتى يسيل ما فيها . فإن انتزعت سائر الأعضاء . . . فلتدخل القابلة يدها ، فإن كان فم الرحم مفتوحاً فلتدخل اليد في عنق الرحم وتطلب به الرأس إلى فم الرحم ، ثم يدخل فيه صنارة أو صنارتين وتجذبه بها . . . فإن كان عنق الرحم قد انضم بورم حار قد عرض له . . فليقطع قطعاً وتخر)[13] .

وفي كتاب التصريف صور لعدة آلات ولادية منها لوالب لفتح عنق الرحم ، ومشادخ لشدخ رأس الجنين المحتبس في الحوض ، وكلاليب ذوات أسنان كان الزهراوي أو القوابل تستعملها لإستخراج رأس الجنين أو بعض أعضائه ، وصنانير للمسك على الجنين الميت ، ومباضع لتقتطيعه[14] .

---

(12) الزهراوي ـ التصريف ص 119 ـ 120 .

(13) المصدر السابق ص 121 . واقرأ أيضاً عن عسر الولادة وأمراض النساء في المختارات لابن هبل البغدادي 4/23 ـ 63 .

(14) المصدر السابق 122 ـ 124 .

نفهم مما تقدم أمرين مهمين أولهما أن القوابل كان لهن دور كبير في توليد المتعسرات . وكن أيضاً يستعملن أدوات التوليد على ما يتضح من كتابات الزهراوي . كما يفهم ضمناً أن الطبيب الرجل يتقدم لتوليد الماخض إذا عجزت القابلة عن توليدها لأسباب بدنية ، أو غير ذلك . وثاني الأمرين الذي نفهمه من كتاب التصريف أن الزهراوي قد صمم آلة معدنية لإستخلاص الجنين يمكن مقارنتها بملقط المولد الإنكليزي (جمبرلن) الذي جاء بعد الزهراوي بما يزيد على الخمسة قرون .

التوليد عن طريق البطن

تذكر بعض المصادر الأوروبية ، بطريقة عابرة ، أن العرب قد مارسوا التولد بطريقة فتح البطن . ومن المحتمل أنهم يشيرون بذلك إلى عملية (الخِشْعة) التي كان العرب يمارسونها على الحامل بعد وفاتها مباشرة لإستخلاص الجنين الحي من بطن أمه . وقد ورد ذكر هذه العملية في كثير من المعاجم اللغويّة[15] ، وبعض التراثيات الأدبية[16] . ولا نعرف عن قدم هذه العملية عند العرب . ويحتمل أنهما مارسوها في الأول على الأغنام والإبل والخيول عندما تنفق وفي أرحامها صغار منها حية ، ثم جربوها على المرأة بنجاح .

ولما جاء الإسلام اعتبر بعض الفقهاء عدم إجرائها أثر وفاة الحامل ، قتل نفس الجنين . إلا أننا لا نقرأ عن هذه العملية في كتب الطب العربي ،

---

(15) قال ابن منظور ـ الخشعة هو الذي يبقر عنه بطن أمه . وقال ابن خالويه : والخشعة ولد البقير ، المرأة تموت وفي بطنها ولد حي فيبقر بطنها ويخرج (وكان بكير بن عبد العزيز خشعة ، وأما خارجة بن سنان وهي البقيرة ، كانت ماتت وهو في بطنها يرتكم فبقر بطنها فسميت البقيرة . وسمى ابنها خارجة لأنهم أخرجوه من بطنها (لسان العرب 8/72) .

(16) الجاحظ ـ البرصان والعرجان ص 46 ـ 99 ، ابن قتيبة ـ المعارف ص 84 .

Caesare an section in Early Islamic Tradition Nasim Han Naqui, Saudi Medical journal 1986, Vol. 7, P. 21 - 25.

وكل مصادرنا عنها عن الكتب الأدبية والفقهية[17] .

الرتقة[18] Gynaetresia

قال الرازي في هذا المرض :

(. . . أما أن تكون في الخلقة ، أو من علاج قرحة . . . افتح قبل المرأة تجد فم القبل قد غطّاه شيء شبيه بالعضلة . وإذا كان في فم الرحم فإنه لا يخاف عليه حتى تبلغ الجارية الحيض ، فإنه يحتبس فلا ينزل ، فتلقى من ذلك أذى شديداً وتهلك عاجلاً متى لم تعالج . .) وعاد الرازي يقول :

(وهذا اللحم إما أن ينبت في فم القبل ، وهذه لا يقدر الرجل أن يجامعها ، ولا تحيض أيضاً ولا تعلق . وإذا كان ذلك في فم الرحم فإنها تجامع لكن لا تحبل . وربما كان هذا اللحم ساداً للموضع كله . وقد يكون فيه ثقب صغير يخرج منه الطمث . وربما علقت هذه وهلكت هي والجنين ، إذ لا مخرج له)[18] .

العفل[19] Uterine Inversion

قال الرازي في هذا المرض :

(أن ينتو شيء لين المجس ، وذلك لأن باطنها (يتكلم عن الرحم) يصير ظاهراً من غير أن ينهتك ربطها . ويكن ذلك إما لخروج الجنين بغتة ، أو لشدة عدو أو طفر ، أو من عنف المشيمة)[20] .

ثم يقول : (الرحم ينتو ويخرج إلى خارج ، وما أقل ذلك ، في عسر

---

(17) افتى فقهاء المذاهب الأربعة : الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة ، بجواز تشريح امرأة ميتة لاخراج مولودها الحي في بطنها (ابن عابدين ـ كتاب رد المحتار على الدر المختار 602/1) ـ الدكتور قنديل شاكر شبير في مجلة دراسات الأدرنية . مجلد 6 سنة 1979 عدد/1 ص 20 .

(18) الرازي 131/9 ـ 132 ، واقرأ أيضاً عن الرتقة في العمدة لابن القف 5/2 .

(19) المصدر السابق 184/9 .

(20) المصدر السابق 54/9 ـ 55 .

الولادة وجذب الجنين الميت على غير حذر ، أو لإسترخاء الجسد كله . . . وذلك أكثر ما يكون في النساء المسنات)[21] .

بروز الرحم إلى خارج (سقوط الرحم) Uterine Prolapse

قال أبو العباس المجوسي : (يجب أن ينظر في هذه العلة فإن كانت بسبب رطوبة لزجة أزلقت الرحم وأبرزته إلى خارج وآنذاك تكون بتنقية البدن بأدوية مسهلة للبلغم والرطوبة بمنزلة حب الأبارج والأصطمحيقون وشحم الحنظل وما شاكل ذلك ، ويحقن الرحم بدهن الزئبق الجيد ، وتؤمر المرأة بعد ذلك أن تستلقي على قفاها وتضع تحت عجزها مخدة . وتضم ركبتها . وتأخذ فرزجة قد غمست في ماء القرظ والطراثيث والعنبر الأخضر ، وخرنوب الشوك وشيء من الشراب القابص . . ويزرق بتلك الفرزجة الرحم البارز برفق إلى أن يرجع إلى موضعه ، وتترك الفرزجة هناك . ويوضح على العانة أسفنجة قد غمست في خل خمر ممزوجاً بماء ورد . ومر المرأة أن تستلقي على ظهرها وتلقي إحدى رجليها على الأخرى وتشممها أشياء طيبة كالمسك والغالية . وتترك الفرزجة إلى اليوم الثالث . فإذا كان اليوم الثالث فأمزج الفرزجة بالأدوية التي ذكرناها . افعل ذلك ثلاث دفعات في ثلاثة أيام)[22] .

السرطان في الأعضاء الأنثوية

قال الرازي (أن السرطان في الرحم يكون ورماً جاسياً له بنك متحجرة إلى الحمرة . وتكون في فم الرحم . ويعرض منه وجع شديد بالأربتين وأسفل البطن والعانة والصلب . . فإن كان مع ذلك متعفناً قرحاً سال منه صديد . . . ثم يقول : ولا برأ له)[23] .

وقال ابن العباس المجوسي في علاج سرطان الرحم (أن السرطان في

---

(21) المجوسي ـ 431/2 ـ 432 .
(22) الرازي 12/9 ، 18 ، 37 .
(23) المصدر السابق .

الرحم كان أو في غيره من الأحشاء ، لا برء له . لكن ينبغي لنا أن نصف له ما يسكن الوجع العارض ويدبّر صاحبه تدبيراً يمنعه من أن يزيد ويعظم بحسب الطاقة . ومما يسكن وجعه ويحلله بعض التحليل أن تقعد المرأة في ماء طبيخ الخطمى والشبت والحلبة وبزر الكتان ، وإكليل الملك . ويضمدون بهذا الضماد . . . أو فرزجة من لبن امرأة مرضعة بنت ، وشيء من زعفران وأفيون من كل واحد بقدر الحاجة (الملكي 2/432 ـ 433) .

منع الحبل وتحديد الكم العائلي

أكثر الطرق إستعمالاً لمنع الحبل عند العرب هو (العزل)[24] . وقد أوصى به النبي محمد ﷺ عند الإقتضاء وخصوصاً في حالتي رداءة الصحة وكثرة العيال .

والعزل لا يضمن بصورة قاطعة منع الحبل ، فحاول الأطباء منعه بالأشياف والفرازج المهبلية . واستعملوا فيها الملح ، وبزر الكرنب ، ولب الرمان مع الشب ، والفلفل ، والقطران ، وزبل الفيل ، ودهن البلصان والشيرج . كما أوصوا لمنع الحبل بالجماع في الفترة السليمة (قبيل الحيض) ، والعطاس والقفز بعد الجماع . وقد تكلم في هذا الموضوع كبار الأطباء العرب ، كالرازي ، والمجوسي ، وابن سينا ، وإسماعيل الجرجاني ، وابن جميع المصري ، وابن البيطار وغيرهم . والموضوع بأي حال ذو علاقة تشريحية وفسيولوجية وإجتماعية بالباب الذي أشبعه الأطباء العرب بحثاً وأكثروا فيه وضع المؤلفات . وفيما يلي أربعة نصوص مختلفة في منع الحبل ، لأربعة مؤلفين عاشوا في فترات متباعدة متتالية ، تذكرها تباعاً لنقف على الجمود الذي بقي في بعض طرق المنع والتطوير الذي أدخل على البعض الآخر .

---

(24) العزل هو ـ عزل الرجل جسمه عن المرأة قبيل الإنزال . وتقابله بالإنكليزية Coitus Interruptus واقرأ عن العزل أيضاً في كتاب خلق الإنسان لصاعد بن هبة الله (مخطوط) .

قال ابن العباس المجوسي المتوفي سنة 384 هـ/ 994 م :

(أما الأدوية المانعة من الحبل ، فإنها وإن كانت مما يجب أن لا تذكر لئلا تستعمله من لا خير فيها من النساء ، فإنه قد يضطر الأمر في بعض الأوقات في أن يعطيها (الطبيب) لمن كان من النساء صغيرة الرحم ، أو بها علة يخاف عليها متى حملت أن تهلك وقت الولادة . وأما غير هؤلاء من النساء فينبغي للطبيب أن لا يصفها لهن . وكذلك أيضاً أن لا يصف الأدوية التي تنفع من احتباس الطمث ، ولا الأدوية التي تخرج الجنين الميت إلا لمن يوثق به . فإن هذه كلها تهلك الجنين وتسقطه . ومما يمنع من الحبل أن تحمل لمرأة في وقت الجماع الملح الأندراني ، أو يطلي الذكر بذلك ، أو بالقطران . أو تحمل المرأة ماء السذاب في وقت الجماع ، أو بعقبه ، أو تتحمل المرأة بشيء من أنفجة الأرنب أو ورق الغرب)[25] .

ومما يستحق الملاحظة في هذا النص أن إستعمال الملح يضمن إلى حد كبير منع الحبل بتعطيل حركة الحوينات المنوية أو قتلها . وأن محلوله بنسة 8٪ يفي بالغرض المطلوب . كما نلاحظ في النص التفاتة المجوسي إلى منع (إسقاط الجنين) الذي لا يقره العرف ولا الدين ولا الطب .

وقال ابن سينا المتوفي سنة 429 هـ/1037 م في منع الحبل :

(الطبيب قد يعتقد في منع الحبل في الصغيرة لخوف عليها من الولادة ، والتي في رحمها والتي في مثانتها ضعف . فإن ثقل الجنين ربما أورث شقاق المثانة فيسلس البول ولم يقدر على حبسه إلى آخر العمر . ومن التدبير في ذلك أن يؤمر عند الجماع أن يتوقى الهيئة المحبلة التي ذكرناها (الفترة السليمة) ويخالف بين الإنزالين ، ويفارق (المرأة) بسرعة ، ويؤمر أن تقوم المرأة عند الفراغ ، وتثب إلى خلف وثبات إلى سبع وتسع ، فربما خرج المني ، وأما الوثب والطفر إلى قدام فربما سكن المني . وقد يعين إلى إزلاق المني أن تعطس . ومما يجب أن تراعيه أن تحتمل قبل الجماع وبعده

---

(25) المجوسي 440/2 .

بـالقطران وتمسـح به الـذكر ، وكـذلك دهن البلصـان . والأسفيـداج . وأن تتحمل قبله وبعده بشحم الرمان والشب . وإحتمال فقاح الكرنب وبزره عند الطهر وقبل الجماع وبعده قوي في ذلك ، وخصوصاً إذا جعل في قطران أو غمس في بطيخ . أو عصارة الفوتنج . وإحتمال ورق الغرب . وكذلك شحم الحنـظل والهزار جشـان ، وخبث الحديـد ، والكبـريت السقمـونيـا ، وبـزر الكرنب أجزاء سواء يجمع بالقطران ويحتمل ، وإحتمال الفلفل بعد الجماع يمنع الحبل ، وكذلك إحتمال زبل الفيل وحده أو مع التبخر به في الأوقات المذكورة . ومن المشروبات أن يسقي الباذورج ثلاث أواقي فيمنع الحبل . وكذلك دهن الخل إذا طلي به القضيب سيما الكمرة ، فـإنه يمنـع الحبل . وكذلك ورق اللبلاب إذا احتملته المرأة بعد الطهر منع الحبل[26] .

ونـلاحظ من النص المتقدم أن ابن سينـا لم يذكـر محلول الملح كما ذكره المجوسي كواسطة لمنع الحبل . والملح في المهبـل كما نعـرفه اليـوم يمنع الحبل في كثير من الأحيان .

وقال إسماعيل الجرجاني[27] المتوفي سنة 531 هـ/ 137 م في منع الحبل :

(إذا كانت المرأة صغيرة العمر ، إو إذا كانت مصابـة بضعف المثانـة وتخاف أن تسبب الولادة عندها سلساً في البول ، أو تخريبات في الرحم وما إلى ذلـك ، فـإنـه من المستحسن أن لا تحبـل . ويستعمـل لهـذه الغـايـة (العـزل) ، وهز المـرأة سبـع مـرات بعـد الجمـاع ، ثم تستعمـل الأدويـة المعطسة . كذلك لطخ القضيب بدهن السمسم أو البلسـان أو بالقـار . كما يساعد على منع الحبل أكل الكرنب وبذوره قبل العلاقة الجنسيـة . وشربـة الريحان الحلو لها نفس المفعول)[28] .

---

(26) ابن سينا ـ القانون 2/ 579 .

(27) اسماعيل الجرجاني ـ اقرأ ترجمته في ص (491) .

(28) مخطوطة الزبدة في الطب للجرجاني (الصفحات غير مرقمة) والنسخة التي يمتلكهـا المؤلف مصورة على مخطوطة في المكتبة القادرية العامة ببغداد .

أما ابن جميع المصري المتوفي حوالي سنة 564 هـ/ 1198 م فنقرأ له في منع الحبل ما يلي :

(وأما ما يمنع الحبل فأن ينطل الذكر بعصارة البصل قبل وقت الجماع . وكذلك إذا احتملت عصارة النعناع ، الفوتنج . وبزر الكراث إذا احتمل بعد الطهر فإن خاصيته منع الحبل . وإحتمال الفرازج المتخذة من المر والجاوشير والسذاب والخريف معجونة بمرارة ثور . وقيل إذا أطعمت المرأة الباقلي على الريق لم تحبل . أو يطلي الذكر بأي دهن كان فعل ذلك)[29] .

العقر وعسر الحبل[30]

العقر والعقم في اللغة سواء ، والمصطلح الأول أكثر استعمالاً في الأمور الشرعية من المصطلح الثاني ، وكذلك في الطب . وكلاهما يعني فشل المرأة أو الرجل في الإنجاب ، أما عسر الحبل فيقصد الأطباء العرب به ، تأخر وقوع الحبل ثم استقامة أمره بذاته أو بالتداوي ، وصنف الأطباء العقر من حيث أسبابه إلى نوعين ، ترجع العلة في أحدهما إلى عوامل خلقية كسوء في طبيعة المرأة ، أو في مزاجها ، أو في رحمها أو فرجها ، أو في طمثها . فيكون الرحم صغيراً أو مائلاً عن موضعه أو معوجاً . أو فيه لحم ثابت يمنع وصول مني الرجل إلى جوف الرحم . أو تكون العلة في خلل بقوة المسك والجذب فيما بين مني الرجل ومني المرأة .

ومن علامات العقر في المرأة الخمول في الطبع ، والسمنة ، وقلة الشعر على العانة ، والبرودة في الجماع . وتنطبق هذه العلامات بالإضافة إلى ضعف الانعاظ وسرعة الإنزال ، على الرجل العاقر أيضاً .

---

(29) ابن جميع ـ كتاب الارشاد لمصالح الأنفاس والارشاد (دار الكتب المصرية) .

(30) اقرأ عن العقر وعسر الحبل في القانون لابن سينا 2/562 ـ 564 والزبدة في الطب لإسماعيل الخسروشاهي (مخطوط) ، والمختارات في الطب لابن هبل البغدادي ص 4/49 ـ 54 . والحاوي للرازي 9/104 ، 105 ، 106 ، 107 .

أما النوع الثاني في العقر فهو العارض . ويكون مكتسباً لأسباب تنشأ من داخل الجسم أو طارئة عليه ، فتمنع الإشتمال وتبعد الحبل عن المرأة .

ويركّز الأطباء على الرجل كمشارك في علة العقر ، ويعتبرون صغر الأنثين ، وبرودة ملمسهما ، وليونة صفنيهما ، وضيق عروقها ، ورقّة المني وكثرته ، وضعف الانعاظ من علامات العقر فيه .

ولمعرفة فيما إذا كان سبب العقر في الزوجة أن (تجلس على أجانة مثقوبة قد أكب على ذلك الثقب قمع . ثم أدخلت المرأة ما استدق من القمع في فرجها ، وجلست على الأجانة . وتحت الأجانة بخور طيب . وتشتمل بثياب كثيرة ، تمنع أن تفشوا الرائحة إلى أنفها من ظاهره . فإن أحست بطيب الرائحة من باطن ، أو استنكهها إنسان آخر يدخل عليها بغتة ، ثم يشم فاها . . فإذا وجد ريحاً طيباً منه قيل أنها لا تكون عاقراً)[31] .

وقد اعتبر العقر الخلقي غير قابل للشفاء في كثير من الحالات . واستعمل في علاج نوعي العقر اللذين ذكرناهما بعض الفرزجات المهبلية ، كان أكثرها شهرة الوصفة التي ذكرها جالينوس ، التي تتركب من صبر أسقوطري[32] ، وشم الحنظل[33] ، وغاريقون[34] ، وسقمونيا[35] ، بأجزاء

---

(31) ذكر هذه الطريقة في تشخيص العقر في المرأة كل من أبقراط في كتب خلق الجنين وابن ربن الطبري ـ فردوس الحكمة ص 37 وعريب بن سعيد في كتاب خلق الجنين ص 109 ، وابن هبل البغدادي في المختارات 51/4 .

(32) الصبر الأسقوطري ـ أجود أنواع الصموع ، منه العربي ومنه الهندي . رائحته منتنة إلا أنه يفيد الفضول الصفراوية في الرأس ، ورطوبة العين ، ولاستفراغ السوداء في حالة الماليخوليا ، ولفتح سدد الكبد ، وهو يزيل اليرقان . ويخصب البدن .

(33) شحم الحنظل ـ نبت بري يمتد على الأرض وثمره يشبه البطيخ ، وهو مسهل للسوداء والبلغم .

(34) الغارقون ـ يتكون كالطحالب على غصون الأشجار ، أجوده الأبيض الهش . ينقي فضول الدماغ ، وينفع من الصرع ومن الربو والوساوس ، ويدر البول والطمث . وضماده يفيد نهش الحيات ولسع الدويبات ، وشربته ترياق للسموم ، وفرزجته مفيدة للأخصاب .

(35) سقمونيا ـ شجرة بطول ثلاثة أذرع ، وعلى ورقها زغب وتكون دبقة . تستعمل عصارتها =

سواء . كما تستعمل فرزجة أخرى معمولة بفتيل مغموس بمرارة الذئب أو الأسد ، أو الشبوط ، بأجزاء سواد مع بعض الأدهان العطرة كدهن السوس[36] ، أو البلسان[37] . وكان الرازي يصف فرزجة مركبة من الجندباستر[38] ، وجاوشير[39] ، وحب البلسان والسنبل[40] 2) وفعل جميعها بالشراب ، وتحمل هذه الفرزجة قبيل الجماع . كذلك كان يوصف للعاقر شراب نشارة العاج ، وحقن بماء الحنظل ، والقطريون مع السكر الأحمر أو السعد مع نشارة الكندر ، والعود والشب ، أو بتبخير الأعضاء بالزرنيخ الأحمر مع جوز السرو لمدة ثلاثة أيام ثم يشرع بالجماع . وفي كل حالات العقر لا ينسى الأطباء الإشارة إلى حالة المرأة العامة من حيث صحتها ، وسرعة إنفعالها وتجاوبها في العلاقة الزوجية . فيصلحون هذه الحالات بما يناسبها من العلاج .

= لإسهال البطن ، والمرة الصفراء . وفرزجتها في المهبل تسقط الجنين ، وتنفع من لسع العقارب شرباً وطلاء .

(36) سوسن ـ من الرياحين . ذو أزهار بألوان كثيرة . يفيد لتنقية الصدر ، وفي حالات الربو ، ووجع الأسنان . وطلائه نافع للنمش والكلف والبثور وقروح الجلد والقرع كما يفيد المثانة وحالات الكبد والإستقاء ، وفرزجته من العسل تسقط الجنين .

(37) بلسان ـ من نبت مصر ، والدهن المستخرج من ساقها طيب الرائحة ويفيد في عرق النساء ، والصرع والدوار ، وذات الجنب والسعال والربو وذات الرئة ، وسوء الهضم . وهو مدر للبول والحيض ، ويستعمل لإخراج الجنين والمشيمة المحتسبة . كما ينفع لنهش الأفاعي ولسع العقارب . وهو ترياق لسم الشوكران .

(38) هو خلاصة خصى حيوان بحري ، يزقع من النفخ والمغص في البطن والصداع وبرد الحصبة وإخراج الجنين (ابن هبل 52/2) .

(39) الجاوشير ـ صمغ من شجرة ساقها مجوفة ، وأوراقها تشبه أوراق التين ، مفيد للصرع وأم الصبيان ، ووجع الأسنان ، وضعف البصر ، وصلابة الطحال والاستقا ، وعرق النساء ، وعضة الكلب . ولسع الهوام .

(40) وهو الناروين ، وأفضله السوري وطيب الرائحة ، يحلل الأورام والبثور (ابن سينا 391/1) .

أمراض الكلى ومجاري البول[1]

تكثر أمراض الجهاز البولي في أكثر المناطق العربية الحادة ، كما يكثر تكون الحصى فيها . فاهتم الأطباء بهذه الأمراض وأتقنوا علاجها بالأدوية والعمليات الجراحية . وكثر كلامهم عنها في مؤلفاتهم ، وبحثوا في ما يلحق بها من إلتهابات ، وما يشكو المريض من سلس البول ، وتدممه وحرقته ، وإنحداره أثناء النوم وما إلى ذلك . ونذكر فيما يلي قسماً من أمراض المجاري البولية وعلاجها الجراحي ، قال الرازي :

(بول الدم بغتة خالصاً غزيراً بلا سبب يكون من إنصداع عرق في الكلية لإمتلائه من الدم . وقد يكون ذلك من وثبة أو سقطة)[2] ثم يقول) (من بال دماً بغتة فإن عرقاً في كلاه انصدع ، وليس يمكن أن يكون ذلك من أجل المثانة . وذلك أنه ليس يمكن في عروق المثانة أن تنصدع من أجل كثرة دم ينصب إليها كما يعرض ذلك في الكلى . وذلك أنه ليس يتصفى الدم في العروق التي في المثانة كما يتصفى في العروق التي في الكلى . وإنما يجيء من الدم إلى المثانة ما يكفيها فقط وتتغذى به . فأما الكلى فلأن الدم

---

(1) اقرأ عن أمراض الطرق البولية في الحاوي للرازي ـ الجزء العاشر ، والملكي للمجوسي 2/483 ، والقانون لابن سينا 2/508 ـ 526 ، والعمدة في صناعة الجراح لابن القف 2/208 ـ 11 والتصريف للزهراوي ص 25 (حيدر آباد) صفحة 100 ـ 105 ودار الكتب المصرية مجموعة تيمور باشا) .

(2) الرازي 10/ص 10 .

يتصفى فيها وقد يجيء إليها عروق كبار ودم كثير ، فضلاً عن غذائها ، كثيراً جداً)[3] .

ثم قال :

(إذا خرج الدم من الكلى بلا قيح ، ولم يكن معه وجع ولا حرقة شديدة ولا حمى فإنه من إنفتاح العروق وإنشقاقها ، وما كان من خارج فإنه الدم يخرج مع المدة)[4] . وفي البول الدموي من المثانة قال : (قد يكون الدم من المثانة ، لكن يكون ذلك إذا تآكلت حتى يبلغ التآكل العروق . ولذلك تتقدم علامات قرحة المثانة . وهو بول قشور وبول مدة ، ووجع في الدرادر والعانة)[5] .

(ويفرق بين المدة (القيح) التي تجيء إلى البول من الكبد وبالجملة ما فوق الكلى ، فإنها تجيء يوماً أو يومين ثم تنقطع . والذي من الكلى والمثانة يدوم مدة طويلة)[6] .

(وإن جمعت في الكلى مدة فإنه يعرض وجعاًفي القطن ونتؤ فيما بين الشراسيف ، وإذا نام على جنب أحس بثقل معلق . ويتبع ذلك حمى مختلطة ونافض ، ويكون بوله زرياً . فإذا انفجرت المدة سكنت الحمى والنافضة البتة)[7] .

ويعتبر الرازي الوجع من حصاة المجرى البولي أول أعراض هذا المرض وأول ما يجب على الطبيب إكتشافه وعلاجه ، فقال :

أصحاب الحجارة في الكى يصيبهم أشد ما يكون من الوجع في تولدها وفي وقت مرورها ونزولها إلى المثانة خاصة . وأما في سائر الأوقات فإنما

---

(3) المصدر السابق .

(4) المصدر السابق .

(5) المصدر السابق ج 10 / ص 10 .

(6) المصدر السابق ج 10 / ص 74 .

(7) المصدر السابق ج 10 / ص 35 .

يجدون شيئاً ثقيلاً موضوعاً في موضع الكلى)[8] .

ثم قال :

(قد يكون في المثانة منها كثير ، وقد تبلغ عشرة حجارات ، وتكون في العظم مقدار تفاحة وأكبر)[9] .

(ويعرض في وقت نفوذ الحصى من الكلى أصعب الأوجاع وأشدها . وأما في وقت تولدها ، فإن ما يعرض كان ثقلاً معلقاً في موضع الكلى . والحصى في الكلى يعرض للسمان من الناس)[10] .

ومن علامات حصى المثانة التي يذكرها الرازي : (البطن يحبس في وجع الحصى . والإيجاع في الإمعاء يهيج القيء ، لأنه إذا امتنع من أسفل ثار إلى فوق . وحكاك في المذاكر . وربما بال قليلاً بعسر . وربما بال دماً إذا كانت خشنة)[11] .

ويعالج الرازي حصاة المجرى البولي بالأدوية المزلقات في نوبة الوجع ، كما يعالجها بالتمريخ والأبزن Pelvic Bath ، كذلك بهز الطفل من أعلى إلى تحت ، أما الصبي فبالقفز والطفر من موضع عالي (لتصير الحصاة في عنق المثانة ثم أقعده منتصباً ، وتجعل يديه تحت فخذيه لتصير المثانة كلها مائلة إلى أسفل . ثم جس الموضع وألمسه خارجاً . وإن أحسست الحصاة وأنها تثبت بالظفر في عنق المثانة فشق عليها من ساعتك)[12] .

وفي إخراج الحصى من المثانة قال علي بن العباس المجوسي (قلما تجنّب الأدوية في الحجارة التي تكون في المثانة . . فينبغي أن يستعمل العلاج بالحديد والشق عن الحصاة وإخراجها . واعلم أن ذلك في الصبيان

---

(8) المصدر السابق ج 10/ ص 94 .
(9) المصدر السابق ج 10/ ص 123 .
(10) المصدر السابق ج 10/ ص 105 .
(11) المصدر السابق ج 10/ ص 109 .
(12) المصدر السابق ج 10/ ص 110 .

قبل أن أن يراهقوا أسهل منه في الشباب ، لرطوبة فى أعضائهم وسهولة ممر الحديد في أبدانهم . وسرعة إندمال الجرح فيهم . فأما في الشباب والأحداث فاعسر ، إلا أنه فيهم أسهل منه في المشايخ . . . وكلما كان الحصى أعظم ، كان علاج ذلك أسهل ، لأن أصحاب ذلك قد اعتادوا الأوجاع والآلام ، فلذلك يسهل عليهم . ولأن وجودها بالجس أسهل لرسوبها إلى أسفل بسبب فعلها . . . فينبغي أن تدخل أصبعك السبابة في دبر العليل . . وتفتش على الحصاة في ناحية المثانة فإذا وقعت عليها ، ووقعت تحت أصبعك ، تقلبها قليلاً قليلاً إلى عنق المثانة وتكبس هناك عليها بالأصبع ثم تدفعها من الخارج . . . ثم تأخذ الآلة التي تشق بها الحصاة وتشق فيما بين المقعدة والأنثيين لا في وسط الجلد إلى الجانب الأيسر من الأفخاذ ، وتصير الشق مورياً ليكون من خارج الشق واسعاً فأما من داخل فليس ينبغي أن يكون واسعاً لكن يكون مقدار ما تخرج منه الحصاة . فإذا شققت الموضع فيرى كانت الأصبع التي في الدبر قد ضغطت الحصاة ، فحين يقع ذلك الشق تبدو الحصاة وتخرج من غير أن تحوجك إلى إخراجها بآلة . وإن لم يكن كذلك فينبغي أن تدخل الآلة التي تخرج بها الحصاة في الشق وتجذبها إلى خارج . ثم تضع على الجرح الذرور الأصفر والصبر ودم الأخوين وما يجري هذا المجرى ثم تضع على الموضع الرباط المسمى : اللحام . فإن لم تجف من نزف الدم ، فينبغي أن تضع على الموضع رفادة بلت بخل وماء أو بماء ودهن ورد ، وتأمر العليل أن يستلقي على ظهره ، وتبل الرفائد في كل ليل بماء ودهن الورد . ثم تحل الرباط في اليوم الثالث ، وتوضع عليه المرهم الأسود وتربطه . ويجب أن يحل في كل ليل بسبب حرقة البول ثم يعاد عليه المرهم . فإن حمى الموضع أو أعرض له ورم حار فينبغي أن يُطلى بالأطلية الموافقة لذلك وتصب في المثانة دهن ورد أو دهن بابونج . . . وإن كانت الحصاة صغيرة ووقعت في مجرى القضيب ولم تخرج بالبول فينبغي أن تعمل في شق القضيب من تحت الموضع الذي تعلم أن الحصاة فيه ، وتخرجها بعد أن تربط الأحليل في موضعين أحدهما فوق

الحصاة لئلا ترجع الحصاة إلى المثانة والآخر أسفل منها)[13] . .

نلاحظ الدقة المتناهية في وصف خطوات العملية ، التي تعكس تفهم المؤلف للروح الجراحي في المعالجة الطبية . وفي قصة ابن أبي أصيبعة التي رواها عن مرض الخليفة الناصر العباسي بحصى المثانة ما يدل صراحة على أن هذه العملية كانت تمارس من قبل الأطباء العرب ، أي أن معلوماتهم عنها لم تكن نظرية بالكتابة فقط بل بالتطبيق أيضاً .

---

(13) المجوسي ـ الملكي / 483 .

أمراض العين

أمراض العين من الأمراض الشائعة في المشرق الإسلامي كمنطقة حارة ومتربة ويكثر فيها الذباب وما ينقل جراثيم الأمراض . ولذلك درس الأطباء العرب أمراض العين دراسة وافية ، وعرفوا أسبابها العامة والمحلية ، وأنواعها وعلاماتها ، ووجدوا علاجاً مفيداً للكثير منها .

وقد استعان الأطباء بهذا الإختصاص بعلم التشريح ، ومنهم من عمل بتشريح عيون الحيوانات لمعرفة طبقات عين الإنسان بالمقارنة[1] ، وطريقة حدوث الرؤية بها . وربما كان ماسويه أبو يوحنا أول من عرف بين الكحالين العرب . كما عرفنا أن إبنة يوحنا بن ماسويه قد أخذ اختصاص أبيه في ممارسة الكحل فوضع كتابه الموسوم بدغل العين الذي كان أول مؤلف مما وضعه العرب بهذا العلم . ثم أعقب يوحنا تلميذه النبيه حنين بن إسحاق الذي درس تشرح العين ووصف طبقاتها[2] والعضلات التي تحرك المقلة ، والقزحية التي تتحكم في سعة الحدقة ، فصارت معلوماته لمن خلفه أسساً ثابتة لتطبيق هذا الإختصاص .

ويعتبر إبن الهيثم أول من وصف طبقات العين بتحديد ووضوح ، وأول من اكتشف أن الرؤية تحدث من نور المرئيات الذي يدخل العين ، وأن ذلك

---

(1) خيرالله ـ الطب العربي ص 178 ، الحاوي / 2/1 ـ 436 ، الملكي 1/436 ، 2/476 ، القانون 3/415 ـ 424 .

(2) حنين بن إسحاق العبادي / العشر مقالات في العين ص 73 ـ 83 .

النور لا يخرج منها كما كان يعتقد الأطباء قبل إبن الهيثم ، وأن شبكة العين ما هي إلا لوحة تتلاقى عليها المرئيات ، ومنها تنتقل إلى الدماغ بواسطة العصبين حيث تتطابق صور المرئيات عليه .

الساد أو الكاتاراك[3]

صارت لدى الأطباء العرب معلومات كافية عن أكثر أمراض العين . فعرفوا الشترة[4] والظفرة[5] ، وانقلاب الجفن[6] ، والسبل[7] ، والشرناق[8] ، والغرب[9]، وأنواع الرمد وغير ذلك مما يشوّه خلقة العين ، أو يؤلمها أو ما يبيد الرؤية فيها . وكانت أكثر تلك الأمراض خطراً هو الساد ، أو الكاتاراكت كما كان المؤلفون العرب يسمونه . كما سموه نزول الماء بالعين ، أو مرض ماء العين اختصاراً . وهي ترجمة حرفية لمصطلح كاتاراكت اليوناني الذي يعني لغة تساقط ماء الشلالات .

---

(3) اقرأ عن الساد وعملية القدح في العشر مقالات في العين لحنين بن إسحاق ص 141 ـ 143 وص 189 ـ 190 ، والحاوي للرازي 2/183 ـ 184 ، 300 ـ 301 ، وتذكرة الكحالين لعلي بن عيسى ص 254 ـ 277 ، والقانون لابن سينا 2/145 ـ 147 ، التصريف للزهراوي (حيدر آباد) ص 57 ـ 59 والمختارات لابن هبل البغدادي 3/136 ـ 137 ، وفردوس الحكمة لابن ربن الطبري ص 560 .

(4) الشترة ـ هو القصر في الجفن الأعلى للعين ، ويكون سببه خلقياً أو عارضاً بسبب قرحة أو على أثر عملية على الجفن . ويكون العلاج جراحياً .

(5) الظفرة ـ هي الزيادة في لحم الملتحم ، وتكون في المآق الكبير أو الصغير في كليهما ، ولونها أحمر وعلاجها بالجراحة .

(6) انقلاب الشعر على العين ـ ويكون مصحوباً بزيادة في شعر الهدب . وفيه يتجه نمو الشعر نحو العين فيسبب لها وخساً وتدمعاً . وعلاج هذه الحالة بنتف الشعر وبكي منابعه .

(7) السبل ـ هو غشاء رقيق يتولد من انتفاخ عروق العين ، وفي الحالات المتقدمة بسبب تعفنا في القرنية فتحمر العين وتغلظ أجفانها فيقل البصر بها أو ينعدم كلياً . وتعالج الحالة جراحياً .

(8) الشرناق ـ هو غلظ في جفن العين بسبب تكون مادة شحمية في أنسجته . ويقل البصر في هذه الحالة من جراء انسدال الجفن بثقل الشرناق .

(9) الغرب ـ هو ورم صغير بين المآق الكبير والأنف . وكثيراً ما ينفجر إلى الخارج ، وقد ينفجر إلى الأنف ، وربما يصل إلى عظم الأنف فينخره . وعلاجه بالجراحة .

وتنحصر الإصابة بهذا المرض في تكثّف بلورة العين بسبب شدة خارجية ، أو تقدم العمر . وقد يكون سببها خلقياً ، فتحجز البلورة الكثيفة المرئيات ، وتكون في هذه الحالة ذات لون أبيض مائل إلى الزرقة الخفية .

قال حنين في مرض الساد : (وهذه العلة بعد أن تستحكم سهلة المعرفة ولكنها في ابتدائها تعسر ، أما في ابتداء تكوينها فلها علامات يستدل بها عن كونها ، وهو يرى شيئاً شبيهاً بالشعر ، وآخرون شبيهاً بالشعاع . فإذا حلّت به الآفة ذهب البصر وتغير لون الحدقة ولم ينفذ منها النور)[10] . وفي هذا النص ما فيه الكفاية لتشخيص مرض الساد .

ويفرّق حنين بين الساد (الماء الأبيض) وبين الرطوبة الجليدية (الكلوكوما) أو الماء الأسود فيقول : وقد سمي قوم من الأطباء بعض الماء زرقة ، وليس كل زرقة عارضة ماء ، لأن الزرقة العارضة ضربان ، أما الواحد فنوع من الماء إذا كان شديد الجمود ، والآخر جفوف يعرض في الرطوبة الجليدية . وأما النوع الأول فإنه يبرأ بالقدح . . . وأما الثاني فإنه لا يبرأ)[11] .

عملية القدح

ويعالج الساد بعملية القدح . وربما أخذ هذا المصطلح من قدح النور الذي يدخل فجأة العين بعد العملية كما يحدث عند ضرب حجر بمقدح ، فينبثق منها شرار الإحتكاك . ويسمى من يختص بعملية القدح ، القدّاح .

ولقدح العين أكثر من طريقة واحدة ، ولكل كحال طريقة يختص بعملها ، وله أيضاً استطبابات لإجرائها قد لايعمل بموجبها غيره من أطباء العيون . ويجري إبن أسلم الغافقي عملية القدح إذا توفر في حالة التمريض ظواهر خمس هي :

---

(10) حنين بن إسحاق ص 141 ـ 143 .

(11) المصدر السابق .

(1) إذا كان ماء الكتراكت يشبه الهواء في صفائه .

(2) إذا اتسعت العين السليمة من وراء مائها بعد إغلاق العين المريضة .

(3) إذا استطاع المريض أن يرى بصيص شعاع السراج أو الشمس .

(4) يوضع الإبهام فوق الجفن الأعلى للعين المريضة ويدلك به الجفن ، ثم يرفع الجفن سريعاً فإن اتسعت الرطوبة ثم ضاقت فيجوز إجراء العملية .

(5) يوضع على العين المريضة قماش وتسخن بالنفخ ثم ترفع بسرعة ، فإذا تحرك الماء وكان صافياً كان ذلك دليل على احتمال نجاح عملية القدح .[12]

وآلة القدح هي المقداح أو المهت ، وتكون صلدة ذات طرف مثلث الشكل وحاد . أو تكون مجوّفة معمولة من زجاج أو معدن .

والهدف من العملية هو رفع البلورية المعتمة عن طريق منفذ صغير يعمل بالمهت للوصول إليها . وتشترك أكثر طرق عمليات القدح في تثبيت مقلة العين بأصابع الكحال أو مساعده ، ويدفع المهت من خلال طبقة العين الصلبة لتصل إلى البؤبؤ . وتحرك البلورية بالمهت قليلاً قليلاً حتى تنفصل من مكانها وتسقط . ثم ترفع بدقة وتستخرج من جوف العين . وتنتهي العملية بغسل العين بمحلول الملح ، ثم تضمد بالرفائد بضعة أيام يكون المريض في خلالها في تمام الراحة بفراشه .

وقد يستعمل المص بالفم لرفع البلورة بواسطة المهت المجوف . وربما كانت هذه الطريقة أفضل الطرق عموماً . وقد نسب بعض المؤرخين هذه الطريقة إلى أنطليوس البيزنطي ، أما أبو القاسم الزهراوي فيقول بعد أن

---

(12) اقرأ عن عملية القدح في العشر مقالات لحنين بن اسحاق / تحقيق مايرهوف ص 184 ـ 191 ، وتذكرة الكحالين ص 270 ـ 277 ، والتصريف ص 57 ـ 58 . وThe Cataract operations of Ammar Ibn Ali Al - Mansili - Laboratorios, Espania, 1937.

وصف تقنية القدح (وقد بلغني عن بعض العراقيين (وربما قصد بذلك إبن عمار الموصلي) ذكر أنه يصنع في العراق مقدحاً منفوذاً يمتص به الماء . ولم أر أحداً في بلدنا صنع ذلك ، ولا قرأته في كتاب من كتب الأوائل . وقد يمكن أن يكون ذلك محدثاً . .)[13] ويعتبر هذا النص قاطعاً في حكمه ، لأن الزهراوي كان ملماً بالطب القديم وخصوصاً الطب البيزنطي ، وفي كل التفصيلات والجزئيات التي وردت في اختصاصات الطب المختلفة ، كما يعتبر المستشرق هوشبرغ أكبر متتبع لتأريخ طب العيون اليوناني والعربي ، وهو الآخر ينفي وجود ما يؤيد أن عملية(الكاتاراكت) بالمص يونانية الأصل ، كما يؤيد بأن محيط ممارستها الواسع كان في الطب العربي[14] .

وكثرة من عمل في الكحالة من أطباء العرب يدل بداهة على كثرة أمراض العين في تلك العصور ، وتثمين العرب لأهمية الأبصار وصحته ، وبالتالي كثرة وضع مؤلفاتهم بهذا الموضوع الحيوي . ونذكر فيما يلي أشهر من مارس معالجة أمراض العين والمعروف من كتبهم :

(1) يوحنا بن ماسويه ـ وله كتاب دغل العين ، وكتاب محنة الكحالين .

(2) حنين بن إسحاق العبادي ـ كتاب الشعر مقالات في العين ، وكتاب العين على طريق المسألة والجواب ، وكتاب في تركيب العين ، وكتاب اختيار أدوية علل العين ، وكتاب مداواة العين الحديد .

(3) أبو الحسن ثابت بن قرة الحراني ـ كتاب البصر والبصيرة في علم العين وعللها ومداواتها .

(4) إبن الأكفاني محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري ـ كتاب كشف الرين

---

(13) الزهراوي ـ التصريف Spink and Lewis ص 257 ، هذان المستشرقان قد ذكرا في كتابهما أن الرازي قد روى أن أنطليوس اليوناني (ق 3 م) قد استعمل المص في عملية القدح إلا أنهما لم يذكر مصدر ذلك .

(14) Hirshburg - Geschichte der Augerheilkurde Beiden Araben, Leipsig, P. 230 - 240.

في أمراض العين .

(5) أبو علي خلف الطولوني ـ النهاية والكفاية في تركيب العينين وخلقهما وعلاجهما وأدويتهما .

(6) أبو عبد الله محمد بن سعيد التميمي المقدسي ـ مقالة في ماهية الرمد وأنواعه وأسبابها وعلاجها .

(7) أعين بن أعين ـ كتاب في أمراض العين ومداواتها .

(8) جبرائيل بن بختيشوع بن جورجيس ـ رسالة في عصب العين .

(9) علي بن عيسى الكحال ـ تذكرة الحكالين .

(10) أبو القاسم عمار بن علي الموصلي ـ المنتخب في علم العين وعللها ومداواتها بالأدوية والحديد .

(11) أبو الفرج عبد الله بن الطيب ـ تعاليق في العين .

(12) أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه الأصفهاني ـ رسالة في تركيب طبقات العين ، ورسالة أخرى في علاج انتشار العين .

(13) أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن وافد اللخمي ـ كتاب تدقيق النظر في علل حاسة البصر .

(14) زاهد العلماء أبو سعيد منصور بن عيسى ـ كتاب أمراض العين ومداواتها .

(15) علي بن ابراهيم بن بختيشوع الكفر طابي ـ كتاب تشريح العين .

(16) أبو جعفر أحمد بن أسلم الغافقي ـ كتاب المرشد في الكحل .

(17) أبو الفضائل بن الناقد ـ كتاب المجربات (في أمراض العين) .

(18) فتح الدين أحمد بن عثمان بن هبة الله القيسي ـ كتاب نتيجة الفكر في علاج أمراض البصر .

(19) خليفة بن أبي المحاسن الحلبي ـ كتاب الكافي في الكحل .

(20) علاء الدين علي بن الحزم القرشي (إبن النفيس) كتاب المهذب في الكحل المجرب ، وكتاب الشافي في الكحل .

(21) صلاح الدين بن يوسف الكحال ـ نور العيون وجامع الفنون .

(22) علاء الدين الكحال الصفدي ـ كتاب القانون في أمراض العيون .

(23) أبو بكر الرازي ـ وله إضافة إلى ما ضمنه في الجزء الثاني من كتابه الحاوي ، سبعة أعمال أخرى في طب العين هي :

1 ـ كتاب في فضل العين (شرف العين) على سائر الحواس .
2 ـ كتاب في كيفية الأبصار .
3 ـ رسالة في هيئة العين .
4 ـ رسالة في علاج العين بالحديد .
5 ـ في أدوية العين وعلاجها .
6 ـ مقالة في العلة من أجلها تضيق النواظر في النور وتتسع في الظل ، وكان ذلك نقد على جالينوس لما أورده في كتاب البرهان في هذا الموضوع .
7 ـ المشجرة ـ وهي بأربعة أبواب :(1) في ماهية حد العين وكيفية ترميمها (2) في العلل العارضة للعين (3) في أسباب الأمراض العارضة للعين (4) في علاج أمراض العين ومخطوطة هذا الكتاب في مكتبة بطهران .

وبقدر ما كان من الأطباء والكحالين الذين ألفوا في طب العين فهناك مثلهم أو أكثر منهم تنطساً بهذا الإختصاص إلا أنهم لم يضعوا خبراتهم بكتاب . من هؤلاء :

أبو يوحنا ماسويه ، وجبرائيل كحال المأمون ، وإسحاق بن سليمان الإسرائيلي ، وإبن وصيف الصابي ، وأحمد وعمر إبنا يونس بن أحمد الحراني ، أبو نصر بن الدحلي كحال البيمارستان العضدي ، وأبو الحسين

البصـري طبيب البويهيين ، والشـريف الكحـال بـرهـان الـدين أبـو الفضـل سليمان ، وأبو جعفر هارون الترجالي ، والموفق أبو البركات بن القضاعى ، وحكيم الزمان الجليـاني ، ومهذب الـدين عبد الـرحيم بن علي (الدخـوار) ورضى الدين الرحبي ، وسديد الدين بن رقيقة ، وأبو الحجاج يوسف الكحال طبيب البيمـارستان النـاصري ، والقـاضي نفيس الدين هبـة الله إبن صـدقـة الكـوفي ، والقاسم بن خليفـة بن يونس بن أبي القـاسم الخزرجي ، ومـوفق الدين بن أبي أصيبعة الخزرجي ، ومحمد بن يعقوب بن عبد الوهاب الشمس تفهمني وغيرهم .

طب الأطفال والصبيان[1]

إلتفت الأطباء منذ قديم الزمان إلى شؤون الطفل الصحية والتربوية ، فقد انتبه البابليون إلى الإضطرابات المعدية والمعوية عند الأطفال وما يصاحبها من بكاء وتشنجات قبيل وأثناء ظهور الأسنان ، وعرفوا كثيراً من أمراضهم الخلقية والمكتسبة ، وما تحتاجه هذه المخلوقات الصغيرة العاجزة من عناية خاصة بصحتها وغذائها . ولا بد أن أطباء حمورابي قد رفعوا إلى هذا العاهل ما يجب على المواطنين من العناية بأطفالهم فأصدر أمره بفرض عقوبات على من يقصر أو يتماهل بمصالحهم[2] . وهناك شواهد أثارية تدل على أن المصريين القدماء كانت لهم معلومات وممارسات في أمراض الأطفال . ويحتمل كثيراً أنهم عرفوا في ذلك الزمن البعيد مرض الشلل الذي يصيبهم ، وكشفوا عنه بصور ترعب الناظرين[3] .

واهتمت الشريعة الإسلامية بأمور الطفل بكل أدوار حياته . وفي القرآن الكريم والأحاديث النبوية أوامر برعاية الرضيع والفطيم ، وتوفير ما يحتاجه الطفل بعد ذلك . ولما مارس المسلمون الطب كعلم تجريبي لا تقليدي . وقرأوا معارف اليونان في طب الأطفال[4] ، جذبتهم مواضيع هذا الإختصاص

---

(1) اقرأ عن طب الأطفال في الملكي وابن سينا وابن هبل وكتاب ابن الجزار والبلدي وسعيد ابن عريب وأحمد بن محمد الطبري .

(2) عمر فروخ ـ العلوم عند العرب ص 84 .

(3) التكريتي ـ شلل الأطفال ص 7 .

(4) لأبقراط ثلاثة كتب في طب الأطفال (1) كتاب الجنين : ويتضمن مقالة في المنى ، ومقالة في

لما احتوته من إنسانية وحنان توافق تعاليم الشريعة الإسلامية . وربما كان أبو بكر الرازي (320 هـ/ 932 م) أول من أعطى طب الأطفال نصيبه من الأهمية ومارسه بتفهم وسعة ، ووضع فيه كتابه المعروف باسم (رسالة في طب الأطفال) . ويعتبر هذا الكتاب بنصه العربي من المفقودات . ثم جاء بعد الرازي ثلاثة من أبرز الأطباء العرب في هذا الإختصاص ، هم عريب بن سعيد القرطبي (حوالي منتصف القرن الرابع الهجري) ، صاحب كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين ، ومعاصره أحمد بن محمد الطبري صاحب كتاب المعالجات البقراطية ، وإبن الجزار القيرواني (حوالي 396 هـ/ 1005 م) صاحب كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم .

ويختلف الكتاب الأخير عن الكتابين الأولين وعن كتاب تدبير الحبالى والأطفال لأحمد بن محمد البلدي الذي سنذكره بعد قليل ، في أنه يختص بطبابة الأطفال وحدهم دون الكلام عن طب الحوامل والأمهات . وقد عاش الأطباء الثلاثة الأول الذين ذكرناهم في أزمان متقاربة ضمن القرن الرابع الهجري/ العشر الميلادي بحيث يصعب على الباحث تحديد تسلسل سني وفاتهم على وجه الدقة . والأقرب إلى الواقع أن ذلك قد كان بحسب تسلسل أسمائهم الذي ذكرناه . أما أحمد بن البلدي الذي عمل بمصر بحدود سنة 381 هـ/991 م فلم يكن أقل مشاركة بطبابة الأطفال من الذين ذكرناهم . كذلك كتب في طب الأطفال ومارسه أطباء آخرون مشهورون كعلي إبن العباس المجوسي وإبن سينا ، وإبن هبل البغدادي ، إلا أن هؤلاء قد كتبوا فيه كجزء من الطب عامة .

وكان الأطباء العرب طيلة العصور الإسلامية يعتقدون أن الطفل الذي

= تكون الجنين عامة ، ومقالة ثالثة في تكون أعضائه ، (2) كتاب المولودين لسبعة أشهر . وفيه يذكر أن المولودين لسبعة أشهر ولتسعة أشهر يعيشون ، أما الذين يولدون في الشهر الثامن فيهلكون . ويقول في هذا الموضوع أن أفضل شهور الحبل هو الفردية منها . (3) كتاب المولودين لثمانية أشهر .

يولد في الشهر السابع من الحمل يعيش ، أما الذي يولد في الشهر الثامن فلا يعيش . وقد انحدر هذا الإعتقاد إليهم عن الأطباء اليونانيين . ونقله عنهم عريب بن سعيد بشيء من التفصيل . ولم يجرء أحد من الأطباء أن يدحض هذا المعتقد بالرغم من كل الشواهد والوقائع الولادية التي تثبت خطأه الكبير ، والخطر من تطبيقه . ولا يزال هذا المعتقد موجوداً في بعض الأقطار إلى هذا اليوم .

وكان الأطباء العرب حتى ظهور كتاب المعالجات البقراطية لأحمد بن محمد الطبري ، يعتقدون أن المرضع (الأم أو غيرها من الحاضنات) هي مبعث المرض الذي يصيب الطفل . وتعالج المرضعة على هذا الأساس لا الطفل المريض الذي ترضعه[5] . ثم صار الطفل بعد ظهور كتاب إبن محمد الطبري هو الاحق بالعلاج من مرضعته .

وفي الكتب التي مر ذكرها معلومات تطبيقية ممتعة عن مداواة الطفل المولود لتوه ، وعلامات الخداج فيه ، وطريقة تنظيف منخريه ، وأذنيه ، وفمه ، وفحص موضع البراز ، والبول من الإنسداد والتشوهات الخلقية فيها . وتعليمات في كيفية قطع سرة الوليد وتنظيفها ، واحمامه والإعتناء بجلده وتغذيته ، واختيار الأدوية الموافقة لعمره وحالته . كما في تلك أيضاً معلومات عن بعض الأمراض الشائعة في الصبايا وطرق معالجتها . ولأن طب الأطفال قد تبلور عند الأطباء العرب في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، فسأذكر فيما يلي مختارات من النصوص التراثية التي وردت في كتب ذلك القرن .

قطع سرة الوليد

(أنه ينبغي أن نبتدىء في تدبيره عند خروجه ، فيقطع من سرته أربعة أصابع . . . وتربط سرته وتقتل فتلا رقيقاً وتوضع عليه خرقة قد غمست في

(5) أحمد بن محمد الطبري ـ المعالجات البقراطية .

زيت . . . فإذا وقعت سرته بعد ثلاثة أيام أو أربعة ، فينبغي أن يذر عليه رماد الودع المحروق ، أو رماد عرقوب عجل محروق ، أو رصاص محروق قد سحق بالشراب ، ثم يطلى على الموضع)[6] .

(ويكون أول ما يغذى عسلاً منزوع الرغوة ، ويلعق منه بالأصبع ، أو يمزج له ويسقى منه . فإن ذلك مما ينقي معدته ويفتح مجاريها . ثم ترضعه بعد ذلك المرأة غير أمه . وتجتنب أمه إرضاعه أربعة أيام ونحوها)[7] .

(. . . ويرضع في اليوم مرتين أو ثلاثة لا يزداد عليها إلى أن تستمرئه معدته ويقدر على الغذاء ، فإن كثرة الرضاع في هذا الوقت غير نافعة)[8] .

(وينبغي أن لا يرضع الصبي بعقب الحمام ، ولكن بعد أن تهدأ حركاته لئلا تعرض له تخمة ، فيتولد عنها في بدنه كيموس رديء . . . ولا ترضعه كثيراً في دفعة واحدة)[9] .

إحمام الطفل

(ويكون الماء معتدلاً لا حاراً جداً ، ويعمل هذا في بيت معتدل الدفء ، مظلم قليلاً . ويحم أول الغداة ، ونصف النهار ، وعند العشاء . وتبلط (تضع) الحاضنة على ركبتيها وفخذيها خرقة كتان ناعمة ، ثم تضجع الطفل عليها . وتحل عنه الخرق وتبدي أعضاءه وتلوي مفاصله ، وكل ذلك برفق وإحكام . ويجب إمساكه للتحميم باليد اليسرى . وتلزم الداية رأسه ورقبته ، فإن الصبي لا يستطيع أن يلزم نفسه ، وتصب عليه الماء باليد اليمنى فتطليه به أولاً دلكاً قليلاً . ثم تصب قليلاً على ذلك الممزوج ماء رويداً لئلا يبرد ، وتغم على عانته برفق ليبول . ولا تزال تفعل ذلك به حتى يحمر بدنه

---

(6) عريب ص 60 ـ 61 .

(7) المصدر السابق ص 50 .

(8) ابن الجزار ـ سياسة الصبيان 72 .

(9) المصدر السابق ص 65 .

كله ، فإذا أردت أن يحول الصبي على بطنه فتجعل الحاضنة إبهامها تحت لحي الصبي لئلا يميل رأسه إلى داخل الماء . وتميل الحاضنة كل عضو من أعضائه إلى ما ينبغي ، لأنها إذا فعلت ذلك صيرت المفاصل في مواضعها حسنة جيدة الحركة . . . وترفع الصبي إذا فرغت من تحميمه وتجعله الحاضنة على فخذها بعد أن تبسط تحته خرقة ناعمة وتنشفه وتمسحه . . . وتمسح عينيه بإبهامها مسحاً رقيقاً . . .)[10] .

حول الصبيان

(حَوَل الصبيان على ضربين ، أما أن يعرض لهم في بطون أمهاتهم وعند الولادة ، والضرب الآخر يعرض لهم بعد الولادة . فإذا أردت أن تعالج ذلك فامر أن يسوى موضع الرأس في المهد ويجعل قريباً منه بالليل سراج يضيء . فإن كان الحول مما يلي اليمين ، فليجعل السراج من الجانب الأيمن . وقد ذكر بعض الأطباء أن مما ينتفع به من ذلك أن يعمد إلى خرقة حمراء ، وخيط أحمر ، فيربط في الأذن التي تميل إلى ناحية الحول . ويكون الخيط طويلاً ليقع النظر عليه . ويدمن إستعمال ذلك)[11] .

السعال

(ينبغي أن لا تقاربهم الأدوية القوية جداً ، لأن أبدانهم لا تقوى على ذلك لضعف في قوتها ورخاوة لحمها . ولكن ينبغي لنا أن نعالجهم بالأدوية التي تشبه الأغذية ، وتكون عذبة الطعم لئلا يكرهها الصبي قبل منفعته بها . . . وذلك أن الإنسان إذا أكره على أخذ الدواء كان الدواء كريهاً وانقبضت المرارة عن قبوله . . . فمن الأدوية السهلة السلسة التي تنفع ويعالج بها الصبيان من السعال : مثل أن يؤخذ من الرازيانج الرطب بعد أن يغلى ويصفى جزء ، وجزء من لبن شاة إن كان الصبي لا يرضع ، وإن كان يرضع فلبن أمه جزء أيضاً ويخلطان ، ويسقى الصبي على قدر قوته ، أو

---

(10) المصدر السابق ص 63 ـ 64 .

(11) المصدر السابق ص 104 .

يؤخذ شيء من كثيراء وشيء من سكر ويسحقان سحقاً جيداً ويذاب بلبن حليب ويسقى الصبي . . . أو وزن نصف درهم من خشخاش ونصف درهم كثيراء بيضاء ودرهم من قثاء مقشور ، . . . الخ)[12] .

الحيات والديدان

(فينبغي لنا أن نعرف أن الدود العريض الذي يشبه دود الخل يتولد خاصة في أسفل الإمعاء الغليضة ، والذي يتولد في البطن هو المستدير الذي يعرف بالحيات أكثر ما يتولد في الإمعاء حتى أنه يصعد إلى المعدة . وتولد هذه الأجناس في الصبيان أكثر كثيراً من تولد الدود . والذي يتولد في الإمعاء الغلاظ المسمى حب القرع ، فإنه يتولد قليلاً في الصبيان . . . وينبغي لنا إذا أردنا علاجهم من هذه الحيات أن نبدأ فنخرجها من البدن ، وإنما يمكننا ذلك بعد أن نقتلها بالأدوية المرة . وذلك أنها ما دامت حية تشبثت بالإمعاء ، فإذا ماتت خرجت بالبراز . . .)[13] .

الحصى المتولد في مثانات الصبيان

(قد يتبع الحصى المتولد في مثانات الصبيان أعراض لازمة منها : عسر البول ، وشدة الوجع . ويجد الصبي حكة في إحليله . ويقوم (الذكر) من أدنى سبب ، وربما كان قائماً أبداً . . . واعلم أنه لا يتولد الحصى في الجواري كما يتولد في الغلمان . . . لأربعة أسباب أحدها أن رقبة المثانة فيهن قصيرة . والثانية أنها واسعة المجرى ، والثالثة أن التوائهن قليل ، والرابع أنهن أقل شرباً للماء من الغلمان . . . فينبغي لنا أن نحم الصبي بالماء الحار في كل يوم مرتين ، ويسقى من الماء (الهندباء) أو ماء الأنيسون وما أشبه ذلك مما يدر البول ويفتت الحصى . . . وإذا كانت السدة من حجر في المثانة فالغرض في علاجها في العاجل إزالة الحجر عن المجرى الذي فيه السدة . وأما البرء فيكون بالشق وإخراج الحصاة)[14] .

---

(12) المصدر السابق ص 111 ـ 112 .

(13) المصدر السابق ص 4 ـ 126 .

(14) المصدر السابق ص 130 ـ 133 .

علم النبات(1) ، والأدوية المفردة(2) والاقرباذين(3) ، والصيدلة(4)

هذه العلوم الأربعة من الاختصاصات البارزة في تاريخ الطب عند العرب . ولا مغالاة فيما قيل من أن الذين عملوا بهذه العلوم كانوا أنشط ، وإنتاجاتهم أكثر أصالة ممن عمل بفروع الطب الأخرى . والعلوم المذكورة بأي حال أقرب إلى العلوم الأساسية من العلوم السريرية ، وهذا مبعث الفخر لمن اختص بها وبحث في حقائقها العلمية ، ولم تجتذبه مردودات ممارسة الطب المغرية .

---

(1) يقصد بعلم النبات في التراثيات الطبية ، المعارف التي تختص بالنبت من الشجر والحشائش التي لها علاقة تطبيقية بالطب . ويعتبر كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري المتوفي سنة 282 هـ / 895 م أول كتاب عربي بهذا الاختصاص ، إلا أن مؤلفه لم يهدف فيه إلى الناحية الطبية بشكل خاص . ومع ذلك صار الكتاب من مصادر الكتب التي تبحث بهذا الموضوع من بعده والكتاب بخمسة أجزاء أو أكثر ، تعد أكثرها من المفقودات .

(2) يقصد بالأدوية المفردة ، العقاقير المستخلصة من الحيوان أو النبات أو المعدن (من ضمنها الأحجار) . أما الدواء المركب فهو مجموع من دوائين مفردين أو أكثر . وعلم العقاقير هو عام الأدوية مفردها ومركبها . وترجمته الصحيحة بالمصطلح اليوناني Materia Medica ، اقرأ عن الأدوية المفردة في الحاوي ج 22 ، 32 ، والملكي 2/87 ـ 100 ، 86 ـ 90 والقانون 1/222 ـ 47 ، والمختارات 2/2 ـ 206 .

(3) الأقرباذين ـ مصطلح معرب عن السريانية (كرافاذين) أو عن اليونانية مباشرة ! ومعناه الحر في التركيب الصغير (الكرملي ـ المساعد 1/256 ، ليبرت ـ دائرة المعارف الإسلامية 2/462) كما قيل أن المصطلح يعني رسم الأدوية (دائرة المعارف الإسلامية مادة عيسى بن علي) . وقيل أيضاً أنها تطلق على الأدوية المركبة (ابن سينا ـ القانون 1/558) وطريقة صنعها .

(4) الصيدلة ـ هي فن تحضير الأدوية بالدقة التي يقتضيها كيل مفرداتها الطبية بحسب وصفة الطبيب . فتكون الصيدلة بهذا المعنى هي الأقرباذين .

لقد عرف الإنسان منذ أقدم عصوره الأولى أنواع النبات التي تنفعه في مأكله ، أو في تداوي آلامه . وصار بمرور الزمن وتكرار التجربة يفرق بين ما يفيده من تلك النباتات وما يضره . وكانت هذه أول خطوة في طريق معرفة الحشائش المفيدة للصحة ولمعالجة الأمراض .

وكان البابليون والمصريون من أوائل الشعوب التي استفادت من بعض الأعشاب في معالجة المرضى . وأكثر الإحتمال أنهم كانوا يستعملونها مفردة دون خلط بعضها ببعض ليكون منها دواء مركباً متعدد الفوائد ، أو يكون منها دواء بفائدة طبية جديدة . وليس لدينا ثمة ما ينفي هذا الإحتمال .

ولما ورث اليونانيون معارف البابليين والمصريين في الأعشاب ، وتأكدوا بالتجربة من فوائدها في الصحة والمرض ، أولوا أمر هذا الموضوع عناية خاصة . وصاروا يعتقدون من فرط استغرابهم وإعجابهم بمفعولها في الأبدان السقيمة ، أن بينها وبين الكواكب السماوية علاقة روحية ذات نوع خاص ، وصاروا يقتلعون جذورها بحذر وأوصول حتى لا يفسدوا مفعولها الصحي والشفائي . وقد دخل علم النبات في منهاج التعليم بمعهد اللوقيون بأثينة على عهد أرسطو وثيوفراسطس المتوفى سنة 288 ق. م[5] ويعد هذا العالم الأخير أبو علم النبات في العصر اليوناني الذهبي ، مثلما يعد أبقراط أبو الطب وأرسطو أبو علم الحيوان . على أن دراسات ثيوفراسطس كانت في طبيعة النبات وأنواعه أولاً وآخراً ، وليس له فيها عن الطب ما يذكر . أما أبقراط فقد ذكر في كتبه المختلفة مئات من أسماء الأعشاب الطبية ، إلا أنه لم يصنف كتاباً خاصاً بها ، واكتشافها في كتبه لا يصعب على القارىء الطبيب .

وكان أول من اهتم بأمر الأعشاب ، ودون خصائصها الطبية ، وفوائدها

(5) ثيوفراسطس ـ أشهر علماء النبات اليونانيين قاطبة . عاش فيما بين سنة 273 و288 ق. م وهو من تلاميذ أفلاطون ، وخليفة أرسطو في معهد اللوقيون بأثينة بعد أن هجر أرسطو هذه المدينة . ولثيوفراسطس بحوث جليلة في النبات والأحجار ، ويعتبر مؤسس هذين العلمين .

في علاج الأمراض هو ديوسقريدس العين زربى ، وبعد ما لا يزيد على نصف قرن كان في دمشق نباتي آخر هو نقولا الدمشقي (حوالي سنة 50 ق. م) صاحب كتاب النبات الذي ينسب خطأ إلى أرسطو ، وقد ترجم إسحاق بن حنين هذا الكتاب إلى العربية ومنها نقل إلى اللاتينية ثم إلى العبرية . أما الأصل اليوناني فقد فقد هو والترجمة العربية[6] . ولا نعرف كما في هذا الكتاب من النبات أو الأعشاب التي لها علاقة بالطب وأدويته .

وفي القرن الثاني الميلادي ظهر كتاب في الأدوية المفردة لجالينوس ، ويقول المؤلف في هذا الكتاب : (إني تصفحت أربعة عشر مصحفاً في الأدوية المفردة لأقوام شتى فما رأيت فيها أتم من كتاب ديوسقريدس)[7] ، ونفهم من هذا النص أن الإختصاص في علم مفردات الأدوية كان قد سبق ظهور كتاب جالينوس في هذا الموضوع ، وربما سبق أيام ديوسقريدس أيضاً . إلا أننا لا نعرف عن تلك المصاحف التي أشار إليها جالينوس ، لا قليلاً ولا كثيراً .

وكان من المتوقع جداً أن يهتم الأعراب بمعرفة طبيعة ما ينبت في صحرائهم من الشجر والأعشاب ، بعد أن أفادوا منها عن طريق الصدفة أو التجربة في علاجات حالات الإسهال والإمساك وإيقاف النزف الدموي ، وتجفيف العين الرطبة ، أو تخفيف آلام المعدة والضرس . وبقيت أعشاب الصحراء عندهم في الإستعمال بطريقة بدائية في هذه الحالات المرضية وأمثالها حتى ظهور مترجمات الطب اليوناني إلى العربية في القرن الثالث الهجري . ومن المؤكد أن كناش القس أهرن بن أعين الإسكندراني الذي ترجمه ماسرجويه البصري بحدود نهاية القرن الأول الهجري ـ السابع الميلادي كان فاتحة وصول علم العقاقير إلى العرب . لقد كان في الكناش المذكور معلومات مفيدة عن الأدوية وإستعمالاتها في الطب .

---

(6) سارتون ـ تاريخ العلم 3 / 279 . واقرأ عن نقولا الدمشقي في Leclerc; 2/215.

(7) ابن أبي أصيبعة ـ عيون الأنباء ص 59 .

وفي أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ترجم كل من يوسف الخوري وأيوب الرهاوي المتوفي سنة 222 هـ/ 836 م المقالات الخمس الأول من كتاب الأدوية المفردة لجالينوس إلى اللغة السريانية ، إلا أن الترجمتين لم تعجبا حنيناً بن إسحاق فأعاد ترجمتها بقلمه إلى السريانية أيضاً . كما ترجم الكتاب حبيش بن الأعسم إلى العربيَّة[8] . أما القسم الأخير من كتاب مفردات الأدوية لجالينوس فقد ترجمه سرجس الرأس عيني إلى السريانية ، وقد أصلح حبيش هذه الترجمة ونقلها إلى العربية . كما نقل حنين إلى هذه اللغة كتاباً في الأدوية لأورباسيوس البرجامي ، ونقل هو وعيسى بن يحيى الكناش الكبير لأورباسيوس أيضاً ، إلى السريانية[9] . وترجم حنين كتابي الكناش في الطب وكناش الثريا لبولس الأجيني إلى العربية ، وفي كلا الكتابين معلومات وفيرة في الأدوية المفردة جديدة على الأطباء العرب[10] .

وفي خلافة المتوكل العباسي (232 ـ 247 هـ/ 847 ـ 861 م) ترجم اصطيفان بن باسيل كتاب الحشائش لديوسقريدس (القرن الثاني قبل الميلاد) إلى العربية . كما ترجم إليها نفس الكتاب بقرطبة في خلافة عبد الرحمن الناصر (300 ـ 350 هـ/ 912 ـ 961 م) . وكتاب ديوسقريدس المذكور أقدم الكتب بهذا الموضوع وأوسعها ، ومصدر لأكثر ما كتبه العرب في الأدوية المفردة .

ومنذ تلك الأيام انطلق العرب بتدارس علم الأدوية وما له علاقة بمصادرها النباتية والحيوانية والمعدنية ، وطريقة تحضير العقاقير منها . ونشأ لدى الدارسين لهذا الموضوع حس في أن لكل نبت خصائص تستحق البحث

---

(8) دائرة المعارف الإسلامية 2/503 ـ 504 ، رسالة حنين بن اسحاق إلى علي بن يحيى . ص 30 .

(9) دائرة المعارف الإسلامية 1/558 ـ 560 .

(10) المصدر المتقدم .

عنها واكتشافها . فتابعوا دراسة الحشائش ومختلف النباتات بالمشاهدة والتجربة على المرضى ، واكتشفوا الكثير من فعالياتها الشفائية . وعرفوا أيضاً أنواعاً جديدة منها لم يكن ذكرها ديوسقريدس أو غيره من علماء الأعشاب والنباتات اليونانيين .

وكان إهتمام العشابين العرب بما يستخلص من الأعشاب ، أكثر من إهتمامهم بالأعشاب نفسها . وصار موضوع الأدوية التي تستحضر منها عنواناً لكتبهم التي تبحث في النباتات وأسمائها وخصائصها الطبيعية ، وطريقة صنع الأدوية منها .

وبدأ الأطباء ومن يعمل في الأدوية يؤلفون في هذا الموضوع وهم ما زالوا في مرحلة الترجمة ، فلم تكد تصدر ترجمة حنين بن إسحاق للمقالة الأولى من كتاب الأدوية المفردة لجالينوس حتى نشر ابنه إسحاق بن حنين كتابه في الأدوية المفردة[11] ثم أعقبهما ثابت بن قرة الحراني (ت 288 هـ/ 901 م) بكتابين له أحدهما في أجناس ما تنقسم إليه الأدوية ، والثاني في أجناس ما توزن به الأدوية[12] . وتوالى بعد ذلك عدد غفير من الأطباء يكتبون في هذا الإختصاص .

وكان ابن ربن الطبري طبيب المعتصم (ت 227 هـ/ 842 م) من الأوائل الذين كتبوا بالعربية في المادة العقاقيرية ، ويتميز كتابه فردوس الحكمة عن غيره من كتب الطب بموضوع الأدوية لاحتوائه على مواد طبية مأخوذة من مصادر يونانية وهندية بالإضافة إلى ما كان معروفاً منها في بلاد فارس . على أن كتاب الأقرباذين لسابور بن سهل (ت 255 هـ/ 869 م) كان يومئذ أشهر كتب هذا الإختصاص في أقطار المشرق الإسلامي ، وأكثرها تداولاً بأيدي الأطباء ، وفي البيمارستانات ، ودكاكين الصيادلة في بغداد .

---

(11) ابن أبي أصيبعة ص 275 .

(12) ليبرت ـ دائرة المعارف الإسلامية 1/560 عن القفطي ـ تاريخ الحكماء ص 119 .

وبقي هذا الأقرباذين يتمتع بهذه المكانة الواسعة مدى نيف وثلاثة قرون قبل صدور كتاب الأقرباذين لأمين الدولة بن التلميذ البغدادي المتوفي سنة 560 هـ/ 1164 م .

وفي كتاب الحاوي للرازي معلومات غزيرة وقيمة في الأدوية المفردة والمركبة في جزئيه العشرين والواحد والعشرين ، بالإضافة إلى ما في أجزائه الأخرى بنفس الموضوع . كما ضمن ابن سينا كتابه القانون في الطب (2/243 ـ 467) زهاء ثمانماية دواء .

أما كتاب الصيدلة في الطب الذي وضعه العالم الموسوعي محمد بن أحمد البيروني (ت 440 هـ/ 1084 م) فقد رتبه هذا المؤلف على تسلسل الحروف الأبجدية ، وضمنه أكثر من سبعماية وعشرين مادة طبية مع ذكر أسمائها باليونانية والسريانية والهندية والفارسية .

ولابن جزلة البغدادي (ت حوالي 467 هـ/ 1074 م) كتاب في المفردات الطبية بعنوان (منهاج البيان فيما يحتاج إليه الإنسان) يحتوي على الأدوية المفردة المستعملة في الطب مرتبة على الحروف الهجائية ، مع معلومات عن المصادر الطبيعية لتلك الأدوية .

وفي مدينة صور كتب رشيد الدين بن الصوري المتوفي سنة 639 هـ/ 1241 م (كتاب الأدوية المفردة) وضمنه ما يزيد على أربعمائة وستين فصيلة نباتية مصورة بألوانها ومشروحة بأوصافها ، بالإضافة إلى خمسة وسبعين دواءً معدنياً ، وأربعة وأربعين دواء من مصادر حيوانية .

أما أعمال أطباء الخلافة الأموية في الأندلس والمغرب ، في علوم النبات ومفردات الأدوية ، فقد كانت أعظم وأكثر أصالة مما كان في المشرق الإسلامي . وكانت ديار الأدندلس غنية بأنواع الأعشاب والأحجار الغريبة فصارت مصدراً لاكتشاف الجديد من عناصر الأدوية التي فات على الأولين تسجيلها والبحث في طبيعتها ومنافعها . وأول من بحث في هذا العلم بتلك الديار (منتصف القرن الرابع الهجري) وهو عبد الرحمن بن إسحاق بن هيثم

القرطبي ، وكان من سيطرته بهذا الموضوع وتمكنه منه ، أن اعترض على معاصره ابن الجزار كبير أطباء تونس فيما قاله بكتابه الكمال والتمام في الأدوية المسهلة والمقيئة .

وشارك ابن هيثم مواطنه ابن جلجل طبيب بلاط عبد الرحمن الثالث بمساعدة سفير ملك بيزنطيا في قرطبة الراهب نقولا في ترجمة كتاب ديوسقريدس في الحشائش المكتوب باليونانية . ومن يومها بدأ تولع أطباء الأندلس وعلمائهم بدراسة علم النبات والعقاقير . ورغم أن هذه الحركة العلمية كانت وئيدة ، إلا أن بدايتها كانت بنفس الوقت جيدة ورصينة . ولم يظهر كتاب جامع المفردات لأحمد الغافقي إلا في حوالي سنة 561 هـ/ 1165 م أي بعد ما يزيد على القرنين من ترجمة كتاب ديوسقريدس إلى العربية في قرطبة . وكان الغافقي قد وضع كتابه بعد أن طوف في وديان وجبال أسبانيا وشمال أفريقيا واليونان ، وسجل مشاهداته على نباتات تلك الأصقاع ، وعرف أسماءها باللغة البربرية واللاتينية واليونانية وما يقابلها بالعربية .

وفي أوائل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي برز في أشبيليا الحشائشي أبو العباس أحمد بن محمد النبطي المعروف بابن الرومية المتوفى حوالي سنة 637 هـ/ 1239 م ، وهو بحق وجدارة من أكثر علماء العرب معرفة بالأدوية المفردة ، ومصادرها من الشجر والحجر والحيوان . وكان قد حصل على معلوماته بهذا العلم من سياحاته في شمال أفريقيا ومصر وسوريا والحجاز ، وضمّنها في كتابيه تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديوسقريدس ، وكتاب تركيب الأدوية .

وفي النصف الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ظهر عالم الحشائش أو مفردات الأدوية الأشهر ابن البيطار عبدالله بن أحمد الملقى المتوفى سنة 649 هـ/ 1248 م ، ونشر كتابين من أفخم ما وضع في هذا العلم بالعربية هما : المغني في الأدوية المفردة ، والجامع لمفردات

الأدوية والأغذية . وفي هذا الكتاب الأخير مجمل لكل ما ذكره المتقدمون من اليونانيين والعرب في هذا الموضوع فاحتوى على أكثر من ألف وأربعماية عقار من أصول نباتية وحيوانية ، مرتبة بتسلسل حروف الهجاء ، من ضمنها ما يزيد على ثلاثماية عنصر جديد لم يسبقه أحد إلى معرفتها . ويعد ابن البيطار آخر الرواد العرب في علم الحشائش والأدوية المفردة ، كما تعد كتبه خاتمة الكتب التقليدية في هذه المعارف .

الأدوية المفردة

صنف الأطباء الأدوية من حيث تركيبها ، وفعلها في البدن ومجال تطبيقها إلى أدوية مفردة ، وأخرى مركبة .

ويقصد بالدواء المفرد ما يؤخذ من مصدره النباتي أو الحيواني أو الحجري دون خلطه أو مزجه بدواء مفرد آخر . كما صنف الأطباء العرب الأدوية المفردة بحسب طبيعتها إلى حارة ، ورطبة ، وجافة ، وباردة . وهو تقسيم يطابق (الطبيعيات) الأربع للعناصر الأول الأربعة . وصنفوها أيضاً بحسب تأثيرها في الجسم وأعطوا لكل مجموعة منها أسماء تبعاً لتلك التأثيرات ، فمنها[13] :

(1) الأدوية الملطفة ـ مثل البابونج ، ومفعولها يفهم من اسمها .

(2) الأدوية المخشنة ـ كأكليل الملك وهو زهر يحلل الأنسجة وينضجها .

(3) الأدوية المرخية ـ كعشبة بزر الكتان واسمها يغنى عن ذكر مفعولها .

(4) الأدوية المنضجة ـ التي تعمل لتكوين الخراج .

(5) الأدوية الهاضمة ـ وتعمل في هضم الطعام كالجوارشنات .

(6) أدوية كاسرة الرياح في البطن ـ ومفعولها يفهم من اسمها .

(7) الأدوية المقوية ـ كدهن الورد ، وتعمل لتقوية البدن .

---

(13) ابن سينا ـ القانون 1/231 ـ 236 .

(8) الأدوية المحمرة ـ وهي التي تسخن ما تحتها من الأنسجة .

(9) الأدوية المخدرة ـ كالأفيون والبنج والزوان ، وتعمل في قطع الألم .

(10) الأدوية الخاتمة ـ وهي التي تعمل لاندمال الجروح .

(11) الأدوية المسهلة ـ لاطلاق البطن ، وهي كثيرة .

(12) الأدوية المحرقة ـ كشراب الحلتيت .

(13) الأدوية المدرة ـ كبزر الكرفس وبزر البطيخ ، وتعمل في در البول .

(14) الأدوية الترياقية ـ ولكل سم ترياق[14] ، وهي على الأكثر من الأدوية المركبة .

(15) الأدوية المقيئة ـ كالخريق الأبيض والكندس وجوز القيء وحب المازريون .

وكان أطباء المغرب والأندلس يفضلون استعمال الأدوية المفردة على الأدوية المركبة ، كما عرفت عامة الناس بالتجربة استطباب هذه الأدوية وطريقة تحضيرها . وصدر في المشرق والمغرب كثير من الكتب بهذا الإختصاص ، نذكر منها للمثل لا للحصر ، كتاب الأدوية المفردة لابن وافد

---

(14) الترياق أو الدرياق ـ هذا اللفظ فارسي مركب . وقد عرفه اليونانيون باسم تـرياء (بالكسر) ، وهو دواء مركب من مفردات طبية كثيرة قد تصل إلى ما يزيد على التسعين عدّاً ، تدخل فيها الحشائش المسكنة والمكيفة ، ويقال أن أول من اخترعه العالم اليوناني ماغنس ، ثم طوره اندروماخس بزيادة لحوم الأفاعي عليه (تاج العروس) وتفنن به الهنود بعد ذلك . وغير جالينوس من مركبات الترياق الأول ليكون أكثر فعالية في البدن . وقد وجد الترياق لأول مرة لتداوي لسع الأفاعي والتسممات الأخرى ، وصار لكل حالة من هذه ترياق خاص بها . أنواعه التريات الكبير أو الترياق الفاروق ، كما سى ترياق العراق ، وقد قيل في ذكره (وبين ما يجيء الترياق من العراق يكون الملسوع فارق) (دوزي ـ تكملة المعاجم ت . النعيمي / 43) . ومن أنواعه أيضاً ترياق الأربع أو الأربعة ، وترياق الملح ، وترياق عزرا (اقرأ مخطوطة المنهاج لابن جزلة مادة ترياق ، ومارتن ليفي ص 87) وقد يكون الترياق الأخير من صنع الهنود ، وهو يقلبون حرف الذال زايا (عزرا = عذراء) .

الأندلسي ، وكتباً أخرى بنفس العنوان لابن أبي الصلت الداني ، وابن بذوخ ، وابن سمجون ، والغافقي العشاب ، وحبيش الأعسم ، ويوحنا بن سرابيون ، ويحيى بن أبي الحكم الحلاجي وآخرون كثيرون ، أحصيت منهم سبعة وخمسين مؤلفاً ، وأحصى غيري من الكتاب ما يقرب من المائة مؤلف .

الأدوية المركبة

أما الأدوية المركبة فهي مزيج من دوائين مفردين أو أكثر ، ومصنوعة على شكل سفوفات أو جوارشن أو أطريفلات (معاجين) أو شربة أو لعوقات أو مربيات أو غراغر . وهي تدخل في المجموعة الآتية[15] :

(1) الأطريفلات ـ وهي معاجين تستعمل لتعديل الأخلاط السوداوية والبلغمية ، ومركبات الأولى من صنوف الإهليلج وشرباته (جرعاته) صغيرة .

(2) الجوارشنات ـ وهي خليط من الأدوية التي تساعد الهضم وتقوي القلب ، ومنها أنواع كثيرة .

(3) الايارجات ـ وتؤخذ على شكل حبوب لإستفراغ أخلاط البدن الثقيلة ، وتفيد في الصداع والخيالات السوداء .

(4) الأقراص والسفوفات ـ وأشهرها قرص الورد ، وينفع لضعف المعدة وتقوية الكبد ، وقرص الطباشير الكافوري ويفيد في الحميات الصفراوية ، وقرص العود ويفيد القلب والكبد ، وقرص الجلنار لأمراض الإمعاء ، وقرص الخشخاش للسعال المزمن وحميات الدق ، وغير هذه الأقراص .

أما السفوفات فتستعمل في حالات الزحير والإسهال المعدي والمعوي .

---

(15) لسهلان بن عثمان بن كيسان كتاب مختصر في الأدوية المركبة نشره بول سباط بالقاهرة مع ترجمة إلى الفرنسية سنة 1952 . وفي أكثر كتب الأدوية المفردة ما يضطر المؤلف أن يذكر الأدوية المركبة التي تتألف من تجميع الأدوية المفردة التي يتكم عنها .

(5) الأشربة ـ ومنها أنواع ، وتعمل غالباً من الأزهار كالنيلوفر والبنفسج ، أو من مياه الفواكه كالتفاح والسفرجل والرمان . وطريقة تحضيرها ومزجها مع السكر أو غيره هي التي تدخلها في صنف الأدوية المركبة . والسكنجبين أحد هذه الأشربة .

(6) المربيات ـ وتستعمل من لباب الفاكهة أو الأزهار .

(7) اللعوقات ـ وتؤخذ بالحس . وتستعمل في حالات السعال عند المسلولين .

(8) الغراغر والسعوطات ـ وتستعمل الأولى لأوجاع الحلق والخوانيق . أما السعوطات فتفيد الدماغ ، وتؤخذ بطريقة الإستنشاق ، ومنه أنواع كثيرة .

(9) الاكحال والشيافات ـ وتستعمل لأمراض العين وتقوية الإبصار بها ، ومنهما أنواع كثيرة بحسب شكوى المريض وصنف رمده .

(10) الحقن والفتايل والفرزجات ـ ومن الحقن ما تستعمل لتليين الإمعاء ، أو لآلام القولون ، ومنها ما يفيد أوجاع الظهر والمفاصل والرحم وقروح الإمعاء . أما الفتايل فمركبات من الأدوية بحجم نوى التمر وتستطب لأمراض الإمعاء .

أما الفرزجة ، فمركبات تحمل في المهبل لإسقاط الأجنة المائتة ، أو لمنع الحبل أو لتسهيله . كما تستعمل أيضاً لدر الطمث ولبعض الأورام الصلبة في المهبل أو الرحم .

(11) الأطلية ـ وهي مركبات عقاقيرية يطلي بها الجلد في حالة الجرب ، والسعفة ، والبرص والكلف ، والبهق .

(12) الضمادات والنطول والأدهان ـ وتستعمل لعلاج الدمامل ، والفتق ، وعضة الكلب ، وأوجاع المفاصل .

(13) أدوية الفم السنونات ـ لمعالجة الأسنان المحفورة وتنظيفها وسن

(تقوية) اللثة وحد الأسنان .

إبدال الأدوية بما يقوم مقامها[16]

يقصد بهذا التعبير إستعمال دواء ما عوض دواء آخر ، لهما نفس الفعل الشفائي ، عند توفر أحدهما دون الثاني . وإستبدال الأدوية معروف منذ أقدم الأزمان . ألفه اليونانيون والهنود والفرس . كما توسع الأطباء العرب باستعماله بسبب سعة الأقطار الإسلامية التي امتدت من الهند شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً . وتباين سكان هذه الأقطار واختلاف ما ينبت من الأعشاب على أراضيها ، فرضت الضرورة إستعمال دواء يمكن الحصول عليه في قطر حين يصعب الحصول على ما يقوم مقامه مما يوصي به الأطباء في مؤلفاتهم ، كما تضطر الحاجة أحياناً أن يشتري المريض دواء رخيصاً بدلاً من دواء غالي الثمن له نفس المفعول الطبي . كذلك يحدث أحياناً أن لا يكون في حوزة الصيدلاني الدواء المطلوب فيزود المشتري بدواء آخر بديلاً عنه .

وعملية إبدال الأدوية بما يقوم مقامها من الأدوية المتوفرة ، من إختصاص الصيدلاني بتوجيه من الطبيب المعالج .

وقد ظهرت كتب عربية كثيرة في إبدال الأدوية . وربما كان أول تلك الكتب هو الذي وضعه تياذوق طبيب الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكان عنوان الكتاب : في إبدال الأدوية . ثم ظهر كتاب إبدال الأدوية لماسرجويه البصري[17] ، وربما كتبه هذا المؤلف بعد أن ترجم كناش أهرن القس واطلع على ما فيه من المعلومات عن الأدوية المتماثلة في الفائدة . كما لكل من سابور ابن سهل وأبي بكر الرازي[18] كتاب بنفس العنوان والمآل .

---

(16) اقرأ عن ابدال الأدوية في كتاب :

Substitude Drugs in Early Arabic Medicine by Martin levey, Stuttgart, 1971.

(17) نشر مارتن ليغي كتاب ابدال الأدوية لماسرجويه بالإنكليزية ضمن الكتاب المذكور في الفقرة السابقة .

(18) Martin Levey - Substitudes of Drugs, P. 35 - 45.

وترجم حنين ابن إسحاق كتاب إبدال الأدوية لبدغوريوس[19] . وهذا المؤلف اليوناني قد عاش في فارس وربما في جنديسابور بالتحديد ، فكان ذلك من دواعي وضع هذا الكتاب لإستعمال أدوية فارسية بدلاً من الأدوية اليونانية .

ومن كتب إبدال الأدوية المشهورة واحد لابن الجزار القيرواني ، وكتاب آخر لنجيب الدين السمرقندي .

الصيدلة

الصيدلة أو الصيدنة (والأولى أعم) هي عملية خلط الأدوية المفردة أو مزجها بأوزان وحجوم مقررة لصنع الأدوية المركبة . والصيدن حجر الذهب وربما أعطيت الصنعة هذا الإسم لنفاستها ودقة العمل بها . كما قيل أن الإسم مشتق من خشب الصندل ، لكثرة ما ينبعث من مادته من الروائح العطرية كما هو الحال في الخشب الصندل . والمصطلحان بأي حال مستحدثان لم نسمع بهما قبل أن قرأناهما في إسم كتاب (الصيدنة في الطب) ، للبيروني المتوفي سنة 440 هـ/ 1048 م وقد يكون أول صيدلاني عرف لأيام المسلمين هو أبو قريش عيسى طبيب الخيزران وابنها الهادي وكانت عمليات الصيدلة تسمى قبل ذلك (الأقرباذين) ويشتغل بها صيدلي أو أكثر في كل مستشفى بالأقطار الإسلامية . ووضعت فيها كتب كثيرة في عمل الصيدلي بالمعادلات والأوزان والأحجام المقننة لكل دواء ، والمفترض أن يكون الصيدلي عارفاً بكل ذلك . وقد ذكرنا فيما تقدم أقرباذين سابور بن سهل ، وأقرباذين ابن التلميذ البغدادي كما أن لابن التلميذ كتاب آخر جعله عملياً ليستفيد منه كل من يعمل في صيدليات البيمارستانات اسمه (الموجز البيمارستاني) . ثم هناك كتاب الأقرباذين لبدر الدين محمد بن بهرام القلانسي المتوفي سنة 590 هـ/ 1194 م وقد حقق هذا الكتاب ونشره بحلب زهير البابا سنة 1983 ، وكتاب ضخم في نفس الموضوع لنجم الدين

---

(19) Ibid, P. 47 - 62.

محمود بن الياس الشيرازي المتوفي سنة 750 هـ/ 1330 م . وفي مصر الفاطمية صنف الطبيب اليهودي موسى بن العازار كتابه : الأقرباذين . وصنف يهودي آخر هو أبو الفضل بن أبي البيان الإسرائيلي كتاب الدستور البيمارستاني الذي سرعان ما تبنته أكثر البيمارستانات في الشام والعراق ومصر ، وصار الكتاب الأول في صيدلياتها حتى ظهور كتاب منهاج الدكان ودستور الأعيان لابن العطار الهاروني في القاهرة ، سنة 658 هـ/ 1259 م .

أما في صيدليات الأندلس وبيمارستاناتها ، فبالرغم من تنطس أطباء تلك الديار في علم الحشائش ومفردات الأدوية ، وقدمهم في معرفتها ، وسعة ممارستهم في استعمالها ، فإنهم بقوا حتى في أوج مراتبهم العلمية يفضلون استعمال الأدوية المفردة (التي وردت بكتاب ديوسقريدس) وكتب من شرحها من علمائهم ، على استعمال الأدوية المركبة التي تستحضر بالطرق الصيدلانية . ولم يظهر بسبب ذلك إلا كتاب واحد بالأندلس باسم أقرباذين . وقد مشى على هذا النهج كبار علماء العقاقير في الأندلس كابن وافد اللخمي المتوفي سنة 460 هـ/ 1068 م ومعاصره أبو عبدالله البكري . وكانت صيدلية أبي جعفر الغافقي لا تعمل إلا بالأدوية المفردة . وكان الغافقي آنئذ أشهر صيدلي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي في طول الأندلس وعرضها . أما مقالة ابن الرومية (ت 613 هـ/ 1216 م) في تركيب الأدوية فتعد من المفقودات ، ولا نعرف فيما إذا كانت تبحث في مركبات الأدوية أم في تحضيرها .

السموم في الطب العربي[1]

السموم أنواع ، ومصادرها من النبات أو الحيوان ، أو من أصول معدنية . وتختلف درجة سميتها بحسب جنسها وكميتها والحالة العامة للمتسمم بها .

وتكون السموم أما موجودة بطبيعتها فيتعرض لأذاها الإنسان قضاء وقدراً ، أو تستحضر صناعياً لقتل الحيوان أو الإنسان ، وكان دورها في هذا المجال الإجرامي كبير منذ عرفت وإلى وقت قريب . ولا تزال لحوادثها الجنائية موقعاً في القضاء في كل مكان .

ولا ريب في أن الإنسان قد اكتشف النباتات واللحوم السامة منذ أقدم عصوره الأولى ، وتوصل إلى ذلك بعد أن تعرض لأذاها قبل أن يكون له علم بطبيعتها الفتاكة . وورد في التواريخ أن الطبيب الفيلسوف هرمس الثالث[2] الذي عاش في مصر قبل الطوفان ، كان عالماً بالسموم والحيوانات السامة . وإذ أن الأفعى من أشهر وأخطر الحيوانات السامة التي عرفها الإنسان ، فلا بد أن يكون في رمزها الطبي عند البابليين ما يشير إلى ما يفعله سمها من الضرر على حياة الإنسان ، وإلى أهمية الوقاية من لسعها عملاً بما ينصح به الطب والأطباء .

---

(1) اقرأ عن السموم في فردوس الحكمة لابن ربن الطبري ص 444 ـ 449 . والقانون لابن سينا 2/119 ـ 127 ، والمختارات لابن هبل البغدادي 4/156 ـ 186 ، والزبدة لإسماعيل الخسروشاهي ص 561 (مخطوط) والحيوان للجاحظ 4/122 ـ 127 ، 90 ، 319 .

(2) اقرأ عن هرمس الثالث في القسم الأول من هذا الكتاب .

واشتهر الهنود بمعرفة طبيعة السموم بأنواعها ، وبصفة خاصة السموم الحيوانية واكتشفوا لها ترياقات تفيد في إبطال فعلها بجسم المتسمم بها . وربما كانت سموم الأفاعي هي الكاثرة بين السموم الأخرى في بلاد الهند . ولذلك كانت مؤلفات الهنود في السموم تركز على سموم الأفاعي أكثر من غيرها . وللطبيب الهندي (رأي) كتاب خصصه لهذا النوع من السموم وحدها بعنوان في الحيات وسمومها[3] .

واعتقد العلماء الهنود أن سم الأفعى والعقرب تفعل فعلها في الجسم بالاجماد والاذابة[4] ، وهو اعتقاد يقرب من الفكر المعاصر بهذا الموضوع . وقال بعض الهنود أنه يفعل بالغرابة[5] ، أي بسبب دخول جوهر السم إلى الجسم ، فيثير فيه تغييرات خطيرة على الحياة . وهذا التعليل مقبول أيضاً ، بالنسبة لما نعرفه عن فعل السموم في الوقت الحاضر .

وللهنود معرفة واسعة بصنع السموم لأغراض شتى منها الفتك بالحيوانات الضارة ، ومنها قتل الأعداء والخصوم كما سيأتي ذكر ذلك بعد قليل .

وقد وصلت معارف الهنود في السموم إلى بلاد اليونان ، وتعلم اليونانيون القدماء صنعها ، وصاروا على ما يظهر يستعملونها بكثرة بدوافع غير إنسانية كقتل الأطفال الذين لا يتوسمون فيهم الكفاءة البدنية[6] للدفاع عن سيادة وطنهم الذي كان باستمرار عرضة لإعتداءات المقدونيين والفرس . كما استعمل الأثينيون السم كأحد طرق قتل المحكوم عليهم بالإعدام . وقد فضل

---

(3) ابن أبي أصيبعة ـ العيون ص 474 .

(4) الجاحظ ـ الحيوان 4/126 .

(5) المصدر السابق . وفعل السم الذي يدخل الدم كجسم أجنبي غريب عنه ، وهو ما يدعى اليوم بالتحسس Anophylaxis .

(6) Segerist. 2/230.

سقراط أن يتجرع الشوكران[7] حين تركوا له اختيار طريقة تنفيذ حكم الإعدام فيه ، كذلك كثرت في أثينة حوادث الإنتحار ، والقتل غير المنظور بالسم والموت البطيء به الذي يبعد الأنظار عن إحتمال الدوافع الجنائية . وينسب إلى العشاب اليوناني الشهير ثيوفراسطس (382 ـ 387 م) سماً من صنعه يضمن إنهاء الحياة ببطء ، بعد تناوله ببضعة أيام[8] . ولا شك في أن الصيادلة والأطباء كانوا هم الذين يكلفون باستحضار السم المطلوب بجرعاته القاتلة . فانبرى كبير الأطباء اليونانيين أبقراط القوصي يعارض إستخدام السم لأغراض غير شريفة ، ونادى الأطباء بأن يمتنعوا عن تنفيذها . وضمن قسمه الطبي المشهور فقرة يحذر فيها ذوي المهن الطبية من وصف السموم القتالة ، أو أخبار الناس عن مواطنها . وأعقب ثورة أبقراط على إستعمال السموم إهتمام الأطباء باكتشاف الترياقات التي تبطل مفعولها في البدن بما في ذلك التسممات العفوية التي تأتي من فعل لسع الأفاعي ، أو لدغ العقارب والزنابير . وربما كان روفس الأفسسي (القرن الثاني الميلادي) أول من كتب في هذا الموضوع . وفي كتاب الهيولي في الطب لديوسقريدس المعاصر لروفس مقالتان في سموم الحيوان وإسعاف المتسممين بها . أما جالينوس فله مقالة في الترياق كتبها لسيده قيصر روما .

وقد عرف العرب السموم والتسمم بها قبل الإسلام بزمان طويل ، وكثرت وقائعه الإجرامية بعد الإسلام ، تكالباً على الحكم ، أو بدافع الحقد والغيرة .

ويذكر أن النبي محمد (ص) أكل هو وأصحابه من طعام مسموم أعدته له إمرأة يهودية ، فاكتشف (ص) فعلتها وحجم كاهله علاجاً لذلك[9] . ومن

---

(7) الشوكران ـ أو الشهدانج ـ نبت ذو أزهار بيضاء ثقيلة الرائحة ، وشيافاتها تنفع لألم العين ، وضماداتها على الثدي لقطع اللبن ، والشربة من نقيعة سم قاتل .

(8) قصة الحضارة (في الكلام عن ثاوفراسطس) 8/156 .

(9) ابن قيم الجوزية ـ الطب النبوي ص 97 .

يومها صارت تقع وفيات بظروف غامضة اندفع الناس والمؤرخون إلى تأويلها باستعمال السم غدراً . ومما يـذكر أيضـاً أن الخليفة معـاوية بن أبي سفيـان استخـدم طبيبه الـرومي ابن آثال لتحضيـر السموم ليـدسها في العسـل لقتل أعدائه ومن ينافسه على الحكم(10) .

وصار الناس عامتهم وخاصتهم بعد هذه الأحداث يتوجسون من تناول الطعام في الولائم حذراً من أن يكون فيه من السموم القاتلة . وصار بعضهم لا يتناوله قبل أن يبدأ بتناوله صاحب الدار . وكـان الخوف على أشـده عند الأمراء والخلفاء من هذا السلاح الفتاك غير المنـظور . فكان من أجـل ذلك يقف على رؤوسهم واحـد من أطبـائهم أو أكثـر (ابن أبي أصيبعة 476) ليكشف فيما إذا كانت موائدهم مسمومة أم سليمة . وبعضهم من كان يأمر واحداً من عبيده أن يتناول من ذلك الطعام قبل أن يشرع هو بتناوله . والعادة إلى وقت قريب أن يبدأ العبد يرشف القهوة أمام سيده ، ثم يرشف سيده منها بعد ذلك ليكشف لضيوفه أن القهوة التي تقدم لهم غير سامة .

وحكـاية الخليفـة المتـوكـل التي طلب فيهـا من حنين بن إسحـاق أن يستحضر له سمـاً ليقتل بـه واحداً من أعـدائه مشهـورة بين الكتّاب القـدماء والمحدثين (القفطي ـ تاريخ الحكمـاء ص 176) . وفي الحكايـة أن حنيناً ابى أن يصنع السم الذي طلبه الخليفة . وسواء كانت كل تفاصيل هذه القصة واقعية ، أو أنها رمـز للخلق الإنساني والـطبي الذي كـان يتحلى به حنين ، فإنها تشير على الأقل إلى أن السموم كانت تخيف الناس أيما خوف .

وبالرغم من أن كثيراً من قصص أحداث التسمم مختلقة ، وظواهـرها مفتعلة ، إلا أن بعضها بأي حـال كانت مـرعبة . وصـار الناس يبحثـون عن طريقة لإكتشاف السم قبل الوقوع في حبائله ، ومعرفـة علاجـه بعد ذلـك . وكان في بلاط هارون الرشيد عدد من الأطباء الهنود ، من أشهـرهم الطبيب

---

(10) ابن أبي أصيبعة ص 171 ـ 174 .

منكة الذي رأى بعد إشارة من الحكام أن يترجم كتاب شاناق في السموم[11]. وهو أشهر كتب الهند في هذا العلم . فنقله بمعونة أبي حاتم البلخي إلى الفارسية ، ومن هذه اللغة نقله أبو العباس الجوهري إلى العربية . وتحسب هذه الترجمة أول كتاب بالعربية يبحث في موضوع السموم . ويتضمن هذا الكتاب أربع مقالات في الأطعمة والأشربة المسمومة بحسب صفاتها البائنة على مظهرها ، أو في شمها ، أو في مذاقها ، أو في ملمسها ، وما يتبع ذلك كالقيء والإسهال ، أو العطش الشديد ، ووجع الظهر ، والقرقرة في البطن . كما يتطرق الكتاب إلى الأدوات والألبسة المسمومة ، وعلامات تأثيراتها على الجسم ، وإلى السموم المنومة ، والتي تسبب البرص والرمد . ولأن الكتاب يهدي بصورة مكشوفة إلى إستحضار السموم ، فإن شاناق على ما يستشف من ذلك لم يكن طبيباً ، أو كان طبيباً لا يلتزم بالسلوك المهني في صناعة الطب الذي يطالب بتطبيقه أبقراط . ويحتمل كثيراً أن يكون شاناق من مستشاري ملوك الهند فوضع لهم هذا الكتاب ليعرفوا منه ما يقيهم من شرور أعدائهم ، أو يستخدموا ما فيه من المعلومات لصنع السموم واستعمالها كأحد أدوات القتال . وفي مقدمة الكتاب تنويه إلى هذا الهدف من تأليفه . وبالجملة فإن في الكتاب كثيراً من الأفكار غير المعقولة وغير المستساغة ، منها حكاية الصبية التي اعتادت أن تتناول سماً ، ثم أخذت تزيد مقداره تدريجياً حتى تشبع به جسدها وصارت تقتل كل من يقبلها أو يضاجعها[12]، فلما قرأ الجوهري الكتاب بصيغته أمام الخليفة المأمون أمر هذا بحذف حكاية الجارية المذكورة من الكتاب ، وقال أن ذلك من فعل الجاهلية ولا

---

(11) نشر أوكست ملر كتاب السموم لشاناق وعلق عليه بالألمانية في ليبزلغ سنة 1880 .

(12) في كتاب السموم لشاناق يقول المترجم (قال العباس بن سعيد الجوهري : قال المأمون ينبغي أن يسقط نعت الجارية المسمومة ، لأن هذا من أفعال الجاهلية ولا نخرجه لنا ، لأنه يتلف جملة أطفال . . فأسقط ذلك من الكتاب ، وليحذر العقاب عليه ، وليصنه ويعالج منه مما ذكرنا من ابتلى بشيء مما فيه ، فإن أجره على الله تبارك وتعالى (كتاب السموم لشاناق ص 535) .

نريده أن يحتمي بظل الإسلام[13].

وقد طرق الأطباء العرب باب السموم ، وكتبوا عنها ، وأخذوا في تأليفهم فيها عن الفرس والهنود واليونانيين . ومع أن أكثر تلك المؤلفات تعد من المفقودات غير أنه يبدو من عناوينها أن الأطباء العرب ، بوازع من الدين ، أو من آداب الصنعة ، لم يعلنوا للملأ عن معلوماتهم في تركيب وصفات السموم القاتلة . وأغلب ما كتبوه كان في وسائل التوقي منها ، وعلاج حالاتها المرضية سواء كانت تلك الحالات جنائية أو بسبب الطوارىء العفوية . ولذلك كانت أكثر كتبهم في الترياقات ضد السموم . وربما كان كتاب جابر بن حيان (200 هـ/ 815 م) في السموم ودفع مضارها ، أول ما خرج بأقلام العرب بهذا الموضوع . كما كتب إسرائيل بن سهل الكوسج (القرن الثالث الهجري) كتاباً في الترياق لأبطال فعل السموم . ولابن القف في كتابه الشافي في الطب فصل عن السموم يفهم من وضعه بهذا الكتاب أنه يهدف إلى شفاء حالات التسمم . وهناك كتابان في علاج حالات التسمم أيضاً أحدهما لمحمد بن محمود القوصوني بعنوان كتاب المعرفة في دفع السموم وحفظ الصحة ، والثاني لحسين بن أبي ثعلب بن مبارك بعنوان المنقذ من الهلكة في دفع مضار السمائم المهلكة . كما أن في أكثر المؤلفات الضخمة في الطب العربي أمثال فردوس الحكمة لابن ربن الطبري ، والحاوي للرازي ، وكامل الصناعة الطبية لعلي بن العباس المجوسي ، والتيسير لابن زهر الإشبيلي وغيرها ، معلومات وفيرة في إسعاف المتسممين والمصابين بلسع الزواحف والهوام السامة . وربما يكون أوسع ما كتب في السموم وترياقاتها هو ما أورده ابن هبل البغدادي في كتابه المختارات في الطب[14] ، وفيه يتطرق المؤلف إلى السموم عامة ، وطرق التحرز منها ، وعلاج حالاتها المرضية كما يذكر في ذلك أنواع السموم النباتية مثل

---

(13) شاناق ص 535 .

(14) المختارات 4/156 ـ 178 .

البيش[15] ، وقرون السنيل ، والذراريح[16] ، والبلاذر[17] ، والفربيون[18] ، والدفلي ، والعنصل البري ، والأفيون ، وبذور البنج ، والفطر السام ، وخانق النمر[19] ، والشوكران . ويذكر أيضاً السموم الحيوانية أمثال الوزغة ، والحرباء وبيض الحرباء ، ودم الثور الطري ، ومرارة النمر ، وسم الحيات والعقارب والزنابير ، كما يذكر السموم المعدنية مثل كبريتات الزرنيخ وبرادة الرصاص ، والجبسين .

ويتفق أكثر الأطباء العرب على أن فعل السم في الجسم يزداد في حالة الخمار ، وضعف البدن ، والفزع ، وسعة العروق المؤدية إلى القلب . ويعتقد العامة أن الحية لا تقتل ما لم تنقلب وهي ما تزال تمسك بفكيها على الفريسة[20] ، كما تعتقد أن لدغ الزنابير والعقارب تعالج بدلك موضع الإصابة بالذبّان[21] ، وأن حليب الماعز يفيد في لسع الأفاعي[22] . أما الأطباء فيصفون لهذه الحالات أحد طرق الإستفراغ كالقيء ، والحجامة ، والفصد . كما استطبوا له المسك والحليب .

---

(15) البيش ـ نبت صيني وهندي يطول ساقه إلى طول ذراع ، سبط الأوراق . وهو سم قتال ، أسرع فتكاً بالإنسان من سم الأفعى ، وربما يصرع من يشمه . ونطوله ينفع البرص . (ابن البيطار 1/31 ـ 134) .

(16) الذراريح ـ تفيد حالات الجرب ودر البول ، وقطع الظفرة ، والإستسقاء ، وقلة الطمث . وكثرته سامة .

(17) البلاذر ـ نبت صيني وقد ينبت في جزيرة صقلية . وثمرة أحمر داكن وفي داخله ما يشبه الدم . يفيد الفالج ويزيل الوشم والمثآليل . وشربته سم شديد (ابن البيطار 1/113) .

(18) الغربيون ـ صمغ مفيد لأصحاب القولنج ـ والإمساك ، وعرق النسا ، وهو بذاته سم فتاك للمعدة ، ويقتل في خلال ثلاثة أيام .

(19) خانق الذئب ، أو قاتل الذئب ـ من أعشاب إيطاليا ، وهو سام وسيمت كذلك لأن الذئب إذا أكلها هلك .

(20) الجاحظ 4/123 ـ 125 .

(21) المصدر السابق 4/127 .

(21) المصدر السابق 4/17 .

(22) ابن هبل البغدادي 4/297 .

أحكام النجوم والقوى السحرية في الطب العربي

آمن الإنسان بقوى الطبيعة منذ أقدم عصوره الأولى ، وفسر أكثر ما يصيبه من كوارث وأمراض إلى أيديها الخفية التي تلعب بمقدراته ، فتحايل على دفعها بكل الطرق العقلية وغير العقلية .

وقد افترض البابليون والمصريون والهنود القدماء أن ما يحدث على الأرض وما ينزل بالإنسان من أمراض له علاقة بالنجوم وتحركاتها في السماء ، وأن خصائص الكائنات عموماً ما هي إلى مكتسبات من العالم الأعلى ، وتستوى تلك الخصائص أو تضطرب باستواء وإضطراب ذلك الفاعل العلوي . كما صارت تلك الأقوام تستدل على التوقعات والأحداث المقبلة من تحركات تلك النجوم .

وافترض اليونانيون الأقدمون لكل كائن نجما يدبر شؤونه ويتصرف بأحواله ، فتخضع لإرادته الأهوية ، والأمواه ، والأمراض ، والجنين في بطن أمه ، والإنسان على مدى عمره[1] . وقد ذكرنا فيما تقدم الفصول والظروف التي يجب أن تقتلع بها الأعشاب الطبية لتبقى تحتفظ بقدرتها الشفائية في علاج المرضى ، وبدون ذلك فلا نفع منها في الإستعمالات الطبية[2] كما صار اليونانيون يستخدمون الدلائل الفلكية للتنبوء بظهور الأوبئة ، ودورات الأمراض ، والتطورات التي يمر بها المرضى إلى الأفضل أو إلى الأسوء ،

---

(1) نلينو ـ دائرة المعارف الإسلامية (الشعب) 10/7 .

(2) المصدر السابق ، وسارتون ـ تأريخ العلم 2/18 .

وقال أبقراط في ذلك أن علم التنجيم ليس بجزء ضئيل من صناعة الطب ، وأن طلوع الكواكب وغروبها هو علة إختلاف الأزمان ، وإختلاف الأزمان علة التغيرات التي تحدث في الأبدان[3] . وقال جالينوس ، أن لكل حي على الأرض حيازة مقدرة من حركات في السماء . ثم قال بصيغة التأكيد (أن هذا شيء بلوته بعناية شديدة فوجدته صحيحاً ، وهو أن القمر إذا كان في موضع السعود في أيام المرض ، كانت أيامه صالحة ، وبالضد)[4] . وهكذا كان للنجوم وقواها الخفيفة كثير من إهتمام الأطباء بالإضافة إلى إهتمام المزارعين وعلماء الطبيعة بموضوعها .

وقد وصلت أفكار اليونانيين في النجوم وتأثيراتها على الكائنات ، إلى المسلمين في صدر الخلافة العباسية عن طريق كتب بطليموس الإسكندراني[5] وكان أولها كتاب المجسطي في الفلك وكتاب الثمرة في التنجيم . وسمى المسلمون علم طبيعة النجوم وحركاتها علم الهيئة ، وعلم إستخدامها لمعرفة ما تفعله بالكائنات : صناعة أحكام النجوم ، ومن يمارسها منجماً أو أحكامياً وصناعة أحكام النجوم تختلف اختلافاً كلياً عن علم النجوم . مع أنها تعتمد عليه إلى حد كبير . قال أبو نصر الفارابي (أن علم دلالات الكواكب يدل على ما يحدث في المستقبل ، وعلى كثير مما هو موجود ، وعلى كثير مما تقدم)[6] وأوضح أن في هذا دعوى إلى معرفة ما في الغيب ، لذلك عارض المسلمون هذا حيناً ثم صاروا بعد ذلك يلتفتون إليه

---

(3) Ullmann - Islamic Medicine. p. 111 - 112.

(4) أبو بكر الرازي ـ الحاوي 18/39 .

(5) كلوديوس بطليموس الاسكندراني (القرن الثاني م) عالم بالفلك وأحكام النجوم والجغرافية . وقد وصلت كتبه في هذه الإختصاصات إلى العرب وترجمت إلى العربية في أيام هارون الرشيد . وكان بطليموس يعتقد أن الأرض ثابتة وأن الشمس وغيرها من الأجرام السماوية تدور حولها . وبقيت نظريته سائدة إلى أن أبطلها كوبر نيكس المتوفي سنة 1543 م وأثبت أن الشمس هي الثابتة وتدور حولها الأجرام الأخرى بما فيها الكرة الأرضية .

(6) الفارابي ـ احصاء العلوم ص 43 .

بكثير من الإهتمام ، حتى أصبح من العلوم التي يعتمد عليها عامة الناس وأعيانهم .

وكان فيلسوف العرب يعقوب الكندي فلكياً ومنجماً معاً ، وله في هذا الميدان زهاء عشرين كتاباً وهو أكثر من ربط بين النجوم والأمراض والمرضاء . ونفهم من عنوان كتابه (في الابانة عن منفعة الطب إذا كانت صناعة النجوم مقرونة بدلائلها) قدر إهتمامه بالتنجيم لجعل الطب صناعة أكثر فائدة وأضمن لشفاء المرضى .

وللطبيب يوحنا بن بختيشوع الذي زامل الكندي في خدمة الخليفة المتوكل ، كتاب باسم : فيما يحتاج إليه الطبيب من علم النجوم . وهكذا كان كثير من أطباء العرب الممارسين يعنون بالنجوم والتنجيم ، نذكر منهم بصورة خاصة أحمد بن محمد البلدي صاحب كتاب تدبير الحبالى والمولودين . ولم يكن هذا الطبيب فلكياً إلا أنه آمن بتأثير الأفلاك على المخلوقات وعلى الإنسان خاصة ، وبالأحجار التي تستمد منها قواها الخارقة ، فوصف العقيق اليماني لتخفيف المخاض وتسهيل الولادة[7] ، أما عريب بن سعيد القرطبي (أواخر القرن الرابع هـ) فيأتينا بمعلومات عن سيطرة النجوم على الجنين ما لا نجده بالتفصيلات التي يذكرها في أي مصدر يوناني أو عربي . ونفهم استنتاجاً أنه أخذها عن معاصريه المنجمين . قال في تناوب الكواكب السبعة على تدبير أمور الجنين الحياتية أن زحل يكون مسؤولاً عنه في الشهر الأول من الحبل ، والمشتري في الشهر الثاني ، والمريخ في الشهر الثالث . أما في الشهر الرابع فيكون الجنين تحت حكم الشمس ، وفي الشهر الخامس بإرادة الزهرة . وفي الشهر السادس يتولاه عطارد ، وفي الشهر السابع يتولاه القمر فيتم اكتماله ويتحرك ويتهيأ للإندفاع إلى خارج الرحم ليعيش منعزلاً عن أمه .

---

(7) أحمد البلدي ـ تدبير الحبالى والمولودين ص 170 .

أما الجنين في الشهر الثامن فيتولى أمره زحل مرة ثانية فيعود إلى حياة راكدة كما كان في الشهر الأول ، فلا يكون بحال يستطيع بها أن يعيش خارج الرحم . وفي الشهر التاسع يكون الجنين تحت سلطان الشمس . واتبع الأطباء هذه المعلومات وصاروا يمارسون الطب الولادي على أساسها فيرحبون بولادة الجنين في الشهر السابع بقدر ما يستبشرون بولادته في الشهر التاسع ، وأكثر مما يرتاحون لولادته في الشهر الثامن حين يكون قليل الحركة فلا يكتب له نصيب من الحياة إلا بقدر ما تفعله الصدفة بذلك[8] . وربما كان أبقراط أول من قال أن الولادة في الشهر السابع أسلم على الوليد منها في الشهر الثامن[9] . وحاول علي بن العباس المجوسي أن يفسر هذه النظرة فلم يبتعد عن الخيال أكثر مما فعل أبقراط[10] .

وقد شاعت ممارسة التنجيم في التطبيق بين الأطباء ، خاصة في مصر الفاطمية ، حيث كان الناس يؤمنون كثيراً بالخرافة وينقادون برضى إلى السحرة والمنجمين[11] . وكان لكل من أبي نصر عدنان بن نصر العين زربي طبيب الخليفة الظافر الفاطمي ، وابن رضوان المصري يمارس التنجيم قبل أن يتعلم الطب ، ثم مارس الصناعتين معاً . وكذلك فعل آخرون كثيرون من الأطباء ، ألّفوا كتباً تجمع بين التنجيم والسحر والطب باسم (المجرّبات)[12] التي وضعوها بشكل كناشات فيها من خبراتهم في منافع تطبيق التنجيم وحمل المواد ذات القوى الشفائية الخارقة أو السحرية في مداواة المرضى . ويبدو لنا من كتابات ابن سينا أنه كان يشجب هذه الطرق في التداوي ، ولم يعمل إلا بما يؤيده العقل والطب العلمي .

---

(8) عريب بن سعيد القرطبي ـ خلق الجنين ص 38 ـ 39 .

(9) أبقراط ـ كتاب المولودين ص 19 .

(10) المجوسي ـ الكتاب الملكي 1/120 .

(11) ابن أبي الصلت ـ الرسالة المصرية ص 24 ـ 32 .

(12) Ullmann - Islamic Medicine, p. 110.

إلى جانب التنجيم اندس التحايل والسحر في تطبيق المعلومات التي تستوحى من النجوم ، وظهر هذا المنحنى بشكل بارز في طب البيزنطيين في عصورهم المتأخرة (ما بعد القرن الرابع الميلادي) فعمل به أكابر أطباء تلك الحقبة ، كما شاع في تلك الحقبة أسلوب جديد في التداوي باستعمال الأحجار ، وقطع من أعواد الأشجار ، وأجزاء من الحيوان وما إلى ذلك . فيربط حجر الشدة مثلاً على فخذ الماخض ليخفف من أوجاع الطلق ، أو يربط سلخ الحية على وركها لتسهيل ولادتها . وصار هذا النوع من العلاج يعرفه العامة ويطبقونه بثقة وإيمان . وربما رحب رجال الدين يومئذ بهذه الطرق العلاجية حين رأوا أنها تبعد الناس عن أفكار الأطباء المتجددة التي كانت في نظرهم مروقاً على النصرانية .

وكان من وسائل التداوي عند العرب قبل الجاهلية التي زامنت العصور البيزنطية ، ما له شبه كبير بأعمال السحر التحايل التي كان يمارسها البيزنطيون المتأخرون . وقد ذكرنا فيما سبق التعشير عند العرب كواسطة لمنع الإصابة بالأمراض المعدية[13] . كما كان الزجر[14] ، والعرافة[15] ، من المعتقدات

(13) جواد علي ـ العرب قبل الإسلام ص 411/8 .

(14) الزجر ـ يطلق على معنى الإنذار بوقوع الشيء ، كأن يصبح الزاجر بالطير أو يرميه بحجر ، فيتطير أو يتفائل من اتجاه طيرانه .

(15) العرافة ـ هي الإستدلال ببعض الحوادث الماضية على الحوادث الآتية لإرتباط بينهما أو مشابهة خفية . أو استدلال من ظواهر الأمور بالملاحظة الدقيقة . ومن هذا القبيل ما حكي عن أبي معشر البلخي الأشهر ، أنه وقف وصاحب له على واحد من العرافين ، وكانا ذاهبين لخلاص سجين ، فسألاه عما وراءه فقال : (أنتما في سبيل خلاص مسجون . فعجبا من ذلك فقال له أبو معشر هل يخلص أم لا ؟ فقال تذهبان تلقيانه قد خلص . فوجدا الأمر كما قال . فاستدعاه أبو معشر وأكرمه وتلطف له في السؤال عن كيفية علم ذلك . فقال : نحن قوم نأخذ الفأل بالعين والنظر ، فينظر أحدنا إلى الأرض ثم يرفع رأسه فأول شيء يقع عليه نظره يكون الحكم به . فلما سألتماني ، كان أول ما رأيت ماء في قربة ، فقلت هذا محبوس ثم لما سألتماني إلى الثانية نظرت فإذا هو قد أفرغ من القربة فقلت يخلص (طاش كبرى زاده 358/1) .

الشائعة قبل الإسلام . وبقيت هذه الأساليب في الممارسة حتى بعد أن وصلتهم كتب الأطباء البيزنطيين الذين أشرنا إليهم . وكان أول من كتب بالعربية في هذا النوع من التطبيب هو ماسرجويه البصري الذي ذكر تعليق الكزيرة على الماخض لتخفيف آلام الطلق ودفع أخطار الولادة[16] . وأكثر الإحتمال أن ماسرجويه عثر على هذه المعلومات في كناش أهرن بن أعين الذي ترجمه إلى العربية . كما تكلم في هذا النوع من التطبيب سلمويه بن بنان طبيب الخليفة المعتصم الذي أوصى بحجر المغناطيس لتقبض عليه الماخض حتى يسهل عليها وضع وليدها[17] .

ودعى ابن ربن الطبري إلى تبني هذه الأفكار ، وقال أن لبعض المواد الحيوانية والحجرية قوة غير منظورة تقي الإنسان من الأمراض أو تبرؤه منها . فذكر حجراً يشفي المرأة من العقم ، وآخر يمنع الحبل . وقال إذا حملت الحبلى الوزغة (أبو بريص) فإنها تمنع سقوط حملها[18]، وأن المرأة التي تأخر حبلها إذا بصقت في فم ضفدعة ثم رمتها في النهر (فإنها تحمل بإذن الله)[19] ، ويروي ابن ربن الطبري أيضاً أنه (سمع من مدير البيمارستان في جنديسابور يقول أنه شاهد حجراً هندياً مربوطاً إلى بطن مريض بالإستسقاء . (وكان الحجر يسحب ماء الإستسقاء منه . . .)[20] . وليس العجب في أن ينقل ابن الطبري حكاية هذا الحجر فقط ، بل في أن يكون أيضاً ناقل الخبر إليه هو مدير بيمارستان جنديسابور الذي يعتبر من أفضل بيمارستانات ذلك العالم .

ويجوز الاغضاء عن ابن ربن الطبري في نقل هذه الرواية لإعتقادنا أنه

---

(16) أحمد البلدي ـ ص 170 .
(17) المصدر السابق .
(18) ابن ربن الطبري ـ فردوس الحكمة ص 442 .
(19) المصدر السابق ص 281 .
(20) Ullmann - Islamic Medicine, p. 108.

كان مؤلفا في الطب ، أو الأصح مؤرخاً لعلوم الطب والأفكار فيه أكثر بكثير مما كان ممارساً في هذه الصنعة . ويبدو هذا الأمر أكثر غرابة حين نقرأ لأبي بكر الرازي ، وهو أبرز طبيب سريري في العصور الإسلامية ، ما يدل على إيمانه بقوى غيبية من فعل النجوم أو غيرها تفيد في أعمال التطبيب . فذكر أن عَرَق الإنسان المعافي يحمل قوة شفائية لبعض الأمراض[21] ، ووصف قميصاً منضوحاً بالعرق كانت تلبسه إمرأة في المخاض لمريض بحمى الربع ، كما وصف إغذاء المرضى بمسحوق العقارب لتفتيت حصى المثانة[22] .

وللرازي كتاب باسم الخواص (وهو من الكتب المفقودة) يقال أنه اختص بهذه الأنواع من التداوي . وأكثر الإحتمال أن الرازي كتب في هذا الموضوع كنوع من العلاجات الشعبية التي كان العامة يؤمنون بها ولا يقوى أحد على دحضها حتى لو جاءت التجربة تعارض معتقدات الناس بها .

ويوصي الكندي بحمل وزغة ملفوفة بجلد فيل ، أو قلب (أبو بريص) لمنع إسقاط الحمل[23] . وفي كتاب المرشد لأبي سعيد التميمي أن النظر في كهرمان مصقول يقي العين من مرض الساد[24] .

وكانت حجة من يمارس إستعمال تلك المواد أن كثيراً من الأدوية الطبية التي يشفى بها المرضى تعمل بطريقة لا يمكن لأحد أن يعرف سرها ، فيشيرون بهذا إلى أن لا غرابة أيضاً إذا استفاد المريض مما يحمله على بدنه من المواد التي ذكرناها . فبين تلك المواد والنجوم ما يحقق الهدف من إستعمالها . وبأي حال فقد نظر المسلمون الأوائل إلى هذا النوع من التداوي ، وإلى التحايل على معرفة أيام المرض المقبلة ، على أنها ضرب

---

(21) Ibid. 109.

(22) الرازي ـ الحاوي 10/102 .

(23) أحمد البلدي ص 170 .

(24) ابن البيطار ـ الجامع لمفردات الأدوية 3/110 .

من السحر الذي لا يرتاحون إليه ولا ترتضيه الشريعة الإسلامية .

ليس من السهل التفريق بين السحر بمفهوم العامة وفعل الأحجار وما إليها من المواد التي استعملت في تطبيب المرضى . كما أن إستخدام التنجيم في التطبيب والتنبؤ بمستقبل دورة المرض وحال المريض لا يمكن عزله كلياً عن السحر ، وقد خضنا هذا الموضوع واعتبرناه قسماً من الطب العربي لأنه كان فعلاً أحد علومه التي مارسها الأطباء العرب . كما مارسه قبلهم اليونانيون والهنود والفرس إلى جانب الطب العلمي . ولا يجوز بأي حال أن نعيب ذلك الطب لمجرد أن أطباءه قد مارسوا هذه اللامعقوليات في التطبيب . ويكفي أن نقول أن أعمال التنجيم والسحر وكثيراً من الأوهام والخرافات لا تزال تمارس إلى هذا اليوم ، وفي كل الأقطار .

الموسيقى في الطب العربي
والأطباء الذين لعبوا بأوتار العود

يقال أن أول من مارس ما سمّاه اليونانيون (موسيقى) هم قدماء المصريين[1] . كما يذكر أن شعوب ما بين النهرين كان لهم من هذا الفن الجميل نصيب كبير ، وأن فيلسوف اليونان فيثاغورس (القرن السادس ق. م) قد تعلمه في بابل وحمله راجعاً إلى موطنه في كروتون[2] . وفي التوراة أن بني لامك أول من غنى على إيقاع الطبول والمعازف . وقيل أيضاً أن يوبان بن لامك أول من صنع آلة العود ، كما قيل أن اليونانيين القدماء أول من وضع قواعد الموسيقى . وأن أهل أفروجيا وموسيا كانوا أول ما استخدم الزمر ليعالجوا على أنغامها المرضى ، ومن يعانون من الإنحرافات النفسية[3] .

وقد مارس العرب الموسيقى منذ قديم عصورهم الأولى ، وربما التقطوا أنغامها الفنية من الفرس أو اليونانيين على الحدود الشمالية للجزيرة العربية ، أو في اليمن . كما ويحتمل أن يكون شعرهم القديم أو ترديده قد تأثر إلى حد ما بتلك الأنغام[4]. ونعرف أن الحارث بن كلدة الثقفي ، وهو من أطباء العرب قبل الإسلام ، كان مولعاً بالضرب على العود وقد تعلمه في اليمن

(1) الفارابي ـ الموسيقى الكبير ، تحقيق عبد الملك غطاس ص 15 .
(2) ابن أبي أصيبعة ـ عيون الأنباء ، ص 31 ـ 32 .
(3) المصدر السابق ، ص 13 .
(4) مقدمة كتاب الموسيقى الكبير ، ص 16 .

وفي جنديسابور ، حيث تعلم الطب فيهما أيضاً[5] .

وفي التراثيات اليونانية التي وصلتنا باللغة العربية ، أن أولئك الأقوام يعتبرون الموسيقى مثل الرياضيات والفلك والفلسفة والطب ، من العلوم التي يتحلى بها المثقف اليوناني[6] . وكان أطباؤهم يفهمون ضروب النغم . واشتهر اسقليباديوس (القرن الثاني ق. م) بإستخدام الموسيقى في علاج مرضائه[7] .

ولما وصلت العلوم اليونانية إلى العرب في صدر الخلافة العباسية بقيت الموسيقى تحسب من العلوم الرياضية ، وتقرأ كتبها وتمارس كما تمارس العلوم اليونانية الأخرى ، مع الفارق في التوسع وكثرة التطبيق . إلا أن العرب دون شك ، شذبّوها من الأنغام التي لا يستسيغون جرسها ، كما أضافوا إلى سلالمها ما زاد في طيبها على السماع ولم يكن للغرب اللاتيني يومئذ معرفة بكل ذلك .

ولم يحارب الإسلام الموسيقى النزيهة . وصار أكابر العلماء والأطباء يؤلفون في فنونها ويلهون باللعب بالآتها . ونعرف أن الخليفة إبراهيم بن المهدي ، وهو ملوّن من أمه شكلة السودانية ، كان بديناً ضخماً إلا أنه ينحني على العود ويلاعب أوتاره برشاقة وإتقان .

كما كان كل من الخليفة المنتصر (توفي سنة 248 هـ/ 862 م) ، والمعتز (ت 255 هـ/ 869 م) ، والمعتضد (ت 279 هـ/ 892 م) من الموسيقاريين في المجالس الخاصة .

إن لذة السماع دون اللذات عموماً لا تكلف الإنسان إلا الإنصات إلى ما يلائم دواخل النفس . فأفاد منها المفجوع والسعيد ، والمريض والمعافى

---

(5) ابن القفطي ـ تاريخ الحكماء ص 161 ، ابن أبي أصيبعة ص 161 .
(6) ابن أبي أصيبعة ، ص 98 .
(7) Carrison - Introd. Hist. Medc., p.106.

على السواء . واستفاد منها الأطباء في علاج المرضى[8] . كما انتحلها كثير من الأطباء ومارسوها لجمال فنها مما يتفق وفن الطب . وربما كان أول من مارسها من الأطباء المشهورين هو أبو بكر الرازي ، وإذا كان قد توقف عن الضرب على العود والغناء بعد أن نبت الشعر على وجهه ، أو أنه كان يحن إلى مزاولتها في خلوته ، فإنها هي الغريزة الفنيّة التي جمعت في هذا المتطبب وأمثاله مهنتي الطب والموسيقى معاً[9] .

أما كبير فلاسفة العرب أبو يوسف إسحاق بن يعقوب الكندي المتوفي سنة 260 هـ/ 873 م فقد وضع في هذا الفن أربع رسائل في الإيقاع ، والموسيقى ، وفي ترتيب النغم . كما ألّف الكندي في الطب أيضاً .

ويعتبر فيلسوف الإسلام أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي المتوفي سنة 529 هـ/ 1134 م أكبر من ألّف في الموسيقى العربية ، وكتابه (الموسيقى الكبير) أضخم كتاب عربي في هذا العلم . كما ينسب إليه اختراع آلة العود ، أو هو طورها إلى الشكل المعروف الآن . وتخيل داود الضرير الأنطاكي المتوفي سنة 1008 هـ/ 1599 م تركيب العود على فسلجة الإنسان . وقال أن أوتاره الأربع تتفرغ على زنده كما تتفرغ الشعب الشريانية من الأبهر ، وأن كل واحد منها يمثل خلطاً من أخلاط الجسم الأربعة . كما افترض كل واحد منها يمثل فصلاً من فصول السنة الأربعة . وأن اللعب الفني بأوتاره ينسجم مع نبضات العروق الدموية من حيث سرعة ضرباتها ، وتعاقبها ، وسعتها وعمقها في الأنسجة[10] ، وهذا الترابط المفترض بين تركيب العود وأنغامه وبين فسلجة الجسم له دخل في معالجة المرضى بالإستماع إلى الأنغام التي تناسب عللهم . وقديماً قال اليونانيون أن أمهات

---

(8) عبد اللطيف العبد ـ الطب الروحاني لأبي بكر الرازي ص 21 عن رو وانيت ـ تاريخ الموسيقى العربية 1/2 .

(9) ابن أبي أصيبعة ، ص 29 .

(10) داود الأنطاكي ـ تذكرة أولي الألباب 2/41 ـ 42 .

لذائد الحياة أربع : لذة الطعام ولذة الشراب ولذة الجماع ولذة السماع . وأن كل هذه اللذائذ متعبة لجسم الإنسان وعقله إلا لذة السماع فإنها إن قلّت وإن كثرت صافية من التعب خالصة من النصب[11] . وآمن العرب بهذه الحكمة وأدخلوا الموسيقى مثلما أدخلوا الحمية في علاج المرضى . كما عالجوا الأمراض النفسية بما يلهي المريض ، كالرياضة والإختلاط بالناس والسفر ، وبالموسيقى . وكانت تستقدم إلى بيمارستان المنصوري بالقاهرة أجواق المغنيين والموسيقاريين لتسلية المرضى[12] . كما كان مثل ذلك في بيمارستان فرج الخزرجي بفاس موسيقاريون يلحنون الأنغام لنفس الغاية[13] .

وكثرة الأطباء العرب الذين كانوا يمارسون الموسيقى أمر يجلب النظر ولا يفسره إلا الروح الفني الذي يجمع بين الطب والأطباء والموسيقى والموسيقيين .

ومن أوائل من كتب في الموسيقى من الأطباء أبو العباس أحمد بن الطيب بن محمد السرخسي المتوفي سنة 286 هـ/ 899 م[14] ، وأبو نصر منصور الحسين بن محمد المعروف بابن زيلة (ت 440 هـ/ 1048 م) وهو أحد تلاميذ ابن سينا اللامعين ، وقد شرح قصته (حي بن يقظان) التي هي غير قصة ابن طفيل بنفس العنوان . ولابن زيلة كتاب الكافي في الموسيقى[15] . وغير هؤلاء الأطباء كثيرون ممن كتب في الموسيقى .

ويدعو أبو الصلت الداني (ت 529 هـ/ 1130 م) إلى تلطيف

---

(11) ابن أبي أصيبعة ص 50 .

(12) أحمد عيسى ـ البيمارستانات في الإسلام ، ص 287 .

(13) بنعبدالله ـ الطب والأطباء بالمغرب ص 44 ، عن كتاب كنور الصحة ويواقيت المنحة ص 72 .

(14) للسرخسي في الموسيقى كتاب الموسيقى الصغير ، وكتاب الموسيقى الكبير ، والمدخل إلى علم الموسيقى (ابن أبي أصيبعة ص 294) .

(15) الشهرزوري ـ نزهة الأرواح 2/39 .

المرضى بالغناء والحركات المسلية[16] . وله رسالة في الموسيقى وأثرها في الطب ، وقد تأثر بها الغناء الأفريقي . ولابن أبي أصيبعة رسالة في الموسيقى ترجمت إلى الألمانية وطبعت في كوتبرج سنة 1880 م ، كما لعمه رشيد الدين بن خليفة كتاب في نسبة النبض وموازنته إلى الحركات الموسيقية ، وهو لا بد على خط ما كتبه داود الأنطاكي بهذا الموضوع .

كما كان الفيلسوف الأندلسي ابن باجة (ت 533 هـ/ 1138 م) يتقن الضرب على أوتار العود[17] . ومثله كان أبو الحكم عبيدالله بن المظفر الباهلي (ت 549 هـ/ 1154 م) وابنه أبو المجد بن أبي الحكم الباهلي[18] (ت 500 هـ/ 1106 م) ، وابن النقاش الطبيب البغدادي (ت 574 هـ/ 1189 م)[19] وتلميذه أبو زكريا البياسي (ت673 هـ/ 1274 م)[20] ورضوان بن محمد الساعاتي (ت 662 هـ/ 1270 م)[21] ، وغيرهم كثيرون .

لقد كانت الموسيقى أحد سمات الترف الحضاري في العصور الإسلامية ، ومن مظاهر الأبهة في قصور الأمراء والخلفاء . تعاطاها النبلاء والفلاسفة والأطباء الممارسون على السواء . والتطورات التي أدخلها الموسيقيون العرب على قواعد الموسيقى الأولى كانت سابقة فنية وحضارية بالنسبة للغرب اللاتيني في تلك الحقب ، فلما وصلت إليهم عن طريق الأندلس وصقلية أدركوا سبق العرب الزمني والعلمي في دساتين وسلالم هذا الفن الرفيع ، فأخذوا عنها ما أفاد موسيقاهم وأوزان غنائهم .

---

(16) الرسالة 21المصرية ـ ابن أبي الصلت (نوادر المخطوطات ـ عبد السلام هارون ص 34) .
(17) ابن أبي أصيبعة ص 515 .
(18) المصدر السابق ص 615 ، 628 .
(19) المصدر السابق ص 637 .
(20) المصدر السابق ص 637 .
(21) ابن أبي أصيبعة ص 661 ـ 662 .

أعم طرق العلاج

المعالجات الطبية صنفان ، وقائية لدفع الأمراض ، وشفائية لمعالجتها إذا وقعت . ولم يكن للوقاية من الأمراض إعتبار عند العرب قبل الإسلام ، وظهرت أهميتها بدرجة ما في أوائل بزوغه . وبرزت فوائدها بشكل واضح بعد القرن الثاني الهجري حين أدرك الأطباء العرب علل الأمراض بمفاهيمها العلمية . فصار الطب في هذه المرحلة عندهم وقائياً بقدر ما كان شفائياً ، فحبة وقاية خير من قنطار علاج . وأضحى الطبيب يخدم الأصحاء بفنه ليقيهم من الأمراض بقدر ما يخدم المرضاء ليخلصهم منها إذا ما أصيبوا بها . . قال سنان بن ثابت بن قرة : (ان طبنا لحفظ الصحة ، لا لمعالجة المرض)[1] . كما كان كثير من الأطباء ينصحون الناس بحقنة ومسهلة في كل فصل من فصول السنة[2] لتستفرغ من أبدانهم الفضول الفاسدة ، وتنشط الأعضاء لأداء وظائفها على وجه أفضل . كما ينصح آخرون بالفصد مرتين في كل سنة[3] . ولم يكن هذا الأسلوب الوقائي في التطبيق مألوفاً لمن مارس الطب قبل أن يعرف العرب هذه الصناعة . فهو دون شك من مبتكرات العرب . ومن أبرز ما في طبهم بوجه عام .

أما العلاج الشفائي فيكون أكثره بالغذاء أولاً ، وهي الطريقة الأعم في

---

(1) ابن أبي أصيبعة ص 308 .

(2) المصدر السابق (عن تياذوق) ص 180 .

(3) المصدر السابق (جبرائيل بن بختيشوع وهارون الرشيد) ص 199 .

الإستعمال . وتعالج بعض الحالات المرضية الأخرى بالدواء ، أو بعمل اليد أي بالفصد أو الحجامة ، أو الكلي أو بعملية جراحية أكثر تعقيداً . وبشكل عام ، يخطط العلاج على ثلاثة مباديء هي :

(1) رفع سبب المرض[4] ، (2) المحافظة على قوة المريض ، (3) المعالجة بالتغذية ، ما أمكن تجنب الأدوية[5] . ولأنه من المحتمل أن يقع الطبيب المعالج في حيرة عند تطبيق المبدئين الأوليين على الحالات المرضية الحادة والمستعجلة ، فيهلك المريض قبل إكتشاف سبب المرض أو قبل تقوية المريض ، لذلك قيل احترازاً :

(إذا كانت القوة قوية والمرض قصيراً ، يجب قلع السبب ، وذلك إذا علمت يقيناً أن المريض لا يموت من فقد الغذاء أو قلته ، وبالضد . وإذا كان الأمر ذلك مشتبهاً ، وليكن ميلك إلى تقوية القوة أكثر ، ولا تنس قلع السبب)[6] . وقالوا أيضاً عن أهمية القوة لمعالجة المريض :

(القوة للعليل كالزاد للمسافر ، والمريض كالطريق ، ولذلك يجب أن يعنى الطبيب كل العناية بأن لا تسقط القوة قبل المنتهى)[7] .

وتعزى أكثر الأمراض إلى إختلاف بين أخلاط الجسم بالكمية أو النوعية . وتعديل هذا الإختلاف يكون على الأكثر بالغذاء فتعالج أمراض الأخلاط بتغيير نوع الأطعمة ، أو بتقليل كميتها أو يستعمل لها أحياناً دواء

---

(4) الرازي ـ الفصول ص 90 .

(5) المصدر السابق ص 91 .

(6) المصدر السابق .

(7) المصدر السابق ص 90 . وورد في مخطوطة كتاب كفاية الطبيب فيما صح لي من تجاريب المنسوب إلى ابن رضوان المصري (مكتبة غوتة) مأثورة لا بد أخذها عن الرازي فيما قاله بخصوص قوة المريض وتطوير علاجه بحسب ذلك . تقول المأثورة (أما قوة المريض فينبغي أن يكون اعتمادك عليها في جميع الأحوال دون غيرها في جميع العلاقات . فإن كانت قوية واحتجت إلى الإسهال أو الفصد فلا تتوقف . . . وإن كانت ضعيفة فغذه إلى أن تقوى قليلاً . .) .

ملطفاً للخلط ، أو دواء يعمل باستفراغ الفائض منه . ولم يكن هناك فرق كبير وحيوي فيما لو أخطأ الطبيب في تشخيص نوع الخلط الفائض على الجسم . كما أن هناك تقارباً بين أنواع العلاجات التي يصفها المعالجون لتعديل كمية الخلط . وأن الخطأ في تشخيص اضطرابات الأخلاط كثيرة الحدوث ، ولحسن حظ المريض كان العلاج بالغذاء عند الأطباء الحذاق أعم من العلاج بالدواء الذي يلجأ إليه الأطباء الجهلة والمبتدئون في الصنعة ليتظاهروا بالمقدرة الفنية ومعرفة مفردات الأدوية ومجال استعمالاتها . والإستفراغ بالدواء أكثر الوسائل الطبية للتخلص من فضلات الأخلاط . ويتم الإستفراغ بالقيء ، أو بالإسهال ، أو بالتعرق ، أو بالفصد أو بالحجامة . وكما يكون اختلاف الأخلاط من الأسباب الشائعة في تكوين الأمراض ، كذلك الإستفراغ بشكل من أشكاله علاج شائع في طبابة ذلك الزمان ، فيكثر تشخيص إختلاف الأخلاط كما يكثر علاجه بالإستفراغ ، ولذلك لا بد من كلمة على هذه الوسائل العلاجية باعتبارها أكثر في التطبيق من غيرها من وسائل العلاج ، وهي أيضاً الصورة البارزة والواضحة لأغلبية الطب في العصور الإسلامية . وإذ أن تلك الوسائل تستطب في حالة الصحة كما تستطب في حالة المرض كما سنرى ، فإنها تدخل في الطب الوقائي أيضاً الذي هو سيّد فروع الطب عموماً .

استعمال المسهلات

قال تياذوق (لكل فصل قيئة ومسهلة)[8] . وهكذا كان أكثر الناس يفعلون ، سواء كانوا بصحة جيدة أو كانوا من المرضاء . والهدف من تناول المسهلات هو التخلص من العفن الموجود في الإمعاء ، وبعث الحركة في جدرانها . ويستحسن أن تلين الإمعاء قبل تناول الدواء المسهل . وتستعمل الحقنة في هذه الحالة إذا كان الغائط صلباً . كما يمزج المسهل أحياناً بدواء

---

(8) ابن أبي أصيبعة ـ العيون ص 180 ، الإسهال والمسهلات ـ ابن سينا 1/196 ـ 201 والمختارات 10/300 .

مقيء . والهدف من كليهما واحد ، فيكون منهما الإستفراغ بالقيء كما يكون بالإسهال . كما يساعد على الإستفراغ دخول الحمام قبل تناول الدواء المسهل . أما دخوله بعد تناول الدواء فلا يخلو من الضرر . كما لا يستطب الإسهال في حالة سوء الهضم . ولا لمن يكثر عنده التهوّع . وقد يسبب الإلتهابات المعدية ـ المعوية إذا كان من يتناوله مصاباً باللثغة ، أو إذا كانت جرعة المسهل كبيرة . ولا يستحسن أخذ شربتين من المسهل في يوم واحد . كذلك لا يستطب المسهل في حالة الهزال والأمراض الحادة . وتناول المسهلات بتكرار يسبب الإعتياد عليها ويضر الجسم ، كما يجب أن يلاحظ في إستطباب المسهلات حالة الشخص العامة ، ونوع مرضه ، وعمره وتقبله للأدوية . وأفضل الفصول لتناول المسهلات هما الربيع والخريف ، ثم الشتاء إذا كانت الرياح فيه جنوبية . أما إذا كانت الثلوج لا تزال تغطي رؤوس الجبال القريبة فلا يساعد المسهل على تحقيق الغاية من تناوله

ولكل خلط من الأخلاط الأربعة مسهل يجتذبه إليه . وقد أطلق على المسهل الذي يستفرغ خلطاً معيناً اسم الدواء الآلهي (ابن جزلة ـ المنهاج) . والأدوية التي تجتذب خلط الصفراء هي : الهليلج[9] الأصفر ، والصبر[10] ، والصقمونيا[11] ، والإجاص ، والرمان الحامض المدقوق المعصور بقشره وشحمه ، وكذلك شربة البنفسج .

والأدوية التي تسهل خلط السوداء ، هي الخريق الأسود[12] ، والهليلج

---

(9) الهليج ـ ابن البيطار 4/196 .

(10) الصبر ـ أجوده العربي . وهو نبات بري ، مسهل ، ومعجونة بالعسل ينضج الداحس ، ومع الشراب ينفع تساقط الشعر .

(11) السقمونيا ـ نبات ثلاثي الأغصان ، يفيد عصيره لإسهال الإمعاء وهو مفيد للكبد ، والبهق والبرص والكلف . وطبيخه بالعسل يفيد قروح الجلد والجذام .

(12) الخريق الأسود ـ نبات ورقه يشبه ورق الدلب وينمو على التلال وفي مداخل الكهوف . وهو مقيء ومسهل ومع الخل يفيد البهق والجرب ويلين الناسور الصلب ، ويذهب بالدوي في الأذن ، والوجع بالمفاصل .

الأسود ، والأفتيمون[13] ، والأول هو الأقوى .

والأدوية التي تسهل خلط البلغم ، هي شحم الحنظل[14] ، وقثاء الحمار[15] ، ولب القرطم[16] والأول هو الأقوى .

أما الأدوية التي تسهل الماء وتستفرغه من البدن في حالة الوذمة والإستسقاء ، فأقواها المازريون[17] ، والشبرم[18] ، والفربيون[19] .

وليس للدم مستفرغات غير الفصد والحجامة الرطبة . وأخف المسهلات العامة هي شربة البنفسج وتستعمل في أكثر حالات إضطرابات الأخلاط .

المقيئات[20]

تستعمل المقيئات للتخلص من الأخلاط الغليظة ، كما تستعمل في حالة الصحة وقاية منها . قال أبقراط : القيء مرتين متواليتين في الشهر مفيد[21] . وقد عمل كثير من الأطباء العرب بهذه القاعدة الوقائية .

---

(13) الأفتيمون ـ نبت يفيد أمراض السوداء والماليخوليا والصرع وهو مسهل للسوداء والبلغم .

(14) شحم الحنظل ـ نبات صحراوي يفرش أغصانه على الأرض . له ثمر كروي يصفر إذا نضج وهو شديد المرارة وسهل قوي .

(15) قثاء الحمار ـ يشبه القثاء المعروف إلا أنه أصفر وفيه عصير حريف ، يسهل الإمعاء ، والبلغم والدم . وقطرات منه تفيد لوجع الأذن . كما يفيد في الصرع .

(16) لب القرطم ـ القرطم هو العصفر . أوراقه مشوكة وزهره شبيه بالزعفران ويستعمل مثله في الطعام ولإسهال المعدة .

(17) اقرأ عن المازريون في ابن البيطار 4/126 .

(18) الشبرم ـ اقرأ عنه في المصدر السابق 3/51 .

(19) الفربيون ـ سم قاتل ، محلوله بالعسل يكحل العين ، وقليل منه مفيد في القولنج ، ومروخه يفيد لعرق النساء ووجع الورك والظهر .

(20) اقرأ عن القيء في القانون لابن سينا 1/201 ـ 203 ، والملكي للمجوسي 2/148 ـ 149 ، والفصول للرازي 53 ـ 55 ، والمختارات 1/300 .

(21) ابن أبي أصيبعة ـ العيون (بيروت) 1/203 .

ويستطب الإستفراغ بالقيء في حالة إمتلاء المعدة ، وحين يتوجب تفريغها ، وخصوصاً بعد الإفراط في تناول الخمرة ، وفي حالة سوء الهضم . كما يستطب للتخلص من خلط البلغم في المعدة ، وعند الحس بالثقل في الرأس ، وفي حالة الإستسقاء ، والجذام ، والصرع ، وداء الملوك ، وعرق النسا . ويحذر من تناول المقيئات في الأشخاص الذين يعانون من ضيق النفس وخصوصاً من كانت لهم قابلية النفث الدموي ، ومن كانت صدورهم بارزة ورقابهم دقيقة ، ومن في معدته ضعف ، أو له قابلية التهاب الحلقوم . وفي بعض الحالات التي يتأخر فيها القيء بعد تناول المقيئات ، تستعمل ريشة ملطخة بدهن الحناء ، وتحرك على البلعوم . أما إذا كانت هناك مضايقة في المعدة دون قيء ، فيأخذ المريض جرعة من الماء الساخن . وتدفئة الأطراف والبطن تساعد أيضاً على إثارة القيء . وفي حالة إستمرار القيء أو شدته يأخذ المريض جرعة من الخل ، أو يمضغ المستكى ، وتمسيد الأطراف والضغط عليها مفيد في هذه الحالة أيضاً .

وأكثر المقيآت استعمالاً هو الجلهنك[22] والكندس[23] وجوز القيء[24] وحب المازريون . وأفضل المواسم بتناولها هو الصيف ، وأنسب أوقات اليوم هو منتصف النهار .

الحقنة[25]

تفعل الحقنة كما تفعل المسهلات في الجسم . وكلاهما يفرغ الإمعاء من الغائط وفضلات الأخلاط . وتفضل المسهلات لأنها تفيد في إيقاف المغص بأنواعه ، وأوجاع البطن والمثانة .

---

(22) الجلهنك ـ نبت يشبه السداب ، يقيء البلغم والمرة ويفيد في حالات الفالج .

(23) الكندس ـ هو السطرنيون . حريف يدر البول وينقي الكبد يفيد واليرقان ، وعسر النفس ويسهل البطن .

(24) جور القيء ـ نبت موطنه اليمن ، وثمره مقيء ومسهل .

(25) اقرأ عن الحقنة في القانون لابن سينا 1/201 ـ 203 والملكي للمجوسي 1/312 ـ 313 .

ويصنع وعاء الحقنة عادة من المعدن ، وقد يعمل ، من الجلد أو مثانة البقر . أما الصنبور فيصنع من الفضة أو النحاس أو الخزف الصيني .

ويستعمل الماء للحقن ، وتكون حرارته مثل حرارة الجسم ، ويدفع بيسر عن طريق الشرج حين يكون المريض مستلقياً على ظهره ، ثم ينقلب على الجانب الذي يتألم منه .

وأفضل أوقات الحقن حين يكون الهواء بارداً . وقد تسبب الحقنة ألماً وثقلاً في الجوف ، وإضطراب في المعدة إذا عملت في الأجواء الحارة .

استدرار البول(26)

هذا واحد من الإستفراغات القوية . وقد استعملها اليونانيون حتى في حالة الصحة . وتستطب عادة لأوجاع الظهر ، والمفاصل ، والإستسقاء ، وكثير من الأمراض الرطبة .

التعرق(27)

هذه طريقة معتدلة لإستفراغ أخلاط البدن الفائضة والضارة . ويستحدث التعرق بالرياضة ودخول الحمام . وكثرته بإستمرار يسبب الهزل والنحافة وتجفيف البدن . أما الأدوية المعرفة فهي الحلتيت والخل والفلفل .

الحجامة والفصد(28)

عمليتا الحجامة والفصد معروفتان منذ العصر الأبقراطي ، وربما منذ

---

(26) اقرأ عن استدرار البول في فردوس الحكمة لابن ربن الطبري 374 ، والفصول للرازي 55 .

(27) اقرأ عن العرق في كتاب الملكي لعلي بن العباس المجوسي 1/290 ، وابن هبل 1/290 ، 297 ، 299 .

(28) اقرأ عن الفصد والحجامة في فردوس الحكمة لابن ربن الطبري 335 ـ 337 ، والقانون لابن سينا 1/204 ، 212 ، والفصول للرازي 99 ، والعمدة لابن القف 1/175 ، والتصريف للزهراوي 175 ، 184 . ومعالم القربة لابن الأخوة ص 159 ـ 164 ، والمختارات لابن هبل 1/280 ـ 299 ، ومحاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني 4/430 ، والملكي للمجوسي 2/456 ـ 461 .

العصر البابلي . وهما من أكثر العلاجات اليدوية شيوعاً عند العرب . وتستطبان على الأكثر لفرط في دم الجسم أو ما يسمى (الإمتلاء) . وفكرة الإمتلاء الدموي قديمة في الطب ، عالجها بعض الأطباء اليونانيين بالرياضة ، كما عالجها البعض الآخر بالفصد ، فلما وصلت الفكرة إلى العرب عالجوها بالفصد والرياضة معاً .

والحجامة عملية سهلة ، وتكاد تكون خطورتها معدومة ، على عكس عملية الفصد التي قد يفلت فيها زمام الأمر من الطبيب فيستمر اندلاق الدم من العرق المقطوع حتى يلفظ المريض أنفاسه الأخيرة .

وتكون الحجامة (جافة) إذا لم يبذح الجلد الذي تحتها ، أما إذا بذح الجلد فتسمى (رطبة) وهي الأكثر استعمالاً . وتعمل الحجامة بإجتذاب الدم من الأعماق إلى سطح الجسم الذي تحت المحجم .

وتستطب الحجامة لحالات الربو ، وذات القصبات ، والصداع ، والشقيقة ، والنواسير ، وأمراض الكلية المزمنة ، وأمراض الرحم . أما مواضع الحجامة فهي :

(1) القَمَحْدُوة ـ في الأمراض العقلية .

(2) كاحل الرجل ـ في عرق النسا ، وداء الملوك .

(3) تحت الركبة ـ لأوجاع الركبة .

(4) الفخذ ـ في حالة انقطاع الطمث ، وعرق النسا .

(5) السرة ـ في التهاب الرحم ، والتهاب القولون .

(6) قفى الرقبة ـ لأورام الرأس والوجه ، وأوجاع الأسنان ، والعينين ، والأنف ، والحنجرة .

(7) أعلى الظهر ـ لأوجاع الكتف والصدر ، ولحالات الربو ، وسوء الإستمراء بالمعدة .

وفي الفصد يعمل قطع وقتي في أحد الأوردة ليهدر منه قدر من الدم .

وتستطب هذه العملية للوقاية من بعض الأمراض أو لمعالجتها . فيعمل في حالة قابلية الشخص لعرق النسا ، وداء الملوك ، وأوجاع المفاصل عامة ، والنفث الدموي ، والصداع ، والسوداء وأورام الدماغ أو التهاب منظمة العين ، والبواسير الجافة ، وانقطاع الطمث ، وضربة الشمس .

ولإحتمال وقوع المخاطر في عمليات الفصد ، وضعت له تعليمات انضباطية وقواعد علمية ليلتزم الفاصد بها . كما شرعت له حسبة لمراقبة من يسيء في عمله واستطبابه .

ومن شروط ممارسة الفصد أن يكون الفاصد ملماً بمواقع عروق الجسم وأوردته وشرايينه وأربطته حتى لا يخطأ في موضع الفصد . وقد استعملت أوراق خضار السلق التي تبرز فيها عروق الماء ليتدرب عليها تلاميذ هذه الصنعة على إكتشاف العروق بالنظر واللمس إلى أن تستقيم ضرباتهم لعمل الفصد[29] .

وينبغي أن يكون مع الفاصد مباضع مختلفة الحجم ، وأن يكون بعضها في دقة الشعرة ، وأن يكون معه كبة (لفافة الخيط من الغزل) ومرهم من الصبر ، ودم الأخوين[30] ، ونافجة مسك ، حتى إذا عرض للمفصود غشى بادر بسرعة فضغط بكبة الحرير على موضع الفصد ، وقيأه وشممه النافجة ، وجرعه من أقراص المسك . كما يجب إيقاف الفصد إذا تثاءب المفصود أو تمطّى ، أو إذا إصابه الفواق[31] .

ومن آلات الفصد أيضاً وتر يستعمل كملوى لشد الذراع حتى ينحبس الدم في الأوعية الدموية عند موضع الفصد ، وكمية من وبر الأرنب أو ما

---

(29) معالم القربة لابن الأخوة 160 وقد وردت هذه الطريقة لتعليم المبتدئين في الفصد في الكتب الهندية القديمة .

(30) دم الأخوين ـ صمغ سومطري يداوي به الجروح الدامية (ابن البيطار) ،

(31) ابن الأخوّة ص 61 .

شاكله لتوضع على فوهة الفصد عند الإنتهاء من هذه العملية .

ومن قواعد الفصد أن لا يفصد الطفل دون الحادية عشرة من العمر ، ولا العبد إلا بترخيص من سيده ، ولا المرأة الطامث ولا الحامل ، ولا العجوز من الرجال والنساء إلا بعد استشارة طبيب في هذا الأمر . كما على الفاصد (وهو عادة ليس من الأطباء) أن يشاور طبيباً في حالة الأبدان الشديدة اليبس والتخلخل ، والمترهلة ، وفي الأبدان القليلة الدم ، والتي طالت بها الأمراض ، وفي حالة وجود الألم الشديد . كما لا يعمل الفصد بعد الحمام ، ولا بعد الشبع بالطعام[32] . ويوصي بالفصد في ضحى النهار ، وفي مكان وضيء ، لا في البرد الشديد ولا في الحر الشديد . وأن لا يكون المفصود منزعجاً . كما يطلب منه أن لا يرتاض بعد الفصد ، بل أن يستلقي على ظهره دون الإستغراق بالنوم ، وأن لا يأكل بنهم .

والعروق التي تفصد متعددة ، وتستعمل كل واحدة منها تبعاً لنوع شكوى المريض ، وموضع الشكوى في الجسم . منها عرق الجبهة بين الحاجبين ، ويستطب فصده للصداع الدائم وثقل الرأس والعينين . وعرق الصدغ لمعالجة الرمد ، ودمعة وجرب الأجفان ، وعرق الوصوافي من وراء الأذنين لقطع النسل ، وعرق الباسليق في حالة الإمتلاء[33] .

وفي عملية الفصد (يجب مسح رأس المبضع بزيت الطيب ، فإن ذلك يخفف من ألم ضربة القطع[34] ، وأن تكون فتحة الفصد واسعة في الشتاء لئلا يتجمد الدم فيها ، وأن لا تكون واسعة جداً فتسبب نزفاً شديداً يصعب إيقافه بعد ذلك . ويجب أن لا تكون الفتحة دقيقة فتسبب ذات الدم في جدران الوريد) .

---

(32) يأخذ المحتسب العهد على الفاصد أن لا يفصد عرق الوصواف لأن ذلك يسبب قطع النسل وهو حرام في الشريعة الإسلامية (ابن الأخوة 162) .

(33) ابن الأخوة ص 161 .

(34) المصدر السابق .

العَلَق[35]

دويبات تعيش في المياه الراكدة ، وذات الرؤوس الكبيرة منها سامة خطرٌ . أما التي استعملها الأطباء العرب فكانت رؤوسها صغيرة ، وهي على شكل الجراد ولونه المشرب بالخضرة . وتعيش هذه الدويبات في المياه التي تعيش فيها الضفادع ، فتعلق بأفمام الدواب إذا ارتوت من تلك المياه ، وتقتلع منها أو تلتقط من المياه مباشرة لتستعمل حيث تستطب للمرضى الإمتلاء الدموي . وهي تفعل في الجسم ما تفعله الحجامة ، وتفعل أكثر من ذلك في الأنسجة العميقة . ولا يستعمل العلق إلا بعد غسله بالماء العذب ومسحه بخرقة ناشفة . كما يمسح على مكان توضيعها على الجلد بمحلول البورق . فإذا التصقت العلقة به وامتصت من الدم ما يملأ جسمها رش عليها محلول الملح فتستقط بثقلها لكثرة ما تحمله في جوفها من الدم .

ويستطب إستعمال العلق في الحالات التي تستطب لها الحجامة حيث لا يسع مكان تطبيقها لكأس المحجمة ، كالجفن ، والشفة ، والأذن . كما يستعمل العلق تهيئة لإستعمال المحاجم بعد أن تحتقن المنطقة بالدم ، بفعل العلق . ويستحضر ما يحبس الدم كالرماد ومسحوق الفخار أو الماء البارد ليوضع على الثقوب التي يستحدثها العلق ، إذا ما استمر نزول الدم من تلك الثقوب بعد رفع العلق عنها .

---

(35) اقرأ عن العلق في القانون لابن سينا 1/213 ، والجامع لابن بيطار 3/133 ، والمختارات لابن هبل البغدادي 1/299 ـ 300 .

العلاجات الطبيعية

كانت الرياضة أكثر أنواع العلاجات الطبيعية التي استعملها الأطباء العرب . وربما لمس فائدتها الإنسان العادي قبل أن ينبهه الأطباء إلى فوائدها الصحية . فصار يمارسها بعد التجربة الذاتية ليسترجع نشاطه أو يخفف من آلام بدنه . وقد استعمل الأطباء العرب الرياضة لأمراض مختلفة كأوجاع المفاصل ، والظهر ، والتخلص من السمنة[1] ، وبعض الأمراض العقلية ، والإمتلاء الدموي . وجعلوا لتحقيق فائدتها الصحية قواعد وشروطاً ، وقالوا : (ان كل حركة تبلغ سرعتها إلى تغيير النفس إلى السرعة فليست داخلة في حدود الرياضة)[2] كما ترجم حنين بن إسحاق كتاباً لجالينوس باسم الكرة الصغيرة يتضمن رأي مؤلفه في ممارسة الرياضة بالكرة وفائدتها للجسم والفكر .

ودخول الحمام الدافيء أو الحار طريقة علاجية أخرى مألوفة تستطب لتنشيط الجسم وتليين عروقه وأربطته . ويرى الأطباء أنه يفتح مسام الجلد ويساعد بذلك على التخلص من فضلات أخلاطه الفائضة والرديء منها ، ويوصون بدخوله قبل الطعام لا بعده[3] ، ويحذرون من دخوله على التخمة كما يوصون بغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج منه . قال المجوسي : (يجب على من أراد ترتيب إستعمال الأمور التي ليست بطبيعته أن يذكر من بعد أمر الحركة (الرياضة) أمر الإستحمام وإن كان داخلاً في باب

---

(1) الرازي ـ الفصول ص 36 ، ابن هبل 1/205 .

(2) المصدر السابق ص 37 . واقرأ أيضاً عن الرياضة في المختارات لابن هبل البغدادي 1/205 ، 299 .

(3) الرازي . الفصول ص 38 . والمجوسي ـ الملكي 1/122 ـ 173 ـ 176 . وابن أبي أصيبعة ـ العيون ص 165 .

الإستفراغات . والإستحمام إنما يستعمله الأصحاء بعد الرياضة لإستفراغ ما لم يتحلل جيداً بالحركة ، وليرطب ما أحدثته الحركة من اليبس . . . وأجود أوقات الإستحمام للأصحاء لحفظ صحتهم ، بعد الرياضة وقبل الغذاء . وتذوب الفضول المستعدة للخروج من المسام فتنصب إلى بعض الأعضاء فيحدث فيه مرض . . (ثم يقول (فأما الإستحمام بالماء الحار ، إذا كانت حرارته ليست بالقوية فإنه يسخن ويرطب ويفتح المسام ، وقد يبرد بالعرض لما يستفرغ من الحرارة الغريزية والخلط المراري وفيه فضائل كثيرة ذكرها أبقراط في كتاب الفصول ، وذلك أنه يحلل ويسكن الأوجاع ويستفرغ الفضول ويكسب الأعضاء رطوبة طيبة ، وينضج الأخلاط ، ويلين الجلد وما قرب منه من الأعضاء ويرققه ، ويحلل الرياح المختنقة في الأعضاء ويجلب النوم ، ويكسر عادية النافض ، والتشنّج والتمدد ، ويحلل الثقل ، والوجع العارض في الرأس وينفع من كسر العظام لا سيما المعراة من اللحم)[5] .

وكان تغطيس الرجلين في ماء حار عند الشكوى من الصداع من المعالجات المعتمدة[6] . ومن متممات الإحمام تمسيد الجسم لتحريك العضلات الخاملة فيه ، وتنشيط الدورة الدموية . وربما كثرت الحمامات في بغداد العباسية) ورقمها بأي حال مبالغ فيه لكثرة ما كان يوصي به الأطباء مرضاهم بدخول الحمام والسمعة الطيبة عن فوائدها للجسم العليل والمعافى على السواء . بالإضافة إلى عملها لنظافة الجسم . وربما كانت رسالة عيسى بن ماسة في إستعمال الحمام (مكتبة حكيم بحلب) ومقالة بدر الدين محمد القوصوني في الحمّام (يجي باشا الجليلي) من أجود ما كتب في هذا الموضوع .

وهكذا كان الحمام من مستلزمات الصحة والعلاج إضافة إلى مكانته في الفروض الدينية .

---

(4) ابن أبي أصيبعة ـ العيون ص 178 .
(5) الملكي 1/173 ـ 175 .
(6) ابن أبي أصيبعة ص 179 .

القسم الثالث عشر
أمور عامة في الطب العربي

* تعليم الطب ومدارسه عند العرب : صفات المتعلم . مدرسة الإسكندرية . مدرسة جنديسابور . مدرسة انطاكيا . مدرسة الدخوار بدمشق . مدرسة المستنصرية ببغداد . المدرسة الدنيسرية . المدرسة اللبودية . مدرسة الخانقاه الأسدية . المدرسة الربعية .
* الممارسة الطبية عند العرب والمسلمين .
* المستشفيات في العصور الإسلامية وأنواعها وأسلوب العمل بها وإدارتها .
* الحسبة في الطب .
* البحث العلمي في الطب وبعض الإكتشافات التي أضافها العرب إلى المعرفة الطبية .
* شخصية الطبيب العربي .

تعليم الطب في العصور الاسلامية[1]

ثمة إشارات إلى أن في بابل (ما بعد الطوفان) كانت مدرسة لتعليم الطب عمل فيها هرمس الثاني بعد أن أكمل طوافه في ديار الهند وفارس . وكان من تلاميذ تلك المدرسة فيثاغورس[2] . وربما لا تعنى هذه المعلومات أكثر من أنها ترمز إلى وجود ممارسة طبية في بابل منذ تلك الحقبة السحيقة في التأريخ . أما ما هو معروف على وجه اليقين ، فإن أول المدارس الطبية التي عرفت في التأريخ كانت في جزيرة قوص وأخرى في قنيدس (حدود القرن السادس ق.م.) ، وكانت الثانية أقدم من الأولى ، إلا أن الأولى أشهر ، وفيها تخرّج أبو الطب اليوناني أبقراط . ولا نعرف تفاصيل أسلوب التعليم في المدرستين المذكورتين ، إلا أن هناك شواهد ضمنية كثيرة تفيد أن ذلك الأسلوب كان بالتطبيق المباشر على المرضى ، لا بالإملاء ولا بقراءة الكتب . ولما أنشئت مدرسة أثينة صارت كل من مدرسة قوص وقنيدس في مرتبة ثانية بمركزها الجامعي ، وخصوصاً بعد أن هجرهما أبقراط إلى داخل اليونان . ثم تضاءل شأن المدرستين أكثر من ذلك بعد أن نقلت منها الكتب القيمة إلى مكتبة الإسكندرية في أيام البطالسة (مطلع القرن الثالث ق.م.) ولا يعرف بالدقة متى اختفى أثر المدرستين بعد ذلك .

---

(1) اقرأ عن تعليم الطب في كتاب تاريخ البيمارستانات في الإسلام لأحمد عيسى ص 31 ـ 50 ، ومقال المؤلف في كتاب أبحاث مؤتمر الطب الإسلامي أفي الكويت عام 1980 ص 265 ـ 282 ، والمختارات لابن هبل 1/5 ـ 7 .

(2) ابن أبي أصيبعة ـ العيون ص 38 .

واستحدثت بعد مدرسة أثينة مدرسة أخرى في كل من برجامون والإسكندرية وأنطاكيا (القرن الثالث ق.م.) ثم مدرسة في الرها (القرن الثالث الميلادي) وأخيراً مدرسة في جنديسابور في أيام كسرى أنو شروان في القرن السادس الميلادي . وتضاءل شأن المدارس التي ذكرناها قبل أن يبزغ نور الإسلام سوى مدرسة جنديسابور التي بقيت تمارس التعليم حتى صدر الخلافة العباسية . كما وجدت مدرسة في الإسكندرية تعمل في تدريس الطب حين دخلها المسلمون فاتحين سنة 22 هـ/ 642 م . إلا أن العاملين بها على ما يبدو ، كانوا أقل عدداً من أطباء جنديسابور . وربما لهذا السبب لم ينزح من أطبائها إلى دمشق بقدر ما دخل بغداد من أطباء جنديسابور . وبأي حال فقد قدمت المدرستان خدمات جلّى للعرب قبل وبعد خروجهم من الجزيرة العربية . فقد درس فيهما بعض من أطباء العرب في العصر الجاهلي والإسلامي . وكانت مدرسة جنديسابور من هذه الناحية أكثر فعالية من مدرسة الإسكندرية التي باتت متقطعة الأنفاس .

ويعكس إعتبار أسلوب التعليم في مدرسة الإسكندرية مثالاً معبراً بدقة لأسلوب التعليم في أكثر المدارس اليونانية . فكانت الحصص النظرية تعطى بقراءة النصوص وتفسيرها للتلاميذ ، والتعليق عليها بما لدى المعلم من آراء خاصة وتجربة شخصية في الصنعة . ولا بد أن كانتمدرسة جنديسابور التي كان أبرز أطبائها من السريان ذوي الثقافة اليونانية ، تسلك أسلوب التدريس الذي تعمل به الإسكندرية . أما الحصص التطبيقية فكانت تقام إلى جانب سرير المريض . وتوافق إستحداث البيمارستان ومدرسة الطب بجنديسابور في آن واحد ، تدليل على ضرورة العمل بالدروس التطبيقية بالإضافة إلى الدروس النظرية في تعليم هذه الصنعة .

ومنذ عرف الإنسان صناعة الطب ، كان من يمارسها يعلمها لأبنائه ليرثوها عنه . وهكذا يكون في الأسرة أكثر من طبيب واحد . ثم صار المعلم الأب يعلم غير أولاده من عامة الناس ، فيلازم التلاميذ معلمهم في بيته حيث يستقبل مرضاه وبعد فترة من التعليم ، تطول أو تقصر ، يجيز الأستاذ تلميذه

بالممارسة ، فيخطأ هذا المتخرج الحدث ويصيب في تطبيق معلوماته إلى أن يتقن العمل بها . وهكذا تعلم العرب الطب في هذه المدارس البيتية قبل أن يطلعوا على الطب اليوناني في أيام الأمويين بدمشق . وطبيعي أن يكون أسلوب التعليم بالطريقة التي ذكرناها ناقصاً ما لم يشفع بالتطبيق على المرضى . وقد تحقق شيء من ذلك في أيام الخليفة عمر عبد العزيز (99 ـ 101 هـ/ 717 ـ 720م) الذي استقدم عبد الملك بن أبجر الكناني من مدرسة الإسكندرية ليمارس الطب ويعلّمه في مدرسة بأنطاكية[3] . ثم نقلت هذه المدرسة إلى حرّان . وقد مررنا على ذلك فيما تقدم . ودون شك فإن مدرسة أنطاكية بدائية وينقصها الكثير من مقومات التدريس النظري والعلمي . وربما لم تتوفر هذه المقومات إلا بعد أن أسس هارون الرشيد بيمارستاناً في بغداد بإدارة ماسويه الخوزي[4] وأستاذية طبيبه جبرائيل بن بختيشوع ، ويكون الأستاذ عادة من كبار الأطباء ذوي المعلومات الغزيرة في فنون الطب ، والممارسة الواسعة فيه وإلمام بالفلك والفلسفة والحساب وعلم النجوم . وقال ابن رضوان المصري (المعلم بصناعة الطب هو الذي اكتملت فيه الخصال بعد استكماله صناعة الطب) . والخصال التي يقصدها ابن رضوان هي : تمام الخلقة ، وحسن الخلق ، والملبس النظيف ، وكتمان أسرار المرضى وأحوال النساء ، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من الأغنياء ، وحرصه على التعليم ، وامتناعه عن وصف الأدوية القتالة والأدوية المسقطة للأجنة . وقال ابن رضوان أيضاً (أن الطبيب الذي يستغل صناعته من أجل الكسب لا يصلح أن يكون معلماً فيها)[5] أما عن المتعلمين فقال : (المتعلم هو الذي

---

(3) المصدر السابق ص 171 . ويقول ابن رضوان أن الطب في الإسكندرية قد تردى وضعه في أيام الأمويين فأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بنقل تعليمه إلى أنطاكية وحران (كتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب ـ مخطوطة جستربيتي ودار الكتب المصرية ، المقالة الأولى ، الباب الثامن) .

(4) ابن القفطي ـ تأريخ الحكماء ص 383 ، وابن أصيبعة ص 245 .

(5) ابن رضوان ـ كتاب النافع (الهامش رقم 3) .

فراسته تدل على أنه ذو طبع خير ، ونفس زكية ، وعقل ذكي ، وحريص على التعلم ذَكوراً لما قد تعلمه (ابن أصيبعة ص 565) . »

وكان شيوخ الطب يفضلون تلامذتهم ممن تتوفر فيه حسن الصورة والخلق ، وتناسب الأعضاء ، وإعتدال المزاج ، وصغر اللحية ، وطول الأصابع ، وإعتدال القامة والساقين . كما كان بعضهم يرى أن أنسب التلاميذ لتعلم الطب هو من كان خفيف اللحم في راحة اليدين والقدمين (ابن هبل البغدادي 1/5 ـ 7) .

وكان على المتعلم أن يلتزم بدخول البيمارستانات ، ويقعد في الموضع الذي يستحقه ، ويتمسك بالهدوء والوقار ويحسن الإنصات إلى شيوخه ، وإلى ما يقوله المرضى ، ويدقق النظر إلى غرائب الأمراض ، ويسجل تفاصيل أمرها ليكون له من ذلك دستور يعمل بموجبه (المخطوطة المارونية بحلب) .

وتعليم الطب عند العرب هواية كما كانت مهنة . وكثير من أساتذة الطب يتفرغون للتعليم دون الممارسة . ومنهم من يبقى يمارسه حتى لو أقعده المرض أو العمى من الوصول إلى البيمارستان . فيكرسون مجالسهم البيتية للدروس النظرية التي يشارك فيها علماء الطب والمتعلمون على السواء . نذكر من هذه الفئة علي بن بكس ، وابن هبل البغدادي ، وعبد الرحيم بن حامد الدخوار وأبي الحسن بن مكين البغدادي وأبو عبدالله محمد بن سليمان القرطبي وغيرهم .

أما الدروس التطبيقية فكان يقف المعلم فيها إلى جانب سرير المريض ، ويتحلق من حولهما التلاميذ بصفوف على حسب قدمهم في الإنضمام إلى دورة الدراسة ، أو نباهتهم فيها . ويبدأ المعلم باستجواب المريض عن شؤونه الحياتية كاسمه ، ومحل إقامته ، ومهنته ، وفيما إذا كان أعزباً أم متزوجاً . ثم يسأله عن شكواه ، ومدتها ، ومكانها من جسمه ، وعن شهيته للطعام . وهو في أثناء ذلك يتلمّس جلدته ويجّس نبضه ، ويطوف

بنظره على سحنته ولون عينيه . ثم بعد ذلك يلقي نـظرة على بصاقـه وبولـه وبرازه . فإذا انتهى من كل ذلك يترك الأمر لتلاميذه المتقدمين ليناقشوا حالة المريض وإبداء رأيهم في تشخيص مرضه وطريقة علاجه(6) . وقـد ينسحب الطبيب وتلاميـذه إلى إيوان خصص للتـدريس في المستشفى ، وهناك يبـدأ المعلم وتـلاميذه يتـدارسون الحـالة المـرضية التي شـاهدوهـا قبـل قليـل ، بـالمقابسـة والمساءلـة والشرح والإستشهـاد بالكتب التي تبحث في المـرض موضوع البحث . ولـم يمنع وجود البيمارستانات إستمرار عمليات التعليم في المجالس البيتية ، فبقيت هذه بمثابة مدارس للحصص النظرية بالإضافة إلى الحصص التطبيقية التي كانت تقام في المستشفيات(7) .

والجدير بالذكر أن تعليم الطب عند العرب كان على طريقـة التكامـل Integration وهي طريقة شغف المؤلفون العرب بها في كثير من العلوم إن لم يكن في جميعها . وكتابة التأريخ بالطريقة الحولية ليست إلا نوعاً من أنـواع التعليم المتكامل . وكذلك كانوا يفعلون في كتابة العلوم الطبية وتـدريسها . فإذا كان البحث في أحد أمراض الكلية مثلاً ، فإنهم يمهدون إلى هذا البحث بمقـدمة في تشـريح الكليـة وفسلجتها ومـا يفعله المرض بـأنسجتها قبـل أن يستعرضوا أعراض وعلامات مرض الكلية الذي يتكلمـون عنه . ويبـدو هذا

(6) ابن أبي أصيبعة ص 416 .

(7) في التراثيات العـربية إشـارات كثيرة إلى المـدارس البيتية ، نـذكر هنـا ما كتبـه ابن أبي أصيبعة (العيون ص 732) عن مدرسة مهذب الدين عبد الرحيم ابن علي الدخوار قال : (كان الشيخ مهذب الدين رحمه الله إذا فرغ من البيمـارستان ، وافتقـد المرضى من أعيـان الدولـة وأكابـرها وغيرهم ، يأتي إلى داره ثم يشرع في القراءة والدرس والمطالعة ، ولا بد له مع ذلك من نسخ . فإذا فرغ منه إذن للجماعة فيدخلون إليه . ويأتي قوم بعد قـوم من الأطباء والمشتغلين وكـان يقرأ كل واحد منهم درسه ويبحث معه فيه ، ويفهمه إياه بقدر طاقته ويبحث ذلك مع المتميزين منهم إن كان الموضوع يحتاج إلى فضل بحث ، أو فيه إشكال يحتاج إلى تحـريره وكـان لا يقرأ أحـد إلا بيده نـسخة من ذلك الكتاب يقرأه ذلك التلميذ ، ينظر فيه ويقابـل به . . . . .) ، ومثـل ذلك مـا ذكره أبـو المجد بن أبي الحكم في مـدرسة بيمـارستـان النـوري بـدمشق (ابن أبي أصيبعـة ص 628) .

الأسلوب في التعليم والتأليف واضحاً كل الوضوح في كتاب الملكي للمجوسي (القرن الرابع الهجري) وكتاب عمدة الجراح لابن القف الذي ظهر بعده بثلاثة قرون تقريباً .

ويجدر بالذكر أيضاً أن تعليم الطب كان بالمساءلة على الشرح الذي يقوم به المعلم . أي أن تعليمه كان بطريقة التعلم Learning لا بالتعليم الخالص Teaching ، فكان دور المعلم في عملية التعليم أثاره فطنة التلميذ ليوصله إلى إكتشاف الحقائق العلمية[8] ، وهو أسلوب جامعي يختلف جذرياً عن أسلوب التعليم الذي يتم بالتلقين والأمالي والذي تتبعه المدارس قبل التعليم العالي في الجامعات .

ويعتمد في تخريج الأطباء والأحداث ، على المدة التي يقضيها التلميذ في التعلم ، وعلى إنطباع معلمه عنه ، وعلى طول نفس الطرفين لمتابعة الدراسة . ومن البديهي أن كل ذلك لم يكن يمنع تخريج أطباء ليس لهم كفاءة لمزاولة المهنة طالما ليس لذلك تنظيم يكشف عن كفاءة هذه الطبقة من المتخرجين . ولابن ماسويه كتاب في محنة الكحالين ، ولأبي بكر الرازي كتاب في محنة الطبيب[9] ، كما لكل من حنين بن إسحاق ، وأبي الخير بن سوار وعيسى اليمامي ، وأسعد الدين بن أبي الحسن (635 هـ) كتاب في إمتحان الطبيب . والإمتحان والمحنة سواء في المعنى لغة ، إلا أنه لم يصل إلينا من تلك الكتب واحد لنعرف منه مناهج الإمتحان وأسلوبه .

واستحدث في أيام المماليك بمصر نظام الرسالة (الأطروحة) في أحد المواضيع الطبية التي أجاد التلميذ فهمها . أو بتعليق أو شرح على أحد الكتب القيمة المتداولة بين أيدي المتعلمين[10] .

وليس من الصواب أن نحصر عدد مدارس الطب في الأقطار الإسلامية على التي وصلتنا أسماءها فقط ، فهناك مراكز كثيرة لتعليم الطب لم تكن

---

(8) رسائل إخوان الصفاء 1/262 ، 272 .

(9) البير أسكندر ـ محنة الطبيب في مجلة المشرق 1960/54 ، ص 471 ـ 522 .

(10) أحمد عيسى ـ البيمارستانات في الإسلام ص 43 .

تحمل اسم مدرسة ، ومراكز أخرى كانت مشهورة بتدريس العلوم الدينية بينما هي لتدريس هذه العلوم والعلوم الطبيعية معاً . واسم المدرسة بالمفهوم القديم لا يعني بالضرورة وجود أكثر من معلم واحد وعدد كبير من التلاميذ . وكان من المألوف جداً أن يدرس التلميذ كتاباً معيناً على أحد المعلمين ، ثم ينتقل إلى معلم آخر ليدرس عليه كتاباً غير الكتاب الأول . وقد يكون المعلمان في مدرسة واحدة أو في مدرستين متباعدتين ، أو مختلفتين نظاماً وموضوعاً . وأغلب الإحتمال أن أكثر البيمارستانات كان فيها مثل هذه المدارس التي وصفناها . فقد كان لأبي الفرج عبدالله بن الطبيب حلقة واسعة من التلاميذ في البيمارستان العضدي ببغداد ، وتخرج عليه كبار أطباء بغداد أمثال ابن بطلان البغدادي ، وابن أثردي ، وعلي بن عيسى الكحال ، وعلي ابن إبراهيم بن بكس ، ورجاء الخراساني الطبيب ، وابن بدرج ، وابن مصوصا ، وابن العليق ، وأبي سعيد الفضل بن عيسى اليمامي . كما عمل في البيمارستان العضدي معلمون آخرون في مختلف إختصاصات الطب . وعمل في التدريس في مستشفى المنصوري بالقاهرة كل من عمر بن منصور بن عبدالله البهادري المتوفي عام 824 هـ/ 1431 م ، ومحمد بن إبراهيم بن أحمد بن خالد (ت 873هـ/ 1468 م) والشريف قاسم بن محمد التونسي (ت 1193 هـ/ 1797 م) ، والشيخ ركن الدين محمد بن محمد القويع التونسي . كما عمل قسم من هؤلاء بتدريس الطب بجامع ابن طولون . ومع ذلك لا تنسب مدرسة طبية إلى أبي الفرج عبدالله بن الطيب ، أو البيمارستان العضدي الذي عمل فيه ، ولا ذكرت مدرسة في البيمارستان المنصوري بالقاهرة أو في جامع ابن طولون . أما المراكز التعليمية في الطب التي تحمل اسم (مدرسة) فقليلة جداً بالنسبة لكثرة فعاليات هذا التعليم في المجالس البيتية ، أو في البيمارستان أو المساجد . ونذكر فيما يلي بعض المدارس التي عرفت بأسماء خاصة في العصور الإسلامية[11] .

---

(11) عبد القادر النعيمي ـ الدارس في أخبار المدارس 2/127 ـ 191 .

مدرسة الاسكندرية

بقيت مدرسة الطب في الإسكندرية تمارس تعليم الصنعة حتى دخول المسلمين إليها فاتحين في سنة 22 هـ/ 642 م، إلا أنها كانت في هذا التاريخ في نهاية عمرها الفعال . ويروى أن عبد الملك بن أبجر الكناني كان من تلاميذ أو واحداً من المعلمين فيها . واختفت أنباء المدرسة بعد أن انتقل ابن أبجر إلى أنطاكية ليعلم ويمارس الطب فيها بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز . وفيما عدا ذلك لم تقدم المدرسة في عصرها الإسلامي أية خدمة مباشرة للعرب سوى كتب شيوخها التي صارت بعد ذلك مصدراً ضخماً للعرب المتطلعين لدراسة هذه الصنعة .

مدرسة جنديسابور

أنشأها الملك الساساني كسرى أنوشروان (531 ـ 579 م) إلى جانب بيمارستان هذه المدينة . وكان فيها حين دخلتها قوات المسلمين عام 17 هـ/ 638 م خليط من المعلمين اليونان والهنود والنساطرة ، وأسرة بختيشوع أبرزهم جميعاً ، وكان التعليم فيها باللغة اليونانية والسريانية ، واللغة الأخيرة أعم ، وقدمت هذه المدرسة خدمات جليلة للعرب ، فقد درس فيها الحارث بن كلدة الثقفي ، وعيسى بن شهلاتا ، وإبراهيم تلميذ جورجيوس بن بختيشوع ، وسهل الكوسج ، وبنو الحكم الدمشقي ، وتياذوق وغيرهم ، وهؤلاء هم الرعيل الأول الذي نقل الطب اليوناني والهندي والفارسي إلى عواصم الأقطار الإسلامية . وقد تضاءل شأن هذه المدرسة بعد تأسيس المستشفيات في بغداد ، وإنتقال معلميها إلى هذه العاصمة الجديدة .

مدرسة أنطاكية

كانت أنطاكية حين آلت إلى المسلمين قد توالت عليها ضربات الزلازل ، وتخريبات الإهمال ، فلم يبق لها إلا السمعة الطيبة التي ورثتها عن عهد السلوقيين فيها . وقد أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بفتح مدرسة لتعليم

الطب في أنطاكية واستقدم لها ابن أبجر الكناني كما ذكرنا ذلك . كما يذكر أن ابن أبجر قد مارس التعليم في حران أيضاً . وانقطعت أخبار مدرستي أنطاكية وحران بعد أن ظهرت مدارس الطب في بغداد .

مدرسة الدخوار بدمشق

أسسها مهذب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار سنة 628 هـ/ 1244 م في بيته الخاص بدمشق ، وأوقف عليها أملاكاً تدر عليها ما يمولها بما تحتاجه لتصريف شؤونها المعاشية والتدريسية . وقد عمل في هذه المدرسة عدد من شيوخ الطب منهم شرف الدين الرحبي ، ومحمد شهاب الدين الكحال ، وبدر الدين قاضي بعلبك ، وعز الدين السويدي وآخرون .

المدرسة المستنصرية[12]

أنشئت هذه المدرسة ببغداد في أيام الخليفة المستنصر عام 633 هـ/ 1235 م ، في مكان يقابل باب المدرسة المستنصرية الرئيسي ، وأنشأ معها بيمارستانا لمعالجة المرضى[13] . وقد عرف عن المدرسة عنايتها بتدريس علم الصحة العامة ، وتقويم الأبدان .

وكان من شروط افتتاح هذه المدرسة (أن يكون فيها طبيب واحد مسلم ، وأن يكون عليه عشرة من المسلمين يشتغلون في الطب)[14] ، وأن يكون معاشهم على المدرسة أسوة بطلاب الحديث . كما يشترط على المدرسة أن تتعهد بتطبيب مرضى المدرسة المستنصرية وتزويدهم بالأدوية والأطعمة الخاصة . وربما وضع الشرط المتعلق بالطبيب المسلم وعدد الطلاب المسلمين فيها ، بسبب كثرة الأطباء الذميين يومذاك واستئثارهم بالصنعة . أما الأطباء الذين عملوا في مدرسة الطب بمدرسة المستنصرية

(12) ناجي معروف ـ المعلمون في مدرسة المستنصرية 1/387 ، والحوادث الجامعة ص 387 .
(13) ناجي معروف ص 288 .
(14) تلخيص مجمع الآداب 5/307 .

وبيمارستانها فمنهم :

(1) شمس الدين بن الصباغ ـ وهو أبو المنصور المبارك بن المبارك ، وقد بقي يمارس مهنته حتى ناهز عمره المئة سنة وهو بكامل وعيه ومداركه . وتوفي عام 683 هـ/1284 م .

(2) سنجر الطبيب ـ هو مجد الدين أبو علي عبد المجيد بن عبد الله . ويعرف بابن الصباغ البغدادي الحكيم ، وبسنجر أيضاً . وقد اشتهر باتقانه للصنعة وجودة ممارسته فيها . فصار ناظراً على المدرسة المستنصرية وما فيها ، وعلى أطباء بغداد عامة . وكان له كتاب في الطب النظري والعملي استعمله لتعليم تلاميذ الطب عليه ، توفي عام 715 هـ/1315 م ، وعرف من تلاميذه مجير الدين بن كاسو الأسعردي[15] .

(3) علاء الدين الأربلي ـ وهو علي بن ركن الدين محمد بن عيسى بن مسعود الأربلي البغدادي المتطبب . تعلم الطب على أبيه ركن الدين ، ومارسه في إيوان الطب بمدرسة المستنصرية وتوفي بعد عام 715 هـ/ 2315 م .

(4) ابن الكتبي الشافعي ـ كان من المعيدين على المذهب الشافعي بمدرسة المستنصرية ، كما عمل بمدرسة الطب فيها ، وتوفي عام 755 هـ/1354 م .

المدرسة الدنيسرية[16]

أنشأ هذه المدرسة عماد الدين محمد الدنيسري عام 686 هـ/1287 م ، غربي باب البيمارستان النوري بدمشق . وربما كان الدنيسري أحد أساتذتها .

---

(15) ناجي معروف ص 388 .

(16) شوكة الشطي ـ موجز تاريخ الطب عند العرب ص 7 .

المدرسة اللبودية[17]

أنشأها نجم الـدين بن يحيى اللبودي الـطبيب عام 664 هـ/ 1265 م في ضاحية المزة بدمشق وجعلها معهداً لتعليم الهندسة والطب .

مدرسة الخانقاه الأسدية[18]

أنشئت عام 140 هـ/ 1339 م بظاهـر دمشق عند درب الهـاشميين ، وكانت تعلّم فيها علوم الدين ، والطب أيضاً .

المدرسة الربعية[19]

أنشأها عمـاد الدين محمـد بن عباس الـربعي المتوفي عـام 686 هـ/ 1283 م ومعلوماتنا عنها ضئيلة جداً .

وهناك أيضاً مدارس أخرى لتعليم الطب لا نعرف عنها إلا أسمها ، منها المدرسة المزلقية ، والمدرسة الصارمية وغيرهما .

---

(17) المصدر السابق .

(18) المصدر السابق .

(19) المصدر السابق .

الممارسة الطبية

مرّ أسلوب ممارسة صناعة الطب عبر تاريخه الطويل في مراحل عديدة من التطور . وبالرغم من التحسينات الكثيرة التي أدخلت عليه قبل أن يصل إلى العرب في القرن الثاني الهجري ، فإن الكثير من أساليبه الأولى بقيت لها ملامح في كثير من الأقطار الإسلامية .

كان من الأساليب الشعبية في ممارسة الطب ببابل أن بتعاطى هذه الصناعة طبقة من الناس غير ممتهنة ، فيضطجع المريض على عتبة داره ليشاهده عابروا السبيل ، ويعرضوا عليه ما عندهم من التجربة الذاتية في معالجة مرضه . ومارس اليونانيون الطب في معاهد (السقليبيون) المتوفرة في أكثر مدنهم ، حيث يثوى فيها المريض ليلة أو ليلتين ، فإذا أصبح قصّ على سادن المعبد ما رآه في أحلامه . ويفسر السادن تلك الأحلام بما يوافق شيئاً من طرق العلاج . ولهذه الطريقة من الإستشفاء مثيل لا يزال يمارسه البسطاء من المرضى في بعض القرى المتخلفة . وتكون الضرائح المقدسة والتكايا والزوايا في هذا المثل هي مكانات الإستشفاء التي يبيت فيها المرضى . وإلى وقت قريب جداً كان كثير من المرضى يقصدون قبر ابن سينا في همدان طلباً للشفاء[1] .

ومارس أبقراط (القرن الرابع ق. م) الصنعة في ظل شجرة في إحدى ساحات مدينة قوص . ولا بد أن الأطباء الآخرين كانوا يفعلون ما كان يفعله

---

(1) خير الله ـ الطب العربي ص 155 .

أبقراط . وبمرور الزمن صار للطبيب كما يصير لأي صاحب مهنة ، مكان خاص يستقبل فيه زبائنه لفحصهم ومداواتهم . وقد يكون المكان مكشوفاً على حاشية الطريق ، فيفحص فيه المريض ، كما يمارس فيه الحجامة والكحالة[2] أمام حشد من السابلة ، بنفس البساطة التي يتعامل بها الناس في البيع والشراء بالطرق . ثم صار الأطباء يحاربون هذه الطريقة ، ويطالبون من الممارسين أن يكفوا عنها ، ويحترموا المهنة ويمنحوها ما تستحق من تقْدير وتقديس ، وأن يمارسوها في مكان نظيف ومنعزل يليق بحرمة الإنسان ، وشرف الصنعة . فصار مألوفاً أن يكون للطبيب حانوت أو بيت ، أو حجرة في مستشفى ، أو في أحد دور العبادة ، يمارس فيها الصنعة . على أن الكثير من أعمال الأطباء كانت تتم في بيوت المرضى أنفسهم ، فيذهب إليهم الطبيب واحداً فواحدا على ميعاد مسبق أو بطلب مفاجىء ملح منهم .

ولا بد وإن كانت الخطوات التقنية في الفحص قد مرت بتطورات تبعاً لتقدم المعرفة الطبية ، وإنها كانت في مدرستي الإسكندرية وجنديسابور ، اللتين هما من حيث الفكر الطبي الذي فيهما ، مدرستين يونانيتين ، وتعملان في الطب بأسلوب يوناني . فكان يفحص على النبض لمعرفة أمراض القلب ، وعلى البطن لاكتشاف أورام الأعضاء الباطنة ، وعلى البول لمعرفة حالة الكلى والمثانة والكبد ، وعلى البصاق عن أمراض الرئة . ويطبق العلاج على مبدأ أبقراط بالغرغرة لأمراض الرأس ، والقيء للمعدة ، وبالإسهال لحالات الإمعاء ، وبالتعرق للحميات ، والفصد والحجامة لحالات الإمتلاء الدموي . وأكثر الإحتمال أن هذه الطرق بعينها قد مارسها العرب قبل أن يتمرسوا في تطبيق الطب ويدخلوا عليه التفصيلات والتحسينات النظرية والعملية .

وكان الممارس اليوناني يتقاضى أجر خدماته من مريضه مقدماً . ويختلف الأجر باختلاف نوع المرض ، ومدة علاجه ، ومكان المريض من

---

(2) ابن أبي أصيبعة ـ العيون ص 585 .

الطبيب . ومما تذكره التراثيات العربية بهذا الصدد أن أبقراط كان لا يأخذ أجراً من مرضائه ، بينما المؤلفون الأوربيون يؤكدون على أن أبقراط لم يطبب مجاناً[3] . أما جالينوس فقد قال في مذكراته بكتاب محنة الطبيب الفاضل ما ترجمته : (إني لم أطلب من أحد من تلاميذي أجرة ، ولا من مريض من المرضى الذين أعالجهم . وإني أعطي المرضى كل ما يحتاجون إليه ، لا من الأدوية فقط أو الأشربة أو من الأدهان ، أو غير ذلك مما أشبهه ، لكني أقيم عليهم من يخدمهم أيضاً إذا لم يكن لهم خدم ، أهيأ لهم مع ذلك أيضاً ما يغتذون به . . . .)[4] .

والأرجح أن ما ادعاه جالينوس عن أجر خدماته الطبية لا ينطبق على كل زملائه في الإسكندريه . كما أن في تصورنا أن ما يحصله الطبيب ، في أكثر الأزمان والأمكنة من هدايا المرضى ، يفوق بكثير ما لو يأخذ منهم باسم رسوم الخدمات الطبية .

وليس لدينا معلومات موثقة عن أجور الأطباء العرب . وإذ لم تكن هذه الأجور خاضعة لتشريع حكومي ، فلا بد أنها كانت غير محددة . كما لم تكن بأجر واحدعلى الطبقة الواحدة من المرضى ، فتختلف باختلاف الظروف ، والعهود ، وسخاء المرضى ، وكان من المألوف جداً أن لا يدفع المريض الأجرة الطبية بطريقة مكشوفة . بل كان يلف ما يجود به بقرطاس ، أو يصره بخرقة ، فلا يعرف الطبيب ولا غيره ممن يتواجدون مع المريض ، كم هي العطية ولا صنفها أن كانت من الفضة أو من الذهب ، إلا بعد أن يغادره المريض[5] . كما أن كثيراً من الأطباء العرب يتبارون في معالجة الفقراء بلا أجر . هذا بالإضافة إلى الخدمات الطبية التي توفرها المستشفيات للمرضى ، وكانت مجاناً . علماً بأن هناك بنفس الوقت من كان يساوم مريضه على أجور

---

(3) Segerist, 2/298 - 311.

(4) ابن أبي أصيبعة ص 128 ـ 129 .

(5) المصدر السابق ص 580 .

أتعابه ، وخصوصاً إذا كان العلاج بالطرق الجراحية . وقد روى أن أحمد بن وصيف الصابي (القرن الرابع الهجري) كان يتقاضى بهذه الطريقة ثمانين درهماً (ما يقابل الديناران) لإجراء عملية القدح لمرض الكاتاركت[6] .

أما أجور الأطباء الموظفين في المستشفيات فتختلف باختلاف العهود ومراتب الأطباء العلمية . وهي تترواح بين خمسة عشر ديناراً ومايتين وخمسين ديناراً في الشهر ، عدا مخصصات السكن ، وعلف الدبة[7] .

وكان الحكام العرب أسخياء مع الشعراء والمداحين ، ومن يطرق مجالسهم لحاجة . وكانوا مع الأطباء أكثر كرماً من ذلك . قيل أن جبرائيل ابن بختيشوع (ت 215 هـ/ 830 م) كان يحصل من مخدومه هارون الرشيد ما يقارب الأربعة ملايين درهماً في السنة ، 50,000 درهم هدية رأس السنة الهجرية ، ومثلها في يوم عيد الفطر . ومثلها في مدخل صوم النصارى ، و 10,000 درهم في يوم الشعانين . و 50,000 درهم عن فصد الخليفة وشربة الدواء المسهل (وكان يعملها مرتين في السنة) . و 120,000 درهم نقداً سنوياً ، 100,000 درهم تكاليف الكساء ، و 5000 درهم من الأمير عيسى بن جعفر ومثلها من زبيدة أم جعفر ، و 30,000 درهم من إبراهيم بن عثمان ، و 50,000 من الفضل بن الربيع و 70,000 من فاطمة أم محمد و 600,000 درهم من يحيى بن خالد ، و 1200 درهم من يحيى بن جعفر و 600,000 درهم من الفضل بن يحيى البرمكي . ولقد خدم جبرائيل سيده الخليفة هارون الرشيد ما يزيد على ثلاث عشرة سنة ، فيكون قد جمع عن طريق ممارسته الطب في بلاط هارون الرشيد ما يزيد على ثمانية وثمانين مليون من الدراهم[8] .

---

(6) المصدر السابق 311 .

(7) اقرأ الفصل الممتع عن أرزاق الأطباء في تأريخ البيمارستانات في الإسلام ـ أحمد عيسى بك ص 28 ـ 31 .

(8) القفطي ـ أخبار الحكماء ص 142 ـ 143 وابن أبي أصيبعة 198 ـ 199 .

وكانت مخصصات أبي يوحنا ماسويه من الفضل بن الربيع وزير هارون الرشيد ستماية درهم في الشهر بالإضافة إلى علوق دابتين ونزل خمسة غلمان . ولما التحق بخدمة الخليفة صار يحصل علي ألف درهم في الشهر ، وعلى عشرين ألف أخرى كمعونة سنوية .

ومما يذكر بهذا الصدد أن أبا نصر المسيحي طبيب الخليفة الناصر العباسي ، حصل من مخدومه على مايعادل عشرة آلاف ديناراً عراقي بعد أن شافاه من حصاة في مثانته ، كان يجب أن تعالج بعملية جراحية ، فداراها أبو نصر بالأدوية حتى اندفعت بطريق الأحليل إلى الخارج(9) . (إقرأ القصة على ص 1/ 596 ـ 598) .

لقد وردت الهدايا التي ذكرناها بأرقام متباينة باختلاف الكتاب ، إلا أن أصغرها رقماً يثير الدهشة والتعجب . ولم نعثر على حقيقة أجر الطبيب من عامة القوم ، ولا بد أنها كانت إزاء أجورهم من الحكام مبلغاً تافهاً .

وفي حكاية أبي نصر المسيحي مع الخليفة الناصر مدلول آخر يخص الممارسة وتقيد الأطباء العرب باحترام الإختصاص ، فلا يمارس الجراحة إلا من له تجربة بهذا الفن ، ولا الكحالة إلا الكحالون، ولا الفصد إلا الفصادون . كما كان التشاور فيما بين الأطباء على تشخيص المرض ، والمشاركة في تحمل المسؤولية من الأعمال التي لا يدخلها الحرج أو الإنتقاص من قدر الممارس ومرتبته بين زملائه .

---

(9) Carrison - Introd. Hist. Medc. p. 135.

المستشفيات عند العرب

المستشفيات قبل الإسلام

ورد إسم (مستشفى) لأول مرة في التاريخ في أخبار الملك المصري مناقيوس بن شمعون . وهو شخصية أسطورية لا تتوفر عنها معلومات كافية لتثبيت واقعية المستشفى المذكور .

وعلى مفهوم مصطلح المستشفى ، يمكن اعتبار معابد الأسقلبيون[1] في الأقطار اليونانية فيما قبل الرابع ق. م ، أقدم المراكز الصحية التي قصدها المرضى طلباً للشفاء . كما للمصريين القدماء مثل تلك المراكز خصصت في الدرجة الأولى للمرضى الغرباء ، وسميت بإسمهم . أما المستشفى النمطي فقد عرف لأول مرة في التأريخ في جزيرة سيلان في سنة 437 ق. م[2] . وفي فلسفة بوذا (ليس لقتل الروح في الإنسان أو الحيوان على السواء ، مبرر لأي سبب من الأسباب) فأسس على ذلك أحد الملوك البوذيين سنة 226 ق. م مستشفى بيطري للحيوانات الجريحة والمريضة ، كما أسس مستشفى (للبشر) وأمر أن لا يدخله المجرمون القتلة ، ولا صيادو الحيوانات[3] . وبقيت مستشفيات الهند وسيلان تعمل في اختصاصاتها إلى سنة 358 م .

---

(1) Carrison - Introd. of Medc. p. 83. ، الخطط المقريزية 2/405 .

(2) British Encycloped. (1974) 811114.

(3) Robinson/ Story of Medc. p. 141.

ويـذكر أن أبقـراط (ت 372 ق. م) كان أول من أسس مستشفى في بلاد اليونان ، وكان موقعها في حدائق داره ، وسماها (أخسندوكين) أي دار المرضى أو مأوى الغرباء باليونانية[4] . وكان هدفه من ذلك تجميع مرضـائه في مكان واحد ليسهل عليه مداراتهم وتطبيق ما يصعب تطبيقه من العلاجات في بيوتهم . ومنذ ذلك التاريخ صارت تؤسس المستشفيات تباعاً بحسب تقدم المعارف الطبية ، واكتشاف طرق جديدة في التمريض والتـداوي ، وبحسب تحضر الإنسان وإدراكه لأهمية العافية في الحيـاة . وتعتبر المستشفيـات من وجوه كثيرة من سمـات التقدم الحضـاري والمدني في حيـاة الإنسان . فلم يحل القرن الثاني الميلادي حتى ازداد عدد المستشفيات في الأقطار اليونانية مما زود العاملين بها بخبرة واسعة في إدارة أمورها التنظيمية والفنية . فوضع روفس الأفسسي (القـرن الثان الميـلادي ق. م) كتابـاً في هذا المـوضـوع بـاسم : في الأعمال التي تعمـل في البيمارستـان[5] ، مما يـدل على وجود المستشفيات الكثيرة في ذلك الزمن ، وتصاعد مشاكلها من نواحي عديدة ، إداريـة وفنية . ولمـا تغلغلت النصرانيـة بين الأمم ، وفهم الناس روحـانيتهـا السماوية ، إعتبرت العناية بالمرضى ، وتوفر الراحة والملجأ لهم عملاً يرضي الـرب . وصار رجـال الدين يتعلمـون ممارسـة الطب ليضـاعفوا عن طـريق الخدمة بهذه الصنعة تقواهم وأعمالهم الخيرية ، وينشئون المستشفيات بمثل اندفاعهم إلى إنشاء دور العبادة ، وجعلوهما في كثير من الحالات مرتبـطتين عمرانياً ومعاشياً وإدارياً ، وخير مثال لهذه الحركة الـدينية ـ الـطبية مـا عمله البنديكتيون[6] في دير مونت كاسينو (منتصف القرن الخامس الميلادي) فقد كـان رهبان هـذا الديـر يعرفـون من الـطب مـا يكفي لـلإسعـافـات الأوليـة والتمريض . فكانوا يستقبلون المرضـاء والفقراء واليتـامى ، والمقطوعين في

---

(4) ابن أبي أصيبعة ـ العيون ص 47 .

(5) المصدر السـابق .

(6) البندكيتون ـ اقرأ عنهم .

الطرق في حجرات خاصة في الدير ، ويعالجونهم بطرقهم الطبية الخاصة بهم ، مع المزيد من الصلوات والدعاء إلى المسيح وحواريه لينزل على الدير ومرضاه البركة والشفاء . وكان في كثير من الأديرة الأخرى ردهات لمثل المرضى الذين ذكرناهم ، وفيها رهبان صاروا يعرفون بالتجربة وبقراءة الكتب ، بعض المعالجات الشافية . كما كان منهم من درس الطب في أحد المدارس بآسيا الصغرى أو سوريا أو في مدرسة الإسكندرية . وكان في ديارات سوريا وشمال جزيرة ما بين النهرين كثير من هذا النمط من الأديرة التي تضم داخل أسوارها مستشفيات صغيرة ، ومنها ما كان فيها ما يشبه المدرسة لتعليم الطب للرهبان ، وحدائق لزراعة النباتات الطبية ليستخلصوا منها الأدوية التي كانت تعتبر ذات مفعول مبارك لشفاء المرضى . وكانت الكنيسة البيزنطية مقتنعة بصلاح ما تفعله هذه الديارات ، وتفضله على ما يوصى به الأطباء غير المتدينين .

ولما ظهرت حركة النساطرة (منتصف القرن الخامس) غضب الأمبراطور زينون بتحريض من رجال الكنيسة المتعصبين ضد الأفكار النسطورية فأغلق مستشفى الرها وهدم مدرستها[7] وابتنى بحجارتها كنيسة بإسم العذراء . فاضطر علماء النساطرة وأطباؤها إلى الهجرة إلى فارس حيث لا تستطيع أن تصل إليهم أيدي الحكام البيزنطيين[8] ، وانضموا إلى جنديسابور التي سبق وسكنها زملاؤهم ممن سباهم الملك سابور الفارسي في معركته مع فاليريان البيزنطي سنة 260 م ليعملوا معاً في بيمارستان هذه المدينة . وكانت مستشفى الرها تسلك الأسلوب اليوناني في الإدارة وأعمال التطبيب والتمريض والعلاج ، وبالتالي صار هو الأسلوب الذي سلكته مستشفى جنديسابور إلا في استعمال الأسماء الطبية ، فكان من ذلك إسم المستشفى الذي أطلقوا عليه إسم البيمارستان ، ومعناه بالفارسية (بيمار = مرضى

(7) أوليري ـ مسالك الثقافة الأغريقية إلى العرب ص 84 ـ 85 .

(8) المصدر السابق والصفحة .

وستان = دار) دار المرضى . وبقي هذا الإسم في الإستعمال في كل العصور الإسلامية بالمشرق .

المستشفيات في الإسلام[9]

كانت الصحابية الجليلة رفيدة الإسلمية[10] ترافق المحاربين المسلمين في مواقعهم ضد المشركين ، وتعمل في مداراة مرضاهم وتضميد جروحهم . ثم نصبت لها خيمة في مسجد الرسول لهذا الغرض . فلما جرح الصحابي سعد ابن معاذ أمر الرسول ﷺ بنقله إلى خيمة رفيدة ، ليسهل تمريضه وعيادته من قبل المتطببين والمحبين . ولهذا يمكن اعتبار خيمة رفيدة ، بالرغم من البدائية التي فيها ، أول مستشفى في الإسلام . كما تعتبر رفيدة أول ممرضة في الإسلام أيضاً كذلك أقيمت خيم أخرى في المسجد عملت بها صحابيات أخر . أما أول من أسس مستشفى في الإسلام كما يتطلبه الغرض الطبي من هذه المؤسسة فهو الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وكان ذلك سنة 88 هـ/ 706 م وقد حبس فيه المجذّمين ، وأسكنه العميان وأجرى لهم الأرزاق ، وجعل لكل مقعد خادماً ولك ضرير قائداً[11] . وسميت هذه المؤسسة (بيمارستانا) . وأغلب الظن أنها شيدت على غرار بيمارستان جنديسابور التي كانت لا تزال تعمل إلى ذلك الوقت ، ومنها أيضاً جاء إسم البيمارستان للمستشفيات الإسلامية . كما سميت المشافى بالغرب أو ربض المرضى وفي تونس (دُمنة) .

وكثر عدد البيمارستانات في أيام العباسيين حتى توفر منها في بغداد وحدها ما يزيد على العشر ، وفي الأقطار الإسلامية عامة ما يزيد على المائة . ويذكر أن التمريض والخدمات غير الطبية في أكثر هذه المستشفيات

---

(9) اقرأ عن المستشفيات في الإسلام في الكتاب القيم (تأريخ البيمارستانات في الإسلام) لأحمد عيسى . وجل ما كتبناه عن المستشفيات عند العرب أخذناه عن الكتاب المذكور .

(10) ترجمة رفيدة الأسلمية على ص

(11) القلقشندي ـ صبح الأعشى 476/3 .

كانت توكل إلى العبيد[12] .

إن أول من أسس المستشفيات في الإسلام هم الخلفاء ، وقد يكون أولهم الوليد بن عبد الملك[13] . ثم صار يتبارى على تأسيسها الأمراء وأعيان الناس بهدف عمل الخيرات والتعاطف والإحسان للمرضى الفقراء ، وأوقفوا لها الملاك والضياع ، وباركها الخلفاء برعايتهم السامية ، وتولوا رئاستها الفخرية ، وصارت بذلك من التبعيات السلطانية الجليلة القدر . ويبدو أن الميل إلى إنشاء المستشفيات عند المسلمين كان دوماً في أفكار كبارهم وعقلائهم ، وصاروا يولونه اعتباراً خاصاً يقدمونه على كثير من الأمور الأخرى الخاصة والعامة . روى أن زاهد العلماء أبا سعيد منصور (ت 460 هـ/ 1067 م) عالج إبنة أمير ميّافارقين حتى شفيت من المرض الخطير الذي داهمها . وكان أبوها نصير الدين الدوستكي يحبها حباً جماً فنذر أن تعافت إبنته أن يتصدق بوزنها دراهم ، فأشار زاهد العلماء على الأمير أن ينفق هذا المال في إنشاء بيمارستانا ينتفع الناس به . فلم يتردد الأمير أن يفعل بما أشار به زاهد العلماء[14] . ونذكر بهذه المناسبة أن لزاهد العلماء كتاب عن البيمارستانات[15] يعد اليوم من المفقودات ويحتمل أن يكون فيه كثير من المعلومات المفيدة والممتعة تخص هذه المؤسسات .

ويروي أيضاً أن الملك نور الدين محمود صاحب دمشق قد أسّر أحد ملوك الفرنج في عام 549 هـ/ 1154 م فافتدى نفسه بمبلغ من المال . فأنفق نور الدين هذا المال في تشييد المستشفى الكبير المعروف بإسمه بدمشق[16] .

---

(12) الذهبي ـ تأريخ الإسلام 67/4 .

(13) القلقشندي 476/3 .

(14) ابن أبي أصيبعة ص 341 ، المقريزي ـ الخطط 405/2 .

(15) ابن أبي أصيبعة ص 341 .

(16) ابن كثير ـ البداية والنهاية حوادث سنة 569 وعنه أخذ أحمد عيسى بك .

كما أن صلاح الـدين الأيوبي إستعمـل أفضل القصـور الفاطميـة التي غنمها منهم بعد أن دخل مصر سنة 567 هـ/ 1171 م لتكون مستشفى لنفع النــاس ، ولم يستعملهـا لنفســه أو لحـاشيتــه ، فكـان منهــا (المستشفى الصلاحي) أو الناصري نسبة إلى إسمه ولقبه[17] .

ويروي أيضاً أن الأمير المنصور قلاوون حين كان يغزو الروم في أيـام الملك الظاهر بيبرس سنة 675 هـ/ 1276 م ، أصابه قولنج وهو في دمشق فعالجه الأطباء بأدوية أخذوها من بيمارستان نور الدين ، فلما برأ من مرضـه رأى أن يزور البيمارستان الذي أمده بالعافية فـأعجب به ، ونـذر أن أتاه الله الملك أن يبني بيمـارستـانــا فكـان من ذلــك (بيمـارستــان قـلاوون) في القاهرة[18] .

وكانت المستشفيات تقام عادة لصيقة بالمساجد أو قـريبة منهـا ، وفي مكـان تتوفـر فيه النـظافة والهـواء الطلق والميـاه الجاريـة[19] . كمـا كـانت المستشفيات والمساجـد أول المنشآت الحكـومية التي تقـام في المدن التي يؤسسهـا المسلمون ، أو المـدن التي تدخـل في الإسـلام . وكـان تـأسيس المستشفيات في بغداد العباسية فاتحة تـأسيس مدارس الـطب التي افتتحت لأول مرة في هذه المستشفيات ، ولولاها لما أمكن أن يصـل الطب العـربي إلى مـا وصل إليـه من الإبداع والإبتكـار . وبسبب الخدمـات التي تقـدمهـا المستشفيـات للناس ودوام حـاجة النـاس إليهـا ، صـارت هـذه المؤسسـات

---

(17) القلقشندي 247/2 ، أحمد عيسى البيمارستانات في الإسلام ص 19 ، 78 .

(18) المقريزي ـ الخطط والآثار 116/1 .

(19) يروى أنه عندما أراد السلطان عضد الدولـة البويهي أن يبني مستشفى في بغـداد أوكل إلى أبي بكـر الرازي أن يبحث عن أفضـل مكان تقـام عليه المستشفى . فـأمر الـرازي بتعليق قطع من اللحم في أكثر مناطق بغداد ثم فحصها بعـد أربع وعشـرين ساعـة . واختار المكـان الذي لم يتغير فيه اللحم في شكله ورائحته . وهذه الرواية مختلفة أو أنها لم تقع في أيام الرازي ، لأن الرازي قد توفي سنة 331 هـ/ 932 م أي قبل نصف قرن تقريباً من دخـول عضد الـدولة إلى بغداد . والعبرة في الخبر لا في تأريخه .

تجتـذب حولهـا الأبنية السكنيـة ، والأسواق ، فيستحـدث من ذلك حـارات جديدة يطلق عليها إسم المستشفى الذي فيها ، وقد تطورت المستشفيات في الإسلام بحكم الزمن ، واكتشاف النواقص في مستلزمات التطبيب والتمريض أو في هندسة العمارة ، حتى صارت في العهود الإسلامية المتأخرة توفر كل ما يحتاجه المريض من تمريض وعلاج . ويعمل بها عدد من الأطباء في جميع الإختصاصات الطبية . ويعتبر فرع الطب والجراحة والكحالة من الضروريات التي يجب توفرها في كل مستشفى . ولإعتبارات عرفية وفنية كـانت أحنحة المستشفيات على قسمين ، واحد منهـا للنساء والآخـر للرجال ، وكـل قسم منها مجهز بما يحتاجـه المرضى بحسب أجنـاسهم من الخدم والفـراشين ، والممـرضـات والممـرضين . كمـا كـان في كـل قسم ردهـات لمختلف الإختصاصات الطبيـة ، كالجـراحـة ، والكحـالـة ، والحميـات ، وأمـراض العظام ، والأمراض العقلية ، ولكل اختصاص رئيس من الأطباء يعاونه عـدد من زملائه بمراتب مختلفة .

كمـا كـان في كـل قسم (صيـدليـة) لصنـع المعـاجين والأشـربـة والسفوفات . و (خزانة) لحفظ الأدوية معمولة ومهيئة للإستعمال . في كـل مستشفى صالة للعمليات الجراحية ، وقاعة لإلقاء الـدروس على التلاميـذ ، وتلتحق بـالمستشفى عيادة خـارجيـة لمعـالجـة شكـاوى المـرضى الـذين لا يحتاجون إلى الرقود في المستشفى . فيستمع الطبيب إلى المريض ويفحصه ويصف له دواء يكتبه على ورقة ليحصل عليه من صيدلية المستشفى[20] . أما المرضى الذين يحتاجون إلى مزيد من الفحوص أو العلاجات النوعية التي لا يمكن تـطبيقها خـارج المستشفى فإنهم يحـولون بتـوصيـة من طبيب العيـادة الخارجية إلى المستشفى ليـدخلوا إلى الردهـة التي تختص بمرضهم . وفي مدخل الردهة بخلع المريض البسته ويدخل في الحمام المخصص للمرضى ثم يرتدي لباس المستشفى الخاص قبل أن يرقد في سريره . فإذا تشافى من

(20) المصدر السابق قلقشندي 476/3 ، 10/4 .

مرضه أسترد ملابسه . وقبل أن يغادر المستشفى يزود بمقدار من الدراهم ليعتاش بها قبل أن يستأنف سابق عمله[21] .

وكانت الخدمات الطبية في المستشفيات بلا أجر . وتقوم بإدامتها الدولة أو وقفيات المحسنين من الناس . أما أجور الأطباء الذين يعملون في المستشفى فتختلف باختلاف مراتبهم العلمية ، وعدد ساعات العمل بها فقسم منهم يكون منقطعاً إلى عمله في المستشفى ، وقسم آخر يتردد عليه بأوقات . كما يتناوب فيه الأطباء على الإقامة الليلية . فكانت نوبة جبريل بن بختيشوع مثلاً يومين وليلتين في الأسبوع[22] . ويشرف على المستشفى (ناظر) له الرئاسة العليا على المستشفى ، والمسؤول أمام ذي السلطان في الدولة . ولا يشترط أن يكون الناظر طبيباً ، إلا أنه من المحتم أن يكون من أعيان البلد ، والمعروفين بمتانة الخلق ، وقوة الشخصية . واختصاصه محصور في إدارة أوقاف المستشفى ، وتوفير الأموال المطلوبة لإدامته وما يحتاجه من أيد مساعدة في غير الصنعة .

أما الإدارة الفنية فتناط بأحد الأطباء الذين يعملون في المستشفى ، ويدعى ساعورا[23] ويكون مسؤولاً عن كل ما له علاقة بالمرضى والأطباء ، وتوفير الدواء والغذاء والأيدي المساعدة في أعمال المستشفى الفنية . كما يشرف على أعمال في أقسام الإختصاصات الطبية المختلفة التي يدير كل قسم منها رئيس له قدم بذلك الإختصاص . فهناك رئيس قسم الأمراض الباطنية ، ورئيس لقسم الأمراض الجراحية ، ورئيس لقسم أمراض العين وهكذا . وبالإضافة إلى من تقدم ذكرهم من المسؤولين ، يزور طبيب الخليفة المستشفى مرة كل شهر ، أو عند الإقتضاء لأمر من الأمور ، ليتفقد المرضى

---

(21) شوكة الشطي ـ موجز تاريخ الطب عند العرب ص 12 .

(22) ابن القفطي ـ تأريخ الحكماء ص 148 .

(23) الساعور بالآرامية معناه النائب أو الوكيل (يعقوب أوجين منّا ـ دليل الراغبين في لغة الآراميين ص 143) .

والأطباء مما يحتاجونه لراحتهم ومداواتهم[24] .

والجدير بالذكر أيضاً ، أن المسلمين قد اهتموا بشكل خاص بصحة المجانين والمجذومين ، وأسسوا لكل منهما مستشفى خاصاً به . واعتبروا المجانين مرضى بعقولهم وعالجوها وأحسنوا مداراتهم بنفس الحس الطبي والإنساني الذي يعالجون به الفئات المريضة الأخرى . واستعملوا لهم وسائل التلطيف بالمسكنات ، والإيناس بالموسيقى والغناء ، وبالرياضة الخفيفة ، كما اهتموا بصحة المذومين ، وعزلوهم عن الناس خوف العدوى بهذا المرض في حين أمر ملك فرنسا في سنة 1313 م بحرق جميع المجذومين للتخلص من الإهتمام بمعالجتهم . كذلك إهتم العرب بشؤون السجون الصحية ووفروا للمساجين ما يحتاجونه من خدمات طبية . فقد ذكر أن وزير ديوان الخلافة علي بن عيسى بن الجراح المتوفي سنة 335 هـ/ 946 م قد بعث ذات سنة كثرت فيها الأمراض ، بكتاب إلى سنان بن ثابت رئيس الأطباء ، أن يتفقد حال السجون ويوفر لمن فيها الدفء والطعام والدواء . وأن يعين لهم أطباء يعودونهم في سجونهم ويعالجون مرضاهم . ففعل سنان بما أمر به الوزير[25] . بينما كان البشر في سجون ودور المجانين بأوروبا ذلك الزمن وسائل ولعب تسلية للملوك والبارونات ، أو لممارسة طرق التعذيب ، أو تجربة الأدوية عليه قبل تطبيقها على الحكام والأمراء . لقد كانت المستشفيات عند العرب إحدى الأوجه الكثيرة التي زينت الحضارة الإنسانية ومفخرة عظيمة في خدمة الإنسان ، والحفاظ على عافيته ، ودرء أخطار المرض عنه .

المستشفيات المتنقلة في الإسلام

وتسمى أيضاً المستشفيات المحمولة ، وأي من الأسمين يفصح عن ماهية هذا النوع من المستشفيات ، وسعة خدماته الطبية . وتحمل مرافق هذه

---

(24) رحلة بنيامين التطيلي (تحقيق عزرا حداد) ص 135 .

(25) ابن القفطي ص 193 ، ابن أبي أصيبعة ص 301 .

المستشفيات وأدويتها على ظهور الجمال ، مصحوبة بالإختصاصيين من الأطباء والفصادين الصيدلانيين والمجبرين ، وتنتقل من مكان إلى مكان ، ومن قرية إلى قرية بحسب تنقلات الجيوش المحاربة ، أو ظهور الأوبئة . والكتاب الذي بعث به الوزير ابن الجراح إلى رئيس الأطباء سنان بن ثابت يجلب الإنتباه إلى اهتمام الحكام المسلمين بصحة الرعايا البعيدين عن الحواضر . قال الوزير في ذلك الكتاب (فكرت ما في السواد من أهله ، وأنه لا يخلو من أن يكون فيه مرضى لا يشرف متطبب لخلو السواد من الأطباء . فتقدم مدّ الله في عمرك بإيفاد متطببين ، وخزانة من الأدوية والأشربة ، يطوفون على السواد ، ويقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة إلى مقامهم ، ويعالجون من فيه ، ثم ينتقلون إلى غيره) وكتب له الوزير أيضاً : (. . أعمل أكرمك الله على ذلك ، واكتب على أصحابك به ووصّ بالتنقل في القرى ، والمواضع التي فيها الأوباء الكثيرة ، والأمراض الفاشية)[26] .

وأكثر الإحتمال أن المستشفيات المتنقلة التي كانت بين القرى والأرياف كانت من أعمال العرب المبتكرة ، وأن (المستوصفات السيارة) التي يفاخر بها القرن العشرين بأنها من صنعه ، ما هي في الواقع إلا ذات المستشفيات المتنقلة التي مارسها العرب قبل ما يزيد على العشرة قرون .

ومن المنتظر أن تكون المستشفيات المحمولة التي ترافق الجيوش المحاربة ، على نطاق أكبر ، واختصاصات أوسع . وقد روى أن البيمارستان الذي كان يصاحب جيش السلطان محمود السلجوقي ، كان قوامه حمل أربعين جملًا . وكان يرأسه عبيد الله بن المظفر الباهلي (توفي عام 549 هـ/ 1154 م)[27] وهو من المقتدرين في هذه الصناعة . وهنا نتذكر الجهاز الطبي الهزيل الذي كان يرافق حملات الصليبيين على المسلمين في سوريا وفلسطين إذ كان القسّ أبرز شخصية تعمل في إسعاف الجرحى ومعالجة المرضى بتلك الحملات .

---

(26) المصدر السابق .

(27) ابن القفطي ص 405 .

الحِسْبة في الطب[1]

إعتبر الطب منذ أقدم الأزمان صناعة مقدسة ، فمارسها سدنة المعابد ورجال الدين في مصر الفرعونية وما بين النهرين . واشترط أمام الأطباء اليونانيين أسقلوبيوس على من يريد أن يتعلم هذه الصنعة ، أن يكون من أسرته المقدسة ، أو على الأقل من أسرة معروفة بحسبها ونسبها وشرافة أعسالها[2] . كما وضعت منذ القدم أنظمة لمعاقبة من يسيء إلى شرف المهنة أو يستغلها بجشع ونهم .

وكان الأطباء اليونانيون يعتمدون واحداً من بينهم معروفاً بالمروءة والتجربة في الطب ، لمراقبة أعمال الممارسين والنظر في شكاوى الناس منهم[3] . وقد اتبعت هذه الطريقة في العصر العباسي ، فنصب واحد من الأطباء معروف بالنزاهة والإستقامة والممارسة الطويلة ، رئيساً على زملائه في الصنعة يراقب سلوكهم في الممارسة ، والتزامهم بقواعد المهنة وآدابها . كما

---

(1) اقرأ عن الحسبة في كتاب معالم القربة في أحكام الحسبة لابن الأخوة . ص 163 ـ 169 ، ونهاية الرتبة في طلب الحسبة لابن بسام 108 ـ 120 ، والباب السابع عشر والسابع والثلاثين من المنهج المسلوك في سياسة الملوك للشيزري . وكتاب الحسبة والمحتسب لنقولا زيادة ص 97 ـ 105 ، والبيمارستانات في الإسلام لأحمد عيسى ص 52 ـ 58 . ونهاية الرتبة في طلب الحسبة لعبد الرحمن بن عبدالله الشعراوي (مخطوطة) وصبح الأعشي للقلقشندي 3/487 .

(2) ابن أبي أصيبعة ـ عيون الأنباء ص 31 ، 33 ، 44 .

(3) ابن الأخوة ص 167 .

كان في ذلك العصر (محتسب) لمراقبة أعمال الناس والنظر في شكاواهم ومعاقبة من تثبت إدانته على مخالفة العرف والشريعة والقانون . ووظيفة رئاسة الأطباء مرتبة علمية لا إدارية كوظيفة الحسبة . وكلا الوظيفتين مربوطتان بديوان الخليفة ، أو من يقوم مقامه . وكانت الحسبة في بداية تشريعها ، أمرا بالمعروف إذا ظهر تركه ونهيا عن المنكر إذا ظهر فعله عملاً بقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) . ثم تطورت أهداف الحسبة بدوافع إجتماعية حتى صارت تهتم بأمور الدنيا بقدر ما تهتم بأمور الدين . وصار من اختصاصها مراقبة أصحاب الصنائع ، والضرب على أيدي المتلاعبين بنوعية البضاعة أو أسعارها ، ووحدة القياس فيها . ويسمى المحتسب في خلافة الأندلس : العامل على السوق[4] .

ومنصب المحتسب من المناصب الرفيعة المرموقة . وكان الخلفاء الراشدون أنفسهم يتولون هذا المنصب[5] . ثم أحالوه على غيرهم ممن رأوا فيه الإهتمام بأمور المسلمين والخوف من الله ، والمعرفة بأحكام الشريعة . فبدأوا بمراقبة الأوزان ومكاييل الباعة ووحدات القياس عامة .

ولما انتشرت المهن والحرف اليدوية صارت الحسبة تشمل أعمال الجزارين ، والبزارين والعطارين ، والطباخين ، والأطباء ، والجراحين ، والفصادين وغير هؤلاء من أصحاب الحرف .

ويتعهد رئيس الأطباء (وهو المقدّم بينهم) أمام المحتسب أن لا يتساهل في شؤون مراقبة أعمال الأطباء[6] ، وأن يأخذ عليهم عهد أبقراط بأن لا يعطوا دواء قتالاً ، ولا يشيروا به ، ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة ، ولا للرجال دواء يقطع النسل . وأن يغضوا من أبصارهم عن

---

(4) المصدر السابق ص 7 ، والماوردي ـ الأحكام السلطانية ص 227 ـ 236 .

(5) ابن الأخوة ص 7 .

(6) المصدر السابق ص 167 .

المحارم عند دخولهم بيوت المرضى ، وأن لا يفشوا أسرار ما يرونه فيها[7] .

ويمتحن رئيس الأطباء زملائه عند الإقتضاء . وقد يكون الخليفة المأمون أول من أمر بامتحان الصيادلة[8] ، والخليفة المقتدر أول من شرع امتحان الأطباء وذلك أثر خطأ اقترفه أحدهم في معالجة مريض فسبب وفاته ، فأمر الخليفة طبيبه بن سنان بن قرة أن يمنع الأطباء من ممارسة الطب ألا بعد أن يثبتوا كفاءتهم بالإمتحان في علوم المهنة[9] . ويكون الإمتحان على الغالب في مضامين كتاب محنة الطبيب ليوحنا بن ماسويه ، أو كتاب مسائل حنين ، وأن يتأكد الممتحن أن الطبيب يقتني آلات الفحص والعلاج ، وهي كلبات الأضراس ، وكلبات العلق ، ومكاوى الطحال ، وزراقات الذكر ، وملزم البواسير ، ومخرط المناخير ، وقالب التشمير ، ورصاص التثقيل ، ومفتاح الرحم ، ومكمدة الحشا . كما يأخذ رئيس الأطباء العهد من الطبيب الممتحن أن يتشاور مع زملائه إذا صعب عليه تشخيص المرض أو علاجه[10] وأن لا يتعدى بذلك حدود اختصاصه .

أما الحسبة على الجراحين فتوجب أن يؤخذ عليهم معرفة كتاب قاطاً جانس في الجراحات وآلاتها وأدويتها ، وأن يعرفوا تشريح الجسم وما فيه من أعضاء وعضل وعصب وشرايين[11] .

أما الكحالون فيمتحنهم رئيس الأطباء في كتاب العشر مقالات في العين لحنين بن إسحاق ، ليختبر معلوماتهم عن طبقات العين ، ورطوباتها ، وأمراضها ، وطرق تداويها والأدوية المتسعملة في ذلك[12] .

---

(7) المصدر السابق والصفحة ، وابن بسام في نهاية الرتبة ص 108 .
(8) ابن أبي أصيبعة ص 224 .
(9) القفطي - تأريخ الحكماء . ص 191 ، وابن أبي أصيبعة ص 302 .
(10) المصدر السابق ص 169 ونقولا زيادة في الحسبة والمحتسب ص 102 .
(11) ابن الأخوة ص 168 .
(12) المصدر السابق ص 169 .

ويشترط رئيس الأطباء على المجبرين أن يعرفوا عظام هيكل الإنسان ، وشكل وموضوع كل عظم منها ، ويكون امتحانهم في المقالة السادسة من كتاب يولس الأجيني[13] .

الحسبة على الفصادين والحجامين

الفصد والحجامة اختصاص في الطب العربي ، والذين يمارسونها هم على الغالب ليسوا من الأطباء . على أن الكثير من الأطباء يمارسون الفصد والحجامة كعمل يدوي مثلما يمارسون بعض العمليات الجراحية ، وهم ليسوا من الجراحين ، فهم بهذا لم يلتزموا بقسم أبقراط الذي ينص صراحة على عدم الخلط بين اختصاصين في الطب . وعلى الغالب فإن كبار الأطباء كانوا يستطبون الفصد والحجامة ، أما الذين ينفذون هاتين العمليتين فهم الفصادون والحجامون . ولكثرة ممارسة العمليتين المذكورتين ، واحتمال وقوع الأخطاء في الفصد بصفة خاصة ، وضعت لها قواعد وأنظمة انضباطية على من يسيء ممارستها . وقد ذكرنا فيما تقدم الحالات المرضية التي تعارض أجراء الفصد والحجامة .

ويمتحن رئيس الأطباء من يمارس الفصد بتشريح الأعضاء وعروق الجسم وشرايينه ويتأكد لديه آلات الفصد والوتر لشد الذراع وما يلزم لهذه العملية[14] .

---

(13) المصدر السابق ص 169 .

(13) المصدر السابق ص 164 .

(14) المصدر السابق .

البحث العلمي في الطب عند العرب
وبعض الإكتشافات التي أضافوها إلى المعرفة الطبية

لإرتباط الطب العربي بالطب اليوناني ، فإن موضوع البحث العلمي عند الأطباء العرب لا يفهم على واقعيته وسعته ما لم تتقدمه لمحة من مثيله عند اليونانيين .

ويقصد بالبحث العلمي في الطب ، التحري في طبيعة جسم الإنسان ، في علل الظواهر المرضية التي تصيبه . ويكون عادة بالتجربة العملية ، أو بتدارس الحالات المرضية ، والقيادة في كليهما للفكر والمنطق . والبحث من حيث ظروفه على ضربين ، يأتي أحدهما بالفعل العفوي ، أي أنه يحدث اتفاقاً دون إرادة مقصودة من الباحث ، بينما يتم الآخر بالتجربة الهادفة التي يخطط لها الباحث ليصل إلى تثبيت فكرة تعمل في رأسه . وقد لعبت الصدفة أو العفوية في اكتشاف المعارف الطبية دوراً كبيراً منذ أقدم عصور التاريخ ، ولا تزال تعمل ولكن بقدر محدود . ويدخل في هذا النوع من البحث تطبيق ما يراه النائم في أحلامه من وسائل التداوي ، وتقليد الإنسان لما يعمله الحيوان البهيم في أمور حياته وأمراضه . أو يجيء اكتشاف المعرفة بمحض الصدفة حين يستعمل الإنسان دواء ما ، أو نبتاً ليس في علمه أن يكون ذا فائدة طبية ، فيتفاجأ بالنفع الجزيل بعد تناوله . ولكل من هذه الحالات وقعات كثيرة زودت الإنسان بكثير من المعارف الطبية .

وكان اليونانيون القدماء ، أي الذين سبقوا العهود الإسكندرية ، يعتمدون في تثبيت معارفهم على الفكر والمنطق . فيفترضون النظريات

ويؤمنون بصدقها دون أن يهتموا بتحقيق واقعيتها عملياً . فعاشت نظرية العدد (4) في الأمور الطبيعية ، والعدد (7) في جنسيات المرأة ومواليدها . ونظرية العناصر الأولى ، ونظرية الأمزجة والأخلاط في أسباب الأمراض طيلة العصور اليونانية وكأنها حقائق ثابتة لا مبرر للجدل على صدقها . ولم يحاول أحد من ممارسي الطب أن يحوّر من النصوص التي وردت في كتبها ، أو يجد بديلاً أو نظيراً لها . وكان أمام أطباء العصور اليونانية أبقراط القوصي يرى أن التجربة في الطب خطر[1] ، وعلى الممارس أن يعمل بصنعته قياساً على ما كان يفعله من سبقه من الممارسين . وأبقراط بنظر أطباء ذلك الزمن غير معرض للتخطأة ، وتعتبر مخالفته خرقاً لقدسية الصنعة ، بحجة أن معرفة هذا الطبيب لأسرار المهنة كان بإلهام رباني لا يتوفر إلا لقليل من البشر . فلا أمل لاكتشاف معارف جديدة لا يعرفها ذلك الطبيب العظيم ، فانحصرت أكثر المعارف الطبية بمأثورة أبقراط التي تفيد بأن (الجسم يعالج على خمسة أضرب : ما في الرأس بالغرغرة ، وما في المعدة بالقيء ، وما في البدن بإسهال البطن ، وما في الجسد بالعرق ، وداخل العروق ، بإرسال الدم) (ابن القف ـ شرح الفصول البقراطية ص 30) وهكذا كاد ينحصر البحث العلمي في العصر الأبقراطي على المشاهدات السريرية دون التفكير في أسبابها وما يدعو إلى تطورها إلى الأحسن أو إلى الأردأ . فلم يكن يهمهم أن يعرفوا كيف تبصر العين ، أو كيف يهضم الطعام ، بل كان همهم أن يعرفوا الشيء الذي يجلو النظر ويسهّل الإستمراء في المعدة وليس أكثر من ذلك[2] ، ولكذلك بقي الطب اليوناني منذ عهد أبقراط وحتى ظهور التجربة الطبية في الإسكندرية في القرنين الثالث والثاني ق . م ، بحالة ركود ولم يطرأ على مبادئه الأولى إلا بعض التغييرات الفرعية دون مساس أصولها وجذورها بشيء .

---

(1) ابن القف ـ الأصول في شرح الفصول البقراطية ص 3 .

(2) سانتيلانا ـ المذاهب الفلسفية 2/460 .

وكان سيّداً البحث العلمي في مدرسة الإسكندرية هما هيروفلس وإيراستراتوس ، ولكليهما تجارب واسعة على الحيوان والإنسان ، ربما كان أبرزها جميعاً وأكثر أصالة تردد إيراستراتوس في قبول فكرة الأخلاط دون تطوير ، وافتراض هيروفلس بوجود اتصالات بين نهايات الأوردة والشرايين . وهذه الخطوة الأساس لمعرفة مسار الدورة الدموية في الجسم التي إنتهى البحث فيها بنجاح إلى الطبيب العربي ابن النفيس القرشيء .

وأشهر علماء التجربة من اليونانيين ، هو جالينوس (القرن الثاني الميلادي) . وتعزى إليه أوسع أعمال البحث العلمي في التشريح المقارن على القرد والخنزير أما أعماله على جسم الإنسان فكانت محدودة لا تتعدى تشريح جثتين بشريتين لا غير . أما في غير التشريح فلم تكن أكثر اكتشافاته بتجارب مختبرية ، بل كانت حصيلة خبراته الواسعة في الممارسة بدعم من فطنته وقوة ملاحظته . وكتابه في التجربة الطبية[4] ، لم يكن في الحقيقة إلا مدونات خبرته في الممارسة لا تجاربه المختبرية فيها . وكان جالينوس يقول إن التجربة لا تحتاج إلى قياس ، إلا أنه لم يصل عملياً إلى هذا القرار الحاسم ، وبقي يعتمد في بحوثه على شيء من التجربة وقدر من القياس . إذ لم يكن يسهل عليه أن يتخلّص من أفكار أبقراط وسيطرتها الروحية على أفكاره . فتبنى باندفاع نظرية الأخلاط بدلاً من أن ينقدها أو يطورها ، بينما استمر من ناحية أخرى على أعماله في الطب التطبيقي بأسلوبه الخاص ، وقطع فيه شوطاً لم يصل إليه الأطباء الذين سبقوه بأيّ حال .

وأقدم تعريف عربي للبحث العلمي هو الذي عرفناه على لسان المؤرخ المسعودي علي بن الحسين (ت 364 هـ/ 974 م) ، قال : (التجربة علم يتكرر على المحسوس الواحد في أحوال متكررة)[5] ، والبحث العلمي

---

(3) Lund - Greek Medicine, p. 107.

(4) التجربة الطبية ـ من كتب جالينوس المهمة ، ترجمه حنين إلى السريانية ونقله حبيش من هذه اللغة إلى العربية ، ومنها ترجمه والسر إلى الإنكليزية ونشره سنة 1944 .

(5) السعودي ـ مروج الذهب 4/173 .

مصطلحاً ولغة ، هو تنويع التجربة في تطبيق العلم . وهذا الترادف الذي يجعل التجربة بمعنى البحث مقبول من لدن اليونانيين والعرب على السواء .
والأهم في التعريف العربي الذي مرّ ذكره هو القول بأن البحث (علم) ، وفي لغة اليوم هو فن وعلم له قواعد وأصول بدونهما لا يتوصل الباحث إلى معرفة الأسرار الخفية في الإختصاص الذي يعمل فيه .

وقد تفتحت أفكار الأطباء العرب على دراسة العلوم والتحقيق في أسرارها فور اطلاعهم على النظريات اليونانية الأولى ، فاجتذبتهم هذه النظريات على ما فيها من غموض أكثر مما اندفعوا إلى البحث في علومها التطبيقية كالتشريح والفسلجة . وربما كانت الأفكار الفلسفية ، ومنها مذاهب الإعتزال هي التي قادت الأطباء العرب إلى طريقة دراسة تلك النظريات والبحث في حقائقها ، بلماذا ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ وصارت هذه التساؤلات على ألسنة الناس عامة لا على ألسنة المتعلمين والباحثين وحدهم . قال الرازي :

(ولما كان من أردياء الناس قد يكذّبون مثل هذه الأشياء ، ولم يكن عندنا شيء نختبر به حق المحقق ، وباطل المبطل في هذه الدعاوى إلا التجربة ، رأينا أن تكون هذه الدعاوى غير مطرحة بل مجموعة مدونة)[6] .

وورد على لسان الخليفة الواثق في مجلسه الخاص ، وبحضور جماعة من العلماء والأطباء ، يسأل : (أحب أن أعلم كيفية إدراك علم الطب ، ومآخذ أصوله)[7] وهو سؤال مطلق عن الطريق التي توصل الأطباء إلى معرفة الأمراض وطرق تشخيصها وعلاجها . ويهدف مضمون السؤال في الحقيقة إلى معرفة أسلوب البحث العلمي الذي قاد الأطباء الأولين إلى اكتشاف المعارف الطبية . إلا أننا مع الأسف لم نسمع تفاصيل أجوبة علماء مجلس الخليفة إلا إشارتهم إلى أول الأقوام التي عرفت فنون الصنعة ، والتقليد والقياس في ممارستها بعد ذلك .

---

(6) الرازي ـ مخطوطة الخواص ورقة 4 ظهر .

(7) السعودي ـ مروج الذهب 4/173 ـ 174 .

ويحق لنا أن نعتبر يوحنا بن ماسويه أول من زاول البحث العلمي من الأطباء العرب ، إذ هو أول من عمل بالتشريح المقارن بين أعضاء الحيوان وأعضاء الإنسان . وكان يعمل بحوثه على القردة التي تستورد من نوبة مصر(8) .

أما الرازي فكان أول من أدرك بعمق أهمية البحث العلمي في تطوير المعرفة الطبية ، واكتشاف الجديد من أسرارها ، فصار من أكبر دعاة التجربة ولو بحذر . ورأى أن منهاج العمل فيها له أصول وفروع ، (وأن على الطبيب أن يكون قد أحكم الأصول وقرأ الفروع . فإنه من غير هذين لا يصلح له شيء ، ولا يهتدي لأمر من الأمور في الصناعة)(9) .

وهو أي الرازي كان أول من طبق التجربة الهادفة باستعمال الضوابط .

فحين أراد أن يعرف منافع الفصد في حالات مرض السرسام ، (قسّم مرضائه إلى مجموعتين عالج أحداهما بالفصد ، وامتنع عن فصد الأخرى ، وراقب نتيجة هذه التجربة)(10) . وهذا هو أسلوب البحث المقارن الذي يعمل به الباحثون في هذا العصر . كما اختبر الرازي تأثير الزئبق على الحيوان فأطعم قردة من زيبق عبيط ، وعرف من الأعراض التي ظهرت عليها أن ليس لهذا المعدن كثيرمضرّة إذا شرب ما خلا الوجع الشديد في البطن(11) .

واكتشف أحمد بن أبي الأشعث تمدد المعدة لإستيعاب الشراب والطعام ، بتجربة على الحيوان ليزيل الإستغراب من كثرة ما تتناوله تلك البهائم(12)

---

(8) ابن أبي أصيبعة ـ العيون ص 250 .

(9) الرازي ـ رسالة إلى أحد تلامذته (مكتبة التيمورية بمجموعة 1196 طب) ورقة 177 وجه .

(10) محمد كامل حسين ـ طب الرازي ص 20 .

(11) المصدر السابق ص 21 .

(12) ابن أبي أصيبعة ص 612 .

وبشكل عام احترم الأطباء العرب آراء الأطباء اليونانيين الأوائل وعملوا مثل أكثر من تبعهم بالقياس والتقليد ، كما عملوا أيضاً بكيلهما وبالتجربة معاً ، وتوصلوا إلى معرفة حقائق لم يكن يعرفها من تقدمهم من أطباء ذلك العالم ، بل صار بعض من الأطباء العرب بفضل ثقتهم بمعلوماتهم الجديدة ، ينقدون كبير الأطباء اليونانيين جالينوس . ومن ينقد هذا العالم لا بد كانت له من المعارف الطبية ما لم يكن يعرفها ذلك الطبيب الند . وبأي حال ، فإن أكثر ما فعله العرب بمجال البحث في علوم الطب كان في مجال الخبرة الواسعة في الممارسة الطبية ، واستقراء نتائجها السلبية والإيجابية . للعثور على ما يشير فيها إلى ضرورة تطوير المعلومات التقليدية التي انحدرت إليهم من اليونانيين . ومدونات خبرات الأطباء العرب كثيرة جداً ، ورغم أن عناوين الكتب التي تضمنها تعني التجربة في الطب ، إلا أنها في الحقيقة لا تحتوي إلا على معلومات طبية تعكس أسلوب المؤلف في ممارسة الصنعة .

أما أعمال البحث في التشريح فبالرغم من نزرتها ، فإن نتائجها كانت عظيمة الأهمية ، وثورة في المعرفة الطبية . فقد قال علي بن العباس المجوسي صراحة بوجود الإتصالات بين نهايات الشرايين والأوردة التي أشار إليها ايراستراتوس إلا أنه لم يجزم على واقعيتها بالتوكيد . أما أعظم اكتشافات العرب في التشريح فكانت من عمل ابن النفيس القرشي . وهو الذي اكتشف الدورة الدموية في الرئة ، كما نفى وجود فتحات مجهرية في الحجاب الفاصل بين بطيني القلب ، واكتشف أن القلب يغتذى بالدم عن طريق الأوعية الدموية التي تنتشر في جرم عضلاته ، لا مباشرة من الدم الذي يملأ تجاويفه(13) . وسواء كانت هذه الإكتشافات حصيلة استنتاج منطقي يفسر إكتمال الدورة الدموية عن طريق الرئة ، أو أنها كانت نتيجة لعمليات تشريحية على الحيوانات ، فإنها بأي حال من أعمال البحث البارزة في تسلسل اكتشافات الدورة الدموية .

---

(13) Ullmann - Islamic Medicine, p. 92.

ولا ريب في أن التجربة في العلوم السريرية عند العرب كانت أكثر مما في العلوم الأساسية . وربما كان السرازي أول من جرب استعمال المستحضرات الكيمياوية في العلاجات الطبية ، وكانت الأدوية قبل ذلك الوقت محصورة في نبت الأرض ومعادنها ولحوم حيواناتها . وهو أيضاً أول من أعطى صورة سريرية واضحة للحصبة والجدري . كما وجد ابن سينا بالتجربة أن تبريد الرأس بأكياس الثلج ذو فائدة في كثير من الحالات المرضية التي لها علاقة بهذا الطرف من البدن . واستعمل ابن زهر الأشبيلي تغذية المريض بالسوائل عن طريق المقعد أو بمصها بأنبوبة مفتوحة ، كما أشار إلى دويبة الجرب التي لم تكن معروفة يومئذ .

وأشرنا فيما تقدم أن علي بن عيسى الكحال أول من ربط بين الصداع واضطراب البصر وبين التهاب الشريان الصدغي ، ولم يعرف الأوربيون هذا المرض قبل منتصف القرن التاسع عشر .

ويعتبر كل من ابن خاتمة الأنصاري (ت 771 هـ/ 1369 م) ولسان الدين الخطيب (ت 776 هـ/ 1374 م) أول من حدد مفهوم الأوبئة والطواعين وطرق انتقالها من مكان إلى مكان ، وأسلوب الوقاية منها . وكانت أفكارهما بهذا الموضوع تضادد معتقدات الناس في أنها تتجه لسخط السماء على البشر .

ويشير الكتاب الأوربيون إلى أن العرب كانوا أول من استعمل التحذير العمومي باستنشاق العقاقير المخدرة لا بتناولها عن طريق الفم كما فعل اليونانيون[14] . كما أشاروا إلى أنهم عالجوا الخراجات بمنع التئام أمكنتها قبل أن يتم خروج القيح كاملاً من فجوتها .

أما اكتشافات العرب في العلوم الجراحية ، فكان أهمها من صنع أبي القاسم الزهراوي . وربما كان هذا الجرّاح أول من استعمل خيوط الحرير

(14) Campbell, 1/133.

لربط الأوعية الدموية وخياطة الجروح ، وأول من احتالِ على رفع الزوائد اللحمية في الأنف باستعمال الزنانير ، واستخراج الجنين في الولادات المتعسرة باستعمال آلة المشداخ cranioclact . كذلك وسع الزهرواي دائرة استطباب الكي في الحالات المرضية ، ورمّم التشوهات الخلقية في الفم ، وعالج طوارىء الأحداث في عظم الحوض ، وفي المهبل . وكل هذه جراحات مبتكرة ليس لها ذكر في الطب قبل الزهرواي .

إن دور الطب العربي في حضارة الإنسان لا ينحصر فيما اكتشفه العرب من معارف جديدة في هذه الصنعة ، بل أهم من ذلك في كون أن ذلك الدور قد أعقب الحضارة البيزنطية اليونانية التي كانت يومئذ تلفظ أنفاسها الأخيرة . فلم تكن هناك أقوام أخرى غير العرب في حالة استعداد إجتماعي وفكري لتأخذ مكان تلك الحضارة الغاربة ، رغم أن معارف تلك الحضارة كانت قد وصلت بنفس الوقت إلى أقوام أخرى من غير العرب . إلا أن العرب تبنوا بشغف الأفكار اليونانية ، وهذبوها ، وحققوا أصولها ، وبرهنوا على صحة كثير من نظرياتها بالتجربة والخبرة الطويلة . فلولا العرب واهتمامهم بذلك المستوى لوصل الطب البيزنطي اليوناني إلى أدنى درجات التدهور ، فلا تبقى له من الملامح الأصلية إلا الذكريات الباهتة المعالم حين ذلك لا يعرف متى يقيّض الله له من يبعث فيه الروح ، ويعمل فيه من جديد .

شخصية الطبيب العربي وسلوكه المهني

للطبيب ، منذ أقدم العصور ، مركز ينظر إليه الناس على اختلاف طبقاتهم ، بعين التودد والإسترضاء ، إن لم يكن بعين الإحترام والتقدير . ولم يكن للدين أو المذهب أو العنصر تأثير على ذلك المركز المرموق . فكان الأطباء النصارى والصابئة والمجوس واليهود بمرتبة واحدة ، لا فرق فيما بينهم إلا بالعلم والمقدرة بالصنعة .

واعتبر الخلفاء الأطباء من مستلزمات الحكم ليحافظوا على صحتهم[1] وصحة جنودهم ، أو ليكونوا كما يكون الشعراء أداة مفخرة وتباهي مع الأنداد . فكانت حاشية الخلفاء والأمراء تضم عدداً غير قليل من الأطباء . قيل كان منهم أربعة وعشرون طبيباً على مائدة سيف الدولة الحمداني[2] ، فكيف بعددهم على موائد الخلفاء ؟

وكسب الأطباء من علاقتهم بالحكام أموالاً طائلة وجاهاً عريضاً . وقد مر بنا أن جبرائيل بن بختيشوع حصل من ممارسة الطب وعطايا الخليفة ثروة تقدر بالملايين من الدراهم . وحصل أبو نصر المسيحي على أجر خيالي من عملية بسيطة أجراها على الخليفة الناصر لدين الله العباسي . وقد تكون الروايتان المذكورتان كاريكاتوريتين أكثر مما هما واقعيتان . إلا أننا نفهم منهما من المبالغ الضخمة التي كان الأطباء يحصلون عليها من ممارسة هذه الصنعة .

---

(1) العروضي السمرقندي ـ جهار مقالة ص 2 .

(2) ابن أبي أصيبعة ـ عيون الأنباء ص 609 ـ 610 .

كمـا أناط الخلفـاء بالأطبـاء وظائف عـالية . فـولى ابن سينـا الـوزارة مـرتين ، واعتمد المعتصم العبـاسي على طبيبه سلمـويه وهـو نصراني ، أن يكتب رسائله ويختمها بختم الخلافة[3] . وكان يحترمه احترام الابن لأبيه ، وينـاديـه بـ (يـا أبي) ويقـول عنـه (أن سلمـويـه عنـدي أكبـر من قـاضي القضاة)[4] . وكذلك كان ثابت بن قرة مـع الخليفة المعتضـد العباسي[5] ، وابن التلميذ من المقتفي[6] . وبنو فانه من السلاطين الأيوبيين ، ويحيى بن إسحـاق[7] من النـاصـر لدين الله في قـرطبة . كمـا تولى ابن بـاج الأندلسي القضاء في شذونة[8] ، وأبو عبد الله الثقفي خزانة السلاح[9] في قرطبة .

وهناك أمثلة كثيرة على مركز الطبيب المرموق في الدولة والمجتمع في العصور الإسلامية ، نستطيع أن نعرف منها شخصيته العلمية والإجتماعيـة . فنحسب أنـه كان حسن الهيئـة والقيـافـة ، غني النفس واليـد ، وافـر العلم والرواية . وأنه كان متمكناً من التحدث والمناظرة مع العلماء ، وفي حضـرة الخليفة . وهذه المكنات والصفات ضرورية لمن يتردد على مجالس الأمراء والخلفاء وإلا فليس له مقعد فيها .

ويفترض منذ العصـور اليونـانية أن يكـون الطبيب فيلسـوفاً . وقيـل : (يريد أن يكون طبيباً فعليه أن يكون فيلسوفاً) وجالينوس فيلسـوفاً كمـا كان طبيباً ، وكذلك كان الرازي ، وابن سينا ، وابن أبي الطيب ، وابن رشد وغير هؤلاء كثيرون من أطباء العرب . ولا عذر للطبيب في العصور الإسلامية أن لا يعرف الكثير من العلوم غير الطبية ، أو أن لا يشارك المتحدثين في الحكمة

---

(3) ابن أبي أصيبعة ص 334 .
(4) المصدر السابق .
(5) ابن أبي أصيبعة ص 296 .
(6) المصدر السابق ص 350 ـ 360 .
(7) ابن أبي أصيبعة ص 488 ، ابن جلجل ـ طبقات الأطباء ص 100 ـ 101 .
(8) ابن أبي أصيبعة ص 489 ، ابن جلجل ص 102 ـ 103 .
(9) المصدر السابق ص 492 .

والـريـاضيـات وعلم النجـوم والـلاهـوت ، وفي الأجـواء والميـاه والأدويـة والمعادن ، وفي الشجر والثمـر ، وفي الموسيقى والـرياضـة وحتى في لعب الشـطرنج[10] ، على اعتبـار أن عموم هـذه المعارف ذات عـلاقة بـالإنسان وصحته وبطريقة علاج أمراضه .

ويجتمـع الأطباء عمـومـاً على اختـلاف أجنـاسهم ونحلهم وديـانـاتهم وأزمـانهم على خلق مميز واحـد في ممارسـة الصنعة ، تـطبعها فيهم نـوعية المهنة وتمليها آدابها ، فلا يفلتون منها ولا يتحايلون على مخالفتهـا ، وكأن التمسـك بها من فضـائل الأخـلاق أو فروض الشـريعة . والـذين شـذوا عن الخلال المتعارف عليها قليلون يذكرون للتندر والنقد الجارح والمثل السيء . ويطلق على خلق الطبيب الذي نشير إليه وتصرفـاته مـع مرضـائه وزمـلائه ، مصـطلح السلوك المهني أو الآداب الطبيـة . وتسمى أيضاً التقـاليد الـطبيـة لانتقالها عبر الأجيال بالعرف والتقليد ، لا بالأنظمة والقوانين .

وأول من دعى إلى الإلتزام بالآداب الطبية هو أبقراط كما هو معروف . فوضع عهده الخالد ليصون شـرف المهنة من عبث المستهتـرين ، ومستغلي ضعف من يسقط في محنة المرض من بسـطاء الناس . وقـد احترم الأطبـاء العرب عهد أبقراط ، والتزمـوا بتطبيق بنـوده . حتى لا نجد كتـاباً عـربياً في الطب لا يشير إليه بكثير أو قليل من التعليق. كما ورد في مؤهـلات الطبيب العربي أن يكون ذا خلق كريم وصحيح الأعضاء ، جيد الرؤية ، خير الطبع وغزير المعـرفة بـالعلوم ، وأن يكون حسن الملبس طيب الـرائحة ، نـظيف البدن والثوب . وإن تكون رغبته في إبراء المرضاء أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة ، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء ، وأن يكون حريصاً على التعليم[11] .

وفي نظرة الأطباء العرب إلى سلوك ومؤهلات الطبيب كثير من الفضائل

---

(10) قصة تودد في ألف ليلة وليلة .

(11) ابن أبي أصيبعة ص 565 .

التي لم ترد في عهد أبقراط . ونحسب أن الصدقة ومساعدة المتحاجين التي يأمر بهـا الإسلام قـد وجدت مجـالاً فـسيحاً في تـطبيقها على عـلاج الفقراء بـالمجان . وكـانت لهذه الـطبقة من المـرضى اعتبـار خـاص عنـد الأطبـاء العرب ، فكان كثير منهم يعالجون بلا أجر ومنهم من يطعم المريض ويزوده بالدواء مجاناً .

وأية مصادفة غريبة أن تعني كلمة (طب) في اللغة العربية أهم صفات الطبيب التي وضعها العرب لذوي هذه الصنعة . إذ ترد هذه الكلمـة بمعنى الطب (بكسر الطاء أكثر من ضمهـا) وهي المهنة المعـروفة . وتـرد بمعنى الترفق والتعاطف ، ومن هذا جاء المثـل (من أحب طب) ، كما تـرد نفس الكلمة بمعنى السحر فيقال طب فلان بالأمر أي سحر وفتن به . وتـرد أيضاً بمعنى الحذق والتنطس بالمعرفة ، فيقال فلان طب بصنعته أي عالم ونحرير بها[12] . فكأن الطبيب بحسب معاني هذه الكلمة في العربية ، هو من يمارس صنـاعة الـطب ، ويكون ذو قلب رحيم ، نـطاسى بفنه ، وسـاحـر بحـديثـه وعمله .

وبالرغم من الموقف الجدي والصارم الذي يجب أن يتقمصـه الطبيب في مجالس الحكام وفي عيادة المرضاء ، ومع كثرة أعماله في المهنة التي لا تمهله ليـلاً ولا نهاراً ، فـإن الـطبيب العـربي انطلق من معقله في كثيـر من المواقف والمناسبات إلى دنيا الحرية . فيتبذل ويتحدث بلا قيود ولا تحرز ، ويقـول النكتـة إذا حبكت ، ويمـازج الجـلاس حتى بقبيـح الكـلام . وفي التراثيات الأدبية والطبية كثير من نوادرهم ولطائفهم ، ومقالبهم فيما بينهم ومع المرضى أيضاً .

كان سهل الكوسج (القرن الثالث الهجري) كثير المزاح والنكتة ممـا يجعل مجلسه مستملحاً يختلف إليه أكـابر العلمـاء والأطباء مثـل يوحنـا بن

---

(12) المنجد ـ معلوف ـ حرف ط . مادة طب .

ماسويه ، وجورجيوس بن بختيشوع ، وعيسى بن الحكم الدمشقي ، وزكريا ابن الطيفوري وغيرهم . وكان هؤلاء يهابون سهلاً لطول لسانه وسلاطته ، ولكبر سنه أيضاً . وذات يوم تمارض سهل فأحضر شهوداً وكتب وصيته أمامهم ، وأثبت فيها أسماء أولاده الذين يرثونه . فذكر بالإضافة إلى ولديه سابور ويوحنا ، الأطباء جورجيوس بن ميخائيل وأمه مريم بنت بختيشوع وأخت جبرائيل ، ثم يوحنا بن ماسويه . وذكر في الوصية أنه أصاب أمها زنا[13] . فأحبلها بجرجيس ويوحنا . وتبلغ هذه المزحة أشدها من النكتة المرحة إذا كانت من صنع رجل مثل سهل ، بلغ من العمر عتبة القبر ، فأضحك أصحابه في عنفوان أعمارهم الفتية .

وكان بين ابن التلميذ وأبي البركات اليهودي تباغض وتنافس على المقاعد العالية في مجلس الخليفة ، وكانا من مشهوري أطباء بغداد في خلافة المقتفي . فما أسلم أبو البركات ، غالى في دينه الجديد ، وصار يسب اليهود في مناسبة وغير مناسبة ، فقال يوماً في مجلس عامر بأعيان القوم ، (لعن الله اليهود) فسمعه ابن التلميذ فقال مؤيداً : نعم وأبناء اليهود أيضاً[14] . وهناك حكايات كثيرة عن الأطباء بهذا المعنى والروح والعمق .

كما كان الأطباء العرب تهزهم العاطفة ، فيردون عليها بالشعر الرقيق ، أو الهجاء البذيء ، حسبما يقتضيه الموقف . قال أبو الفرج بن هندو :

تمنيت من أهوى فلما لقيته بهتّ فلم أملك لساناً ولا طرفاً
وقد كان في قلبي دفاتر عتبة فلما التقينا ما فقهت ولا حرفاً

كما كان بعضهم يعاقر الخمر ويتغنى بها . قال ابن سينا :

خمراً تظل لها النصارى سجداً ولها بنو عمران اخلصت الوفا
لو أنها يوماً وقد لعبت بهم قالت ألست بربكم ؟ قالوا : بلا

---

(13) ابن أبي أصيبعة ـ العيون . ص 229 .
(14) المصدر السابق ص 376 .

وقال ابن التلميذ البغدادي :

بزجاجتين قطعت عمري وعليهما عوّلت دهري

بزجاجة ملئت بخمر وزجاجة ملئت بحبر

ولا حاجة أن نصف موقف من ينشد هذا الشعر وهيئته وهو مخمور .

وكثير من الأطباء كانوا في المجالس الخاصة يغنون ويضربون على العود ، وعلى كل آلة تطرب . ومنهم من كتب في فن الموسيقى على اعتباره من العلوم الرياضية الجميلة . وكان هؤلاء ، لإصغار الأطباء وشبابهم فقط ، بل حتى كبار علمائهم والطاعنين في السن منهم ، والغالب عليهم الوقار ، نذكر منهم ابن مندويه ، وابن ميمون القرطبي ، وأحمد بن الطيب السرخسي ، وأبا الصلت بن أبي الصلت الداني ، والحفيد أبا بكر بن زهر ، وأبا الحكم عبيد الله الباهلي وغير هؤلاء كثيرون .

وبالإختصار ، أن شخصية الطبيب العربي كانت تستدعي الإلتفات إليها من الناس ، فهو على الأكثر ذو يسار ، وقيافة لائقة محترمة ، وله معلومات عامة واسعة بغير الطب أيضاً ، يلذ للناس الإنصات إليها . وهو أخيراً من الفئة التي لا غنى للمجتمع عنها ، فيحظى منهم بالتقدير والإكرام ، والمحبة والإحترام .

القسم الرابع عشر
مشاهير المؤلفين
في الطب العربي والمعروف
من مؤلفاتهم

إبراهيم بن بكس (بكوس) العشاري

كنيته أبو إسحاق . من سريان بغداد في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . كان يترجم من السريانية إلى العربية ، ويمارس الطب بمهارة في البيمارستان العضدي ببغداد (365 هـ/ 970 م) كف بصره في أواخر عمره ، فانقطع إلى التدريس دون التطبيب . أعقب ولداً هو أبو الحسن علي بن إبراهيم وكان مثل أبيه طبيباً ومترجماً كما كف بصره في أواخر عمره أيضاً . ولإبراهيم من المؤلفات .

---

(1) جردنا أسماء المؤلفين من الكنية (أبو) إلا إذا كانت هي وحدها ما نعرفه عن اسم المؤلف ، أو أنها أشهر ما في اسمه ، وإلا ذكرنا الإسم كما هو أو بحسب شهرته التي تغني عن التفاصيل الأخرى من الإسم . كما وضعنا مصادر تراجم المؤلفين في آخر الكلام عنهم وفي موضع منعزل عن صف الكتابة التي تعلوها وبحرف أصغر ، والرقم يدل على الصفحة . والرمز (=) يعني انظر :

(2) الحقنا اسم المكتبات التي تمتلك المخطوطة بعد الكلام عن هذه المخطوطة مباشرة ، وحذفنا كلمة المكتبة إذا تكررت هذه الكلمة أكثر من مرة عند الكلام عن مخطوطات المؤلف .
لشهرة بعض المصادر سنذكر باسم مؤلفيها فقط . فنكتب رضا كحالة ونعني بذلك كتاب معجم المؤلفين لرضا كحالة ، والزركلي أي كتاب الأعلام للزركلي ، وبروكلمان أي كتاب في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان وهذا . وإذا ورد هذا الإسم بالعربية فمعنى ذلك أننا ننقله عن الترجمة العربية للكتاب . والرقمين (1) و(2) تشير إلى الجزء من الكتاب .

(3) المؤلفون الذين لا نترجم لهم في هذا القسم ، مذكورون ضمن أحد جزأي هذا الكتاب ، وكذلك نكتفي بذكر أسمائهم فقط في تسلسل أسماء مشاهير المؤلفين الأبجدي .

(1) كتاب الأقرباذين .
(2) كتاب في الطب (الكناش ؟) .
(3) مقالة في أن الماء القراح أبرد من ماء الشعير .
(4) ترجمة كتاب ثيوفراسطس في النبات .
(5) مقالة في الجدري .

القفطي ص 235 ، ابن أبي أصيبعة ص 329 . ابن العبري ص 56

Leclerc 1/375.

إبراهيم الطبيب

عاش بعد القرن السابع الهجري / الحادي عشر الميلادي . ولا يعرف عن ترجمته إلا اسمه الأول المذكور . له كتاب بغية اللبيب وغنية الطبيب (الرباط ـ المغرب) .

مجلة معهد المخطوطات العربية 5/271

إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر الأزرق

يماني ، عالم بالطب . كان حياً سنة 885هـ / 1412 م ، وله :

(1) مغني اللبيب حيث لا يوجد الطبيب .
(2) تسهيل المنافع في الطب والرحمة (الأحقاف ـ مجموعة آل يحيى ، أحمد الثالث ، شهيد علي) وقد طبع بمصر عدة مرات آخرها سنة 1948 .

حاجي خليفة ص 407 ، ابن العماد ـ الشذرات 8/102 ، الزركلي 1/46 ، البغدادي ـ هدية العارفين 1/24 .

Brockelmann, 2/170

إبراهيم بن علي بن محمد السلمي = القطب المصري

إبراهيم بن فضل بن عيسى اليمامي = اليمامي

إبراهيم بن محمد بن طورخان السويدي = ابن السويدي

إبراهيم المغربي العلائي

وهو إبراهيم بن أبي سعيد بن إبراهيم المغربي العلائي المتطبب . كان حياً سنة 546 هـ/ 1151 م ، وله كتاب تقويم الأدوية المفردة فيما اشتهر من الأعشاب والعقاقير (الرباط) . ذكر فيه خمسمائة وخمسين دواء .

حاجي خليفة ص 468

Brockelmann, S. 1/890

إبراهيم (أبو إسحاق) بن الهدى الخليفة

أديب وشاعر ومغني وله كتاب في الطب وكتاب في الغناء .

الوافي للصفدي 5/ 176

رضى كحالة 7/ 262

ابن أبي الحوافر = جمال الدين بن أبي الحوفر

ابن أبي الأشعث = أحمد بن أبي الأشعث (1) 528 ـ 530

ابن أبي البيان دواد بن سليمان = داود بن سليمان الاسرائيلي

ابن أبي الحوافر = فتح الدين بن أبي الحوافر بن هبة الله القيسي

ابن أبي صادق النيسابوري

كنيته أبو القاسم ، واسمه عبد الرحمن بن علي ، ويعرف بابن أبي صادق . أصله من نيسابور وينسب اسمه إليها . درس الطب على ابن سينا وصار عالماً بأفكاره والأفكار اليونانية ولقب ببقراط الثاني . توفي سنة 459 هـ/ 1067 م . وله :

(1) شرح على كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط .

(2) شرح على كتاب الفصول لأبقراط (المتحف العراقي ، الأسكوريال ، دار الكتب المصرية ـ تيمور) .

(3) شرح مسائل حنين (مجلس شوراي ملي ، ويلكم بلندن ، لا له لي ، نور عثمانية)

(4) اختصار شرحه الكبير لمسائل حنين .

(5) شرح كتاب منافع الأعضاء لجالينوس .

(6) شرح شكوك الرازي على كتب جالينوس .

البيهقي ـ حكماء الإسلام ص 114 ـ 116 ، حاجي خليفة ص 1834 . البغدادي ـ إيضاح المكنون 2/279 . ابن أبي أصيبعة ص 411 . رضا كحالة ـ معجم المؤلفين 5/154

Leclerc, 1/479

ابن أبي الصلت = ص 649 ـ 653

ابن أثردى = علي بن هبة الله

ابن أثردى = هبة الله بن أثردى

ابن أسلم الغافقي = الغافقي

ابن الأكفاني

أبو عبيدالله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري ويعرف بابن الأكفاني . من مواليد سنجار بشمال العراق ، وارتحل إلى مصر وتعلم الطب فيها ومارسه في بيمارستان قلاوون بالقاهرة ، ومهر في معرفة العقاقير . كما كانت له معرفة بالحساب والعلوم الطبيعية . توفي سنة 749 هـ/ 1348 م . وله :

(1) إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد ـ وهو كتاب في تصنيف العلوم (كلكلتا 1849) .

(2) كتاب نهاية القصد في صناعة الفصد (لمود الجلبي الموصلي) .

(3) غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ـ وهو كتاب في الطب المنزلي والإسعافات الأولية (أحمد الثالث بأستنبول ، المتحف العراقي ، كويريللي) .

(4) كشف الرين في أحوال العين (دار الكتب المصرية ، المتحف البريطاني ، نور عثمانية بأستنبول ، والجامع الأزهر بالقاهرة ، ميايزيد) .

(5) إيضاح محجة العلاج (برلين) .

(6) نخب الذخائر في أحوال الجواهر ـ وهو كتاب في الأحجار النفيسة ، حققه وطبعه في بغداد سنة 1939 الأب أنستاس ماري الكرملي .

(7) روضة الألباء في طبقات الأطباء ـ وهو مختصر كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة .

(8) بغية السائل من اختصار المسائل (دار الكتب المصرية ـ تيمور) .

(9) نبذة في الطب (دار الكتب المصرية) .

(10) النظر والتحقيق في أحوال الرقيق .

(11) الدر النظيم في أحوال العلم والتعليم .

العسقلاني ـ الدرر الكامنة 3/279 ـ 287 ، الصفدي ـ الوافي 3/25 ـ 27 ، حاجي خليفة ص 66 ، 1490 ، 1542 ، 1935 ، 1990 ، البغدادي ـ إيضاح المكنون 2/692 ، البغدادي ـ المجمع العلمي بدمشق 17/463 ، صلاح الدين المنجد ـ مجلة المخطوطات العربية 5/251 ، والدوميلي ص 510 ، رضا كحالة 8/202 ـ 203 .

Brockelmann, 2/137, 170.

ابن الدمشاطي

هو مظفر الدين محمود بن أحمد ، وله كتاب تأسيس الاتقان والمتانة في علل الكلى والمثانة (شهيد علي) توفي سنة 902 هـ .

الاعلام 7/162 ، كحالة 12/145

ابن باجة

أبو بكر محمد بن يحيى المعروف بابن باجه وبابن الصائغ . من فلاسفة الأندلس الأعلام وأشرافها . عرف بعفة النفس ، وانصرافه إلى دراسة علوم الفلسفة والفلك والطب والرياضيات . وكان مجلسياً يهوى الطرب

ويحسن الضرب على العود . من تلاميذه ابن رشـد المتوفي سنـة 595 هـ/ 1198 م والـطبيب أبو الحسن سفيـان الأندلسي المتـوفي في سنة 537 هـ/ 1142 م . توفي ابن باجة سنة 525 هـ/ 1130 م وله :

(1) شرح على آراء أرسطو .
(2) شرح كتاب الحيوان لأرسطو .
(3) كتاب اختصار الحاوي في الطب للرازي .
(4) كلام على شيء من الأدوية المفردة لجالينوس .
(5) كلام في المزاج بما هو طبي .
(6) كتاب التجربتين ـ وقد شاركه فيه أبو الحسن سفيان الأندلسي ، والكتاب أحد مصادر كتاب الجامع لمفردات الأدوية لابن البيطار .

القفطي ص 406 ، التلمساني ـ نفخ الطيب 4/204 ـ 206 ، ابن خلكان ـ الوفيـات 4/58 ، الصفدي ـ الـوافي 2/240 ـ 242 ، الزركلي 8/6 ، البغدادي ـ هدية العـارفين 2/87 ، البغدادي ـ إيضاح المكنون 1/486 ، رضا كحالة 12/103 ـ 104 ،

Leclerc, 2/75 - 78 Brockelmann, 1/601 (460) S. 1/830.

ابن بختوية

أبو الحسين عبدالله بن عيسى بن بختوية . نسـطوري من أهالي واسط بالعراق . وكان أبوه بختـوية طبيبـاً من أصل فـارسي ، ومتمكناً من ممـارسة الصنعة . عاش ابن بختوية في حوالي سنة 545 هـ/ 1029 م . وله :

(1) كتـاب المقدمـات المعروف بكنـز الأطباء . ألفـه لابنه عـام 402 هـ/ 1029 م .
(2) كتاب القصد إلى معرفة الفصد (الجراح ـ حلب) .
(3) كتاب الزهد في الطب .

ابن أصيبعة ص 628 ، Brockelmann, 1/496

جراف 2/189 Sezgin, 3/335

ابن بذوخ

أبو جعفر عمر بن علي المغربي ، ويعرف بابن بذوخ . مارس الطب بدمشق ، وكان يردد الشعر ومولعاً باقتناء الكتب . توفي سنة 575 هـ/ 1175 م . وله :

(1) كتاب الأدوية المفردة .

(2) حواشي على كتاب القانون لابن سينا .

ابن أبي أصيبعة ص 628

ابن البطريق = سعيد بن البطريق

ابن البطريق = يوحنا بن البطريق

ابن بطلان البغدادي = (1) 569 ـ 577

ابن بكس = إبراهيم بن بكس

ابن البهلول الطبرهاني

واسمه الحسن ، سرياني من علماء القرن الرابع الهجري / العاشر للميلاد . درس الطب ومارسه في بغداد وتوفي فيها ، وله :

(1) كناش المعجم ، وهو موسوعة لغوية علمية بالعربية والسريانية . طبعه دوفال في باريس سنة 1886 ـ 1903 .

(2) كتاب الدلائل ـ موسوعة في علوم الطب والطبيعة والاجتماع بتسع وأربعين باباً . حققه ونشره دكتور يوسف حبي في الكويت 1987 .

(3) ترجمة الكناش الصغير لابن سرابيون .

(4) الآثار العلوية

ابن أبي أصيبعة ص 158 ، ابن العبري ـ التأريخ الكنسي (بالسرياني) ص 251 ، يوسب حبي دلائل الاعماد والاصدام

لابن البهلول ـ مجلة المجمع العلمي العراقي (الهيئة السريانية ص 206 ـ 234) ، الآثار العلوية المجلة المذكورة أعلاه (الهيئة السريانية 83/1984 ص 165 ـ 195) .

ابن التلميذ = أمين الدولة ابن التلميذ

ابن بكلارش

يونس بن إسحاق بن بكلارش ، من علماء يهود الأندلس . برع بمعرفة الأدوية المفردة ، وأجاد التأليف بها ، وخدم أمراء بني هود في سرقسطة وتوفي عام 504 هـ/ 1110 م ، وبو قلارس من الأسماء المألوفة في أسبانية حتى اليوم . وله من المؤلفات :

(1) رسالة التبيين والترتيب ـ ذكرها المؤلف في مقدمة كتابه المستعيني . وتعد هذه الرسالة من المفقودات .

(2) كتاب المستعيني ـ يحتمل أن يكون هذا الكتاب هو الذي ذكره ابن أبي أصيبعة باسم المجدولة في الأدوية المفردة . كتبه المؤلف للأمير المستعين بالله بن هود المتوفي عام 438 هـ/ 1046 م (المكتبة الوطنية بمدريد ، نابولي ، الخزانة العامة بالرباط لايدن) ويحتوي الكتاب على مقدمة تبحث في القوى التي تعمل في الجسم ، وفي نظريات جالينوس . أما الكتاب فيبحث في أكثر من سبعمائة مادة طبية مع ذكر أسمائها باختلاف اللغات ، وإبدالها بما يقابلها من الأدوية .

ابن أبي أصيبعة ص 501 ، الدوميلي ص 253 ـ 254 ، رينو ـ ثلاث دراسات في تاريخ الطب العربي بالمغرب ، مجلة هسبيريس 10/1930 ص 135 ـ 150 ، ليفي وسوريال ـ مقدمة كتاب المستعين لابن بكلارش ، مجلة جانوس 55/1968 ص 134 ـ 166 ، أبادور غارسيا ـ كتاب أبحاث مؤتمر الطب الإسلامي بالكويت 1980 ص 191 ـ 200 . مجلة هسبيريس مجلد (1) ص 135 ـ 150 .

ابن تمليخ

من أهالي قرطبة . خدم الناصر وأدرك المستنصر (350 ـ 366 هـ/ 961 ـ 976 م) وكان متديناً فولاه الخليفة قضاء شذونة . توفي سنة 358 هـ/ 969 م . وله :

كتاب في الطب .

ابن أبي أصيبعة ص 491 ، ابن صاعد ـ طبقات الأمم ص 80 . ابن جلجل ـ الطبقات ص 108 ، رضا كحالة 138/3 .

ابن تومرت الأندلسي

هو أبو عبدالله محمد بن علي الأندلسي المغربي . كان فقيهاً وطبيباً معاً . توفي سنة 391 هـ/ 1001 م . وله :

(1) كتاب كنز الأصول في الطب وقد حققه مركز إحياء التراث العلمي العربي ببغداد .

(2) كتاب العدة في أحوال المعدة .

(3) حقائق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة في الطب (غوته ، والمتحف البريطاني ، ڤيينا ، الأمبروزيانا ، جامع الزيتونة) .

الاعلام 334/6 ، بروكلمان 291/3 ، 294/4 .

ابن جريج = نسطاس بن جريج

ابن جرير التكريتي = يحيى بن جرير التكريتي

ابن الجزاء = (1)* 642 ـ 647

ابن جزلة البغدادي = (1) 578 ـ 582

(*) الرقم بين القوسين يشير إلى الجزء من الكتاب ، والرقم الكبير الذي يليه يشير إلى الصفحة من ذلك الجزء .

ابن جلجل الألسي = (2) 163 ـ 166
ابن جميع = (2) 46 ـ 48

ابن جناح

أبو الوليد مروان . من يهود قرطبة في أيام الخليفة الناصر (300 ـ 350 هـ/ 912 ـ 961 م) . تولع بدراسة الأدوية المفردة ومعرفة جرعاتها حجماً ووزناً في استعمالاتها في التداوي ، وله فيها :

كتاب التلخيص في ترجمة الأدوية المفردة وفيه تحديد المقادير المستعملة في صناعة الطب من الموازين والأكيال ، وهو دستور في الصيدلة .

البغدادي هدية العارفين 3/428 ، ابن أبي أصيبعة ص 498 ورضا كحالة 12/220

ابن الجوزي

أبو الفرج عبد الرحمن بن علي . لغوي وفقيه ومؤرخ ، وله في كل من هذه العلوم مؤلفات . ولم يعرف أنه مارس الطب إلا أنه كتب فيه . توفي في بغداد سنة 597 هـ / 1201 م . وله في الطب :

(1) كتاب لقط المنافع في علم الطب (الجامع الكبير بصنعاء) .
(2) مختار اللقط في الطب ـ وهو مختصر كتاب لقط المنافع (مجلس شوراي ملي ، والجامع الكبير بصنعاء ، ولايدن ، أمبروزيانا) .
(3) الخفير النافع في الطب .
(4) الطب الروحاني (غوته ، الظاهرية بدمشق ، الأوقاف ببغداد) وقد طبع الكتاب بدمشق سنة 1348 هـ/ 1929 م) .
(5) تدبير الأشياخ ـ وهو كتاب بطب المشايخ (الأحمدية بتونس) .
(6) لغة الأمان في الطب (ليبزج ، أيا صوفيا ، أسعد أفندي) .
(7) كتاب الباه .

(8) كتاب النائم الغمر على حفظ مواسم العمر ـ وقد طبع في الأستانة سنة 1885 م .

(9) الشيب والخضاب .

(10) شفاء علل الأمراض .

ابن تغري ـ النجوم الزاهرة 6/176 ، الخليلي ـ معجم أدباء الأطباء 1/544 ـ 546 ، الزركلي 4/89 ـ 90 ، رضا كحالة 5/157 ـ 1958 .

ابن حكم الدمشقي (مسيح) = 299 ـ 301

ابن خاتمة الأنصاري

هـو أبو جعفـر أحمد بن علي بن محمـد بن علي بن محمد بن خـاتمة الأنصاري . طبيب ومؤرخ وأديب ، ومن البارزين في مجتمع موطنه بالمـرية في الأندلس . توفي بعد سنة 770 هـ/ 1369 م بعمر يناهز السبعين سنة . له كتاب تحصيل غرض القاصد في تحصيل المرض الوافد ، وضعه أثر ظهور الطاعون الأسود في تلك الديار ومخطوطته في الرباط . لسان الدين ـ الإحاطة 1/114 ـ 129 ، هدية العارفين 1/113 ، الزركلي 1/171 .

Brockelmann, 2/336, 5. 2/369
Ullmann - Islamic Medic. p. 92

ابن خطيب الري

وهو فخر الدين عبدالله بن محمد بن عمر المعـروف بالفخـر الرازي . من أجلّة القوم بالـري ، ومشاهيـر علمائهم . تضلع بـالفقه والأدب العـربي والفارسي ، وكتب ونظم في كليهما ، وله عدد كبير من التلاميذ والمريدين . تنقـل بين مرنـد والري وهمـذان وخوارزم وغـزنة . وتـوفي في حـوالي سنـة 600 هـ/ 1203 م المطابقة لخلافة النـاصر العبـاسي . وله كتب كثيـرة في الطب لم يتمها منها : كتاب الطب الكبير ، وشرح كليات ابن سينا ، وكتاب

التشريح من الرأس إلى الحلق . أما الكتب التي أتمها فأهمها :

(1) كتاب في النبض .
(2) مسائل في الطب .
(3) كتاب الأشربة .

ابن أبي أصيبعة ص 462 ـ 470 ، ابن خلكان ـ الوفيات 1/600 ـ 602 ، السبكي ـ طبقات الشافعية 3/5 ، القفطي 291 ـ 293 ، الذهبي ـ ميزان الاعتدال 2/426 ـ 429 ، ابن العبري ـ مختصر الدول ص 418 ـ 420 ، ابن السباعي ـ الجامع المختصر 9/309 ـ 308 ، ابن كثير ـ البداية والنهاية 13/55 ـ 56 ، الصفدي ـ الوافي 4/248 طاش كبرى زاده ـ مفتاح السعادة 1/450 ـ 451 ، البغدادي ـ هدية العارفي 2/107 ـ 108 ، البغدادي ـ إيضاح المكنون 2/569 .

Brockelmann, 1/506- 508, S. 1/920 - 921

ابن الخوام

عماد الدين عبدالله بن محمد بن عبد الرزاق الحريري العراقي . حاسب وطبيب توفي سنة 724 هـ/ 1304 م ، وله تصانيف في كلى العلمين منها كتاب التذكرة السعدية في القوانين الطبية (الموصل) .

الصفدي ـ الوافي 2/16 ، ابن حجر ـ الدرر الكامنة 2/294 ـ 295 ، الزركلي 4/27 ، رضا كحالة 6/126 ، طوقان ـ تراث العرب العلمي ص 355 Brocklmann, 1/219, S. 2 - 215

ابن الداية

أبو الحسن أحمد بن أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم . من سكان دمشق . وكانت جدته من أبيه (داية) المهدي العباسي ومن هنا جاءه اللقب . دخل مصر في حكم الطولونيين (255 ـ 270 هـ/ 868 ـ 883 م)

وله في الطب :

(1) كتاب أخبار الأطباء ـ أخذ عنه ابن أبي أصيبعة بكثرة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء .

(2) كتاب الطبيخ .

(3) تفسير كتاب الثمرة لبطليموس وقد نقله إلى اللاتينية أديلارد الباني

(4) كتاب أخبار المنجمين

ياقوت الحموي ـ معجم الأدباء 5/154 ـ 160 وقال فيه أنه توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، حاجي خليفة ص 667 ، 1015 ، كرد علي ـ كنوز الأجداد 103 ـ 104 ، العاملي ـ أعيان الشيعة 10/352 ـ 355 ، المغربي ـ مجلة المجمع العلمي بدمشق 19/32 ـ 40 ، كرد علي ـ الرسالة 5/1330 ـ 1331 ، 1451 ـ 1452 ، رضا كحالة ص 2/ 207 ـ 208 .

ابن دينار

عاش في ميافارقين أيام أميرها نصر الدولة بن مروان الدوستكي (401 ـ 456 هـ/ 1010 ـ 1063 م) وعمل في بيمارستان تلك المدينة طبيباً وصيدلانياً . وقد تولع بدراسة الأدوية وصنعها وصار يجيد التداوي بها . وهو الذي صنع الشراب الديناري(*) المنسوب إلى اسمه ، وله أيضاً كتاب الأقرباذين (الخوري نقولا حداد بحلب، وكتاب منافع الأطعمة والأشربة) .

ابن أبي أصيبعة ص 329 ، أحمد الخفاجي ـ شفاء العليل 124 ، الأنطاكي ـ تذكرة أولي الألباب 1/214 ، عبد الرقيب يوسف ـ مجلة ما بين النهرين 6/22 ـ 23 سنة 1978 .

Sezgin, 3/240.

(*) يقول داود الأنطاكي (1080 هـ/ 1669 م) أن الشراب الديناري من صنع بختيشوع ، وسمي بالدينار لأن الشربة منه كانت تباع بدينار .

ابن الذهبي

أبو محمد عبدالله بن محمد الأزدي ـ ويعرف بابن الذهبي . كان كيمياوياً طبيباً في بلنسية وتوفي فيها سنة 456 هـ/ 1063 م . وله في الطب مقالة في أن الماء لا يغذو .

ابن أبي أصيبعة ص 537 ، رضا كحالة 109/6 .

ابن رحمون = سلام بن رحمون

ابن رشد = (2) 188 ـ 190

ابن رضوان المصري = (2) 22 ـ 43

ابن رقيقة (رفيقة ؟)

سديد الدين محمود بن عمر الشيباني ، ويعرف بابن رقيقة . أديب وشاعر وطبيب . ولد ونشأ في مدينة حيني بإقليم ديار بكر ، ودرس الطب على فخر الدين الماrديني المتوفي سنة 594 هـ/ 1197 م ، وبرع في طبابة العين وعملياتها الجراحية . كما كان له إلمام بعلوم النجوم . دخل بلاط بخدمة نجم الدين الأيوبي (569 ـ 607 هـ/ 1200 ـ 1210 م) ثم انتقل إلى ميافارقين ومنها إلى دمشق وعمل في البيمارستان النوري الكبير فيها ، وتوفي بها سنة 625 هـ/ 1236 م وله :

(1) كتاب لطف السائل وتحف المسائل ـ وهو نظم للكتاب مسائل حنين بن إسحاق .

(2) أرجوزات كليات ابن سينا في قانونه بالطب .

(3) كتاب موضحة الإشتباه في أدوية الباه ، أو الفريدة الشاهية والقصيدة الباهية .

قانون الحكماء وفردوس الندماء .

(5) أرجوزة في الفصد ، أيا صوفيا ، شهيد علي .

(6) كتاب الغرض المطلوب في المأكول والمشروب .

(7) مقالة فيها مسائل وأجوبتها في الحميات .

(8) كليات في الطب (جامعات أنقرة) .

ابن أبي أصيبعة ص 703 ـ 717 ، ابن أبي العماد ـ الشذرات 5/177 حاجي خليفة ص 63 ، 1202 ، 1259 ، 1507 ، 1555 ، لبغدادي ـ هدية العارفين 2/504 ، البغدادي ـ إيضاح المكنون 12/146 ، 189 ، 219 ، 380 ، 460 .
رضا كحالة 12/185 ـ 186 .

Leclerc, 2/174 - 175.

ابن الرومية ، أبو العباس محمد بن مفرج = (2) 194

ابن رحمون = سلامة بن رحمون

ابن زرعة

أبـو علي ، عيسى بن إسحاق بن زرعـة بن موقس بن زرعـة بن يوحنـا البغدادي . نصراني يعقوبي النحلة . فيلسوف وطبيب ، ويترجم من السريانية إلى العربية . توفي سنة 448 هـ/ 1056 م بعمر يناهز السبعين . وله ترجمة المقـالة الثـانية من تفسيـر يحيى النحوي لكتـاب منافـع الأعضـاء في جسم الإنسان لجالينوس (غوته) .

ابـن النـديـم 1/246 ، القـفـطي ص 245 ـ 246 ، ابـن العبري ـ مختصر الدول ص 315 ـ 316 ، البيهقي ـ فلاسفـة الإسـلام ص 75 ـ 78 ، ابن أبي أصيبعة ض 318 ـ 319 ، شيخو ـ المخطوطات العربيـة ص 8 ، 9 ، البغدادي ـ هـدية العارفين 1/887 .

ابن الزفّان

أبـو كثير ، افـرايم بن الحسن بن إسحاق بن يعقـوب ، ويعـرف بـابن الـزفان . من يهـود القاهـرة . قرأ على ابن رضـوان المصري المتـوفي سنة 461 هـ/ 1068 م ، وقرأ عليه سلامة بن رحمون . وكان يهوى جمع الكتب فصار له منها عشرون ألف مجلدة ، ولما أراد أن يبيع نصفها إلى تاجر عراقي

اعترضه ابن قائد الجيش الفاطمي واشتراها لنفسه حتى لا تخرج تلك الكتب من مصر . كان أبن الزفان حياً سنة 453 هـ/ 1061 م، وله :

(1) تعاليق ومجرّبات طبية .
(2) كتاب التذكرة الطبية في مصلحة الأحوال البدنية .
(3) مقالة في التقدير القياسي على أن خلط البلغم يكثر تولده في الصيف ، والدم والمرار الأصفر في الشتاء .

ابن أبي أصيبعة ص 318 ـ 319 ، رضا كحالة 2/308 ، و
Leclerc, 1/531 - 532.

ابن زهر أبو العلاء = (2) 178 ـ 179

ابن زهرون الحراني = (2) 497 ـ 498

ابن سحنون الدمشقي

عبد الوهاب بن أحمد بن أبي الفتح بن سحنون التنوخي . طبيب وأديب من أهل دمشق وينسب إليها . توفي سنة 694 هـ/ 1295 م ، وله كتاب مفرح النفس في الطب .

حاجي خليفة ص 1772 ، البغدادي ـ إيضاح المكنون 1/485 ، البغدادي ـ هدية العارفين 1/638
Brockelmann, S.1/900 - 901

ابن سرابيون (سرافيون) = يوحنا بن سرابيون

ابن سقلاب

موفق الدين يعقوب ـ من نصارى دمشق في القرن السادس / السابع الهجري . درس على ابن أبي أصيبعة ، وكان شديد التعلق بآراء جالينوس الطبية وقراءة كتبه . وكان يستظهرها ويستشهد بها كلمة كلمة . كما كان محباً للبحث والإستقصاء ، وصبوراً على فحص المريض ، فلا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ويتأملها ويتحقق من تأثيرها عليه . فكانت بذلك مداراته ومعالجاته

للمـرضى فائقـة الجودة . تـوفي سنة 625 هـ/ 1227 م . وقـد تـرجم إلى العربية كلاًّ من كتاب حيلة البرء ، والعلل والأعراض لجالينوس .
ابن أبي أصيبعة ص 697 ـ 699

ابن سمجون

أبو بكر حامد ، عاش في إشبيلية أيام عامر بن أبي عامر المتوفي سنـة 393 هـ/ 1001 م وكان متميزاً في معرفة قوى الأدوية المفـردة وفعالهـا في البدن . وله :

(1) كتاب الأدوية المفردة ـ ويسمى أيضاً الجامع لأقـوال الأطباء والفـلاسفة من القدماء والمحدثين في الأدوية المفردة ، وقد اختصـره عبد اللطيف البغدادي (أحمد الثالث ، المتحف البريطاني) .

(2) كتاب الاقرباذين ـ الاعلام 162/2 ، ابن أبي أصيبعة ص 500 ، رضا كحالة 79/2 .

Leclerc, 1/436
Sezgin, 3]316

ابن سوار (ابن الخمار) = (2) 542 ـ 543

ابن السويدي

أبـو إسحاق عـز الدين إبـراهيم بن محمود بن تـرخان بن السـويدي . يصعد نسبه إلى سعد بن معاذ الأنصاري ، رفيق النبي محمد ﷺ في موقعتي بـدر وأحد . ولـد ونشأ بـدمشق ، وعاش فيهـا معاصـراً وصـديقـاً لابن أبي أصيبعة ، ودرس كلاهما الحشائش على ابن البيـطار ، والطب على مهـذب الـدين بن علي الـدخـوار المتـوفي سنـة 628 هـ/ 1230 م ، واشتغـل ابن السويدي في بيمارستان باب البريد بدمشق . توفي سنة 692 هـ/ 1292 م ، وله :

(1) التـذكرة الهـادية والـذخيرة الكـافية في الـطب (مجلس شوراي ملي ، رامبور) .

(2) كتاب الباهر في الجواهر ـ في هذا الكتاب ذكر للمشهورين الذي كتبوا في الأحجار الكريمة كابن ماسويه ، والرازي ، والكندي ، والبيروني ، وأبو حنيفة الدينوري ، وابن رشد وغيرهم .

(3) شرح موجز القانون لابن النفيس (دار الكتب المصرية ، ويلكم بلندن) .

(4) كتاب السمات في أسماء النبات (باريس) .

(5) مختصر مفردات ابن البيطار (المكتبة الوقفية عليه) .

ابن أبي أصيبعة ص 759 ـ 761 ، ابن تغري ـ المنهل الصافي 10/124 ـ 127 ، ابن كثير ـ البداية والنهاية 130/ 325 ، النعيمي ـ الدارس 2/130 ، اليافعي ـ مرآة الجنان 4/216 ، ابن العماد ـ الشذرات 5/411 ، حاجي خليفة ص 219 ، 386 ، 824 ، 1900 ، ابن القفطي ص

Brockelmann, 1/900

ابن سينا = (1) 544 ـ 563

ابن شرارة (أبو الخير)

طبيب ومؤرخ من أهل حلب وتوفي بصور في سنة 490 هـ/ 1097 ، وله :

(1) شرح كتاب الحميات لابن رضوان المصري .

(2) تهذيب كناش الرازي (الحاوي) .

(3) تاريخ أطباء العصر .

ابن القفطي ص 315 ، البغدادي ـ إيضاح المكنون 1/214 ، 227 ، 243 ، 2/291 ، شاكر مصطفى ـ التأريخ العربي والمؤرخون 1/389 ويذكر أنه توفي سنة 493 هـ/ 1009 م .

ابن صهاريخت = عيسى بن صهاريخت

ابن الصوري ، رشيد الدين = (2)

ابن صغير القاهري

محمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن عبد الواحد بن صغير القاهري . هو والد الكحال محمد القاهري . عمل في بيمارستان قلاوون بالقاهرة وصار طبيبه الخاص وتوفي سنة 838 هـ/ 1434 م ، وله كتاب في الطب باسم الزبد .

أحمد عيسى بك ـ بيمارستانات الاسلام ص 162 عن الضوء اللامع .

ابن صغير القاهري

محمد بن محمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن عبد الواحد بن صغير القاهري . عمل في الكحالة في بيمارستان قلاوون وتوفي بالقاهرة سنة 897 هـ/ 1486 م بعمر يقرب من المائة . وله في الطب كتابان :

(1) كتاب تشريح الأعضاء .
(2) الزبد في الطب .

أحمد عيسى ـ بيمارستانات الاسلام ص 163

ابن طفيل

أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي . قرين ابن باجة في المولد . درس العلوم الأدبية والطبيعية والرياضية والطب ، ومارس هذه الصناعة في قرطبة وغرناطة ، ثم التحق بأمير الموحدين أبي يعقوب يوسف الأول (559 ـ 580 هـ/ 1163 ـ 1183 م) بمراكش سنة 581 هـ/ 1185 م . ومن تلاميذه ابن رشد ، وأشهر مؤلفاته قصة حي بن يقظان الخيالية التي عبّر فيها عن آرائه الفلسفية في أن الإنسان بطبيعته وغريزته ومن غير تعليم يستطيع أن يكشف ذاته ويعرف الله ، كما نستدل مما ورد على لسان حي ابن يقظان أن ابن طفيل كان يؤمن بنظرية النشوء والإرتقاء التي دعا

إليها دارون بعد مئات السنين . كما أنه اعتبر تنقية الدم عاملاً أساسياً لبقاء الحياة ، وفي القصة أيضاً لمحات في مميزات الحيوان والنبات ، وفي صنفي حياتيهما وفي التغذية وأثرها على كل منهما .

وله أيضاً كتابان في الطب أحدهما هو الذي أشار إليه ابن أبي أصيبعة في ترجمة حياة ابن رشد بعنوان (مراجعات ومباحثات بين ابن طفيل وابن رشد) والكتاب الثاني أرجوزة في الطب (القرويين بفاس) .

البغدادي ـ هدية العارفين 2/98 ، الزركلي 7/128 ، رضا كحالة 10/259

Brockelmann, 1/377, 5/543

ابن طملوس

أبو الحجاج يوسف بن محمد بن طملوس الحكيم . توفي سنة 630 هـ/ 1232 م وله شرح أرجوزة ابن سينا (الحمزاوية ـ المغرب) .

المنجد ـ مجلة معهد المخطوطات 5/265 ، ابن أبي أصيبعة ص 537 .

ابن طولون الدمشقي

شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن خمارويه بن طولون الصالحي (صالحية دمشق) . مؤرخ وفقيه . وله مؤلفات كثيرة في التراجم والأخبار . كرّس حياته للتأليف والعبادة ولم يتزوج . توفي سنة 953 هـ/ 1546 م ، وله في الطب :

(1) كناش في الطب .
(2) عرف البيان فيما ورد في الباذنجان (دار الكتب المصرية ـ التيمورية ، نيكبور) .
(3) النزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة والأبدان .
(4) الإشراق لأحكام الترياق (دار الكتب المصرية ـ تيمورية) .

(5) دلالة الشكل على كمية الأكل (دار الكتب المصرية ـ تيمورية) .
(6) النفحة المسكية في الأسئلة الطبية (دار الكتب المصرية ـ تيمورية) .
(7) الجواهر المضية في طب السادة الصوفية .

ابن العماد ـ الشذرات 8/298 ـ 299 ، الغريغي ـ الكواكب السائرة 2/52 ـ 54 ، الكتاني ـ فهرس الفهارس 2/289 ، 1/63 ، 101 ، 114 ، 186 ، 245 ، 266 ، 320 ، 3446 ، 481 و2/37 ، 41 ، 136 ، البغدادي ـ هدية العارفين 2/240 ـ 241 ، جميل العظم ـ عقود الجواهر ص 226 ـ 256 كحالة 11/52 ، الزركلي 7/184 .
Brockelmann, 2/281 (376), S. 2/494

ابن العالمة = نجم الدين بن المنفاخ

ابن عبد ربه

أبو عثمان سعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربه ، ابن أخي أحمد ابن محمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد ، له إلمام بالفلك والأدب والطب . فقد بصره في أواخر عمره وتوفي بقرطبة سنة 340 هـ/ 951 ، وله في الطب :

(1) أرجوزة في الطب (مجلس شوراي ـ طهران) .
(2) أقرباذين ـ ومخطوطته في الظاهرية بدمشق باسم الدكان .
(3) تعاليق ومجربات في الطب .

ابن أبي أصيبعة ص 489 ـ 490 ، الزركلي 3/150 ، رضا كحالة 4/224 ـ 225 .

ابن العبري

أبو الفرج غريغوريوس هارون بن توما الملطي . طبيب ومؤرخ سرياني من أصل يهودي ، وربما لهذا السبب عرف بابن العبري . ولد بملطية بولاية ديار بكر ، وهرب وهو صغير مع أبيه إلى أنطاكية عندما توجه التتر إلى

الولاية . وفي أنطاكية تعلم اللغة العربية والطب وطاف بين مدن المنطقة وفيها تعلم السريانية والفارسية . وأخيراً انقطع إلى العبادة والكتابة ولم يتزوج ، وصار جاثليقا على كرسي المشرق وتوفي في مراغة سنة 825 هـ/ 1421 م ودفن في الموصل . له كتاب مختصر تاريخ الدول في التاريخ ضمنه معلومات وفيرة عن الأطباء الذين سبقوه والذين عاصروه . وله أيضاً :

(1) منافع أعضاء الجسد .

(2) منتخب جامع المفردات في الأدوية المفردة - أخذه عن كتاب جامع المفردات للغافقي (دار الكتب المصرية - تيمورية) وقد حقق هذا الكتاب ونشره ماكس مايرهوف وجورجي صبحي سنة 1937 بالقاهرة .

(3) شرح فصول أبقراط .

(4) تحرير مسائل حنين بن إسحاق (غير كامل) .

حاجي خليفة ص 1626 ، شيخو - المخطوطات العربية ص 10 - 11 ، البغدادي - إيضاح المكنون 1/153 ، الزركلي 5/308 - 309 ، رضا كحالة 8/39 - 40 ، عباس العزاوي - التعريف بالمؤلفين 1/120 - 123 ، افرام برصوم - الحكمة بالقدس 2/92 - 96 ، شيخو - مجلة المشرق ص 289 - 295 ، 365 - 370 ، 413 - 418 ، 449 - 453 ، 505 - 510 ، 555 - 563 والمقتطف 30/81 .

Leclerc, 2/147 - 151

ابن عوض الكرماني = نفيس الدين بن عوض الكرماني .

ابن غيلان البلخي

أفضل الدين عمر بن علي . له كتاب شرح الأدوية المفردة من كتاب القانون في الطب لابن سنا (مجلس شوراي ملي) .

فهرست المخطوطات المصورة ، القسم الثاني - طب ، جامعة الدول العربية .

ابن العين زربي

أبو نصر موفق الدين عدنان بن نصر . ولد بعين زربي وأقام ببغداد ، ثم انتقل إلى القاهرة في أيام الفاطميين . وكان أديباً بالعربية ، وضليعاً بالتنجيم والطب . توفي بالقاهرة سنة 547 هـ/ 1152 م في أيام الظافر بالله الفاطمي . من تلاميذه الشيخ السديد[1] وبلمظفر بن معرف[2] . وله في الطب .

(1) كتاب شرح قانون الصناعة الصغيرة لجالينوس .
(2) مقالة في الحصى وعلاجها .
(3) كتاب الكافي في صناعة الطب (الظاهرية بدمشق ، ودار الكتب المصرية ، الأوقاف بالموصل ، المتحف العراقي) .
(4) مجربات في الطب .
(5) رسالة في تعذر وجود الطبيب الفاضل ونفاق الجاهل .
(6) رسالة في مرض الشقيقة (دار الكتب المصرية) .

ابن أبي أصيبعة ص 489 ـ 390 ، حاجي خليفة ص 1377 ، البغدادي ـ هدية العارفين 1/662 ، رضا كحالة 6/172 مجلة معهد المخطوطات 5/317 Brockelmann, 2/ 487 وأبحاث الندوة العالمية الأولى لتأريخ العلوم عند العرب ـ جامعة حلب 1977/ 641 ـ 673 .

ابن فليتة

أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن فليتة اليماني . توفي سنة

---

(1) الشيخ السديد ـ أبو المنصور شرف الدين عبدالله بن الشيخ السديد أبي الحسن علي ـ والشيخ السديد لقب أبيه . كان طبيباً بارعاً مثل أبيه . خدم الفاطميين من الآمر بأحكام الله (ت 524 هـ/ 1130 م) إلى العاضد (ت 567 هـ/ 1171 م) وتوفي سنة (592 هـ/ 1195 م) . من تلاميذه نفيس الدين بن الزبير (ابن أبي أصيبعة ص 572) .

(2) بلمظفر بن معرف ـ من تلاميذ ابن العين زربي . كان يهوى اقتناء الكتب والتعليق عليها واستنساخها بخطه الحسن . كما كان يهوي الأدب ترديد عن الشعر ، فنادم الخلفاء وخدمهم في الطب .

230 هـ/ 845 م ، ولـه كتاب في الجمـاع بعنوان رشـد اللبيب إلى معرفـة الحبيب (المتحف العراقي ، غوته ، طوب قابي) .
حاجي خليفة ص 904 ، بروكلمان ـ الأدب العربي 263/4

ابن قيم الجوزية

أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب . تلميذ تقي الدين بن تيمية ، وتابعة في الفقه الإسلامي . تـوفي بدمشق سنـة 751 هـ/ 1350 م ، وله : كتاب الطب النبوي (الحرم الملكي) ـ وقد طبع الكتاب من قبل جماعة من علماء الأزهر الشريف (بلا تاريخ) بالقاهرة .

ابن حجـر ـ الـدرر الكـامنـة 400/3 ـ 403 ، ابن العمـاد ـ الشـذرات 186/6 ـ 190 ، الصفـدي ـ الـوافي 270/2 ـ 272 ، البغـدادي ـ إيضـاح المكنـون 271/1 ، 422 ، 504/2 ، البغدادي ـ هدية العارفين 158/2 ـ 159 الزركلي 280/6 ، 281 ، رضا كحالة 106/9 ـ 107 .

ابن الكتبي الخويي = يوسف بن إسماعيل بن الكتبي .

ابن كشكرايا

وكنيته أبو الحسين . قرأ الطب في بغـداد على سنان بن ثـابت بن قرة المتوفي سنة 331 هـ/ 942 م وكان من أجلّ تلاميذه ، ثم ارتحل إلى حلب والتحق بحـاشية سيف الـدولة الحمـداني المتوفي سنـة 357 هـ/ 967 م . وكان يمارس على مرضائه حقنة خاصة كثيرة الفائدة فلقّب بصاحب الحقنة ، ثم التحق بالبيمارستان العضدي في بغداد وتوفي بعد سنة 356 هـ/ 967 م ، وله كناشان يعرف أحدهما بالكناش الحاوي (القاهرة ، وأيا صوفيا) .

القفطي ص 403 ، ابن أبي أصيبعة ص 421 ـ 422 ، رضا كحالة 42/4 و

Sezgin, 3/309

ابن اللباد ، عبد اللطيف البغدادي = (1) 102 ـ 111

ابن اللبودي = شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عبدان اللبودي .

ابن اللبودي = نجم الدين بن شمس الدين محمد بن عبدان اللبودي .

ابن اللجلاج

من أطباء الخليفة أبي جعفر المنصور ، وصاحبه في حجته الأخيرة إلى بيت الله وله كناش أخذ عنه الرازي في كتابه الحاوي 1/ 264 ، 4/ 24 ، 59 ، 5/ 109 ، 7/ 100 ـ 101 ، 16 .

القفطي ص 439 ، وابن أبي أصيبعة ص 219 .

Sezgin, 3/ 210

ابن ماسه = عيسى بن ماسة .

ابن ماسويه (يوحنا) = (1) .

ابن ماهان = يعقوب السرافي .

ابن المدور

يكنى بأبي البيان ، ويلقب بالسديد . من يهود القاهرة وصديق ابن سناء الملك وكان في خدمة صلاح الدين الأيوبي . توفي سنة 580 هـ/ 1184 م وله كتاب : مجريات في الطب .

ابن أبي أصيبعة ص 579/ 580 .

Ullmann, P. 310

ابن مسكويه

هو المؤرخ المشهور أبو علي أحمد بن.محمد بن يعقوب صاحب كتاب تجارب الأمم توفي بأصفهان بحدود سنة 421 هـ/ 1030 م ، فهو معاصر لابن سينا المتوفي سنة 429 هـ/ 1037 م ومارس الطب بنطاق محدود ، وله :

(1) كتاب الأشربة ـ ذيّله ابن التلميذ البغدادي بكتاب : إختيار كتاب مسكويه في الأشربة (صائب بأنقره) .

(2) كتاب الطبيخ (سراي أحمد) .

(3) رسالة في دفع الغمة من الموت (حميدية) .
(4) كتاب الأدوية المفردة .

ياقوت ـ معجم الأدباء 5/ 5 ـ 19 ، حاجي خليفة ص 43 ، 504 ، 1303 ، 1436 ، 1437 ، 1937 ، العاملي ـ أعيان الشيعة 10/ 139 ، 204 ، لطفي جمعة ـ فلاسفة الإسلام ص 304 ـ 420 ، الخوانساري ـ روضات الجنات ص 70 ـ 71 ، دي بور ـ الفلفسة في الإسلام ص 158 ـ 163 ، محمد ناصيف ـ الأزهر 13/ 277 ـ 279 ، رضا كحالة 2/ 169 ،
Leclerc, 1/ 482– 483, Sezgin, 3/ 336

ابن المسيحي ـ أبو الخير = (1) 595 .

ابن مندويه الأصفهاني .

أبو علي أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه . من مشاهير أطباء العجم المعاصرين لابن سينا . وكان أبوه شاعراً وأديباً فتتلمذ عليه كما درس الطب ومارسه . وتوفي بحدود سنة 410 هـ/ 1019 م . وله ما يقرب من الأربعين رسالة كتبها في الطب لأصحابه ، منها :

(1) رسالة في تدبير الجسد ـ كتبها إلى صديقه أحمد بن سعد .
(2) رسالة في تدبير الجسد (ثانية) كتبها إلى أبي الفضل العارض .
(3) رسالة في تدبير المسافر ـ كتبها إلى أبي القاسم أحمد بن علي بن بحر .
(4) رسالة في تركيب طبقات العين ـ كتبها إلى حمزة بن الحسن (نحاس ـ حلب) .
(5) رسالة في علاج انتشار العين ـ كتبها إلى أحمد بن سعد .
(6) رسالة في وصف انهضام الطعام ـ كتبها إلى عباد بن عباس (نحاس ـ حلب) .
(7) رسالة في وصف المعدة والفصد لعلاجها ـ كتبها إلى أحمد بن سعد .
(8) رسالة في القولنج ـ كتبها إلى أبي جعفر أحمد بن محمد بن الحسن .

(9) رسالة في تدبير أصحاب القولنج .
(10) رسالة في تـدبير ضعف الكلى لمن يستبشـع الحقنة - كتبهـا إلى أبي محمد ابن أبي جعفر .
(11) رسالة في علاج المثانة (نحاس - حلب) .
(12) رسالة في علاج شقاق البواسير ورفعها لابن سينا .
(13) رسالة في أسباب الباه (نحاس - حلب) .
(14) رسالة إلى الوثاي في علاج وجع الركبة .
(15) رسالة في علاج الحكة العارضة للمشيخة .
(16) رسالة في فعل الأشربة في الجسد .
(17) رسالة في وصف مسكر الشراب ومنافعه ومضاره .
(18) رسالة في أن الماء لا يغذو .
(19) رسـالة في نعت النبيـذ ووصف أفعالـه ومنـافعـه ومضـاره (نحـاس - حلب) .
(20) رسالة في منافع الفقاع ومضاره .
(21) رسالة في التمر هندي (نحاس - حلب) .
(22) رسالة في الكافور (مجلس - طهران) .
(23) رسـالة في النفس والـروح على رأي اليونـانيين - كتبها إلى حمـزة بن الحسن .
(24) رسالة في الإعتذار إلى اعتلال الأطباء .
(25) رسالة في الرد على نقض الطب المنسوب إلى الجاحظ .
(26) رسالة في الرّد على من أنكر حاجة الطبيب إلى علم اللغة - كتبها إلى حمزة بن الحسن .
(27) رسالة إلى المتقلدين علاج المرضى في بيمارستان أصفهان .
(28) رسالة في أوجاع الأطفال (المتحف العراقي ، ونحاس - حلب) .
(29) كناش .
(30) كتاب المدخل إلى الطب .

(31) كتاب في الشراب .
(32) كتاب الأطعمة والأشربة (سراي أحمد باستانبول) .
(33) كتاب نهاية الإختصار في الطب (مكتبة إيا صوفيا) .

ابن أبي أصيبعة ص 459 ـ 461 ، الوافي 6/ 36 ـ 37 ، القفطي ص 438 ، حاجي خليفة 573 ، 849 ، 853 ، 856 ، 861 ، 880 ، 884 ، 888 ، 891 ، 895 ، 896 ، 900 ، 1353 ، 1643 ، 1755 ، 1975 ، 1984 ، البغدادي ـ إيضاح المكنون 2/ 259 ، رضا كحالة 1/ 269 ، 13/ 119 و

Leclerc, 1/ 477– 478 Brockelmann, S. 1/ 423

ابن منعة = كمال الدين موسى بن منعة .

ابن المنفاخ = نجم الدين بن المنفاخ .

ابن ميمون .

ابن الناقد = أبو الفرج بن الناقد .

ابن الناقد = أبو الفضائل بن الناقد .

ابن النفيس .

ابن النقاش .

ابن نوح القمري = الحسن بن نوح القمري .

ابن هبل البغدادي .

ابن هندو

إبو الفرج علي بن الحسين بن هندو ، من علماء العجم المشهورين في الحكمة والطب . تتلمذ على ابن الخمار ، وكان من أجل تلاميذه ، وتضلع بالعربية ونظم الشعر الرقيق . توفي بجرجان بحوالي سنة 430 هـ/ 1029 م . من تآليفه :

(1) مفتاح الطب (مجلس شوراي ملي ، الآصفية ، كوبرلي) .
(2) رسالة هزلية بعنوان الوساطة بين الزناة واللاطة (الثعالبي ـ تتمة اليتمية

1/ 1134) .

(3) في حدود الأشياء الطبية (الموصل ، وفي برلين نسخة بالصيغة الفارسية) .

(4) المقالة المشوّقة ـ وهي مدخل إلى علم الفلك .

الصفدي ـ الوافي بالوفيات 12/ 42 ـ 44 ، البيهقي ـ حكماء الإسلام ص 93 ـ 95 ، الكتبي ـ الفوات 2/ 45 ـ 57 ، الشهرزوري ـ نزهة الأرواح 2/ 34 ـ 37 ، ابن أبي أصيبعة ص 429 ـ 435 ، حاجي خليفة ص 1762 ، البغدادي ـ إيضاح المكنون 2/ 339 ـ 704 ، وكرد علي ـ كنوز الأجداد ص 213 ـ 220 ، البغدادي ـ هدية العارفين 1/ 686 ، رضا كحالة 7/ 82 ، مجلة العهد المخطوطات 5/ 271 و

Buockelmann, 1/ 240, S. 1/ 42 Sizgin, 3/ 334– 33⅝

ابن الهيثم ، الحسن .

ابن الهيثم = عبد الرحمن بن إسحاق بن الهيثم .

ابن وافد اللخمي

أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى بن وافد اللخمي . من أشراف طليطلة وعلمائها في الفقه والطب . كما كان يعرف الفلاحة . وهو من تلاميذ أبي القاسم الزهراوي ، وعلى أفكار ديوسقريدس وجالينوس . وقد تولع في علم الأدوية ومهر بها ومع ذلك كان يتجنب استعمالها ما أمكنه ذلك ، ويفضل الأدوية المفردة على المركبة ، خدم المأمون بن ذي النون (429 ـ 467 هـ/ 1038 ـ 1075 م) توفي سنة 467 هـ/ 1074 م ، وله :

(1) كتاب الأدوية المفردة .

(2) كتاب الوسادة في الطب (ويلكم بلندن) .

(3) مجرّبات في الطب .

(4) كتاب تدقيق النظر في خلل حاسة البصر .

(5) كتاب المغيث .
(6) رسالة في الطب (دوزي ـ تكملة المعاجم 1/ 29) .

القفطي ص 225 ـ 226 ، ابن أبي أصيبعة ص 496 ، ابن الأبار ـ التكملة ص 55112 رضا كحالة 5/ 189 و

Leclerc, 1/ 545– 347. Sarton– Introd. 1/ 728. Brockelmann, 1/ 638

ابن وحشية

أبو بكر أحمد بن علي بن المختار بن عبد الكريم بن جرتيا الكلداني . من أهل قشين بضواحي الكوفة . عالم الفلاحة والكيمياء والسحر ، وله مؤلفات في كل منها ، توفي سنة 296 هـ/ 909 م . وله كتاب مترجم بإسم كتاب السموم لباريوقا (مجلس شوراي ملي شهيد علي) .

ابن النديم 1/ 311 ـ 211 ، 358 ، حاجي خليفة ص 1289 ، البغدادي ـ الإيضاح 2/ 59 ، 635 ، رضا كحالة 2/ 23 و

Ullmann– Mediz, Islam, 328 Sizgn, 31294.

أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا = (1) .

ابو بكر محمد بن الخليل الرقي = الرقي .

أبو جُريج الراهب

عاصر الإسكندرانيين المتأخرين كانقلاوس وجماعته ، وبولس الأجنبي ، وله المؤلفات :

(2) كتاب المسهلات (الرازي ـ الحاوي 6/ 100 ، 159) .
(2) إصلاح الأدوية (الحاوي 6/ 116 ـ 119) .
(3) تذكرة للنقرس (الحاوي 11/ 16) .

ابن أصيبعة ص 159 .

Leclerc, 1/ 271 Sezgin, 3/ 208

أبو الحجّاج يوسف الإسرائلي = يوسف الإسرائيلي .

أبو حليقة رشيد الدين .

أبو الخطاب محمد بن محمد بن أبي طالب = محمد بن محمد بن أبي طالب .

أبو الخير المسيحي .

أبو سعيد اليمامي = اليمامي .

أبو سليمان السجستاني المنطقي

محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني ، عالم بالحكمة والفلسفة والتراجم . أصله من سجستان وسكن بغداد في أيام البويهيين . وكان عضد الدولة فناخسروا يجله ويكرمه . إلا أنه يبتعد عن مخالطة الأمراء والوزراء لعور فيه وبرص . توفي بحدود سنة 380 هـ/ 990 م ، وله :

(1) صوان الحكمة ـ وهو في تراجم العلماء والحكماء (كوبريلي باستانبول ، دار الكتب المصرية ـ مصورة) وقد طبعت منتخبات منه في هنغاريا سنة 1979 .

(2) رسالة في مراتب قوى الإنسان .

البيقهي ـ حكماء الإسلام ص 15 ، 82 ، الشهرزوري ـ نزهة الأرواح 2/ 91 ـ 96 ، ابن أبي أصيبعة ص 427 ، الزركي 7/ 41 .

أبو سعيد اليمامي = اليمامي .

أبو سهل بن يعقوب بن إسحاق السجزي = بشر بن يعقوب السجزي . .

أبو سهل المسيحي الجرجاني

هو عيسى ين يحيى . من نصارى جرجان واليها ينسب . اشتغل بالطب في خوارزم وخراسان وخدم مأمون بن محمد خوارزمشاه وإبنه مأمون بن مأمون ، ودرس عليه كثير من التلاميذ كان منهم ابن سينا . قال أبو حامد الدخوار : لم أجد أحداً من النصارى المتقدمين والمتأخرين أفصح عبارة ولا أجود لفظاً ولا أحسن معنى من كلام أبي سهل المسيحي . توفي سنة 401 هـ/

1110 م . وقيل قبل ذلك بخمسة وعشرين سنة ولـه من العمر أربعـون سنة تقريباً . من مؤلفاته :

(1) كتاب المائـة مقالـة ـ أو كتاب الميـة في الصناعـة الطبيـة ، وهو أجـود مؤلفاته . وضع ابن التلميذ حـواشي عليه وقـال عنه : يجب أن يعتمـد على هـذا الكتاب فـإنه كثيـر التحقيق ، قليـل التكـرار واضـح العبـارة (المتحف العراقي) .

(2) كتـاب إظهار حكمـة الله في خلق الإنسان (غـوتـه ، بـودليـانـا ، نـور عثمانية ، باريس ، بطر سبورغ) .

(3) كتاب الطب الكلي (دانشكاه ، المتحف العراقي ، كتابخانه ـ طهران ، برلين غوته) .

(4) مقالة في الجدري ـ أو رسالة في ماهية الجدري وتدبيره (شهيد علي ، حكيم بحلب) .

(5) رسالة في الوباء ـ وضعها للملك العادل خـوارزمشاه مـأمون بن مـأمون المتوفي سنة (407 هـ/ 1016 م) .

(6) كتاب في تعبير الرؤيا .

البيهقي ـ حكماء الإسلام ص 95 ـ 96 ، الشهرزوري ـ نزهة الأرواح 2/ 37 ـ 38 ، ابن أبي أصيبعـة ص 436 ـ 437 ، القفـطي ص 408 ، حـاجي خليـفـة ص 416 ، 1498 ، 1579 ، البغـدادي ـ هـديـة العـارفين 1/ 1806 ، شيخـوـ المطوطات العربية ص 21 ، الزركلي 5/ 297 ـ 298 ، رضا الكحالة 8/ 25 الحكمة ـ القدس 5/ 26 ـ 27 .

Brockelmann, 1/ 238, S. 1/ 423– 424

أبو سهل بن عبد العزيز النيلي = النيلي .

أبو الصلب أمية .

أبو العباس محمد بن مفرج بن الرومية .

أبو عبيد اا بن عبد العزيز البكري = البكري .

أبو العلاء بن زهر .

أبو العلاء صاعد بن الحسن = صاعد بن الحسن .

أبو الفرج بن أبي سعيد الحجامي = الحجامي أبو الفرج .

أبو الفضائل بن الناقد

هو ابن أبي الفرج بن الناقد اليهودي ، تعلم الطب على أبيه وغلب عليه طب العين ، وأسلم كما أسلم أبوه . توفي سنة 584 هـ/ 1181 م .

وله : مجربات في الطب .

ابن أبي أصيبعة ص 580 ، رضا كحالة 8/ 65 .

أبو الفضل بن القاسم العجلاني = العجلاني .

أبو القاسم الوزير الغساني

من أطباء المغرب في أيام الأشراف السعديين بفاس . خدم السلطان أحمد المنصور الذهبي المتوفي سنة 1012 هـ/ 1062 م ، وله من المؤلفات :

(1) كتاب حديقة الأزهار في شرح ماهية العقار (المكتبة الوطنية بالرباط) .

(2) شرح على حميات ابن عزرون (المكتبة الوطنية بالرباط) .

درة الحجال في غرة أسماء الرجال ـ أحمد بن محمد بن أحمد القاضي ص 466 .

أبو ماهر موسى بن سيار = موسى بن سيار .

أبو منصور بن نوح القمري = الحسن بن نوح القمري .

أبو منصور بن علي الهروي = موفق بن علي الهروي .

أبو النجم النصراني

هو ابن أبي غالب بن فهد بن منصور بن وهب بن قيس بن مالك . من أهل حوران الشام . ويعرف أبوه فيها بالعيار . خدم صلاح الدين الأيوبي المتوفي سنة 589 هـ/ 1193 م وله : كتاب الموجز في الطب ويشمل على علم وعمل .

ابن أبي أصيبعة ص 661 .

أبو نصر سعيد بن أبي الخير بن عيسى المسيحي .

أبو يعقوب الأحوازي

إستقدمه عضد الدولة البويهي من الأحواز إلى بغداد ليعمل في البيمارستان العضدي ، وتوفي سنة 372 هـ/ 983 م ، وله مقالة في أن : السكنجبين البزوري أحر من الترياق .

القفطي ص 431 ، ابن أبي أصيبعة ص 322 ، رضا كحالة 13/ 246 .

آتيوس الآمدي = (1) .

أحمد بن إبراهيم

طبيب الخليفة يزيد بن عبد الملك (101 ـ 105 هـ/ 720 ـ 724 م) وله :

(1) كتاب أصول الطب .

(2) رسالة في النبات المستعمل في الطب .

الشطي ـ مختصر الطب العربي ص 22 .

أحمد بن محمد الغافقي = الغافقي

أحمد بن غسان الغرناطي

كنيته أبو جعفر ، ومولده ومنشأه بغرناطة . أجاد ممارسة الطب وخدم بها أبا يوسف يعقوب المنصور الموحدي (580 ـ 595 هـ/ 1184 ـ 1199 م) ورافق ابن جبير المتوفي سنة 614هـ/ 1217 م إلى بيت الله . توفي بفاس بعد سنة 614 هـ/ 1217 م وله كتاب تدبير الصحة صنعه للمنصور الموحدي .

ابن أبي أصيبعة ص 535 ، رضا كحالة 1/ 189

أحمد بن الطيب السرخسي

أبو العباس أحمد بن محمد بن مروان السرخسي . من تلاميذ

الكندي ، وعرف بالظرف والمجون والذكاء وحلاوة الشعر ، كما كـان يهوي الأدب والشعر ، خدم الخليفـة المعتضد ونـادمه وتـولى الحسبة في أيـامه . وأخيراً قتله الخليفة سنة 286 هـ/ 899 م لأنه أفشى سـراً كان يهمـه . وله مؤلفات منها :

(1) كتاب غش الصناعات ـ ويبحث في الحسبة على العمال .
(2) كتاب المسائل في صناعة الطب ـ وفي هـذا الكتاب نقض على كتـاب المدخل إلى الطب لحنين بن إسحاق .
(3) كتاب في العشق .
(4) كتاب في الشطرنج .
(5) كتاب في الطبيخ .
(6) كتاب القيان .
(7) الرد على جالينوس في أمر الطعم المر .
(8) مقالة في البهق والنمش والكلف .
(9) في الخضابات المسودّة للشعر .
(10) كتاب في الحسبة الصغير .
(11) كتاب اللهو والملاهي .
(12) كتاب نزهة الفكر الساهي في الغناء والمغنين .
(13) كتاب المجالسة والمنادمة .
(14) كتاب المدخل إلى الموسيقى .
(15) كتاب الموسيقى الكبير .
(16) مقالة في أدب الملوك .
(17) كتاب في وصايا فيثاغورس .
(18) كتاب زاد المسافر وخدمة الملوك .
(19) كتاب في ألفاظ سقراط .
(20) كتـاب في البـول ، وقـد أخـذ عنه الـرازي (الحـاوي 19/104 203) .

. ابن النديم 261 ـ 262 ، ابن أبي أصيبعة ص 293 ـ 295 ، القفـطي ص 770 ـ 778 ، ابن العبـري ص 266 ـ 267 ، يـاقوت ـ معجم الأدبـاء 3/98 ، 104 ، ابن حجر ـ اللسـان 1/189 ـ 190 ، حـاجي خليفـة ص 49 ، 206 ، 218 ، 665 ، 857 ، 862 ، 874 ، 875 ، 888 ، 1115 ، 1256 ، 1388 ، 1402 وغيـرها . طـوقان ـ تـراث العـربي ص 155 ، رضا كحالة 2/157 ، الشهرزوري ـ نزهة الأرواح 2/52 ـ 53 و

Sezgin, 3/259 Leclerc, 1/294 – 296, Brockelmann, 1/210, S. 1/375

أحمد بن عبد السلام الصقلي

من أهل تونس في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي . وتوفي بحدود سنة 820 هـ/ 1417 م ، وله :

(1) كتاب مداواة الأمراض (الأوقاف ببغداد) .
(2) حفظ الصحة ـ وهو من المفقودات ولعله نفس الكتاب المتقدم .

الضوء اللامع 1/245 ، رضا كحالة 1/273

Brockelmann, 2/257

أحمد بن عثمان القيسي = فتح الدين أبو العباس القيسي

أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري = ابن خاتمة الأنصاري

أحمد بن عماد بن يوسف الأفقهسي

توفي سنة 808 هـ/ 1405 م ، وله كتاب القول التام في آداب دخول الحمّام (الأمبروزيانا) .

فهرست المخطوطات المصورة (معهد المخطوطات العربيـة ـ طب ص 184) .

Brockelmann, 2/93 – 94, S. 2/110 – 111

أحمد بن أبي الفضل أسعد بن حلوان = نجم الدين بن المنفاخ

أحمد بن لطف المولوي

توفي سنة 113 هـ/ 1701 ، وله كتاب الفوائد السنية في خواص الأشجار الطبية الأفرنجية (المكتبة القادرية ـ بغداد) .

فهرست المخطوطات المصورة (معهد المخطوطات العربية ـ طب ص 173) و

Brockelmann, S. 2/637

أحمد بن يوسف بن الداية = ابن الداية

أحمد بن محمد بن خليفة الغافقي = الغافقي

أحمد (أبو العباس) بن محمد بن مفرج الإشبيلي

أحمد بن محمد بن يحيى البلدي

أحمد بن أبي يعقوب بن إبراهيم = ابن الداية

الادريسي ، الشريف

محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الأندلسي المعروف بالشريف الإدريسي . من مواليد سبتة ومن أكبر علماء الجغرافية العرب ، كما له إلمام بالتاريخ . درس في قرطبة ورحل إلى صقلية وضافه ، بلاط ملكها روجر الثاني النورماندي وتوفي سنة 562 هـ/ 1166 م في بالرمو ودفن بها . وضع كتاباً لمضيفه وصديقه سماه : نزهة المشتاق في إختراق الآفاق الذي أكمله سنة 548 هـ/ 1153 م . وله من الكتب الطبية : كتاب الجامع لأشتات النبات استفاد منه ابن البيطار المعاصر له والذي توفي بعد وفاته بست سنوات . وفي دار الكتب المصرية مخطوطة له باسم الجامع لصفات أشتات النبات وضروب أنواع المفردات من الأشجار والثمار والحشائش والأزهار .

حاجي خليفة ص 1947 ، السزركلي 7/205 ـ 251 ، البغدادي ـ هدية العارفين 2/94 ـ 95 ، رضا كحالة 11/236 ، عطية الله ـ القاموس الإسلامي 1/55 .

Leclerc, 2/66 – 70

إسحاق بن حنين

إسحاق بن سليمان الإسرائيلي

إسحاق بنّ علي الرهاوي

من أطباء بغداد في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي . يتكرر اسمه في كثير من كتب تراجم الأطباء ، وله :

(1) كناش يعرف بالميامر ـ يبحث في تركيب الأدوية بحسب أعضاء الإنسان من الرأس إلى القدم جمعه من عشر مقالات لجالينوس .

(2) جوامع من كتب جالينوس .

(3) كتاب أدب الطبيب ، أو كيف يجب أن يمتهن الطبيب السليمية .

(4) كتاب في التاريخ ضمنه حوادث وأخبار زمانه .

ابن أبي أصيبعة ص 342 Sezgin, 3/363 – 364

إسحاق بن عمران البغدادي

إسرائيل بن سهل الكوسج(*)

هو أخو سابور بن سهل صاحب الأقرباذين المشهور ، عاش في بغداد في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، وله كتاب في الترياق .

ابن أبي أصيبعة ص 600 ـ 601

أسعد الدين بن أبي الحسن

هو عبد العزيز بن علي . تعلم الطب على أبيه وعلى أبي زكريا البياسي في مصر ، وخدم في بلاط الملك الكامل الأيوبي (615 ـ 635 هـ/

(*) سهل الكوسج ـ أبو سابور . أصله من الأحواز واستوطن بغداد في أوائل القرن الهجري . عاشر بن ماسويه وكان كثير الدعابة معه ومع كثيرين من زملائه فقاسوا منه المقالب . أعقب ولدين سابور وإسرائيل ، ولأول أشهر . وكلاهما أفضل من أبيهما في الطب (القفطي ص 196 ، ابن أبي أصيبعة ص 228) .

1218 ـ 1238 م) كما عمل في دمشق أيضاً . وكان أديباً وشاعراً . توفي سنة 635 هـ/ 1237 م ، وله : كتاب نوادر الألباء في امتحان الأطباء .
ابن أبي أصيبعة ص 583

الأسعد المحلي

هو يعقوب بن إسحاق . من يهود القاهرة في أيام الأيوبيين ، ثم ارتحل إلى دمشق وعمل فيها بالطب ، ثم رجع إلى القاهرة وتوفي بها سنة 598 هـ/ 1104 م ، وله :

(1) كتاب المنزه في حل ما وقع من إدراك البصر في المرايا من الشبه .
(2) مقالة في قوانين طبية وأجوبتها صنعها لزميله ابن ميخا السامري .
ابن أبي أصيبعة ص 583 و Leclerc, 2/56 – 57

إسماعيل الخسروشاهي الجرجاني

زين الدين ، أبو إبراهيم إسماعيل بن الحسن بن محمد الحسيني الخسروشاهي الجرجاني . من أطباء السلطان علاء محمد خسروشاه ، وأكثر كتبه بالفارسية وهي ذات قيمة تطبيقية كبيرة . توفي سنة 531 هـ/ 1137 م وله :

(1) كتاب الطب الملوكي .
(2) كتاب الأعراض في الطب .
(3) كتاب يادكار في الطب .
(4) كتاب الزبدة في الطب (المكتبة القادرية العامة ـ بغداد ، المتحف العراقي) وفي الجامعة المركزية بطهران باسم زبدة الطب في المعالجات . كتب أكثر فصوله بحقول مشجرة ومزخرفة ، والكتاب بالعربية .

(5) الذخيرة الخوارزمشاهية (ملي ملك بطهران ، المتحف العراقي) وهو أضخم كتبه ويحتوي على تسعة أقسام (كتب) لا تزال باللغة الفارسية

وحدها . وقد ذكر براون تفاصيل مضامينها في كتابه (الطب العربي) ويعتبره أول كتاب طبي يكتبه مسلم باللغة الفارسية .

(6) التذكرة في الصيدلة والعقاقير الطبية .

(7) خفي علاء ـ وسماه المؤلف بالخف لأنه صنعه على ورق مستطيل يستطيع أن يحفظه المسافر بخفيه (المتحف العراقي) .

ابن أبي أصيبعة ص 482 ، حاجي خليفة ص 952 ، البغدادي ـ إيضاح المكنون 611/1 ، البيهقي ـ حكماء الإسلام ص 172 ـ 174 ، الشهرزوري ـ نزهة الأرواح 96/2 ـ 99 ، رضا كحالة ـ معجم المؤلفين 264/2 ، الزركلي 312/1 .

Brockelmann, S. 1/889 - 900

أعين بن أعين

أفرايم بن المحسن إسحاق بن يعقوب الزفان = ابن الزفان

الأفزري = علي بن محمد بن عبدالله الأفزري

أفضل الدين الخونجي = الخونجي

الأفقهسي = أحمد بن عماد بن محمد الأفقهسي

الأقسرائي

جمال الدين محمد بن محمد بن فخر الدين جمال الدين الأقسرائي ويعرف بابن الأخوة . من آق سراي ببلاد تركيا اليوم . وهو حفيد فخر الدين الرازي . عالم بالتفسير والطب وله كتاب حل الموجز (موجز ابن النفيس لكتاب القانون) ومخطوطته بمكتبة ويلكم والمتحف العراقي .

حاجي خليفة 1900 ، الزركلي 270/7 ، Leclerc, 2/265

Brockelmann, S. 2/328

الآملي

عز الدين محمد بن محمود الآملي . توفي سنة 753 هـ/ 1352 م ، وله :

(1) شرح قانون ابن سينا (المدرسة الأحمدية بالموصل) .
(2) تعليق على الفصول الإيلاقية لمحمد بن يوسف الإيلاقي .

حاجي خليفة ص 1313 ، البغدادي - هدية العارفين 159/2 ، رضا كحالة 314/11

Brockelmann, 1/597, S. 1/824

أمين الدولة بن التلميذ البغدادي

أمية بن أبي الصلت

الأنطاكي = داود بن عمر الأنطاكي

أهرن بن أعين

أورباسيوس

الايلاقي

هو شرف الدين أبي عبدالله محمد بن يوسف . من مواليد إيلاق بنيسابور وإليها ينسب . تتلمذ على ابن سينا وعمر الخيام . وقد توفي قتيلاً على أيدي التتر سنة 460 هـ/ 1067 م وله :

(1) الفصول الإيلاقية أو الأسباب والعلامات (ويلكم ، مجلس شوراي ، شهيد علي ، دار الكتب المصرية) والكتاب مختصر لكليات ابن سينا وليس لقانونه كما يقول ابن أبي أصيبعة خطأً . كما يذكر هذا المؤرخ كتاباً للإيلاقي باسم الأسباب والعلامات . وهذا خطأ آخر منه ، لأن كتاب الأسباب والعلامات والفصول للإيلاقي كتاب واحد .

وقد علق على كتاب الفصول الإيلاقية محمد بن علي بن محمد الحمصي (735 هـ/ 1334 م) بكتاب سماه الأمالي العراقية في شرح الفصول الإيلاقية . وعلق عليه أبو الثناء بن أمير حاج التبريزي بكتاب الوسيط الوافي في شرح مختصر الإيلاقي . كما علق عليه كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم الحلي المتوفي سنة 754 هـ/ 1253 م ، وعز الدين الآملي .

(2) مجموع في الطب (مدينة العلم في الكاظمية) .
(3) كتاب التفسرة في البول (دانشكاه) .
(4) كتاب الحيون .

ابن أبي أصيبعة ص 459 ، حاجي خليفة ص 1266 ، الشهرزوري ـ نزهة الأرواح 2/55 ـ 56 ، البيهقي ـ حكماء الإسلام ص 131 ـ 132 ، الزركلي 5/148 ، حاجي خليفة 1266 ، 1312 ورضا كحالة 12/123 .

Leclerc, 1/479. Sezgin, 3/230 – 231
Brockelmann, 1/597, 638, S. 1/887
Sarton – Introd, 2/373

أيوب الرهاوي

عالم باللغات وخاصة السريانية ، وترجمته إليها أفضل من ترجمته إلى العربية . وله :

(1) كتاب التفسرة في البول (دانشكاه ، الحاوي 18/72 ـ 19/57 ، 60 ، 61 ، 62 ، 67 ، 69 ، 207) .

(2) كتاب البيان لما يوجبه تغير البول ، وربما يكون هو الكتاب الأول .

ابن أبي أصيبعة ص 281 ، الحاوي للرازي 15/72 ، 19/57 ، 60 ، 61 ، 62 ، 67 ، 69 ، 207 .

Sezgin, 3/230 – 231

البالسي

من أطباء مصر أيام الأخشيد كافور (335 ـ 257 هـ/ 849 ـ 870 م) وله كتاب التكميل في الأدوية المفردة ، وضعه لمخدومه كافور .

ابن أبي أصيبعة ص 545 و Leclerc, 1/403

بختيشوع بن جورجيوس

بختيشوع بن جبرائيل

بدر الدين بن قاضي بعلبك

المظفر بن مجد الدين بن عبد الرحمن قاضي بعلبك . نشأ بدمشق وتعلم فيها الطب على مهذب الدين الدخوار ، وصحب أستاذه إلى الرقة واشتغل في بيمارستانها ، ثم رجع إلى دمشق وعمل في البيمارستان الكبير النوري وصار رئيساً للأطباء والكحالين في ديار الشام . وكان متديناً كثير الصدقات والإحسان فوسّع عمارة البيمارستان النوري ورمم القديم منه وجدد أثاثه من ماله الخاص . وفي سنة 645 هـ/ 1247 م جدد له نجم الدين أيوب رئاسة الطب . وله من المؤلفات :

(1) مقالة في مزاج الرقة .
(2) كتاب مفرح النفس ـ في الأدوية وأصنافها .
(3) كتاب الملح في الطب ـ ذكر فيه أخباراً وفوائد طبية استخلصها من كتب جالينوس .

ابن أبي أصيبعة ص 751 ـ 755

بدر الدين محمد بن أبي بكر الفارسي

من أطباء فارس . توفي سنة 677 هـ/ 1278 م . وله كتاب مادة الحياة وحفظ النفس من الآفات (دار الكتب المصرية ـ تيمورية) .

كشف الظنون 1574

بدر الدين محمد بن بهرام بن محمد القلانسي السمرقندي

من أطباء فارس وتوفي سنة 590 هـ/ 1193 م وله في الطب :

(1) الأقرباذين ـ ويضم تسعة وأربعين باباً مأخوذة عن كتاب القانون والحاوي والكامل والذخيرة والكفاية (المتحف العراقي ، مكتبة ويلكم بلندن ، والأوقاف العامة ببغداد ، مجستر ، رامبور ، الظاهرية) .

(2) المختصر في الطب (الأوقاف العامة ببغداد) .

ابن أبي أصيبعة ص 472 ، رضا كحالة 122/9

Leclerc, 1/336, 2/128, Ullmann, p. 307
Brockelmann, 1/489, S. 1/893
Sarton – Inrod. 1/609

بدر الدين محمد بن محمد القوصوني

من قيصون بمصر ، ويعرف أيضاً بالقيسوني زادة . توفي بمصر سنة 931 هـ/ 1525 م وله من المؤلفات :

(1) مقالة في الحمام (يحيى باشا الجليلي ، دار الكتب المصرية) .
(2) كمال المعرفة في دفع السموم وحفظ الصحة (يحيى باشا الجليلي ، ويلكم) .
(3) زاد المسافر في علاج البواسير . وفي دار الكتب المصرية نسخة باسم زاد المسير في علاج البواسير .
(4) مختصر تذكرة السويدي (المتحف العراقي) .
(5) الدرة المنجية فيما صحّ من الأدوية (المتحف العراقي) .
(6) رسالة في بادزهر الحيواني (دار الكتب المصرية) .

حاجي خليفة 2/1905 ، Brockelmann, 2/447, S. 665

برهان الدين نفيس بن عوض الكرماني = نفيس بن عوض الكرماني

البسطامي ، عبد الرحمن بن محمد

توفي سنة 858 هـ/ 1480 م وله كتاب الأدعية المنجية في الأدوية المجربة (الأوقاف العامة ـ بغداد ، المتحف العراقي) .

رضا كحالة 1/184 ، البغدادي ـ مدية العارفين 1/531 ـ 532 ، حاجي خليفة ص 154 .

بشر بن يعقوب السجزي

كنيته أبو سهل ، من سجستان ، وعمل لأميرها خلف بن أحمد المتوفي سنة 339 هـ/ 1008 م . وقد توفي أسيراً سنة 399 هـ/ 908 م ، وله :

(1) الكناش (أيا صوفيا) .
(2) الرسالة الطبية (رامبور) .
(3) مقالة في امتحان الأطباء وكيفية التمييز بين طبقاتهم .

بروكلمان 4/303 و Ullmann – Mediz. Islam, p. 142

Sezgin, 3/325 – 326

البكري

أبو عبيدالله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب . ونسبه يصل إلى بكر بن وائل . وأسلافه من أمراء الأندلس الغربية . ولد بقرطبة وعاش متنقلاً بينها وبين مرسية . عالم بالتاريخ واللغة ، كما كان ملماً بعلم النبات . توفي سنة 487 هـ/ 1094 م ، وله كتاب أعيان النبات والشجرات الأندلسية .

ابن أبي أصيبعة ص 500 ، حاجي خليفة ص 167 ، 1050 ، 1980 ، ابن بشكوال ـ الصلة ص 282 . السيوطي ـ بغية الوعاة ص 285 كنوز الأجداد ص 264 ـ 268 ، البغدادي ـ إيضاح المكنون 1/504 ، 20/396 ، أحمد أمين ـ الرسالة 4/198 ـ 200 ، الوعاة ص 285 ، البغدادي ـ هدية العارفين 1/453 ، كرد علي ـ طه حسين ـ الكاتب المصري 1/276 ـ 278 ، حمد الجاسر ـ مجلة المجمع العلمي بدمشق 27/520 ـ 529 ، المقتبس 7/765 ـ 770 ، رضا كحالة 6/75 .

Leclerc, 1/410 – 412

البلدي ، أحمد بن محمد بن يحيى = (1) ص 24 ـ 25
فيلغوريوس = (1) 209 ـ 212

بلمظفرّ بن المعرف

هو نصر بن محمود بن المعرف ، أحد تلاميذ ابن العين زري المتوفي سنة 547 هـ/ 1152 م ، وله من المؤلفات :

(1) مختارات في الطب .

(2) تعاليق في الكيمياء .

(3) كتاب في علم النجوم .

ابن أبي أصيبعة 571

بولس الأجيني = ص

البيروني

أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني . واسع المعلومات في الحكمة ، والرياضيات ، والفلك والطبيعيات ، وله تآليف كثيرة فيها . عاصر ابن سينا وكانت بينهما اتصالات ومراسلات ، وأكثر استيطانة بخوارزم . توفي بعد سنة 430 هـ/ج 1038 م وله : كتاب الصيدنة في الطب ، استقصى فيه معرفة ماهية الأدوية وأسماءها وآراء المتقدمين بها مرتبة على حروف الهجاء (جامعة طهران ، جامعة بغداد (الدراسات العليا بكلية العلوم) ، المتحف العراقي ، دار الكتب المصرية) .

ابن أبي أصيبعة ص 459 ، حاجي خليفة ص 1434 ، البيهقي - حكماء الإسلام ص 72 - 74 ، ياقوت الحموي - معجم الأدباء 17/180 ، 190 ، ابن العبري - مختصر الدول ص 324 - 325 ، ابن الأثير - اللباب 1/160 - 161 ، السيوطي - بغية الوعاة ص 20 - 21 ، البغدادي - هدية العارفين 2/65 - 66 ، كرد علي - كنوز الأجداد ص 238 - 240 ، طوقان - تراث العرب ص 275 - 285 والخالدون ص 127 - 137 ، رضا كحالة - معجم المؤلفين 18/24 - 242 و

التادلي

أبو الحسن علي بن عبدالله ن محمد بن هيدرو التادلي . من أهل فارس وتوفي بها سنة 816 هـ/ 1413 م ، وله :

المقالة الحكمّية في الأمراض الوبائية (طهران ـ الرضوية) .

Brockelmann, S. 1/894

التفليسي

حبيش بن إبراهيم بن محمد التفليسي . توفي بحدود سنة 600 هـ/ 1203 م ، وله في الطب :

(1) تقويم الأدوية (يحيى باشا الجليلي) .
(2) لباب الأسباب .
(3) تحصيل الصحة بالأسباب الستة (يحيى باشا الجليلي) .
(4) كامل التدابير .
(5) كفاية الطبيب (المتحف العراقي) .

رضا كحالة ص 3/ 189 و Brockelmann, S. 1/893

Leclerc, 2/321

تقي الدين الكرماني

يحيى بن محمود بن يوسف شمس الدين الكرماني . ولد ونشأ في بغداد ، واستوطن مصر ، وعمل في بيمارستان المنصور قلاوون . وتوفي بالطاعون سنة 833 هـ/ 1420 م وله مصنفات في الطب .

أحمد عيسى ـ البيمارستانات في الإسلام ص 162

تياذق = (1) 301 ـ 304

التيفاشي

أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر التيفاشي . توفي بالقاهرة بحدود سنة 651 هـ/ 1253 م ، وله :

(1) الشفاء في الطب المسند عن المصطفى (دار الكتب المصرية ـ طلعت) .
(2) الوافي بالطب الشافي .

(3) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس ، وقد حققه ونشره إحسان عباس في بيروت سنة 1980 .

(4) أزهار الأفكار في جواهر الأحجار (مكتبة حسن حسني عبد الوهاب والكونكرس الأمريكي وغيرها) .

ابن فرجون ـ الديباج ص 75 ، حاجي خليفة ـ كشف الظنون البغدادي ـ إيضاح المكنون 1/549 ، رضا كحالة 2/208 ، ص 72 ، 233 ، 620 ، 979 ، 1055 ، 1260 ، 1305 ، الزركلي 1/273 ـ 274 ، سركيس ـ معجم المطبوعات 1/651 مجلة معهد المخطوطات 5/286 .

Leclerc, 2/237 – 239.
Brockelmann, 1/652

ثابت بن إبراهيم بن زهرون الحراني

ثابت بن قرة الحراني

جابر بن حيان

أبو موسى جابر بن حيان بن عبدالله . فيلسوف وكيمياوي ، من أهل الكوفة وعاش بينها وبين بغداد في حكمي الرشيد والمأمون ، وهو من أصل خراساني . اتصل بجعفر الصادق وأخذ عنه . ويعتبر أشهر كيميائي عصره . وله مصنفات كثيرة في هذا الموضوع نقل منها إلى اللاتينية . كما تنسب إليه بعض التجارب الكيمياوية مثل تحضير حامض الكبريتيك وبعض مركبات الصوديوم والبوتاسيوم . توفي بطوس سنة 200 هـ/ 805 م وقيل قبل ذلك . له كتاب السموم ودفع مضارها (دار الكتب المصرية ـ التيمورية ، المتحف العراقي) وكتاب البحث وكتاب في الأدوية المفردة .

ابن النديم ـ الفهرست ص 354 ، القفطي ص 111 ، سركيس ـ وتراث الإسلام (القسم الثالث لشاحث وبوزردت ، ترجمة حسين مؤنس ص 107) ، معجم المطبوعات ص 664 ، البغدادي ـ هدية العارفين 1/249 ، الزركلي 2/91 .

Brockelmann, S. 1/428
Sezgin, 3/211 – 223

الجاحظ

أبو عثمان عمرو بن بحر . من مشاهير الأدباء العرب وأكثرهم تأليفاً بالأدب . توفي سنة 255 هـ/ 868 م . وله في الطب :

(1) كتاب الباه أو العرس والعرائس (أحمد الثالث) .
(2) كتاب نقض الطب .

ياقوت الحموي ـ معجم الأدباء 6/56 ـ 80 ، ابن خلكان ـ الوفيات 1/388 ، مجلة لغة العرب 9/26 ، ابن الخطيب ـ البغدادي تاريخ بغداد 12/212 ، دائرة المعارف الإسلامية 6/235 و

Brockelmann, S. 1/239 Sarton – Introduction, 1/586

جالينوس = ص

جبرائيل بن بختيشوع

جبرائيل بن عبيدالله بن بختيشوع

الجرجاني = أبو سهل المسيحي الجرجاني

الجرجاني = إسماعيل الخسروشاهي الجرجاني

الجغميني = محمود الجغميني

جلال الدين السيوطي

عبد الرحمن بن أبي بكر محمد بن سابق الدين . من أسيوط بمصر وإليها ينسب . موسوعي المعلومات والتأليف . رحل إلى الحجاز واليمن والهند والسنغال وتوفي سنة 961 هـ/ 1505 م ، من كتبه العديدة اثنان في الطب :

(1) النهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي (ويلكم بلندن) .
(2) شقائق الأترج في رقائق الفنج (الرباط) .

(3) الدستور الجلالي في المعالجات (المتحف العراقي) .

رضا كحالة 5/128 ، السخاوي ـ الضوء اللامع 4/65 ـ 70 ، ابن العماد ـ شذرات الذهب 8/51 ـ 55 ، البغدادي ـ هدية العارفين 1/534 ـ 544 ، حاجي خليفة 1882

Brockelmann, 2/180, S. 2/417, 178 Leclerc, 2/298

الجلياني

عبد الرحمن بن عمر بن عبدالله الأندلسي الجلياني . أديب وشاعر وكيمياوي وطبيب وكحال . قدم من الأندلس إلى دمشق واستوطنها مدة حياته الطويلة ، وخدم فيها صلاح الدين الأيوبي . توفي سنة 600 هـ/ 1223 م ، وأعقب ولداً صار مثل أبيه طبيباً وكحالاً . وللجلياني تعاليق في وصفات أدوية مركبة .

ابن أبي أصيبعة ص 360 ـ 635 ، ابن بشكوال ـ تكملة الصلة 2/652 ـ 653 ، المقري ـ نفح الطيب 2/5 ، 15 ، 16 ابن شاكر الكتبي ـ فوات الوفيات 2/16 ، ياقوت الحموي ـ معجم البلدان 2/109 ، البغدادي ـ هدية العارفين 1/629 ، 630 ، البغدادي ـ إيضاح المكنون 1/351 ، رضا كحالة 6/195 ، 13/403 .

Brockelmann, 1/785

جمال الدين بن أبي الحوافر

ويكنى بأبي عمرو وعثمان ، وهو ابن هبة الله بن أحمد القيسي . مولده ومنشؤه بدمشق . درس الطب على ابن النقاش البغدادي ، وعلى رضى الدين الرحبي . وارتحل إلى القاهرة وخدم الملك عثمان بن صلاح الدين الأيوبي وتولى في أيامه رئاسة الطب بمصر ثم خدم من بعده الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب . وكان أديباً وينظم الشعر . توفي في القاهرة سنة 595 هـ/ 1198 م . ومن تلاميذه رشيد الدين علي بن خليفة ، وولده فتح الله بن جمال الدين . ولجمال الدين كتاب مختصر في الطب (التحف العراقي) .

ابن أبي أصيبعة ص 5584 ـ 58 Leclerc, 2/219

جورجيس بن جبرائيل بن بختيشوع

جورجيس بن جبرائيل بن بختيشوع

الجيلي

رفيع الدين أبو حامد بن عبد العزيز . جاء من جيلان (كيلان) إلى دمشق واستوطنها إلى آخر حياته . وكان وقوراً ومتديناً . وصار في عهد الأيوبيين قاضياً في بعلبك . توفي سنة 641 هـ/ 1243 م . وله كتاب الكليات من قانون ابن سينا .

حاجي خليفة ص 95 ، رضا كحالة 169/4 ، 251/5
Leclerc, 2/210

الحارث بن كلدة الثقفي

حبيش التفليسي = التفليسي

الحرضي = يحيى بن أبو بكر محمد العامري الحرضي .

الحسن بن البهلول = ابن البهلول

الحسن بو سوار (ابن الخمار) = (1) 542 ـ 543

الحسن بن نوح القمري

كنيته أبو منصور . من مواليد بخارى ومن أطباء فارس المشهورين في القرن الرابع / الخامس الهجري . كانت له منزلة مرموقة في مجالس الملوك ، ويتردد على مجلسه كبار العلماء والأطباء كابن سينا المتوفي سنة 428 هـ/ 1036 م . وله من المؤلفات :

(1) مقالات في الطب (أيا صوفيا ، آصفية) .
(2) غنى ومنى (أي الحياة والموت) ـ وضعه على شكل كناش في صنوف العلل ومداواتها ، وقد أدخل فيه ما قرأه لكبار الأطباء كالرازي (غوته ، المتحف البريطاني ، بنكور ، نور عثمانية ، بودليانا ، مانجستر . أحمد تيمور باشا ، آصفية) .

(3) كتاب أسامي العلل (ويلكم بلندن ، الموصل باسم مصطلحات الطب) .

ابن أبي أصيبعة ص 4 ـ 436 رضا كحالة 3/290

Brockelmann, 1/239.
Leclerc, 1/3588 – 359.
Sarton – Introduction, 1/678.

الحسن بن عز الدين بن الحسن بن المؤيد الحسني

من أئمة الزيدية باليمن . توفي سنة 929 هـ/ 1523 م ، وله كتاب المريض والتمريض (أمبروزيانا) .

الزركلي 2/214

حكيم بن حنين

خالد بن يزيد بن رومان النصراني

من أطباء قرطبة البارزين في منتصف القرن الرابع الهجري وعالم بالأدوية النباتية . وله رسالة في الأدوية الشجرية .

ابن أبي أصيبعة ص 485 ـ 486 Sezgin, 3/303

الخجندي

فخر الدين ، محمد بن عبد اللطيف بن ثابت الخجندي . عمل بأصفهان وتوفي بها حدود سنة 552 هـ/ 1157 م ، وله :

(1) كتاب تنقيح المكنون في مباحث القانون ، وهو مختصر كتاب القانون لابن سينا .

(2) التلويح إلى أسرار التنقيح وهو مختصر الكتاب المتقدم (السيد الحكيم بالنجف ، المتحف العراقي) .

(3) رسالة في الوحم (مجلس شوراي ملي) .

(4) مختصر في صناعة الطب (مجلس شوراي ملي ، المتحف العراقي) .

(5) كتاب تشريح الأبدان (المتحف العراقي) .

(6) رسالة في النبض (مجلس شوراي ملي) .

البغدادي ـ هدية العارفين 2/92 ، كحالة ـ معجم المؤلفين 10/192 ، حاجي خليفة ص 500

Leclerc, 2/123
Brockelmann, S. 1/826, S. 2/219

الخسروشاهي إسماعيل الجرجاني = إسماعيل الجرجاني

خلف الطولوني

كنيته أبو علي ، من أهالي مصر في أيام الطولونيين . تمرس في طبابة العين . وكان حياً سنة 302 هـ/ 914 م . وله كتاب النهاية والكفاية في تركيب العينين وخلقهما وعلاجهما .

ابن أبي أصيبعة 544 Leclerc, 1/402

خلف بن عباس الزهراوي = (2) 167 ـ 175

خليفة بن أبي المحاسن الحلبي

من سكان حلب في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي . مارس الكحل وله فيه : كتاب الكافي في الكحل وفيه وصف لعملية القدح ومزين بالرسوم (يني جامع) .

خير الله ـ الطب العربي ص 81 Leclerc, 2/145 – 146

الخونجي

أبو عبدالله أفضل الدين الخونجي . من أطباء مصر في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، ومن رجال القضاء فيها . من تلاميذه في الطب ابن أبي أصيبعة . توفي سنة 646 هـ/1248 م ، وله :

(1) شرح مقالة النبض لابن سينا .

(2) كتاب أدوار الحميّات .

(3) الأسباب والعلامات .

ابن أبي أصيبعة ص 586 ـ 587 Leclerc, 2/131

داود الأنطاكي

هو ابن عمر الأنطاكي . ولد بأنطاكية كسيحاً صغير الجسم وأعمى . تعلم قراءة القرآن بعيد العاشرة من عمره ، ثم تعلم الأدب والطبيعيات والطب وصار يمارس الصنعة بالتلمس والإستجواب . سكن مصر ثم هجرها واستوطن مكة إلى آخر حياته . وكان مغروراً بنفسه فخلق له أعداء وحساداً كثيرين . توفي سنة 1008 هـ/ 1599 م ، وله :

(1) تذكرة الأخوان في طب الأبدان .
(2) تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب المشهور باسم تذكرة الأنطاكي (ويلكم ، المتحف العراقي) ، وقد طبعت بمصر سنة 12882 هـ/ 1869 م .
(3) كتاب البهجة في الأدوية المجربة .
(4) رسالة في الحمام .
(5) كتاب نزهة الأذهان في إصلاح الأبدان .
(6) الفية في الطب .
(7) النزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة (أوقاف الموصل ، السيد الحكيم بالنجف ، المتحف العراقي) .
(8) شرح القانونجة .
(9) كفاية المحتاج في علم العلاج أو بغية المحتاج في المجرب من العلاج (دار الكتب المصرية) .
(10) شرح قصيدة ابن سينا .
(11) كتاب طبقات الحكماء .
(12) الملكي في طب الملوك (دار الكتب ـ التيمورية) .
(13) مجمع المنافع البدنية (القادرية العامة ـ بغداد) .

(14) رسالة في الفصد والحجامة .

ابن العماد ـ الشذرات 8/415 ، 416 ، الشوكاني ـ البدر الطالع 1/246 ، الخفاجي ـ ريحانة الألبا ص 271 ـ 272 ، معصوم ـ سلافة العصر ص 428 ـ 430 ، البغدادي ـ هدية العارفين 1/362 ، حاجي خليفة ص 79 ، 80 ، 250 ، 386 ، 744 ، 1313 ، 1342 ، 1360 ، 1555 ، 1939 ، 1946 أحمد عيسى ـ معجم الأطباء 185 ـ 195 ، البغدادي ـ إيضاح المكنون 1/121 ، 285 ، 461 ، 622 و 2/241 ، 352 ، 313 ، العاملي أعيان الشيعة 4/184 ، رضا كحالة 4/140 . .

Brockelmann, 2/264, S. 2/441

داود بن أبي البيان سليمان الإسرائيلي

كنيته أبو الفضل ، واسم جده إسرائيل بن سليمان بن مبارك الإسرائيلي . ولد بالقاهرة ونشأ بها وعمل بالبيمارستان الناصري ، وكان يزامله فيها ابن أبي أصيبعة . وقد برز في تركيب الأدوية بأنواعها . توفي بحدود سنة 643 هـ/ 1245 م ، وله :

(1) دستور الأدوية ـ وفي مكتبة الجامع الكبير بصنعاء مخطوطة منه بعنوان : الدستور في الطب البيمارستاني ، وفي دار الكتب المصرية والمتحف العراقي باسم الدستور المارستاني ، وقد نشره بول سباط بالقاهرة سنة 1932 . وفيه يذكر 230 مرضاً و607 عقار (قاب توبي) .

(2) كتاب الأقرباذين ـ وقد يكون هذا هو الكتاب الأول .

(3) تعاليق على كتاب العلل والأعراض لجالينوس .

ابن أبي أصيبعة ص 584 ، كارمن وخوسية ـ كتاب أبحاث مؤتمر الطب الإسلامي في الكويت 1980 ص 181 ـ 1886

Leclere, 2/218 – 219

داود بن أبي نصر الكوهين الإسرائيلي = الكوهين العطار

داود بن ناصر الدين الأغبري

عاش في الموصل وتوفي فيها بعد سنة 820 هـ/ 1417 م ، وله :

(1) كتاب كفاية الإدراك والإجراء من أقرباذين الأقرباذينات (باريس ، الأهلية) .

(2) روضة الألباء في تأريخ الأطباء (برلين) .

الدخوار ، عبد الرحيم بن علي بن حامد

دنش بن تميم

الدنيسري = عماد الدين

الدينوري

اسمه أحمد بن داود . من عباقرة التاريخ الإسلامي في الفلك والطبيعيات والجغرافية والهندسة والتاريخ والحكمة . ولد ونشأ بدينور . وتوفي سنة 282 هـ/ 895 ، وله مؤلفات كثيرة منها : كتاب النبات وأكثر أجزائه مفقودة .

الحموي ـ معجم الأدباء 1/123 ، البغدادي ـ خزانة الأدب 1/25 ، مصطفى الشهابي ـ مجلة المجمع العلمي العربي 26/316 .

الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا

الرحبي ، رضي الدين = يوسف بن حيدرة

رشيد الدين ، أبو حليقة

رشيد الدين أبو سعيد بن يعقوب

من نصارى القدس . أديب ونحوي ودرس الطب على الدخوار بدمشق وعلى رشيد الدين بن خليفة الخزرجي عم أحمد بن أبي أصيبعة . توفي بدمشق سنة 646 هـ/ 12488 م وله :

(1) تعليق على كتاب الحاوي في الطب للرازي .

(2) كتاب عيون الطب .

ابن أبي أصيبعة ص 599 ـ 600

رشيد الدين بن الصوري = ابن الصوري

رضوان الساعاتي

فخر الدين رضوان بن محمد بن علي بن رستم الخراساني . تخرج في الطب على رضى الدين الرحبي بدمشق ، وعلى فخر الدين المارديني ، وخدم الأيوبيين بدمشق ووزر للملك عيسى بن الملك العادل الأيوبي . وكان مجلسياً ونديماً مؤنساً ويحسن الضرب على العود ، وكانت جلّ مراجعاته على كتب ابن سينا . توفي بدمشق سنة 618 هـ/ 1221 م ، وله :

(1) علم الساعات والعمل بها ـ طبع بدمشق سنة 1981 .
(2) تكملة كتاب القولنج لابن سينا .
(3) حواشي على كتاب القانون لابن سينا .

ابن أبي أصيبعة ص 661 ـ 662 ، البغدادي ـ هدية العارفين 182/2 ـ 184 ، رضا كحالة 166/4

Brockelmann, S. 1/473.

رضي الدين الرحبي ، يوسف بن حيدرة

رفيع بن حامد الجيلي = الجيلي

الرقي

أبو بكر محمد بن الخليل الرقي . أصله من الرقة واستوطن بغداد واشتهر فيها . وهو من الأوائل الذين التفتوا إلى أهمية كتاب مسائل حنين . توفي في خلال منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . وله كتاب شرح مسائل حنين .

ابن أبي أصيبعة ص 316 ، البغدادي ـ هدية العارفين 36/2 ، رضا كحالة 289/9 ، القفطي ص 234 ـ 235 .

روفس الأفسي = (1) 160 ـ 168

الرميلي

من سكان المريّة على الساحل الشرقي من أسبانيا ، عاصر ابن معن المعروف بابن صمادح أمير المرية المتوفي سنة 444 هـ/ 1052 م ، وله كتاب البستان في الطب .

ابن أبي أصيبعة ص 496 ـ 497

روفس الأفسي

زاهد العلماء

أبو سعيد منصور بن عيسى . من مدينة السن القريبة من كركوك بالعراق . نصراني نسطوري النحلة ، وهو أخو مطران نصيبين يومئذ . خدم نصر الدولة بن مروان الدوستكي (401 ـ 456 هـ/ 1010 ـ 1063 م) في معالجة ابنته ، وشارك في بناء بيمارستان ميافارقين وتأسيس مجلس العلم كما مارس التعليم فيه . توفي في حدود سنة 460 هـ/ 1068 م ، وله :

(1) كتاب البيمارستانات .
(2) كتاب أمراض العين ومداواتها .
(3) كتاب فيما يجب على المتعلمين لصناعة الطب تقديم عمله .
(4) كتاب الفصول ومسائل وجوابات طبية وغيرها .
(5) كتاب في المنامات والرؤيا .

ابن أبي أصيبعة ص 341 ، البغدادي ـ هدية العارفين 472/2 ، رضا كحالة ـ معجم المؤلفين 188/17 ، عبد الرقيب ـ مجلة بين النهرين 6 ، ص 154453 وفيه يذكر أن ، سعيد عبيدالله بن بختيشوع قد يكون شارك في بناء البيمارستان في ميافارقين ،

Leclerc, 1/489

الزهراوي ، أبو القاسم

زين العرب المصري = علي بن عبدالله زين العرب المصري .

س

سابور بن سهل الكوسج

تعلم الطب في بيمارستان جنديسابور ومارسه فيها ، وتولى رئاستها . وكان عالماً بقوى الأدوية المفردة . دخل بغداد سنة 247 هـ/861 م والتحق بخدمة الخليفة المتوكل وتوفي في خلافة المهتدى بالله سنة 255 هـ/864 م ، وله :

(1) كتاب الأقراباذين الكبير (مونيخ ، مالك بطهران) بخمسة عشر باباً ، بقي معمولاً به في البمارستان العضدي حتى ظهور أقرباذين أمين الدولة بن التلميذ المتوفي سنة 650 هـ/ 1164 م .

(2) كتاب قوى الأطعمة مضارها ومنافعها (مناديلي بحلب) .

(3) كتاب الرد على حنين بن إسحاق في كلامه في الفرق بين الغذاء والدواء المسهل .

(4) كتاب صناعة الأدوية المركبة (سزكين 3/ 244)

(5) كتاب إبدال الأدوية (حاجي خليفة 1/ 2 .

(6) كتاب الأشربة ومنافعها ومضارها .

ابن أبي أصيبعة ص 230 ، ابن النديم - الفهرست 1/ 297 ، القفطي ص 207 ، ابن العبري ص 255 ، حاجي خليفة ص 2 رضا كحالة 4/ 201 و

Brockelmann, 1/ 232
Sezgin, 3/ 244. Leclerc, 1/ 112– 113
Ullmann, P. P. 124

الساهر

وأسمه الأول يوسف ، ويعرف أيضاً بيوسف القس . من سريان بغداد في أيام الخليفة المكتفي (289 ـ 295 هـ/902 ـ 908 م) ولقّب بالساهر لأنه عدم النوم بسبب مرض أصابه برأسه ، وله :

(1) كناش يعرف بكناش الساهر (نحاس بحلب ، ومالك بطهران) وقد أخذ عنه الرازي في عدة أجزاء من كتابه الحاوي ، كما أخذ عنه ابن سينا في كتاب القانون (3/ 441) في صفة الأكيال والأوزان المستعملة في تركيب الأدوية .

(2) رسالة في وصف المرض الذي ابتلى به في رأسه (نحاس بحلب) .

ابن النديم ص 297 ، ابن أبي اصيبعة ص 278و Leclerc, 1/ Sezgin, 3/268– 269

السجزي = بشر بن يعقوب السجزي

السجزي = طاهر بن إبراهيم بن محمد السجزي

سديد الدين ابن رقيقة .

سديد الدين بن داود بن أبي البيان = داود بن أبي البيان .

سديد الدين الكازوني = الكازروني .

السرخسي = أحمد بن الطيب السرخسي .

سري الدين أحمد بن محمد العلفي

ويعرف أيضاً بابن الصائغ توفي سنة 991 هـ/ 1583 م ، وله كتاب كفاية الأديب في مشاورة الطبيب (يحيى باشا الجليلي) .

حاجي خليفة ص 1496 .

سري الدين بن محمد بن خليفة الغافقي = الغافقي

سعيد بن أبي الخير بن عيسى المسيحي = .

سعيد بن البطريق

من نصارى الفسطاط بمصر ومتقدم بينهم . نصبه الخليفة القاهر العباسي (320 ـ 322 هـ/932 ـ 934 م) بطريقاً على الإسكندرية . وله أخ طبيب أيضاً أسمه عيسى بن البطريق . توفي سعيد في سنة 328 هـ/ 931 م ، وله :

(1) كتاب في الطب علم وعمل (مناديلي إبحلب) .
(2) تفسير فصول أبقراط (مجلس شوراي) .
(3) نظم الجوهر

ابن أبي أصيبعة ص 545 ـ 546
Leclerc, 1/ 404– 405
Sezgin, 3/ 297

سعيد بن عبد ربه = ابن عبد ربه

سعيد بن هبة الله بن الحسين

كنيته أبو الحسن . عاش في بغداد في أيام المقتدى بالله العباسي (467 ـ 487 هـ/ 1075 ـ 1094 م) وابنه المستظهر بالله . قرأ الطب على أبي العلاء بن التلميذ (أبي صاعد) وعلى عبدان الكاتب والي الفضل كثير فات وعمل في البيمارستان العضدي ببغداد وتوفي سنة 495 هـ/ 1101 م ومن تلاميذه صاعد بن التلميذ وأبو البركات بن ملكا ، وله :

(1) كتاب المغنى في الطب (غوته ، باريس ، بودليانا ، المتحف العراقي ، كمبرج ، الظاهرية بدمشق والقديس يوسف ببيروت والمشهد الرضوي والأصفية والموصل) .
(2) كتاب الإقناع في الطب (دار الكتب المصرية) .
(3) كتاب خلق الإنسان (دار الكتب المصرية ـ تيمور ، بودليانا ، المشهد الرضوي ، المتحف البريطاني) .
(4) كتاب اليرقان .
(5) مقالة في صفات تركيب الأدوية المحال عليها في كتاب المغني .
(6) معرفة الأمراض وأسبابها وعلاماتها ومداواتها (الرباط ، دار الكتب المصرية) .
(7) أقراباذين مدينة السلام (المتحف البريطاني ، بروان) .

(8) المجدول في الطب (الموصل) .

ابن أبي أصيبعة ص 342 ـ 343 ، الصفدي ـ الوافي 13/ 90 ـ 91 ، اليافعي ـ مرآة الجنان 3/ 158 ، ابن العماد ـ الشذرات 3/ 402 ، حاجي خليفة ص 37 ، 140 ، 1750 ، شيخو ـ المخطوطات العربية ص 5 ـ 6 ، الزركلي 3/ 156 ، رضا كحالة 4/ 233

Leclerc, 1/ 492. Brockelmann, 1/ 639 S. 1/ 888

سعيد بن يعقوب الدمشقي

كنيته أبو عثمان من مواليد دمشق واستوطن بغداد . عمل في البيمارستان العضدي ثم بيمارستان مكة المكرمة والمدينة المنورة وتوفي بحدود سنة 302 هـ/ 914 م ، وله :

(1) مقالة في النبض مشجرة وضعها على كتاب النبض الصغير لجالينوس .

(2) ترجمة كتاب البول لمغنس الحمصي (أياصوفيا) .

(3) مسائل جمعها من كتاب جالينوس في الأخلاط .

ابن النديم ـ الفهرست 293 ، القفطي ص 409 ، ابن أبي أصيبعة ص 316 و

Sezgin, 3/ 82, 58, 195, 166

سلامة بن رحمون

أبو الخير سلامة بن مبارك بن رحمون بن موسى . من يهود القاهرة في العهد الفاطمي . درس علي ابن الزفان وعلي المبشر بن فاتك ، واتقن قراءة كتب جالينوس ، كما درس المنطق ، وقد تصاحب مع أبي الصلت بن أبي الصلت وذكره هذا في الرسالة المصرية بشيء من الذم ، وقد توفي بعد سنة 510 هـ/ 1116 م ، وله : مقالة في خصب أبدان النساء بمصر عند تناهي الشباب .

القفطي ص 209 ـ 210 ، ابن أبي أصيبعة ص 568 ـ 569 .

Leclerc, 1/ 533

سلمويه بن بنان

من نصارى بغداد ، وطبيب الخليفة المعتصم (ت 227 هـ/842 م) كان فاضلاً وعالماً بالطب وله منزلة كبيرة لدن الخليفة ، قال عنه أنه : أكبر عندي من قاضي القضاة لأن هذا يحكم في نفسي ، ونفسي أشرف من مالي وملكي . وكان يقصد الخليفة في السنة مرتين ويسقيه بعد كل مرة سهلاً ، ويداريه بالحمية في أوقات أخرى . وكان من معاصريه يوحنا بن ماسويه وحنين بن أسحاق وكلاهما يعترفان له بالكفاءة في الطب . كما صارت مؤلفاته من مصادر كتاب الحاوي لأبي بكر الرازي . فقد بصره في أواخر عمره . وله من المؤلفات :

(1) المختصر في الطب (حكيم بحلب) .
(2) تدبير الصحة (صائب بأنقرة) .
(3) شرح منافع الأعضاء لجالينوس .
(4) التقسرة .

ابن أبي اصيبعة ص 234 ـ 235 ، الزركلي ـ الأعلام 3/ 173 والراغب الأصبهاني في محاضرات الأدباء 2/ 426 .
Leclerc, 1/ 118– 119. Swzgin, 3/ 227

سليمان بن حسان بن جلجل = (2) 163 ـ 166
السمرقندي = بدر الدين محمد بن بهرام بن محمد القلانسي السمرقندي
السمرقندي = نجيب الدين محمد بن علي بن عمر السمرقندي

السموأل العربي

ابن يحيى بن عباس المغربي ، ويعرف بالسموأل . أصله من يهود إسبانيا ثم أسلم وسكن بغداد ومنها سافر إلى الموصل وديار بكر ودخل بلاد المعجم وأذربيجان وتوفي في مراغة في حوالي سنة 570 هـ/ 1174 م ، وله :
(1) كتاب المفيد الأوسط في الطب .

(2) كتاب نزهة الأصحاب في معاشرة الأحباب .

ابن أبي أصيبعة ص 471 ـ 472 ، المنجد ـ معهد المخطوطات 5/ 23 و

Brockelmann, 1/ 488, S. 1/ 592

السنجاري (السنجري) = ابن الأكفاني

السويدي = ابن السويدي

سهلات بن عثمان بن كيسان

أبو الحسن ، من نصارى مصر في أيام الفاطميين ، وكانت له منزلة رفيعة عند العزيز بالله ، وتوفي في أيامه سنة 310 هـ/ 990 م ، وله :

(1) كتاب الأقراباذين (فهرست بول سباط) .

(2) مختصر في الطب (فهرست بول سباط ، مجلة المجمع العلمي المصري ، كانون الثاني 1943) .

(3) كتاب مختصر في الطب (سباط) .

(4) مختصر في الأدوية المركبة المستعملة في أكثر الأمراض ، حققه وطبعه بول سباط سنة 1953 والكتاب بإثني عشر باباً تبحث فيما يلي :

الباب الأول ـ في الأطريفلات والمعاجين .

الباب الثاني ـ الجوارشنات (المهضمات) .

الباب الثالث ـ في الحبوب والأيارجات والمطبوخات .

الباب الرابع ـ في الأقراص والسفوفات .

الباب الخامس ـ في الأشربة والمربيات والربوبات واللعوقات .

الباب السادس ـ في السعوطات والغراغر .

الباب السابع ـ في الأكحال والشيافات .

الباب الثامن ـ في الحقن والفتايل والفرزجات .

الباب التاسع ـ في الأطلية والضمادات .

الباب العاشر ـ في الأدهان والنطولات .

الباب الحادي عشر ـ في المراهم وأدوية النواسير والخراجات .

الباب الثاني عشر ـ في أدوية الفم والسنونات .

ابن أبي أصيبعة ص 548 ـ 549

Sezgin, 3/ 310

السهيلي

أبو الحسن أحمد بن محمد السهيلي الخوارزمي . إشتهر بالأدب وتوفي بسامراء سنة 418 هـ/ 1027 م ، وله كتاب تدارك الخطة في تدبير الأبدان (صائب بأنقرة ، لآصفية) .

ياقوت الحموي ـ معجم الأدباء 2/ 87 ، رضا كحالة 2/ 109 .

سوارنس

السيوطي = جلال الدين السيوطي

ش

شاراك (شرك) (1) 66 .

شرف الدين الرحبي = (2) 101 .

الشريف الأدريسي = الأدريسي .

الشريف محمد بن محمد الحسني = محمد بن محمد الحسني .

شمس الدين السنجاري = ابن الأكفاني .

شمس الدين بن رقيقة = ابن رقيقة .

الشقوري = محمد الشقوري .

شمس الدين بن اللبودي

أبو عبد الله محمد بن عبدان بن عبد الواحد بن اللبودي . عالم بالحكمة والحساب والطب ، سافر وراء التعلّم إلى بلاد العجم فاتقن الطب على السيد الإيلاقي . ثم التحق في حلب بالملك غياث الدين بن صلاح

الدين المتوفي سنة 613 هـ/1216 م . وفي دمشق عمل بالبيمارستان النوري كما كان له تلاميذ فيه . توفي سنة 621 هـ/ 1224 م وأعقب ولداً صار مثله من الأطباء البارزين بدمشق هو نجم الدين اللبودي . ولشمس الدين :

(1) رسالة في وجع المفاصل .
(2) شرح كتاب المسائل لحنين بن إسحاق .

ابن أبي أصيبعة ص 662 ـ 663 ، الصفدي ـ فوات الوفيات 3/ 202 ـ 203 ، ابن العماد ـ الشذرات 5/ 96 ، النعيمي ـ الدارس 2/ 135 ـ 136 ، حاجي خليفة ص 95 ، 131 ، 139 ، 831 ، 1189 ، 1268 ، 1313 ، 1370 ، البغدادي ـ إيضاح المكنون 1/ 5 ، 107 ، الزركلي ـ الإعلام 7/ 54 ، البغدادي ـ هدية العارفين 2/ 111 ، رضا الكحالة 10/ 271 ـ 272 .

Leclerc, 2/ 160– 161. Sezgin, 3/ 310

الشيرازي = قطب الدين الشيرازي .

الشيرازي = نجم الدين محمود بن إلياس الشيرازي

ص

الصاحب أمين الدولة

أبو الحسن بن غزال بن أبي سعيد . كان يهودياً وأسلم ولقب بكمال الدين . ومهذب الدين السامري عمه(*) . خدم الملك بهرام شاه الأيوبي المتوفي سنة 628 هـ/1230 م ثم الملك عماد الدين بن الملك

(*) مهذب الدين السامري ـ يوسف بن أبي سعيد بن خلف السامري . تعلم الأدب . والطب على إبراهيم السامري طبيب صلاح الدين ، وعلى إسماعيل بن أبي الوقار ، وعلى ابن النقاش . وخدم مجد الدين بهرام بن عز الدين فرخشاه ملك بعلبك ووزر له . توفي المهذب سنة 624 هـ/ 1226 م (ابن أبي أصيبعة ص 722 و Leclerc, 2/75.) .

العادل الأيوبي ووزر له بدمشق . ولما آلت إلى الملك الصالح نجم الدين الأيوبي اقتيد أمين الدولة من قبل منافسيه إلى مصر وهناك قتل في أيام عز الدين أيبك المتوفي سنة 625 هـ/ 1227 م . ولأمين الدولة كتاب النهج الواضح في الطب وهو بخمسة كتب (أجزاء) .

الكتاب الأول ـ ويبحث في الأمور الطبيعية وحالات الأبدان وأجناس الأمراض ، وعلائم الأمزجة المختلفة والمعتدلة للأعضاء الرئيسية وما يقرب منها . ثم في النبض والبول والبراز والبحران .

الكتاب الثاني ـ ويبحث في الأدوية المفردة وقواعدها .

الكتاب الثالث ـ في الأدوية المركبة وفوائدها .

الكتاب الرابع ـ في تدبير الأصحاء ، وعلاج الأمراض الظاهرة وأسبابها وعلائمها وما يحتاج إليه من عمل اليد . وفيه أيضاً عن تدبير الزينة وتدبير السموم .

الكتاب الخامس ـ في الأمراض الباطنة وأسبابها وعلائمها وعلاجها وما يحتاج إليها من عمل اليد .

ابن أبي أصيبعة ص 723 ـ 728

صاعد بن بشر بن عبدوس

كان في أول أمره فاصداً في بغداد ثم تعلم الطب ، وعمل بالبيمارستان وطبب الشريف المرتضى المتوفي سنة 435 هـ/ 1043 م . وله مقالة في مرض المراقيا ومداواتها (حكيم بحلب) ، ومقالة في مرض الديابيطس (حكيم بحلب) .

ابن أبي أصيبعة ص 313 ـ 315 ، Sezgin, 3/ 337

صاعد بن الحسن

كنيته أبو العلاء ، من أهالي مدينة الرحبة . وكان بليغاً ومتمكناً في الصنعة . توفي بعد سنة 464 هـ/1071 م ، وله كتاب التشويق الطبي

(غوته ، والمكتبة المارونية بحلب) .

ابن أبي أصيبعة ص 340

Ullmann- Mediz. Islam, P. 225

صاعد بن هبة الله بن المؤمل الحظري

كان أسمه الكنسي ماري ولما أسلم كني بأبي الحسين . خدم الناصر لدين الله العباسي وتوفي ببغداد سنة 591 هـ/ 1195 م . وله :

كتاب الصفوة في أجزاء الطب النظري والعملي .

ابن أبي أصيبعة ص 406 ، القفطي ص 214 ، بابو إسحاق ـ نصارى بغداد ص 209 .

صالح بن سلوم

هو ابن نصر الله بن سلوم الحلبي . ترأس طبابة الدولة العثمانية . وكان يجيد ممارسة الصنعة والموسيقى . وكانت له منزلة لدى السلطان العثماني . توفي سنة 1081 هـ/1670 م ، وله :

(1) كتاب غاية الإتقان في تدبير بدن الإنسان (ويلكم بلندن) .

(1) برء ساعة في الطب .

الزركلي 3/ 284 عن خلاصة الأثر 2/ 240

Brockelmann, 2/ 295

صدقة السامري

هو صدقة بن ميخا بن صدقة السامري ، أديب وينظم الشعر ، ولبق وحلو المجالسة . خدم الملك موسى بن الملك العادل بن أيوب ، وتوفي سنة 622 هـ/ 1225 م بحران . وأعقب ابنا هو عمران الإسرائيلي(*) ولصدقة :

(*) عمران الإسرائيلي ـ هو ابن صدقه السامري . ولد بدمشق وتعلم الطب على أبيه وعلى رضى الدين الرحبي . وأجاد ممارسته ، فاعتمد عليه العامة والخاصة . وحصل من الملك العادل أبي بكر بن أيوب على المناصب والاكرام توفي في حمص سنة 637 هـ/ 1233 م حين كان فيها لمعالجة حاكمها (ابن أبي أصيبعة ص 696 ـ 697) .

(1) مقالة في أسامي الأدوية المفردة .
(2) مقالة أجاب فيها عن مسائل طبية سأل عنها الأسعد المحلّي اليهودي .
(3) تعاليق في الطب .
(4) شرح كتاب الفصول لأبقراط (لم يكمله) .
(5) نهاية الأفكار ونزهة الأبصار في طب العيون (الحميدية) .

ابن أبي أصيبعة ص 717 ـ 721
الإعلام 30/ 33 ، رضا كحالة 19/5

صلاح الدين الكحال

هـو ابن يوسف الكحـال . عاش في حمـاه في منتصف القرن الثـامن الهجري/ أواخر القرن الثالث عشر الميلادي . إشتهر بطبـابة العين ووضـع فيهـا كتابـاً ضخماً بـإسم : نور العيـون وجامـع الفنون ، ويتكـون من عشـر فصول :

الفصل الأول ـ في وصف العين .
الفصل الثاني ـ في وصف البصر .
الفصل الثالث ـ في أمراض العين وأسبابها وأعراضها .
الفصل الرابع ـ في حفظ صحة العين وفي أمراض الجفن .
الفصل الخامس ـ في زاوية العين .
الفصل السادس ـ في أمراض الملتحمة .
الفصل السابع ـ في أمراض القرنية .
الفصل الثامن ـ في أمراض الحدقة .
الفصل التاسع ـ في أمراض العين التي لا تقع تحت الحواس .
الفصل العاشر ـ جدول أدوية العيون .

ويشير المؤلف في هذا الكتاب إلى السلوك المهني وآدابه فيما له علاقة بطب العيون . كما يشير إلى استعمال الإبرة المجـوّفة لمعـالجة الكـاتاراكت التي كـان يستعملهـا عمـار بن علي المـوصلي ، عمليـة قـديمـة وليست من ابتكارات الموصلي .

أمين خير الله ـ الطب العربي 181 ،
Lerclerc, 2/ 205– 206

صهاربخت

كنيته أبو زيد وقيل أبو عيسى . وهو ابن عيسى بن ماسرجويه النصراني الذي عاش في بغداد أيام هارون الرشيد . له كناش في الطب يعرف باسمه (الرضوية بمشهد)

Sezgin, 3/ 242

الصوري = رشيد الدين الصوري (ابن الصوري) .

ط

طاهر بن إبراهيم بن محمد السجزي

كنيته أبو الحسين . من سجستان واليها ينسب . ويحسب من الأطباء البارزين في القرن الخامس الهجري ببلاد فارس ، له :

(1) كتاب في شرح موضوع البول والنبض .
(2) تقسيم كتاب الفصول لأبقراط .
(3) كتاب إيضاح المنهاج بمحجة العلاج (برلين ، دار الكتب المصرية) ألّفه للقاضي محمد بن حمويه المتوفي عام 530 هـ/ 1135 م .

ابن أبي أصيبعة ص 461 ، الصفدي ـ الوافي بالوفيات 14 / 90 حاجي خليفة ـ ص 309 ، رضا كحالة 5 / 32 .

Brockelmann, S. 1/ 1032

الطبري ، أحمد بن محمد

الطبري ، علي بن ربن

ظافر بن جابر السكري

أصل أسرته من الموصل . درس الطب على أبي الفرج ابن الطيب في بغداد ، واستوطن حلب ، وعمّر مثل أبيه جابر السكري(*) . وكان حياً في

(*) جابر السكري ـ هو ابن منصور السكري . من أهل الموصل تعلم الطب على أحمد بن أبي الأشعث وعلى محمد بن ثواب وتوفي بعد سنة سنة 360هـ/970 م(ابن أبي أصيبعة ص614).

سنـة 481 هـ/ 1089 م . وله مقـالة في أن الحيـوان يموت مـع أن الغذاء يخلف عوض ما يتحلل منه .

ابن أبي أصيبعة ص 614

من أطباء قرطبـة في خلافـة عبد الـرحمن الناصـر (300 ـ 350 هـ/ 912 ـ 961 م) .

ومن الذين شاركوا في ترجمـة كتاب ديـوسقريـدس في الحشائش إلى اللغة العربية ، وله أيضاً :

(1) كناش في الطب .
(2) كتاب الكمال والتمام في الأدوية المسهلة والمقيئة .
(3) كتاب الإقتصاد والإيجاد في خطأ ابن الجزار في كتاب الإعتماد .
(4) كتاب الإكتفاء من الـدواء من خواص الأشيـاء . ولهذا الكتـاب ترجمـة عبرية (شتاينشنايدر) .
(5) كتاب السمائم .

ابن أبي أصيبعة ص 493 ورضا كحالة 125/5 ، بروكلمان 303/4 .
Leclerc, 1/430. Sezgin, 3/314

العامري = الحرضي
عبد الرحمن بن الجوزي = ابن الجوزي
عبد الرحمن بن علي النيسابوري = ابن أبي صادق النيسابوري
عبد الرحمن بن عمر بن عبدالله الجلياني = الجلياني
عبد الرحمن بن محمد البسطامي = البسطامي

عبد الرحمن بن نصر بن عبدالله الشيرازي

من أهل شيراز . توفي سنة 774 هـ/ 1372 م ، وله كتاب الإيضـاح في أسرار النكاح (الزاوية الحمزاوية بالمغرب) .

حاجي خليفة ص 209

عبد الرحمن بن محمد بن وافد اللخمي = ابن وافد اللخمي

عبد الكريم المهدي

عبد اللطيف البغدادي = (2) 101 ـ 111

عبدالله بن بختويه = ابن بختويه

عبدالله الحريري البغدادي

ابن قاسم بن عبدالله الحريري اللخمي . أديب وطبيب ومؤرخ . من أشبيليا وإليها ينسب . تتلمذ على أبي العباس بن الرومية وسافر إلى بغداد واستقر بها وفيها توفي بحدود سنة 646 هـ/ 1248 م ، وله :

(1) نثر النور والزهر ـ وقد صنعه لأستاذه ابن الرومية .

(2) كتاب نهاية الأفكار ونزهة الأبصار ـ في طب العيون ، وقد طبع على مخطوطة في المجمع العلمي العراقي سنة 1979 من قبل الدكتور حازم البكري ، والدكتور مصطفى العاني .

البغدادي ـ إيضاح المكنون 630/2 ، البغدادي ـ هدية العارفين 461/1 ، الزركلي 254/4 ، رضا كحالة 104/6 .

عبدالله بن عبد العزيز البكري = البكري

عبدالله بن محمد بن خوام العراقي

ويلقب بعماد الدين . من أطباء المدرسة المستنصرية ، وقد ترأس العمل فيها . توفي سنة 427 هـ/ 1035 م ، وله تصانيف في الحساب وكتاب : مقدمة في الطب .

ابن حجر ـ الدرر الكامنة 294/2 ـ 295 ، الزركلي ـ الاعلام 270/4 ، رضا كحالة ـ معجم المؤلفين 126/6 .

عبيدالله جبرائيل بن بختيشوع

عبيدالله (أبو الفرج) بن الطيب

عبد المنعم بن عمر بن عبدالله الجلياني = الجلياني

عبدوس بن زيد

هـو جد صـاعد بن بشـر بن عبدوس الـطبيب . من سريـان بغداد في القـرنين الثالث والـرابـع الهجـري . . خـدم الخليفـة المعتضـد (289 هـ/ 902 م) . وكان يزامله في الخدمة أبو عثمان سعيـد بن غالب المتـوفي سنة 329 هـ/ 940 م وأبو الخير بن المسيحي . وله أخ أكبر منه هو يزيد بن زيد الذي اختص بخدمة المأمون (218 هـ/ 833 م) . ولعبدوس كتاب التذكرة في الطب ، ذكره الرازي في كثير من أجزاء كتابه الحاوي .

ابن أبي أصيبعة ص 312 ـ 319 ، القفطي ص 251

Sezgin, 3/264 – 265. Leclerc, 1/302

عبد الواحد المغربي

هو ابن محمد المغربي ، طبيب عمل في البيمارستان النـوري بدمشق وتوفي في هذه المدينة سنة 944هـ/ 1537 م . وله :

(1) كتاب تحفة المحبة في الطب .

(2) عقد الجمان فيما يلزم من ولي البيمارستان .

حـاجي خليفـة ص 1150 ، البغـدادي ـ إيضـاح المكنـون 1/257 ، وهدية العارفين 1/636 .

العجلاني

هو أبو الفضل محمد بن القاسم ، وله :

(1) أرجوزة في أعمار العقاقير المفردة والمركبة (مدريد) .

(2) أرجوزة في تركيب الدواء وجمعه (مدريد) .

مجلة معهد المخطوطات العربية ـ الطب ، ص 23

عدنان بن نصر = ابن العين زربي

عريب بن سعيد القرطبي

عز الدين بن إبراهيم بن محمد بن طرخان السويدي = ابن السويدي

عفيف بن سكرة الحلبي

هو ابن عبد القاهر سكرة اليهودي الحلبي . من أسرة طبية مشهورة بحلب . توفي في حوالي سنة 5884 هـ/ 1188 م ، وله مقالة في القولنج . ألفها لصلاح الدين بن يوسف الأيوبي المتوفي سنة 584 هـ .

ابن أبي أصيبعة ص 638

علاء الدين الكحال الصفدي

هو علي بن عبد الكريم بن طرخان الحموي الصفدي ، ويعرف بالكحال . توفي في حوالي سنة 720 هـ/ 1320 م ، وله :

(1) كتاب القانون في أمراض العيون .

(2) كتاب الأحكام النبوية في الصناعة الطبية .

الصفدي ـ الوافي 360/5

علي بن إبراهيم البختيشوعي الكفرطابي

من أهل كفر طاب القريبة من حلب وإليها ينسب . توفي بعد سنة 460 هـ/ 1067 م وله : كتاب تشريح العين ومداواة أعلالها .

الزركلي 53/5 ، رضا كحالة 4/7 ، الدوميلي ص 251

علي بن إبراهيم بن علي بن بكس

وكنيته أبو الحسن ، عمل في البيمارستان العضدي ، وتوفي سنة 394 هـ/ 1004 م وله مقالات قصار في الطب .

القفطي ص 230 ـ 231 ، ابن أبي أصيبعة ص 329 ، رضا كحالة 4/7 .

علي بن الحسين بن هندو = ابن هندو

علي بن ربن الطبري

علي بن رضوان المصري

علي بن سليمان

من أطباء القاهرة وحلب في أيام العزيز بالله الفاطمي وابنه الحاكم بأمر الله والظاهر (386 ـ 411 هـ/ 996 ـ 1021 م) ، وله :

(1) كتاب الحاوي في الطب .
(2) كتاب الأمثلة والتجارب والأخبار والنكت والخواص الطبية المنتزعة من كتب أبقراط وجالينوس .

ابن أبي أصيبعة ص 550 Leclerc, 1/531

علي بن العباس المجوسي = (1) 536 ـ 541
علي بن عبد الكريم بن طرخان الحموي = علاء الدين الكحال الصفدي

علي بن عبدالله زين العرب المصري

من مواليد مصر (القرن الثامن الهجري) . شرح كتاب القانون على هدى شرح ابن النفيس وابن القف المسيحي . وفي موضوع الدورة الدموية أخذ عن كتاب شرح تشريح القانون بشكل واسع وحرفي . ومخطوطة شرح القانون لزين العرب في مكتبة ويلكم .

حاجي خليفة 2/1313 ، البير زكي اسكندر ـ مقدمة فهرست مكتبة ويلكم ص 47 ـ 48 .

Brockelmann, 1/825

علي بن عبدالله بن محمد التادلي = التادلي
علي بن عيسى الكحال

علي بن محمد بن عبدالله الأفزري

توفي سنة 815 هـ/ 1412 م ، وله كتاب مختصر في الطب باسم الدستور (الأحمدية بالموصل) .

حاجي خليفة ص 1625 ، البغدادي ـ هوية العارفين 1/728

Brockelmann, S. 2/176

علي بن موسى الرضا

ابن الإمام جعفر الصادق المتوفي سنة 203 هـ/ 8188 م ، وتنسب إليه الرسالة الذهبية صنّفها للخليفة المأمون (المتحف العراقي ، آية الله الحكيم بالنجف) .

Sezgin, 3/226

علي بن هبة الله بن أثردي

كنيته أبو الحسن ، من أهل بغداد في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، أعقب ولداً هو أبو علي الحسن الذي تعلم الطب عليه . ولعلي ابن هبة الله شرح كتاب دعوة الأطباء لمعاصرة بن بطلان البغدادي المتوفي سنة 455 هـ/ 1062 م وقد صنع هذا الشرح لزميله أبي العلاء محفوظ بن المسيحي (أيا صوفيا بأستنابول ، القديس يوسف ببيروت ، دار الكتب المصرية ـ طلعت ، المكتبة المركزية بإيران ، برلين ، غوته الجامع الأزهر ، فاتح بأستانبول باسم أجوبة مسائل دعوة الأطباء لابن بطلان) .

ابن أبي أصيبعة ص 399 Leclerc, 2/28

حاجي خليفة ص 756 ، رضا كحالة 8/257

عماد الدين الدنيسري

أبو عبدالله ، بن القاضي تقي الدين عباس . ولد بدنيسر القرية من ماردين بالجزيرة سنة 605 هـ/ 1208 م ، ودخل مصر وتأدب على علمائها وتفقه على المذهب الشافعي ، ثم رجع إلى دمشق وعمل بالبيمارستان النوري ، وتوفي بحوالي الثمانين من العمر بحدود سنة 686 هـ/ 1287 م ، وله :

(1) المقالة المرشدة في درج الأدوية المفردة .
(2) كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط بأرجوزة .
(3) أرجوزة في الدرياق الفاروقي .

ابن أبي أصيبعة ص 761 ، التعيمي ـ الدارس 134/2

عمار بن علي الموصلي = (2) 21 ـ 23

عمر بن علي المغربي = ابن بذوخ

عمر بن يوسف الرسولي

هو حفيد عمر بن علي بن رسول ، وكنيته أبو حفص . ثالث ملوك الدولة الرسولية في اليمن . كان عالماً ، وله إلمام في الطب والبيطرة والنجوم . توفي بتعز بعد أن حكم سنتين . وله من المؤلفات :

(1) المعتمد في مفردات الطب (دار الكتب المصرية) .
(2) التبصرة في علم النجوم .
(3) المغني في البيطرة .
(4) الإبدال لما في الحال (الأحقاف) وهو في الأدوية المفردة .

العقود اللؤلؤية 284/1 ، 297 ، الزركلي 232/5 و
الاعلام 232/5 Brockelmann, 1/650, S. 1/90
حاجي خليفة ص 236 ، 338 ، 362

عمران بن أبي عمرو

من أطباء قرطبة . خدم عبد الرحمن الناصر (300 ـ 350 هـ/ 012 ـ 961 م) ، وله كناش في الطب .

ابن أبي أصيبعة ص 486

العنتري

أبو المؤيد محمد بن المجلّي بن الصائغ الجزري . من الجزيرة وينسب إليها . أديب وشاعر وطبيب . ولقّب بالعنتري لأنه كان يقتفي أخبار عنترة العبسي ويردد شعره . توفي بحدود سنة 575 هـ/ 1179 م ، وله :

(1) كتاب الأقرباذين .
(2) كتاب المكاييل والأوزان الطبية (من كتاب أقرباذين العنتري ـ الأسكوريال) .

ابن أبي أصيبعة ص 389 ـ 399 ، الصفدي ـ الوافي 384/4 ـ 386 ، البغدادي ـ إيضاح المكنون 562/1 ، 270 ، 286 ، 687 ، البغدادي ـ هدية العارفين 100/2 ، الزركلي 240/7 ، رضا كحالة ـ معجم المؤلفين 173/11 ، الخليلي ـ أدباء الأطباء 112/2 ـ 113 و

Leclerc, 2/32

عيسى بن حكم الدمشقي (مسيح)

عيسى بن صهاريخت

من أطباء جند يسابور وتلميذ جورجيس بن بختيشوع ، فلما رجع هذا من بغداد بعد أن شفي الخليفة المنصور أراد أن يوفد بعيسى إلى بغداد نيابة عنه فرفض فبعث بدلاً عنه تلميذه الثاني إبراهيم . ولعيسى بن صهاريخت كتاب قوي الأدوية المفردة ، وترجمة ثلاثة مقالات من كتاب الفصول لأبقراط .

ابن النديم ص 298 ، القفطي ص 247 ، ابن أبي أصيبعة ص 278

Leclerc, 1/98. Sezgin, 3/243

عيسى بن علي

أحد تلاميذ حنين بن إسحاق ومن البارزين فيهم . خدم المتوكل أميراً وخليفة (232 ـ 247 هـ/ 247 ـ 861 م) كما خدم الخليفة المعتمد المتوفي سنة 279 هـ/ 892 م ، وله :

(1) كتاب المنافع التي يستفاد من أعضاء الحيوان (ڤينا ، الأسكوريال ، بودليانا ، باريس ، غوته) .

(2) درة الغواص على المنافع والخواص (ليبزج) .

(3) كتاب السموم (حكيم ـ حلب) .

ابن أبي أصيبعة ص 277 و Sezgin, 3/259

عيسى بن قسطنطين

وكنيته أبو موسى . من أطباء مدرسة الإسكندرية في عهدها المتأخر . له كتب بالسريانية نقلت بعد ذلك إلى العربية ، منها :

(1) كتاب الأدوية المفردة .
(2) كتاب في البواسير ـ أخذ عنه الرازي في كتاب الحاوي .

ابن أبي أصيبعة ص 159 ، ابن القفطي ص 247

عيسى بن ماسه

من أطباء بغداد في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، ومن أصحابه يومئذ إبراهيم بن أيوب الأبرش ، وله :

(1) كتاب من لا يحضره طبيب .
(2) كتاب قوى الأدوية ـ أخذ عنه الرازي في الجزء العشرين من كتاب الحاوي .
(3) كتاب في طلوع الكواكب .
(4) كتاب في الفصد والحجامة (حكيم بحلب) .
(5) رسالة في استعمال الحمام (حكيم بحلب) .
(6) كتاب الرؤيا في معالجة الحوامل .
(7) كتاب الجماع أو مسائل النسل والذريات والجماع (الأسكوريال ، أيا صوفيا) .

ابن النديم ص 296 ، القفطي ص 246 ، ابن أبي أصيبعة ص 257 ، بروكلمان 268/4 ، رضا كحالة 31/8 .

Leclerc, 1/206 – 207
Sezgin, 3/257

عيسى بن ماسرجيس (ماسرجويه)

هو ابن ماسرجويه النصراني الذي عاش في أيام هارون الرشيد لا سرجويه البصري اليهودي الذي عاش في الدولة الأموية . ولعيسى :

(1) كتاب الألوان .

(2) كتاب الروائح والطعوم .

ابن النديم ص 297 ، ابن أبي أصيبعة ص 280

Sezgin, 3/242

عيسى بن يحيى بن إبراهيم

من تلاميذ حنين بن إسحاق ومساعديه في بيت الحكمة ، وله أعمال كثيرة في الترجمة ، منها .

(1) ترجمة كتاب في تدبير الأمراض الحادة لأبقراط (أيا صوفيا) .

(2) ترجمة كتاب العروق الضوارب هل يجري فيها الدم أم لا ؟ لجالينوس (أيا صوفيا) .

(3) ترجمة كتاب في اختلاف الأعضاء المتشابهات الأجزاء لجالينوس (أيا صوفيا) .

(4) ترجمة كتاب الحشائش لديوسقريدس .

(5) مقالة في العين .

(6) مقالة في الأذن .

القفطي ص 247 ، ابن أبي أصيبعة ص 279

Sezgin, 3/257

عيسى النصراني بن يوسف العطار

نسطوري من الموصل ، خدم الخليفة المعاصر وله كناش في الأدوية .

ابن أبي أصيبعة 1/235

عيسى بن يحيى أبو سهل المسيحي = أبو سهل المسيحي

الغافقي

محمد بن قسّوم بن أسلم الغافقي الأندلسي . من غافق بالأندلس وينسب إليها توفي في أيام الموحدين سنة 560 هـ/ 1164 م ، وله المرشد

في طب العين (الأسكوريال ، دار الكتب المصرية) .

Leclerc, 2/81 – 82

الغافقي

أبو جعفر سري الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن خليد الغافقي . من سادات الأندلس في القرن السادس الهجري (أيام الموحدين) درس علم الأدوية على كتب ديوسقريدس وجالينوس وصار من البارزين فيه بتلك الحقبة . أخذ عنه ابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الأدوية ، توفي سنة 560 هـ/ 1164 م وله :

(1) كتاب جامع المفردات في الأدوية . اختصره من بعده ابن العبري (684 هـ/ 1285 م) بكتاب منتخب جامع المفردات الذي نشره ماكس مايرهوف وجورجي صبحي بخسمة أجزاء بالقاهرة سنة 1938 . ومخطوطته بدار الكتب المصرية (تيمورية) وغوته .

(2) كفاية الأريب في مشاورة الطبيب (الخزانة العامة في الرباط) .

ابن أبي أصيبعة ص 500 ـ 501 ، حاجي خليفة ص 1496

غريغوريوس بن العبري = ابن العبري

الغساني ، الملك المظفر

يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني . ثالث ملوك الدولة الرسولية في اليمن وكان مولده بمكة ووفاته بقلعة تعز سنة 694 هـ/ 1295 م ، وله :

(1) المعتمد في الأدوية المفردة (دار الكتب المصرية) وقد طبع الكتاب في مصر سنة 1950 وفي بيروت سنة 1975 .

(2) اللمعة الكافية في الأدوية الشافية .

حاجي خليفة ص 1732 ، الزركلي 321/1 ، رضا كحالة 320/13 ، البغدادي ـ هدية العارفين 556/2 ، فهرس الخديوية 41/6 .

الغساني الوزير

هو القاسم بن محمد بن إبراهيم الغساني ويعرف بالوزير . كانت ولادته باليمن سنة 960 هـ/ 1552 م ، ثم ارتحل إلى المغرب في أيام السعديين ، وله :

(1) كتاب ريحانة الحبوب في العقاقير والعشوب (كتبخانة - جامعة طهران) .
(2) حديقة الأزهار في شرح ماهية العشب والعقار (الزاوية الحمزاوية بالرباط والمكتبة الوطنية أيضاً ، الرباط ، باريس) .

رضا كحالة 8/113 .

Brockelmann, S. 2/714

فتح الدين القيسي

أبو العباس أحمد بن جمال الدين بن أبي الحرافر . من أطبا القاهرة في القرن السابع الهجري . وهو ابن القاضي جمال الدين طبيب الملك الكامل الأيوبي (637 هـ/ 1238 م) وتوفي سنة 657 هـ/ 1259 . اشتهر بالطب وصار رئيساً لأطباء مصر . توفي بعد 647 هـ/ 1249 م . له كتاب بطب العيون باسم : نتيجة الفكر في أمراض البصر ، ورسالة في تشريح العين (نور عقافية)

الإعلام 1/ 167 حاجي خليفة ص 1926 ، رضا كحالة 1/ 211

Brockelmann, S. 1/ 897

فخر الدين بن رضوان علي بن رستم الساعاتي = ابن الساعاتي

فخر الدين أبو عبد الله الرازي (الفخر الرازي) = ابن خطيب الري

فخر الدين الخجندي = الخجندي

فخر الدين المارديني

أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن الأنصاري المقدسي

المارديني ، أجداده من القدس ، وكان أبوه قاضياً فيها واستوطن ماردين فولد فيها فخر الدين . ثم انتقلت العائلة إلى بغداد حيث درس فخر الدين الطب على أمين الدولة ابن التلميذ . ثم انتقل إلى حيني في شمال ما بين النهرين ومنها سافر إلى دمشق وفيها درس عليه مهذب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار . توفي الماريني سنة 594 هـ/ 1197 م ، وله شرح قصيدة (هبطت اليك من المحل الأرفع) المنسوبة إلى ابن سينا .
ابن أبي أصيبعة ص 402 ـ 403 ، القفطي ص 290

القشتالي (القشتالي ؟)

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك القشتالي . أحد البلغاء الكبار في زمانه بالمغرب . تولى القضاء في فاس وتوفي سنة 777 هـ/ 1375 م ، وله كتاب القول الثابت في الطب (الرباط) .
العسقلاني ـ الدرر الكامنة 3/ 327 ، الزركلي 6/ 225
ويكتب الإسم بالفاء وقليلاً ما بالقاف .

الفضل بن جرير التكريتي

من نصارى بغداد واصله من تكريت(*) واليها ينسب . وكان كثير المتابعة للعلوم . سافر إلى ديار بكر ودخل بخدمة نصير الدولة ابن مروان الدوستكي (402 ـ 453 هـ/ 1101 ـ 1060 م) . وله أخ طبيب أيضاً أكبر عمراً أسمه أبو نصر يحيى بن جرير التكريتي ، توفي الفضل في حوالي سنة 472 هـ/ 1079 م ، وله مقالة في أسماء الأمراض واشتقاقاتها .
ابن أبي أصيبعة ص 328

فيلغريوس = (1)

(*) تكريت ـ بلدة قديمة على نهر دجلة بين سامراء والموصل . يرجع تاريخ تأسيسها إلى العهود الساسانية (القرن الثاني ق. م) افتتحها سعد بن أبي وقاص سنة 16 هـ/ 637 م ، وفيها ولد صلاح الدين الأيوبي سنة 532 هـ/ 1137 م وكان أبوه يومئذ والياً عليها من قبل السلجوقيين .

القاسم بن علي الحريري

هو صاحب كتاب المقامات المشهورة بإسمه . توفي سنة 516 هـ/ 1122 م بالبصرة وله أرجوزة في الطب (دار الكتب المصرية ـ التيمورية) .

ابن تغري بردي ـ النجوم 5/ 225 ، البغدادي ـ هدية العارفين 1/ 827 ـ 828 ، رضا كحالة 8/ 108 ، الزركلي 6/ 12 .

القاسم بن محمد بن إبراهيم الغساني = الغساني الوزير .

القربلياني

أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله القربلياني الأندلسي . عشاب وطبيب وجراح ، من قربليان القريبة من أريولة بالأندلس . سكن مراكش زمناً ثم انتقل إلى غرناطة وتوفي بها سنة 761 هـ/ 1360 م ، وله :

(1) كتاب النبات .

(2) كتاب الإستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام (الرباط) .

العسقلاني ـ الدرر 4/ 70 ، رضا كحالة 11/ 23

Brockelmann, 2/ 366. Ullmann, P. 177

القشتالي = القشتالي ؟

قطب الدين الشيرازي

محمد بن مسعود بن مصلح الشيرازي . من مواليد شيراز وفيها قرأ الطب على أبيه الطبيب ، ثم قرأ على نصير الدين الطوسي . ودخل بلاد الروم وكان يجيد لعبة الشطرنج ويضرب بالرباب . توفي سنة 710 هـ/ 1211 م ، وولي فيها قضاء مالطية وسيواس ، ودخل بغداد ودمشق واستقر بتبريز . وله :

(1) شرح كليات القانون لابن سينا (الجامع الكبير بصنعاء ومكتبة الأوقاف ببغداد ودار الكتب المصرية) ويعرف أيضاً باسم التحفة السعيدية .

(2) رسالة في بيان الحاجة إلى الطب وآداب الأطباء ووصاياهم (دار الكتب المصرية) .

(3) رسالة في البرص .

(4) رسالة في شرح حميات ابن سينا (المتحف العراقي) .

السبكي - طبقات الشافعية 6/ 248 ، طاش كبرى زاده - مفتاح السعادة 1/ 464 ، السيوطي - بغية الوعاة 4/ 389 ، الزركلي 8/ 66 ، كشف الظنون ص 392 ، رضا كحالة 12/ 20 - 21و

Brockelmamm, 2/ 274, S. 2/ 296
Leclerc, 2/ 128, Ullmann, P. 178

القطب المصري

قطب الدين إبراهيم بن علي بن محمد السلمي . أصله من المغرب واستوطن مصر ، ومنها سافر إلى بلاد العجم واشتغل على فخر الدين بن خطيب لري ، وقتل في نيسابور سنة 168 هـ/ 1221 م مع من قتلهم التترحين اجتاحوا تلك الديار ، وله كتاب شرح كليات ابن سينا .

ابن أبي أصيبعة ص 471 ، البغدادي - إيضاخ المكنون 2/ 732 ، السيوطي - حسن المحاضرة 1/ 312 ، السبكي - طبقات الشافعية 5/ 48 ، الصفدي - الوافي 5/ 59 - 60 ، ابن الفوطى - فلخص مجمع الآداب ق 217/ - 218/ 1 ، رضا كحالة 1/ 67 ،

Brockellmann, S. 1/824, 2/ 3– 4

القفطي جمال الدين

القلانسي السمرقندي = بدر الدين بن محمد بن بهرام بن محمد القلانسي .

القمري = الحسن بن نوح القمري .

القوصوني ، مدين

مدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري . توفي في سنة 1044 هـ/ 1634 م ، وله من المؤلفات :

(1) كتاب القول الأنيس والدر النفيس على منظومة الشيخ الرئيس (مكتبة حسن حسني عبد الوهاب) .

(2) قاموس الأطباء وناموس الألباء في المفردات (دار الكتب المصريـة) .
وقد نشره حسني سبح سنة 1965 .

معهد المخطوطات العربية ـ الفهرست ص 183 ، مجمع اللغة العربية بدمشق 1979 ،

Ullmann, P. 180, 287, Brockimann, 2/ 247

الكازروني

هو سديد الدين محمد بن مسعود الكازروني . من أطباء القـرن الثامن الهجري . ويذكر أنه كان حياً سنة 745 هـ/ 1344 م ، وله :

(1) كتاب شرح الكليات (من قانون ابن سينا) .
(2) شرح الموجز لابن النفيس أو الغني في شرح الموجز لقانون الطب .
(3) شرح الأدوية المفردة من كتاب القانون (دار الكتب المصرية) .
ويسمى أيضاً كتاب السديدي (المتحف العراقي) .

ويقول المؤلف في مقدمة هذا الكتـاب أنه وضعـه بعد أن درس كتب أبقـراط وجالينـوس وتعليقات حنين عليهـا ، ومؤلفات الـرازي ، وابن قرة ، والمجوسي ، وشرح ابن النفيس لقـانون ابن سينـا ، ومختارات ابن هبـل ، ومفردات الأدوية لابن البيطار . والكتاب على أربعة فنون بحسب ما ورد في موجز القـانون لابن النفيس (مـدرسة يحيى الجليلي بـالموصـل ، كلية طب بغـداد ، مجلس شوراي بـطهران) . طبـع الكتاب بكلكتـا سنة 1244 هـ/ 1828 م بـاعتنـاء عبـد الـرحيم بخش ، كمـا طبـع في لكنـو سنـة 1890 م و1895 م ، 1307 هـ و1894 م .

حـاجي خليفـة ص 1313 ، 1900 ، البغـدادي ـ إيضـاح المكنون 2/ 46 ، الزركلي 4/ 207 ، البيـرزكي إسكندر ـ مقدمة فهرس مكتبة ويلكم ص 54 .

Leclerc, 2/ 264

الكرماني = نفيس بن عوض الكرماني

الكفر طابي = علي بن إبراهيم البختيشوعي الكفر طابي

كمال الدين الحمصي

أبـو منصـور بن علي بن نـاصـر القـرشي الحمصـي . درس علي رضي الـدين الرحبي واشتغـل بالبيمـارستان النـوري بـدمشق . وتـوفي سنـة 613 هـ/ 1215 م ، وله :

(1) مقالة في الباه .

(2) شرح بعض كتاب العلل والأعراض لجالينوس .

(3) إختصار كتاب الحاوي للرازي (غير كامل) .

(4) الرسالة الكاملة في الأدوية المسهلة .

(5) مقالة في الإستسقاء .

(6) تعاليق على كليات ابن سينا في القانون .

(7) تعاليق في البول .

(8) إختصار كتاب المسائل لحنين بن إسحاق .

(9) تعاليق في الطب .

ابن أبي أصيبعـة ص 682 ـ 683 ، الصفدي ـ الـوافي 24/ 197 ـ 198 ، حـاجي خليفة ـ كشف الـظنـون ص 1783 ، الزركلي 8/ 164 ـ 165 .

Leclerc, 2/ 176– 178

كمال الدين الدميري = الدميري .

كمال الدين بن موسى بن منعة

أبو عمران بن يونس بن محمد بن منعة . درس في المدرسـة النظاميـة ببغـداد وعاش في المـوصل . وكـان عالمـاً باللغـة والفلسفة بـالإضافـة إلى الـطب ، وله مـع بـدر الـدين لؤلؤ (ت 657 هـ/1250 م) أميـر المـوصـل صحبة ، توفي سنة 639 هـ/ 1008 م ، وله كتاب مفردات الفاظ القانون .

ابن أبي أصيبعة ص 410 ـ 412 ،

Lecler, 2/ 144– 145.

الكندي = (1) 476 ـ 481 .

الكوهين العطار .

داود بن نصر بن حفاظ الخاروني الإسرائيلي - صيدلي وعميد الصيادلة في القاهرة في أيام الأيوبيين . توفي سنة 658 هـ/ 1259 م . وله كتاب عملي جيد في الصيدلي بإسم : منهاج الدكان ودستور الأعيان وهو دستور الصيادلة يومئذ واستمر كذلك قروناً بعد ذلك (المتحف العراقي)

يضم كتاب المنهاج خمسة وعشرين فصلاً تبحث في آداب الصيدلة وواجبات الصيدلي في تحضير الأدوية ، وتركيب المحاليل والمساحيق والمراهم ، والقطرات واللبائخ والتحاميل وفي أوزان الأدوية وكاييلها (دار الكتب المصرية - تيمور ، المتحف العراقي ، أمبروزيانا) والكتاب مطبوع بالقاهرة .

حاجي خليفة - الكشف ص 18871 ، خير الله - الطب العربي ص 188 ، رضا كحالة 4/ 143 .

Leclerc, 2/ 215– 218
Brockelmann, 1/ 492, S. 1/ 897.

لسان الدين بن الخطيب

أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد الغرناطي . أديب وكاتب وشاعر ومؤرخ ومشارك في الطب . ولي الوزارة لبني الأحمر وعرف بذي الوزارتين الأدب والسياسة وأخيراً اتهم بالزندقة واغتيل وهو بالسجن بفاس سنة 776 هـ/ 1374 م ، أشهر كتبه الإحاطة بأخبار غرناطة ، وله في الطب :

(1) الأصول في حفظ الصحة في الفصول (الحمزاوية بالرباط) .
(2) اليوسفي في الطب .
(3) عمل من طب لمن حب (جامع القرويين بفاس) .
(4) مقنعة السائل - ويبحث في الأوبئة والطاعون والوقاية منها .

ابن حجر - الدور الكامنة 3/469 - 474 ، المقري - نفح الطيب 4/240 ، ابن العماد - الشذرات 6/144 - 247 ،

البغـدادي ـ هديـة العارفين 2/167 ـ 168 ، دائـرة المعارف الإسلامية 1/150 ، جـرجي زيدان ـ آداب اللغـة 3/216 ، الـزركلي 7/112 ـ 114 ، رضا كحـالة 10/216 ـ 217 ، محمـد كرد علي ـ كنـوز الأجـداد ص 343 ـ 349 ، عبـدالله عنـان ـ مجلة الكـاتب 7/394 ، 401 ، بنعبـدالله ـ كتـاب أبحاث مؤتمر الطب الإسلامي ـ الكويت 1980 ص

Brockelmann, 2/260 – 263, S. 2/372 – 373

ماسرجويه البصري

ماسرجويه ، أبو عيسى

سرياني بغدادي عاش أيام هارون الرشيد ، وهو غير ماسرجويه البصري الـذي كـان يهـودياً وعـاش في أيـام المـروانيين والأمـويين . ولأبي عيسى ماسرجويه :

(1) رسالة في إبدال الأدوية وما يقوم مقام غيرها (أيا صوفيا) .
(2) كتاب في الشراب (نحاس بحلب) .
(3) كتاب في الغذاء (نحاس بحلب) .
(4) كتاب في العين (نحاس بحلب) .

وقد أخذ الرازي من كتب ماسرجويه كثيراً إلى كتـابه الحـاوي ، وكان يشير إليه باسمه صراحة ويشير إلى ماسرجويه البصري ، باليهودي .

القفطي ص 324 ، ابن أبي أصيبعة ص 233 ـ 234

Ullmann – Mediz. Islam, p. 23

Sezgin, 3/224 – 225

الـدوميلي ـ العلوم عن العرب ص 240 ، فيصـل دبـدوب ـ مجلة مجمع اللغة السريانية .

Sarton – Introd. Hist. of Science 1/728. Campbell Arab. Medicine 1/76 – 78.

ماسويه المارديني

ويسميه الأوروبيون ماسويه الأصغر . ولد في ماردين وتعلم الطب في

بغداد وفيها توفي سنة 406 هـ/ 1015 م .

ماسويه الماريني

ويسميه الأوروبيون ماسويه الأصغر . ولد في ماردين وتعلم الطب في بغداد ودخل مصر وفيها توفي سنة 406 هـ/ 1015 م . وله :

(1) كتاب الأقرباذين بإثني عشر فصلاً . وقد ترجم إلى اللاتينية عدة مرات ثم إلى اللغة الإيطالية في القرن الخامس عشر ثم في القرن الخامس عشر .

(2) كتاب في الجراحة ، وقد وجدت صيغته اللاتينية باسم (سلم) وقد يكون هذا سليم لحرجو المترجم الصقلي المشهور .
وليس لماسويه الماريني ذكر في التراثيات العربية ولا مخطوطات لمؤلفاته .

أمين خير الله ـ الطب العربي ص 129
Campbell 1/76.

مبارك بن سلامة بن رحمون

من أطباء مصر في عهد الفاطميين بالقرن السادس الهجري / العاشر الميلادي وهو ابن سلامة بن رحمون طبيب الفاطميين بعد 570 هـ/ 1774 م . وله مقالة في الجمرة المسماة بالشقفة والخزقة ، مختصرة .
ابن أبي أصيبعة ص 570

الماريني = فخر الدين بن عبد السلام الماريني
الماريني ، ماسويه
المبشر بن فاتك
محمد بن إبراهيم السنجاري = ابن الأكفاني
محمد بن أحمد التميمي = التميمي
محمد بن أحمد البيوني = البيوني

محمد بن أحمد بن علي الحموي

من أطباء القرن السابع الهجري ، وله كتاب البيان في كشف أسرار الطب للعيان (الأحقاف) .

محمد الأملي

عز الدين محمد بن مسعود الأملي . توفي سنة 753 هـ/ 1352 م ، وله كتاب في شرح الفصول الإيلاقية لمحمد بن يوسف الإيلاقي .

حاجي خليفة ص 1313 ، البغدادي ـ هدية العارفين 2/159

Brockelmann, 1/597, S. 1/824

محمد بن بهرام بن محمد القلانسي السمرقندي = بدر الدين السمرقندي

محمد بن تقي الدين الدنيسري = عماد الدين الدنيسري

محمد بن تلميخ = ابن تلميخ

محمد بن خليل الرقي = الرقي

محمد الشقوري

كنيته أبو عبدالله . من أطباء المغرب . توفي سنة 794 هـ/ 1348 م ، وله مقالة في الطب أو مجرّبات الشقوري ومخطوطته بالرباط .

رضا كحالة 10/71

محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني = أبو سليمان السجستاني

محمد بن عبد السلام المارديني = فخر الدين المارديني

محمد بن عبدالله بن منظور القيسي

كنيته أبو بكر . أديب وفقيه وأصله من إشبيلية ، ونشأ في ملقة وصار قاضيها وتوفي فيها بالطاعون سنة 750 هـ/ 1349 م ، وله كتاب وصية الناصح الأؤد من المرض الوافد إذا وفد .

لسان الدين بن الخطيب ـ أخبار غرناطة 2/121 ـ 122 ، رضا كحالة 10/250 الزركلي 7/141 ، هدية العارفين 2/156 .

محمد بن علي بن فرج الفهري

ويلقب بالشفرة . من أطباء المغرب في القرن السادس ـ السابع الهجري . له كتاب الإستقصاء والإبرام في علاجات الجراحة والأورام بثلاث مقالات (الأسكوريال ، خزانة القرويين) .

بنعبدالله ـ الطب والأطباء في المغرب ص 96

محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل = ابن طفيل

محمد بن علي بن عبد الكافي بن صغير = ابن صغير القاهري

محمد بن قسوّم بن أسلم الغافقي = الغافقي

محمد بن محمد الحسن

كنيته أبو عبدالله ويلقب بالشريف وبالعالي بالله . له خبرة بقوى الأدوية المركبة المستعملة في بيمارستانات دمشق وبغداد والقاهرة . توفي أواخر القرن السادس الهجري ، وله :

(1) كتاب في الأدوية المفردة .

(2) تعاليق على كتاب العلل والأعراض لجالينوس .

ابن أبي أصيبعة ص 501

محمد (أبو الخطاب) بن محمد بن أبي طالب

تلميذ سعيد بن هبة الله المتوفي سنة 495 هـ/ 1101 م ، وله كتاب الشامل في الطب بثلاث وستين مقالة جعلها على طريق المسألة والجواب ، في العلم والعمل .

ابن أبي أصيبعة ص 344

محمد بن علي بن عبد الكافي بن صغير = ابن صغير القاهري

محمد المهدي الصبيري

هو ابن إبراهيم اليمني الهندي . طبيب وعالم بالقراآت وينظم الشعر .

توفي كهلاً بالمهجن في اليمن سنة 815 هـ/ 1412 م ، وله كتاب الرحمة في الطب والحكمة .

الزركلي 8/258 . .

Brockelmann, S. 2/252

محمد الهروي

هو ابن يوسف اللبيب الهروي ، لغوي وطبيب . توفي حوالي سنة 924 هـ/ 1518 م ، وله من المؤلفات :

(1) جواهر اللغة في المصطلحات الطبية (ويلكم بلندن . وهذه المخطوطة بقلم المؤلف نفسه ، المتحف العراقي) .

(2) بحر الجواهر (ويلكم بلندن ، مكتبة الأوقاف ببغداد ، المتحف العراقي) وهو معجم في أسماء الأدوية والأغذية والإصطلاحات الطبية مرتبة على حروف الهجاء . . كما ضمنه تراجم بعض مشاهير الأطباء الذي أخذ عنهم في هذا الكتاب . وقد طبع حكمت عبد المجيد الكتاب بكلكتا سنة 1830 م ، وبترجمة بالاردو سنة 1878 م .

مكتبة المجلس النيابي بطهران رجم 18 ، مقال ألبير اسكندر (جواهر اللغة وبحر الجواهر كتابان مختلفان) ، مجلة المشرق 1963/ 57 - ص 331 - 334 ، حاجي خليفة ص 164 الذريعة 3/33 ، الزركلي 9/1688 .

Leclerc, 2/335
Brockelmann, S. 2/592
A Catalogue of Arabic Manscripts – Wellcome Library
1967 p. 68 – 69.

محمد بن يحيى ، أبو بكر = ابن باجة

محمد بن يوسف الإيلاقي = الإيلاقي

محمد بن يوسف المقبلي = المقبلي

محمود بن عمر بن إبراهيم الشيباني = ابن رفيقة

محمود الجغميني

هو شرف الدين محمود بن محمد بن عمر الخوارزمي . من أهل جغمين بخوارزم . فلكي وملم بالطب . توفي حوالي سنة 618 هـ/ 1221 م ، وله كتاب قانونجة (المتحف العراقي ، ويلكم بلندن ، غوته ، الأوقاف ببغداد ، أيا صوفيا) ، أخذه عن الطب القديم ، وقانون ابن سينا وغيرهما . والكتاب عشر مقالات تبحث في مبادىء الطب ، وعلم التشريح ، والصحة والمرض ، والنبض والبول ، والأطعمة لتدبير البدن ، وأمراض الرأس والصدر والبطن والحميات . وقد انتشر هذا الكتاب بين الأطباء وعلّق عليه الكثيرون . وطبع على الحجر في لكنو بالهند سنة 1905 م .

حاجي خليفة ص 1819 ، رضا كحالة ـ معجم المؤلفين 198 ، الزركلي 88/59 ـ 60 . .

Brockelmann, S. 1/865

محمود بن مسعود الشيرازي = قطب الدين الشيرازي

مدين بن عبد الرحمن القوصوني = القوصوني ، مدين

مروان بن جناح

كنيته أبو الوليد . من يهود قرطبة في أيام الخليفة الناصر (300 ـ 350 هـ/ 912 ـ 961 م) وتولع بدراسة الأدوية المفردة ومعرفة جرعاتها حجماً ووزناً ، وله فيها :

(1) كتاب التلخيص في ترجمة الأدوية المفردة ، ومقاديرها وحجومها في الإستعمال .

(2) كتاب تحديد المقادير المستعملة في صناعة الطب من الموازين والأكيال ، وهو دستور في الأدوية .

ابن أبي أصيبعة ص 498 و Leclerc, 1/554 – 555

مسيح ابن الحكم الدمشقي = (1) 299 ـ 300

المغربي ، محمد

هو عبد الوحيد محمد المغربي ، ولي الطبابة في البيمارستان النوري بدمشق وتوفي بها سنة 944 هـ . وله : كتاب تحفة المحب في الطب ، وكتاب عقد الحبان فيما يلزم من ولي البيمارستان .

حاجي خليفة 115 ، البغدادي ـ الإيضاح 1/257 ، رضا كحالة 6/212

المقبلي

أبو نصر محمد بن يوسف المقبلي . مارس الطب في بغداد في القرن الخامس الهجري ، وله :

(1) مقالة في الشراب .
(2) تلخيص كتاب المسائل لحنين .

ابن أبي أصيبعة ص 341

منصور بن موسى = زاهد العلماء

موسى بن إبراهيم الكوفي

عاش في الكوفة وتوفي سنة 876 هـ/ 1471 م ، وله كتاب الجوهر النفيس بشرح منظومة الرئيس .

رضا كحالة 13/34

موسى بن ميمون القرطبي

موسى بن يوسف بن سيار

كنيته أبو ماهر . عاش في بلاد فارس ، وله فيها منزلة محترمة في الطب . من تلاميذه علي بن العباس المجوسي المتوفي حوالي سنة 384 هـ/ 994 م ، وأحمد بن محمد الطبري طبيب ركن الدولة البويهي المتوفي حوالي سنة 366 هـ/ 976 م ، وله :

(1) مقالة في الفصد .

(2) الزيادة التي زادها على كتاب الخف لإسحاق بن حنين .

(3) تعاليق في كتاب يوحنا (ابن سرابيون ؟) .

ابن أبي أصيبعة ص 319 ، القفطي ص 317 ، البيهقي - حكماء الإسلام ص 33 - 34 ، الشهرزوري - نزهة الأرواح 2/90 - 91 ، البغدادي - إيضاح المكنون 1/485 ، البغدادي - هدية العارفين 2/478 ، رضا كحالة - معجم المؤلفين 13/50 وفيه يجعل المؤلف وفاته في سنة 350 هـ .

موسى بن العازار الإسرائيلي = (1) 639

موسى بن منعة = كمال الدين موسى بن منعة

موفق بن علي الهروي

كنيته أبو منصور . من هراة في أيام منصور الأول بن نوح المتوفي سنة 366 هـ/ 976 م . له كتاب الأبنية في حقائق الأدوية ، وفيه يشرح صفات وطبيعة خمسماية وخمسة وثمانين دواء مع ذكر مصادرها الأولى . ولهذا الكتاب ترجمة إلى اللاتينية وأخرى بالألمانية باسم أسس الصيدلة لأبي منصور موفق بن علي الهروي .

الدوميلي - العلوم عند العرب ص 239

موفق الدين أبو الخير بن أبي سعيد ابن حليقة = ص

موفق الدين أسعد بن المطران

موفق الدين يعقوب السامري

موهوب بن ظاهر السكري

أبو الفضل موهوب بن ظافر بن جابر بن منصور السكري . ولد ونشأ بحلب وأقام بها . توفي في حوالي منتصف القرن السادس الهجري . وله ولد هو جابر بن موهوب وكان طبيباً أيضاً . ولموهوب كتاب إختصار مسائل حنين .

ابن أبي أصيبعة ص 614

مهذب الدين علي بن أحمد بن هبل

مهذب الدين بن النقاش

مهذب الدين أبو سعيد محمد أبي حليقة

من مواليد القاهرة سنة 620 هـ ، وسمي محمداً لما أسلم في أيام ركن الدولة بن بيبرس الصالحي . المتوفي سنة 676 هـ/ 1277 م . وقد تعلم الطب على أبيه وخدم به الملك بيبرس ، وله فيه كتاب في الطب .

ابن أبي أصيبعة ص 599

المهندس

أبو الفضل محمد بن عبد الكريم الحارثي ، ويعرف بالمهندس ، ولد ونشأ بدمشق . ومارس الطب في البيمارستان النوري بها . وتوفي بحدود سنة 590 هـ/ 1193 م ، وله كتاب في الأدوية المفردة وضعه على الحروف الهجائية .

ابن أبي أصيبعة ص 669 ـ 671 ، الصفدي ـ الوافي 3/280 ـ 281 ، البغدادي ـ هدية العارفين 2/105 ، الزركلي ـ الاعلام 7/84 . حاجي خليفة ص 51 ، رضا كحالة 10/189 .

موسى الرضا

هو ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق المتوفي سنة 203 هـ/ 818 م وله : كتاب الرسالة الذهبية .

نجم الدين اللبودي

ابن عبدان بن عبد الواحد اللبودي ، ويلقب بالصاحب ويكنى بأبي زكريا ، ولد بحلب ودرس الطب بدمشق على أبيه شمس الدين بن اللبودي وعلى الدخوار ، وعمل معهما حتى أتقن الصنعة ، والتحق بالملك المنصور إبراهيم الأيوبي صاحب حلب المتوفي سنة 643 هـ/ 1245 م ووزر له .

وخدم من بعده نجم الدين أيوب (647 هـ/ 1249 م) في مصر . ثم عاد إلى الشام في خدمة الأيوبيين أيضاً . وكان جليساً لا يمل . يتكلم في الأدب والفقه والفلك والحساب ويردد الشعر كما يتكلم في الطب بفهم وسيطرة ، وله :

(1) مختصر الكليات من قانون ابن سينا .
(2) مختصر كتاب المسائل لحنين بن إسحاق .
(3) كتاب الرأي السخيف من كلام الموفق عبد اللطيف ـ وقيل أنه وضع هذا الكتاب وهو بعمر الثالثة عشرة .
(4) تدقيق المباحث الطبية في تحقيق المسائل الخلافية .

ابن أبي أصيبعة ص 667 ـ 6688 ، حاجي خليفة ص 209 ، 382 ، 873 ، 885 ، 893 ، 969 ، 1186 ، 1563 ، 1846 ، البغدادي ـ هدية العارفين 2/524 ، الزركلي 9/209 ـ 210 رضا كحالة 13/211 ، طوقان ـ تراث العرب العلمي ص 354 .

Leclerc, 2/160 – 161

نجم الدين محمود الشيرازي

هو ابن الشيخ صائن الدين الشيرازي .

ولد ونشأ وعاش بشيراز وتوفي بها سنة 730 هـ/ 1329 م وله :

(1) كتاب الحاوي في علم التداوي (دار الكتب المصرية ، مكتبة الأوقاف ببغداد) .
(2) شرح الفصول لأبقراط .
(3) علل الأعضاء الظاهرة .
(4) في الأدوية المفردة والمركبة .
(5) الأغذية والأشربة .
(6) أسرار النكاح .

(7) كتاب التشريح .

حاجي خليفة ص 628 ، رضا كحالة ـ معجم المؤلفين 12/153 ، صلاح الدين المنجد ـ مجلة معهد المخطوطات 5/311 ، داود الجلبي ـ مخطوطات الموصل ص 107 ـ 236 .

Brockelmann, S. 2/298 – 299

نجم الدين بن المنفاخ

أبو العباس أحمد بن أبي الفضل أسعد بن حلوان(*) موفق الدين بن المنفاخ . ويعرف أيضاً بابن العالمة لأن أمه كانت تعتبر عالمة دمشق . وتعرف فيها باسم دهين اللوز . ولد نجم الدين بدمشق وتعلم الطب على أبيه موفق الدين بن المنفاخ وعلى الدخوار ، وتولع بالشعر وترديده ، والضرب على أوتار العود . وزّر للملك المسعود صاحب آمد ، وتوفي بدمشق سنة 652 هـ/ 1254 م وقيل قتل بالسم بحمص ، وله :

(1) كتاب التدقيق في الجمع والتفريق . ذكر فيه صنوف الأمراض وما تتشابه فيه من الأعراض والتفريق فيما بينها .

(2) كتاب هتك الأستار في تمويه الدخوار ـ وهو تعاليق على ما قاله الدخوار في الطب .

(3) شرح الكلم النبوية في الحكم الطبية (الزاوية الحمزاوية بالرباط) .

(4) كتاب المهملات في كتاب الكليات .

(5) كتاب المدخل إلى الطب .

(6) كتاب العلل والأعراض .

(7) كتاب الإرشادات المرشدة في الأدوية المفردة .

(*) أسعد بن حلوان ـ هو موفق الدين بن المنفاخ . من موالدي المزة بضواحي دمشق . مهر بممارسة الطب وخدم به الملك الأشرف موسى بن أبي بكر أيوب ، وتوفي بحماة سنة 642 هـ/ 1244 م (ابن أبي أصيبعة ص 757) .

(8) الأقرباذين على ترتيب العلل التي ذكرت في كتابه العلل والأعراض .
ابن أبي أصيبعة ص 757 ـ 758 ، الصفدي ـ الوافي 23/5 ، 124 ، حاجي خليفة ص 96 ، 382 ، 2038 ، 1296 ، 1440 ، 1497 ، 1643 ، 3028 ، البغدادي ـ إيضاح المكنون 372/2 ـ 603 ، رضا كحالة 162/1 .

Leclerc, 2/202 – 203

نجيب الدين السمرقندي

أبو حامد محمد بن علي ، استوطن هراة بخراسان ، وعاصر فخر الدين بن خطيب الري . قتله التترحين اجتاحوا تلك الديار سنة 619 هـ/ 1222 م ، وله :

(1) الأسباب والعلامات ـ وهو تجميع من قانون ابن سينا والملكي للمجوسي والمعالجات البقراطية لأحمد بن محمد الطبري (المتحف العراقي ، دار الكتب المصرية) .
(2) كتاب الأقرباذين الكبير ـ وهو بدار الكتب المصرية باسم أصول تركيب الأدوية .
(3) تركيب الأدوية القلبية (يحيى باشا الجليلي ، المتحف العراقي) .
(4) كتاب تشريح العين (يحيى باشا الجليلي بالموصل) .
(5) كتاب أغذية المرضى (الأوقاف العامة ببغداد ، دار الكتب المصرية ، المتحف العراقي) .
(6) إبدال الأدوية (دار الكتب المصرية) .
(7) كتاب النجيبيات ـ وهو بستة أقسام تبحث في أسباب الأمراض وعلاماتها ، والأدوية المفردة ، والأغذية والأشربة ، والأدوية المسهلة (عارف حكمت) وأصول تركيب الأدوية (أيا صوفيا ، المتحف العراقي ، مجلس شوراي) والأقرباذين على ترتيب العلل (المتحف العراقي ، جامعة الرياض) . وقد ترجم الكتاب إلى الإنكليزية ونشر مع

النص العربي بفلادلفيا سنة 1967 .

(8) الإبدال من المعاجين والأقراص (الرباط) .
(9) الأدوية المفردة وذكر خواصها (حسن عبد الوهاب) .
(10) رسالة في مداواة وجع المفاصل .
(11) الأقرباذين الصغير .

ابن أبي أصيبعة ص 472 ، الصفدي - الوافي 2/1884 ، حاجي خليفة ص 77 ، البغدادي - هدية العارفين 2/110 ، الزركلي 7/169 ، رضا كحالة 11/33 ، المنجد - مجلة معهد المخطوطات 5/304 ،

Brockelmann, 1/490 – 491
Leclerc, 2/127.
Levey and Alkaledy – the Medical Formulary of Samarqandi, p. 15 – 18.

الندرومي = محمد بن سحنون الندرومي

نسطاس بن جريح

من أصل رومي . خدم الأخشيد بن طغج (323 - 335 هـ/ 934 - 946 م) بمصر . . من أحفاده إسحاق بن إبراهيم بن نسطاس طبيب الحاكم بأمر الله الفاطمي (286 - 411 هـ/ 996 - 1021 م) ولنسطاس من المؤلفات :

(1) كناش (قندلفت بالقاهرة) .
(2) رسالة في البول بعث بها إلى خالد بن رومان النصراني الأندلسي وفيها استدلالات على أحوال الشخص وأمزجته من فحوص بوله .

ابن جلجل - الطبقات ص 82 ، ابن صاعد - طبقات الأمم ص 37 ، القفطي ص 237 ، ابن أبي أصيبعة ص 544 .

Leclerc, 1/402. Sezgin, 3/303

نصر بن محمد بن المعرف = بلمظفر بن المعرف

نفيس بن عوض الكرماني

ولقبه برهان الدين ، توفي بعد سنة 841 هـ/ 1449 م ، وله :

(1) شرح الأسباب والعلامات لنجيب الدين السمرقندي (كلية طب بغداد ، الأوقاف ببغداد ، المتحف العراقي ، المحمودية بالمدينة المنورة) وقد طبع هذا الكتاب في لكنو بالهند سنة 1328 هـ .

(2) شرح موجز ابن النفيس (ويلكم بلندن والأوقاف ببغداد) وضعه لأولغ بك بسمرقند . وطبع لكنو سنة 1328 هـ . كما له نسخة باسم كتاب الشرح الموجز للموجز (أي موجز ابن النفيس) .

(3) كتاب في الطب (دار الكتب المصرية) .

(4) التذكرة في الصيدلة والعقاقير الطبية .

حاجي خليفة ص 1899 و 1900 ، الاعلام 9/16

Leclerc, S. 2/299
Brockelmann, 2/290

النيلي النيسابوري

أبو سهل سعيد بن عبد العزيز بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم . أصله من النيل بنيسابور واستوطن ببغداد في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وتوفي حوالي عام 442 هـ/ 1092 م ، وله :

(1) اختصار كتاب مسائل حنين .

(2) تلخيص شرح جالينوس لكتاب الفصول لأبقراط .

(3) تعاليق على شرح الرازي على تلخيص جالينوس لفصول أبقراط .

(4) كتاب المختصر في الطب (شهيد علي) .

ابن أبي أصيبعة ص 341 ، الصفدي ـ الوافي 13/80 ، ياقوت الحموي ـ معجم الأدباء 11/218 ، السيوطي ـ بغية الوعاة ص 255 ـ 256 ، رضا كحالة 4/225 .

Sezgin, 3/334

الهاروني العطار ابن الكوهي = الكوهين العطار

هبة الله بن زيد بن الحسن بن فرايم بن جميع = (2) 46 ـ 49

هبة الله بن صاعد بن التلميذ = (1) 587 ـ 90

هبة الله بن علي بن الحسين بن أثردي

كنيته أبو الغنائم ، وهو أبو الطبيين علي بن هبة الله وسعيد بن هبة الله . من أطباء بغداد المشهورين أيام الخليفة المستظهر (487 ـ 512 هـ/ 1094 ـ 1118 م) المسترشد والراشد والمقتفي المتوفي سنة 555 هـ/ 1160 م ، وله :

(1) تعاليق طبية .

(2) مقالة في أن اللذة في النوم في أي وقت توجد فيه . ألّفها لزميله أبي نصر يحيى بن جرير التكريتي المتوفي سنة 462 هـ/ 1079 م .

ابن أبي أصيبعة ص 399 وLeclerc, 2/28 – 29

هبة الله بن الفضل

كنيته أبو القاسم . بغدادي المولد والمنشأ . مارس الطب والكحالة إلا أن شهرته كانت في الأدب ونظم الشعر ، وفي نوادره في المجالس ، وخصومته مع الشاعر حيص بيص المتوفي سنة 574 هـ/ 1178 م . وله من المؤلفات :

(1) تعاليق طبية .

(2) مسائل وأجوبتها في الطب .

ابن أبي أصيبعة ص 380 ـ 401

هبة الله علي ملكا = (1) 591 ـ 594

الهروي = محمد بن يوسف الهروي

اليبرودي

أبو الفرج جورجيوس بن يوحنا بن سهل . يعقوبي النحلة ، وكان في

مطلع حياته فقيراً يبيع الشوك الذي كان يحمله من قريته يبرود إلى دمشق . وكانت عمليات الفصد التي كان يشاهدها على قارعة الطريق هي التي أغرته على دراسة صناعة الطب ، فالتحق بمدرسة الدخوار ودرس عليه ، وراسل ابن رضوان المصري . توفي سنة 427 هـ/ 1016 م ، وله :

(1) مقالة في أن الفرخ أبرد من الفروج .
(2) نقض في مسائل النبض على كلام ابن الموفقي .

ابن أبي أصيبعة ص 610 ـ 613 ، الزركلي 2/143 ـ 144 ، رضا كحالة 3/171 و

Leclerc, 1/508 – 509

يحيى بن إسحاق الوزير

من نبلاء نصارى قرطبة ، تعلم الطب على أبيه الذي كان طبيب الأمير عبدالله الأمسوي (275 ـ 300 هـ/ 888 ـ 912 م) الذي سبق الناصر على الحكم بقرطبة . وأسلم يحيى والتحق بخدمة الخليفة الناصر (300 ـ 350 هـ/ 912 ـ 961 م) خلفاً لأبيه ، وتقدم في بلاطه حتى وزّر له ، كما عينه الناصر قائداً لبطليوس . وليحيى كناش من خمسة أسفار ألّفه على الأسلوب اليوناني وسماه الأبرشيم ، والأرجح أن هذا الكتاب هو الذي أشار إليه ابن أبي أصيبعة باسم كتاب كبير في الطب .

القفطي ص 359 ، ابن أبي أصيبعة ص 488

يحيى بن البطريق

من السريان المترجمين ، كان يجيد اللاتينية ، إلا أنه ضعيف بالعربية . له كتاب السموم ، أخذ عنه الرازي في كتاب الحاوي .

ابن أبي أصيبعة ص 288 Sezgin, 3/225

Ullmann, p. 326

يحيى بن جرير التكريتي

كنيته أبو نصر ، وهو أخو أبي الفضل بن جرير التكريتي الطبي الذي

عاش في بغداد في حوالي سنة 472 هـ/ 1079 م ، وله :

(1) كتاب في منافع الرياضة وجهة استعمالها .
(2) كتاب الباه ومنافع الجماع ومضاره .
(3) كتاب الإختيارات في علم النجوم .

ابن أبي أصيبعة ص 328 ـ 329 ، حاجي خليفة ص 1624 ، شيخو ـ المخطوطات العربية ص 75 ـ 76 ، البغدادي ـ هدية العارفين 2/519 ، الزركلي 9/169 ، رضا كحالة 13/189 ، يوسف عبد الرقيب ـ ما بين النهرين 6/122 ـ 123 ، 156 ، ابن العبري ص 259 ، القفطي ص 262 ، ابن النديم 295 .

Brockelmann, S. 1/862 – 8863

يحيى العامري الحرضى

هو ابن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي . مؤرخ ، وله علم بمفردات الطب . ولد ونشأ في حرض باليمن ، وتوفي فيها سنة 893 هـ/ 1488 م ، وله كتاب التحفة الجامعة لمفردات الطب النافعة (المتحف العراقي ، لامبروزيانة ، آصفية ، الجامع الكبير بصنعاء) .

معجم المطبوعات ص 1261 ، الزركلي 9/168

Brockelmann, S. 2/225 – 226

يحيى بن عدي

هو أبو زكريا المنطقي . قرأ على أبي بشر متي وعلى أبي نصر الفارابي ، وهو من أفاضل اليعاقبة الذي اشتغلوا بترجمة الكتب السريانية إلى العربية ، ومن أسرع من يعمل في الإستنساخ ، وله كتاب في منافع الباه ومضاره وجهة إستعماله .

ابن أبي أصيبعة ص 217 ـ 218

يحيى بن عيسى بن جزلة = (1) 578 ـ 582

يحيى النحوي الإسكندراني = (1) 212 ـ 214

يعقوب بن إسحاق الكندي = (1) 476 ـ 4881

يعقوب السرافي

يعرف بابن ماهان . عاش في العصر العباسي الأول وعمل في الترجمة والطب ، وله كتاب السفر والحضر .

ابن أبي أصيبعة ص 2788

يعقوب الكشكري

له كتاب البيمارستان وقد نشره شـركين مصوراً سنـة 1985 وذكره ابن أبي أصيبعة باسم صاحب البيمارستان .

ابن أبي أصيبعة ص 229

اليمامي

أبو سعيد إبـراهيم بن فضل بن عيسى اليمـامي . من أطباء بغـداد في القرن الرابع / الخامس الهجـري ، وكانت بينـه وبين ابن سينا مـراسلات ، وله :

(1) مقالة في امتحان الأطباء وكيفية التمييز بين طبقاتهم .

(2) تقويم الأدوية .

القفـطي ص 407 ، ابن أبي أصيبعـة ص 322 ، التـونكي معجم المصنفين 4/296 ـ 297 ، رضا كحالة 1/74 .

يوحنا بن بختيشوع = (1) 297

يوحنا بن سرابيون

سرياني من أطباء صدر الدولة العباسية ، وهو أخو داود الذي كان طبيباً أيضاً ، وأبوهما طبيب فاضـل من أهل بـاجرمي . تـوفي يوحنـا بحدود سنـة 380 هـ ، وله كتابان بالسريانية هما :

(1) الكناش الكبير بـإثنتي عشرة مقـالة ، أخـذ عنه ابن سينـا في المكاييـل

والأوزان (القانون في الطب 441/3) .

(2) الكناش الصغير ، وهو مختصر الكتاب السابق بسبع مقالات . ترجمه موسى بن إبراهيم الحديثي وابن بهلول إلى العربية (أيا صوفيا ، الأسكوريال) وللكتاب ترجمة عبرية (شتاينشتايدر) كما ترجمه جيرارد الكريموني إلى اللاتينية ، وطبعت هذه الترجمة في البندقية . وله أيضاً ترجمات لاتينية أخرى طبعت عدة مرات في ليون وبازل .

(3) الأدوية المفردة ـ وقد يكون هذا الكتاب لابنه وقد ترجمه إبراهيم الطرطوس (شركين 229/3) .

ابن النديم ص 296 ، القفطي ص 380 ، ابن أبي أصيبعة ص 158

Leclerc, 1/113 – 117, Sezgin, 3/229
Campbell, 1/72 – 73

يوحنا بن ماسويه

يوسف بن أحمد بن حسداي .

أندلسي الأصل ، استوطن مصر في أيام الآمر بأحكام الله الفاطمي (495 ـ 525 هـ/ 1101 ـ 1130 م) وكانت ثقافته يونانية على كتب أبقراط وجالينوس ، وله :

(1) الشرح المأموني لكتاب الإيمان لأبقراط ـ وضعه لوزير الآمر المأمون محمد بن نور الدولة .

(2) شرح المقالة الأولى من كتاب الفصول لأبقراط .

(3) فوائد استخرجها وهذبها من شرح ابن رضوان لكتاب جالينوس إلى أغلوقن .

ابن أبي أصيبعة ص 499 ـ 500

يوسف الإسرائيلي

كنيته أبو الحجاج . مغربي الأصل من فاس . هجر موطنه واستوطن

مصر واشتغل فيها على موسى بن ميمون القرطبي . وسافر إلى الشام وأقام بحلب بمعية الملك غازي بن صلاح الدين الأيوبي المتوفي سنة 613 هـ/ 1216 م . وكان عالماً بالحساب والنجوم بالإضافة إلى الطب . وله رسالة في ترتيب الأدوية اللطيفة والكثيفة وتناولها .

ابن أبي أصيبعة ص 696

يوسف بن إسماعيل بن الكتبي الخويي

هو حفيد إلياس بن أحمد الخويي (المتوفي سنة 755 هـ) البغدادي المعروف بابن الكتبي . فقيه وطبيب . ولد بالمدينة ونشأ وعاش ببغداد . وعمل معيداً بالمدرسة المستنصرية وله كتاب ما لا يسع الطبيب جهله ، وهو في مفردات الأدوية . صحح فيه الأغلاط والسهو في مؤلفات ابن البيطار (دار الكتب المصرية ـ تيمورية ، الدحداح بحلب ، بريل بليدن ، الظاهرة بدمشق ، الموصل ، جامعة القديس يوسف ببيروت ، المتحف البريطاني ، بودليانا بأكسفورد ، رامبور ، أيا صوفيا ، الأوقاف العامة ببغداد ، وغير هذه) . ومختصر لكتاب ما لا يسع الطبيب لعمر الأنطاكي جهله باسم مجمع المنافع البدنية (الآصفية ، ليدن ، بلدية الإسكندرية) . وله أيضاً كتاب الفرق بين الأمراض المشتبهة (أحمد الثالث) .

حاجي خليفة ص 11575 ، البغدادي ـ هدية العارفين 556/2 ، الزركلي 288/9 ، رضا كحالة 217/13 ، الدوميلي ـ العلوم عند العرب ص 417 .

Brockelmann, 1/69. S. 1/218

يوسف الساهر = الساهر

يوسف بن حيدرة الرحبي = رضى الدين الرحبي

يوسف بن طملوس

أبو الحجاج يوسف بن محمد . توفي سنة 620 هـ/ 1223 م ، وله شرح ألفية ابن سينا في الطب .

رضا كحالة ـ معجم المؤلفين 327/130

يوسف بن عمر بن رسول الغساني = الغساني الملك المظفر

يوسف القس = الساهر

يونس بن إسحاق بن بكلارش الإسرائيلي = ابن بكلارش

القسم الخامس عشر

التعريف ببعض المصادر المهمة في تأريخ الطب العربي

1 ـ كتاب تأريخ الأطباء لمؤلفه إسحاق بن حنين .
2 ـ كتاب الفهرست ـ محمد بن إسحاق النديم .
3 ـ طبقات الأطباء والحكماء ـ سليمان بن حسان الأندلسي (ابن جلجل) .
4 ـ كتاب صوان الحكمة ـ أبو سليمان محمد بن طاهر السجستاني
5 ـ مختار الحكم ومحاسن الكلم ـ محمود الدولة المبشر بن فاتك .
6 ـ طبقات الأمم ـ صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد الأندلسي .
7 ـ تاريخ حكماء الإسلام ـ ظهير الدين علي بن زيد البيهقي .
8 ـ نزهة الأرواح وروضة الأفراح ـ شمس الدين محمد الشهرزوري .
9 ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ حاجي خليفة .
10 ـ تاريخ الحكماء ـ جمال الدين علي بن يوسف القفطي .
11 ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ موفق الدين أحمد بن خليفة الخزرجي .

المستشرقون الذين كتبوا في الطب العربي

1 ـ لوسيان لاكلير
2 ـ اوكست مولر
3 ـ يوليوس ليبرت
4 ـ ادوارد براون
5 ـ بول كراوس
6 ـ كارل بروكلمان
7 ـ ماكس مايرهوف
8 ـ دونالد كامبل

التعريف ببعض المصادر في تأريخ الطب العربي

أصدق القول في تاريخ الطب العربي هي التراثيات العربية .ذلك لأن مؤلفيها هم أصحاب الشأن بهذا العلم ، وأعرف بأفكار العرب وكتبهم من المؤرخين الأعاجم . فضلاً عن أن كثيراً منهم كان شاهد عيان أو مشاركاً في أحداث ذلك التاريخ . إلا أن المصادر التي تتكلم عنها جد قليلة بالنسبة لمصادر العلوم العربية الأخرى كالفقه والأدب والتاريخ والسير وما إلى ذلك من العلوم النظرية ، إضافة إلى ما نجد فيها من خلط بين الاعلام ، وهفوات في التواريخ وتناقض في الأخبار لا ما بين الكتب المختلفة بل حتى في الكتاب الواحد . إلا أن القارىء النبيه يستطيع أن يقف على هذه الأخطاء بشيء من التروي والتدقيق . أما المصادر الأجنبية في الطب العربي فجلّها أخذت عن التراثيات العربية ، وهي لا تخلو من قراءات ما بين السطور في تلك التراثيات لا يتوصل إليها الباحث العربي الإعتيادي في بعض الأحيان . وفيما يلي نعرّف القارىء بالمصادر الرئيسية التي اعتمدنا عليها في وضع هذا الكتاب . ويلي بذلك قائمة بالمراجع الأخرى دون تعريف مفصل بها .

1 ـ كتاب تاريخ الأطباء

مؤلف هذا الكتاب إسحاق بن حنين . وقد أخذ جلّ مضامينه من كتاب التاريخ ليحيى النحوي الإسكندراني ، ويعدّ هذا الكتاب الأخير من المفقودات . ويتضمن كتاب إسحاق تراجم الأطباء اليونانيين القدماء البارزين ، ابتداء من أسقليبيوس إلى أطباء العهود الإسكندرانية القريبة من

تاريخ دخول العرب إلى مصر في سنة 22 هـ/ 642 م . أي أن المؤلف لم يتطرق إلى أخبار الأطباء العرب الذين سبقوه أو الذين زامنوه . وبأي حال فإن الكتاب على صغر حجمه الذي لا يتجاوز المقال المعتدل فإنه مصدر مهم كتب بعده في تاريخ الطب اليوناني القديم . وقد نشرها روزنثال في : Oriens, Vol. 7, (1974) p. 55– 88 بتعليق ممتع .

2 ـ كتاب الفهرست[1]

مؤلفه محمد بن إسحاق بن النديم المتوفي في بغداد سنة 438 هـ . وقد احترف الوراقة والنسخ اللذين هما مهنتا أبيه ، فعرف بابن الوراق . وأتاحت له هذه الحرفة الإطلاع على المعارف السائدة يومئذ ، وما تقدمها من العلوم اليونانية والرومانية ، فوضع في حوالي سنة 377 هـ/987 م كتابه الموسوم بالفهرست بعشر مقالات ضمنها معلومات غزيرة عن لغات العالم وشرائعه السماوية والدنيوية ، وتراجم مشاهير المؤلفين في مختلف المعارف ، وأسماء كتبهم . ويهمنا من الكتاب المقالة السابعة التي كتب فيها المؤلف عن الموسيقيين والأطباء والمنجمين والحكماء . ويعتبر الفهرست أوسع مصدر قديم في هذه الإختصاصات . وقد وجدت مخطوطته في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة ونسخة في مكتبة تيمور بالقاهرة فحققها فلوجل وروجر ومولر مشتركين وطبعوه في القاهرة سنة 1348 هـ/1930ة م . ثم طبع الكتاب في طهران سنة 1391 هـ/ 1971 م . وله أيضاً طبعات أخرى لا يعتمد عليها .

3 ـ طبقات الأطباء والحكماء[2]

ومؤلفه أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل وكان

---

(1) اقرأ عن ابن النديم وكتابه الفهرست في معجم الأدباء لياقوت الحموي 408/6 ، الوافي بالوفيات للصفدي 197/2 ، ميزان الاعتدال لابن حجر 72/5 ـ 73 ، كشف الظنون لحاجي خليفة ص 1303 ، والاعلام 253/6 ، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 41/9 ومعجم المطبوعات العربية لاليان سركيس ص 267 .

(2) اقرأ عن ابن جلجل وكتابه الطبقات في تاريخ الحكماء للقفطي ص 190 ، وابن أبي أصيبعة =

حياً 372 هـ/ 982 م وقد مرّت ترجمته ضمن قسم الطب في الأندلس بهذا الكتاب . أخذ المؤلف المعلومات التاريخية مما جمعه من أطباء الأندلس الذين زامنوه ، وما وقف عليه في كتاب أوروسيوس (هوروشيوس)[3] عن علماء اليونان والرومان ، وفي كتاب الألوف لابن معشر البلخي ، وكتاب يرونم الترجمان[4] ، وكتاب إيسيدور الأشبيلي[5] . كما أخذ عن مؤلفات وترجمات أطباء المشرق التي وصلت في أيامه إلى قرطبة . كذلك استفاد من أحمد بن يونس الحراني ، ومن محمد بن عبدون الجيلي اللذين زارا مصر والعراق وسوريا وحملا إليه معلومات كثيرة عن علماء المشرق وأطبائه . وظهر

= ص 493 ، وجذوة المقتبس للحميدي ص 219 ، وإيضاح المكنون للبغدادي 1/561 ، 2/78 ، ومعجم الأطباء لأحمد عيسى ص 207 ، ومجلة المجمع اللغوي الدمشقي لأسد الحكيم 31/480 ، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 4/258 ، ومقدمة كتاب طبقات ابن جلجل تحقيق فؤاد سيد ، وطبقات الأمم لابن صاعد ص 80 ،

Leclerc, 2/5 - 38, Brockelman, 1/237, S. 1/422.

(3) كتاب أورسيوس ـ ويسميه ابن جلجل هروشيوش على عادة الأندلسين الذين يقلبون حرف السين شيناً . وهو كتاب قصصي تاريخي أهداه ملك القسطنطينية أرمانوس مع كتاب هيولي الطب لديوسقريدس إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر بقرطبة . والكتاب مكتوب باللاتينية فلم يصعب على حاشية الخليفة ترجمته إلى العربية . وربما تمت هذه الترجمة في أيام الحكم الثاني المستنصر من قبل قاضي النصاري قاسم بن أصبغ . وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية في منتصف القرن الرابع الهجري وحققه عبد الرحمن بدوي سنة 1982 .
وأورسيوس مؤرخ أسباني عاش في القرنين الرابع والخامس الميلادي ، والنسخة العربية الوحيدة الموجودة هي التي بمكتبة كولومبيا . وقد استفاد من كتابه ابن جلجل ، كما استفاد منه ابن أبي أصيبعة بمقدار أقل . وأخذ عنه ابن خلدون أيضاً (طبقات ابن جلجل تحقيق فؤاد سيد ، صفحة كسط ، لج) .

(4) كتاب يرونم ـ عرف مؤلفه باسم القديس يرونم ، وهو فلسطيني . وأصل الكتاب لأسقف قيصارية وقد كتبه باليونانية ، وترجمه القس يرونم إلى اللاتينية وزاد عليه كثيراً من الأخبار المناسبة . ثم نقل الكتاب بعد ذلك إلى العربية . وتعد جميع هذه الصيغ من المفقودات . وكانت وفاة يرونم سنة 420 م .

(5) أيسيدور الإشبيلي ـ عاش هذا المؤلف فيما بين سنة 570 و636 ميلادية . ويذكره ابن جلجل باسم بشير الإشبيلي المطران ، ويحتمل أن كتابه قد نقل إلى العربية فإن ابن أبي أصيبعة نقل عنه باسم لشيذر الإشبيلي وهو تصحيف كما هو واضح .

كتاب طبقات ابن جلجل في السنة التي ظهر فيها كتاب الفهرست وأكثر الإحتمال أن أي من المؤلفين لم يطلّع على كتاب المؤلف الثاني . وكتاب ابن جلجل بأي حال صغير ومختصر بالنسبة للفهرست الواسع في العلوم وأسماء الإعلام والكتب . بالإضافة إلى أن طبقات ابن جلجل تخص على الأكثر أطباء قرطبة من علماء الأندلس . وقد ذكر ابن جلجل الأطباء والحكماء في كتابه على تسع طبقات . خصص الطبقة الأولى للهرامسة الثلاثة ، وأبولو ، وأسقليبيوس . وخصص الطبقة الثانية لأبقراط ، وديوسقريدس ، وأفلاطون وأرسطو ، وسقراط ، وديمقريطس . وخصص الطبقة الثالثة لبطليموس وقطون وأقليدس ، وجعل الطبقة الرابعة خاصة بأطباء الرومان في الإسكندرية .

أما الطبقة الخامسة فجعلها للأطباء الإسكندرانيين بعد ظهور المسيح . وخصص الطبقة السادسة لبعض الأطباء العرب قبل الإسلام وفي صدره وفي الدولة الأموية . وخصص الطبقة السابعة لبختيشوع ، وجبرائيل بن بختيشوع ، ويوحنا بن ماسويه ويوحنا بن البطريق ، وحنين بن إسحاق ، والكندي ، وثابت بن قرة الحراني ، والرازي . وجعل الطبقة الثامنة لإسحاق بن عمران وإسحاق بن إسرائيل وابن الحزار . أما الطبقة التاسعة فخصصها لأطباء الأندلس ، فترجم لأربعة وعشرين منهم ، وجلّهم من قرطبة .

والكتاب لا يخلو من أخطاء في التراجم ، والتواريخ ، ومع ذلك فإنه يوازي الفهرست من حيث القدم والأهمية ، وخصوصاً ما فيه عن أطباء الأندلس ، وهو مصدر لأكثر الكتب التي ظهرت بعده . حقق مخطوطة الكتاب فؤاد السيد وطبعها في القاهرة سنة 1955 .

4 ـ كتاب صوان الحكمة

ومؤلفه أبو ليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني[6] المنطقي

(6) اقرأ عن أبي سليمان السجستاني وكتابه صوان الحكمة في علماء الإسلام للبيهقي ص 82 ـ

المتوفي سنة 372/ 983 م . كان حكيماً فاضلاً ، وقد نزل بغداد ، وله مع يحيى بن عدي تواصل . كما كان عضد الدولة يحترمه ويكرمه . من مؤلفاته كتاب في مراتب قوى الإنسان وهو من المفقودات وقد تكون لهذا الكتاب علاقة مباشرة بالطب . وكتاب صوان الحكمة وهو أشهر كتبه ، وهو أيضاً من المفقودات ، والموجود منه منتخبات إلفها القاضي عمر بن سهلان الساوي ، وقد طبعت هذه المنتخبات في بلغاريا سنة 1979 بعنوان :

The Muntackab – Siwan Ali – Hikma of Abu Sulaiman As-Sajjistani ويحتوي الكتاب على تراجم أكثر من ثمانين حكيماً يونانياً ، وثلاثين من علماء وحكماء الإسلام .

5 ـ مختار الحكم ومحاسن الكلم

مؤلفه أبو الوفاء محمود الدولة المبشر بن فاتك الآمري[7] ؛ من أعيان دمشق ثم ارتحل إلى مصر واستقر بها في أيام دولة الظاهر والمستنصر الفاطمية المتوفي سنة 429 هـ/ 1037 م . وهو حكيم ومؤرخ وطبيب . من أساتذته أبو علي بن الهيثم ، ومن تلامذته سلامة بن مبارك بن رحمون اليهودي . توفي المبشر بعد سنة 687 هـ/ 1288 م وله مؤلفات قيمة ، منها كتاب في الطب . أما أشهرها فهو كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم ، وقد وجدت مخطوطته في لايدن والمتحف البريطاني وبرلين وأحمد الثالث فحققها ونشرها عبد الرحمن بدوي بمدريد سنة 1958 . ويحتوي الكتاب على تراجم وحكم بعض الأنبياء ، وكثير من العلماء والحكماء اليونانيين القدماء .

= 83 ، والوافي بالوفيات للصفدي 1/165 ـ 166 ، وتاريخ الحكماء للقفطي ص 282 ـ 283 ، وابن أبي أصيبعة ص 427 ، والاعلام للزركلي 7/41 ، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 10/96 و

Brockelmann, S. 1/377 - 378.

(7) اقرأ عن أبي الوفاء المبشرين فاتك في معجم الأدباء للحموي 17/77 ، والكشف لحاجي خليفة ص 493 ، 1632 ، وإيضاح المكنون للبغدادي 6/153 ، وهدية العارفين للبغدادي 2/4 ، ورضا كحالة 8/176 والاعلام 6/153 . Brockelmann, 1/459, S. 1/829

وعلى أكثر من خمسة عشر من حكماء اليونان اللاحقين .

6 ـ طبقات الأمم

ومؤلفه صاعد بن عبد الرحيم بن صاعد ، الذي اشتهر بإسم ابن صاعد الأندلسي[8] . تغلبي من قرطبة ، مؤرخ وفقيه . وقد تولى القضاء في طليطله وتوفي فيها سنة 462 هـ/1070 م وله إضافة إلى كتاب طبقات الأمم كتاب تاريخ الأندلس ، وكتاب طبقات الحكماء . وكتاب طبقات الأمم أول كتاب عربي يبحث في شعوب العالم وحجم مشاركتها في الحضارة الإنسانية .

7 ـ تاريخ حكماء الإسلام

ومؤلفه ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد البيهقي المتوفي سنة 565 هـ/ 1170 م[9] . من نسل الصحابي خزيمة بن ثابت . ولد في بيهق بضواحي نيسابور من عائلة متدينة ، ودرس الفقه والحديث والأدب على أكابر العلماء . وفي زمانه دخل المغول خراسان وصاروا يخربونها ويحرقون كتبها على مدى ثماني سنوات من دخولهم إليها في سنة 548 هـ/ 1153 م . ولظهير الدين كتاب تتمة صوان الحكمة لأبي سليمان السجستاني ، ترجم فيه لما يزيد على المائة وعشرة عالماً في الطب والفلك والفلسفة الذين عاشوا في القرن الخامس والسادس الهجري ، من مختلف الأديان . وقد حُوّر إسم الكتاب إلى تاريخ حكماء الإسلام لأن الذين ترجم لهم فيه كانوا قد عاشوا في ظل الإسلام وكتبوا مؤلفاتهم بلغته . وجدت مخطوطة الكتاب ببرلين وحققها محمد كرد علي وطبعها بدمشق سنة 1946 ثم أعيد طبعها سنة 1976 .

---

(8) اقرأ عن ابن صاعد الأندلسي في معجم الأدباء للحموي 281/11 ، نفح الطيب للتلمساني 726/2 والوافي بالوفيات للصفدي 229/1 ، والاعلام للزركلي 271/3 .

(9) اقرأ عن ظهير الدين البيهقي في معجم الأدباء للحموي 219/13 ، هدية العارفين 699/1 ـ 700 ، كنوز الأجداد كرد علي ص 209 ـ 300 ، مجلة المجمع العلمي بدمشق ، جميل صليبا 74/22 ، مصطفى جواد المجمع العلمي بدمشق 380/22 . رضا كحالة 97/7 ، الوافي بالوفيات 68/12 . Brockelmann, 2/24, S. 1/557 - 558

8 ـ تاريخ الحكماء

وإسم الكتاب كاملاً : تاريخ الحكماء من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء . ومؤلفه جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى بن أحمد[10] ، وهو من مواليد قفط بمصر ، وينسب إليها بإسم القفطي ، وبعضاً بابن القفطي أما أصل عائلته فمن الكرفة في العراق . وهو عالم وأديب وفقيه ومؤرخ . كما له إلمام بالحساب والهندسة والنجوم . ولّى الوزارة بحلب وتوفي بها سنة 646 هـ/ 1248 م وله كتب يهمنا منها كتاب تاريخ الحكماء الذي أدخل فيه تراجم ما يزيد على الأربعماية علم في الحكمة والهندسة والحساب والطب . ورتب أسماءهم بحسب تسلسل حروف الهجاء ، وجلّهم من عير الأطباء ، وقد حقق المخطوطة يوليوس ليبرت وطبعها في لا يبزج سنة 1906 .

9 ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء

ومؤلفه ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أحمد ابن قاسم بن خليفة[11] ، وقد مرت ترجمته في قسم أطباء الديار الشامية . توفي سنة 696 هـ/ 1396 م بعمر السبعين تقريباً . واشتهر بين الأطباء بكتابه عيون الأنباء الذي ترجم فيه لأكثر من ثلاثماية وثمانين طبيباً ، وحكيماً ، ومنجماً ، ومهندساً . أما العدد الغالب منهم فكان من الأطباء وهذا وجه اختلافه عن كتب التراجم التي

---

(10) اقرأ عن جمال الدين القفطي في معجم الأدباء لياقوت الحموي 15/175 ـ 204 ، وبغية الوعاة للسيوطي ص 358 ، والشذرات لابن العماد 5/236 ، وفوات الوفيات للكتبي 2/96 ـ 97 ، وهدية العارفين للبغدادي 1/789 ، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 7/263 ، والاعلام للزركلي (دار العلم بيروت) 5/33 . ونلينو في الفلك عند العرب ص 50 ـ 64 ، Brockelmann, 1/396, S. 1/559.

(11) اقرأ عن ابن أبي أصيبعة في البداية لابن كثير 13/257 ، والنجوم لابن تغري بردي 7/229 ، والشذرات لابن العماد 5/327 ، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 2/47 ـ 48 ، والاعلام للزركلي (دار العلم للملايين بيروت) 1/197 وعلم الفلك عند العرب لنللينو ص 64 ـ 72 .

مرّ ذكرها . وربما على ترجمة الأطباء لأنه هو نفسه طبيب وكحال . وأكثر مصادر هذا الكتاب من طبقات ابن جلجل الأندلسي وابن صاعد الأندلسي وفثيون الترجمان (القرن الثالث الهجري) وكتاب أدب الطبيب لإسحاق بن علي الرهاوي (القرن الثالث الهجري) ، وكتاب أخبار الأطباء (والمتطببين) لأحمد بن يوسف بن إبراهيم المعروف بابن الداية (ت 340 هـ/ 951 م) . كذلك أخذ عن كثير من الأطباء الذين سبقوه كابن ماسويه ، وحنين بن إسحاق ، وسنان بن ثابت ، وابن رضوان المصري وغيرهم .

وقد عثر المستشرق أوكست مولر على مخطوطات الكتاب في نور عثمانية والمتحف البريطاني وعاشر أفندي وراغب فوحّد فيما بينها وحققه وأضاف إليه مقدمة بالألمانية وطبعه على حسابه في كونسبرغ سنة 1884 . ثم ظهرت عدة طبعات من الكتاب وهي لا تخلو من سوء الطبع والتنسيق ، والتصحيف .

10 ـ نزهة الأرواح وروضة الأفراح

ومؤلفه شمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري[12] المتوفي في حوالي سنة 687 هـ/ 1288 م . ولد في شهرزور القرية التي تقع على الحدود العراقية الإيرانية . وكان جلّ سكانها من الأكراد . وشمس الدين حكيم ومؤرخ . ويتقن الفارسية العربية . ويحتوي كتابه على مائة وخمسة وثلاثين ترجمة . وله نسخ خطية في الآصفية ، وريلاند بما نجستر . وقد حقق الكتاب ونشره السيد خورشيد أحمد بحيدر آباد الدكن بجزئين سنة 1396 هـ/ 1970 م . وللشهرزوري كتاب تفاسير العقاقير (الحموي 5/ 212 ، البغدادي في الإيضاح 1/ 300) .

11 ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

مؤلف هذا الكتاب القيّم هو مصطفى بن عبد الله المشهور باسم حاجي

---

(12) اقرأ عن شمس الدين محمد الشهرزوري في هدية العارفين للبغدادي 2/ 16 ، والمخطوطات المصورة لأسعد طلس 2/ 130 ، ورضا كحالة 11/ 320 و Brockelmann, 1/468 - 469

خليفة[13] . وهو مؤرخ وتراثي واسع الإطلاع على الكتب القديمة . ولد بالقسطنطينية وكان أبوه يومئذ يعمل في الجيش العثماني . وارتحل مع أبيه إلى العراق . وبعد وفاة أبيه بالموصل عاد إلى القسطيطينية واشتغل بالعلم والتعليم . ثم صحب الصدر الأعظم محمد باشا إلى مكة . وسمي (حاجي) بعد إداء فريضة الحج ، ولما تقلّد منصب وكالة وزارة المالية لقب بالخليفة . وقد اطّلع أثناء تجواله بين المدن الإسلامية على كثير من الكتب التراثية واقتنى عدداً كبيراً منها ، ودوّن أسماءها وأسماء مؤلفيها وتراجم حياتهم . فلما رجع إلى القسطنطينية زاد اهتمامه بشأن هذه الكتب وزار هذه الكتب وزار أكثر خزائن تركيا واطلع بنفسه على ما فيها من كنوز المخطوطات الثمينة ، فصار من مدوناته الكتاب الذي تتكلم عنه ، وضمنه نحواً من 14500 كتاب مرتب على حروف المعجم ، مع ذكر أسماء مؤلفيها ومجمل تراجمهم .

توفي حاجي خليفة سنة 1067 هـ/ 1657 م ، واعتنى بتنقيح كتاب الكشف إبراهيم أفندي بن علي العربجي المتوفي سنة 1190 هـ ، وطبع الكتاب لأول مرة باعتناء فلوجل في ليبسك مع ترجمة إلى اللغة اللاتينية في سنة 1274 هـ . ثم طبع في الأستانة والقاهرة . وكانت آخر طبعاته في طهران بجزئين سنة 1947 .

* * *

وهناك ثمة كتب تحوي على معلومات مهمة عن الطب والأطباء عامة تستحق النظر فيها ، منها :

(1) تاريخ اليعقوبي ، وابن واضح (جزء الأول) .
(2) التنبيه والإشراف للمسعودي .

---

(13) اقرأ عن حاجي خليفة في معجم المطبوعات لاليان سركيس ص 732 ـ 733 ، وهدية العارفين للبغدادي 2/440 ـ 441 ، والاعلام للزركلي 8/138 ـ 139 ، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 2/262 ـ 263 ، وإيضاح المكنون للبغدادي 2/24 ، 415 ، وتاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان 3/317 ـ 319 ، Brockelmann, 2/427, S. 2/635 - 636

(3) مختصر تاريخ الدول ، لابن العبري .
(4) وفيات الأعيان ، لابن خلكان . وغيرها .

المستشرقون الذين كتبوا في الطب العربي :

1 ـ لوسيان لاكلير[14] Leclerc, L.

طبيب فرنسي عاش فيما بين سنة 1846 و1893 . درس العربية واعتنى بآثارها وخاصة بالطب فيها . أشهر أعماله كتابه : تاريخ الطب العربي ، وهو أول وأوسع كتاب ظهر بهذا الإختصاص . وضعه المؤلف بالفرنسية بجزئين سنة 1878 ، ولا يزال من أوسع المصادر الأجنبية بتاريخ الطب العربي ، كما ترجم لأكلير أقساماً من كتاب التصريف للزهرواي ، والجدري والحصبة للرازي ، والجامع لمفردات الأدوية لابن البيطار .

2 ـ أوجست مولر[15] Muller, August

ألماني الجنسية . درس في لايبزج ، وتعلم اللغة العربية وعلّمها في جامعة فينا ، واهتم بالتراثيات العربية ، فشارك فلوجل في نشر الفهرست لابن النديم ، وحقق كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة بإسم امرىء القيس ابن الطحان ، وطبعه على حسابه في كونسبرج سنة 1685 .

3 ـ يوليوس ليبرت[16] Lipper, J.

ألماني . شغف بدراسة التراثيات العربية . وترجم إلى الألمانية رسالة في العين من كتاب القانون لابن سينا ، وكتاب المنتخب في أمراض العين لعمار بن علي الموصلي . وهو الذي حقق كتاب الحكماء لجمال الدين القفطي وطبعه في ليبزج في سنة 1902 وتوفي ليبرت سنة 1911 .

---

(14) اقرأ عن لوسيان لاكلير في (المستشرقون) لنجيب عقيقي 1/213 .
(15) اقرأ عن أوجست مولر ، المصدر السابق 2/710 ـ 711 .
(16) اقرأ عن ليبر ، المصدر السابق 2/721 ـ 722 .

4 ـ إدوارد براون [17] Browne, E. G.

تعلم التركية في تركيا ، ثم درس الطب واللغة العربية والفارسية بكمبرج . ومارس الطب ثلاث سنوات في مستشفى بارثا لميو بلندن ، ثم انتدب في سنة 1887 ليدرّس الطب بطهران . ورجع إلى كمبرغ ليدرس في جامعتها اللغة الفارسية وآدابها . ثم صار أستاذاً للغة العربية بنفس الجامعة . واشتهر بدفاعه عن العرب والفرس ، وانتخب عضواً في المجمع العلمي البريطاني ، والمجمع العلمي بدمشق . ومن أشهر أعماله كتاب تاريخ الطب العربي (1921) وقد نقله رينو إلى الفرنسية ، وله ترجمتان بالعربية .

5 ـ بول كراوس Kraws, P.

درس الطب بجامعة براغ . وعمل بجامعة القدس بضع سنوات ، كما عمل في السوربون ، وأستاذاً منتدباً في الجامعة المصرية ، واهتم بصفة خاصة بأفكار جابر بن حيان ، فترجم حياته ونشر له نصوصاً عن أعماله . كما ترجم لابن سينا عن تلميذه أبي عبيد الجرجاني ، وكتب عن البيروني والرازي وفهرست ابن النديم . وله أيضاً كتاب الطب الروحاني ورسائل فلسفية للرازي ، وأفلوطين عند العرب . توفي منتحراً في القاهرة سنة 1944 .

6 ـ بروكلمان[18] Brockelmann Carl

إسمه الأول كارل . . من مواليد روستوك . درس اللغات السامية على نولدكه ، وعيّن أستاذاً لها في كثير من جامعات أوروبا الشرقية وعضواً في مجاميعها العلمية . كما عين عضواً في المجمع العلمي بدمشق . له آثار كثيرة في العربية والتاريخ الإسلامي . من أشهر مؤلفاته تاريخ الآداب العربية بجزأين (1898) وقد ترجم إلى العربية بخمسة أجزاء ، والجزء الرابع منه هو المخصص للعلوم الطبية . ثم أردفه بملحق بثلاثة أجزاء (1937) .

---

(17) اقرأ عن براون ، المصدر السابق 2/524 .

(18) اقرأ عن كارل بروكلمان ، المصدر السابق 2/777 ـ 783 .

بثلاثة أجزاء (1937). توفي كارل بروكلمان سنة 1956.

مايرهوف[19] Meyerhof, MAX

إسمه الأول ماكس، ألماني. درس الطب في هايدلبرغ ثم في برلين وستراسبورغ. ومارس الطب فيها (1897)، وسافر إلى مصر (1900) وفيها تعلم لغتها كما درس الطب العربي. وكان يطبب العيون بالمجان. ثم إنتخب نائباً لرئيس المعهد المصري والجمعية الطبية المصرية. وكان يعرف لغات كثيرة فصار ينقل من لغة إلى لغة. ونشر كتاب العشر مقالات في العين لحنين بن إسحاق وترجمه إلى الإنكليزية (1933)، والقسمين الأول والثاني من منتخب جامع المفردات للغافقي (انتخاب ابن العبري بمعاونة جورجي صبحي (1932). ونشر شرح أسماء العقار لابن ميمون القرطبي. كذلك ترجم الرسالة الصلاحية لابن جميع المصري، والأسماء الطبية لجالينوس، والرسالة الكاملية لابن النفيس. وله غير ذلك بحوث ورسائل عديدة في أمهات المجلات التراثية، وتوفي ماكس مايرهوف سنة 1945.

8 ـ كامبل Donald Camobell

طبيب إنكليزي، عمل أولاً في الجيش الهندي ثم التحق في أوائل العشرينات من هذا القرن بالجيش البريطاني برتبة رئيس.

وقد شغف كامبل بدراسة تأريخ الطب العربي وعلومه وأعمال أطبائه منذ حياته الأولى. وصار يتابع ما يكتب عنه لا كقسم من تأريخ الطب كما يقول، بل أيضاً لما فيه من إبداع وتطوير على ما عرفه اليونانيون. وقد دون قراآته وآراءه بهذا الخصوص بكتاب أسماه الطب العربي، وطبعه بجزئين في لندن سنة 1926. ضمن الجزء الأول منه اثني عشر فصلاً في مكانة الطب العربي في القرون الوسطى، مع الإشارة الواضحة إلى ما في حياة أوروبا اللاتينية المعاصرة لها من تردّ وتخلّف في الطب والصحة عامة. فخصص الفصل الثالث لظهور الإسلام وتتابع الخلفاء على ولاية المسلمين في المشرق

والمغرب، والفصل الرابع للمؤلفين في الطب العربي. والفصل الخامس في أخبار الطب العربي بأوروبا اللاتينية. أما الفصل الثامن فقد جعله لحركة الترجمة التي قام بها الأسبان والإيطاليون وغيرهما من الأوروبيين في نقل الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية والعبرية. وأفرد الفصل العاشر لما فعلته كتب العرب في أوروبا ومدارسها. وجعل الفصلين الأخرين من الكتاب عن الثورة الفكرية بأوروبا إلى أن أخذت مادتها عن الأفكار العربية.

أما الجزء الثاني من كتاب الطب العربي فقد كرسه كامبل للمخطوطات اليونانية ومنقولاتها إلى العربية والسريانية، وما ترجم من هاتين اللغتين إلى اللاتينية والعبرية.

وليس لدينا معلومات عما إذا كان لهذا المؤلف أعمال أخرى في الطب العربي، بل أننا لا نعرف عن ترجمة حياته أكثر مما نعرف عن كتابه الذي تكلم عنه. والكتاب هذا مصدر في تأريخ الطب العربي مما لا تتطرق إليه التراثيات العربية، مثال ذلك ما كتبه عن قسطنطين الأفريقي وماسويه المارديني والأسفنجة المنومة وغير ذلك.

فهرست الاعلام

للجزئين الأول والثاني

- ب -

ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

ص

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

- ن -

هـ

فهرست المصطلحات والادوية والآلات الطبية

الجزء الأول

- أ -

- ب -

- ت -

- ث -

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- ذ -

- ر -

- ز -

- س -

- ك -

- ل -

- م -

- ن -

فهرست المصطلحات والادوية

الجزء الثاني

- د -

- ذ -

- ر -

- ز -

- س -

فهــرس

القسم الثامن

القسم التاسع

القسم العاشر

القسم الحادي عشر

القسم الثاني عشر

القسم الثالث عشر

القسم الرابع عشر

القسم الخامس عشر